

# يتيمة الدهر

## في محاسن أهل العصر

تأليف


أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية


شرح وتحقيق


الدكتور مفيد محمد قميحة


الجزء الثالث


دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

# بسم الله الرحمن الرحيم

## ١ ـ ابن سكرة الهاشمي

### أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد

شاعر متسع الباع ، في أنواع الإبداع . فائق في قول الملح والظرف ، أحد الفحول الأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد[١] . وكان يقال ببغداد : إن زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخيٌّ جداً . وما أشبههما إلا بجرير والفرزدق في عصريهما ، فيقال : إن ديوان ابن سكرة يربى على خمسين ألف بيت ، منها في قينة سوداء يقال لها خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت ، وكانت عرضة نوادره وملحه ، كطيلسان بن حرب ، وهن أبي حكيمة ، وحمار طباب ، وضرطة وهب .

وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي أن ابن سكرة حلف بطلاق امرأته ـ وهي ابنة عمه ـ أنه لا يخلى بياض يوم من سواد شعره في هجاء خمرة ، ولما شعرت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل[٢] زوجها من صلاة الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم الغريم غير الكريم ، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها ، وقد أخرجت من عيون ملحه ما يجمع الحجول والغرر[٣] ، ويمتع السمع والبصر .

* * *

(١) جار : أي جرى معه ما أراد .

(٢) انفتل : عاد إلى منزله بعد الانتهاء .

(٣) الحجول والغرر : أي الناصع الجميل من شعره .

## الغزل والنسيب

قال في غلام بيده غصن لوز قد نور[1] [ من الخفيف ] :

غصـــنُ بانٍ بدا وفــي اليد منه    غصــنٌ فيـه لؤلــؤٌ منظـومُ
فتحيَّرتُ بين غصــنين في ذا    قمــرٌ طالــعٌ وفـي ذا نجوم

وقال [ من الخفيف ] :

وغــزالٍ لــولا تميمــة شعرٍ    ذكَّرتـه لقلــت بعـض الجواري[2]
شــاربٌ أشــربَ الصبابــةَ قلبي    وعــذارٌ خلعــت فيـه عذاري[3]

وقال [ من الوافر ] :

ويومٍ لا يقــاس إليـه يومٌ    يلــوحُ ضياؤه مــن غير نارِ
أقمنــا فيه للــذّاتِ سوقاً    نبيع العقــلَ فيهــا بالعقار[4]

وقال [ من الخفيف ] :

من عذيري من شادنٍ لا يراني    وهــو روحــي أهــلاً لردّ السلامِ ؟
أنــا مــن خــدِّه وعينيـه والثغــر    ومــن ريقـه البعيـد المــرامِ
بين وردٍ ونــرجــسٍ وتلالـي    أقحـــوانٍ وبـابلـيٍّ مــدام

وقال [ من السريع ] :

الغصـــن منســوبٌ إلــى قــدِّه    والــورد منثـورٌ علـى خدِّهِ
بــدرٌ يودُّ البــدر فـي حسنه    بأنَّـه يُعـزى إلـى عبـده[5]

---

(١) نوّر : أزهر .

(٢) التميمة : خرزة أو نحوها تعلّق في العنق دفعاً للعين وهنا « الضفيرة » .

(٣) الصبابة : الوجد والحب ، والعذار : الخدّ .

(٤) العقار : الخمرة .

(٥) يعزى : ينسب .

سألته في صحوةٍ قبلةً فردّني والموت في ردّه
حتى إذا السّكر لوى رأسه قبّلته ألفاً بلا حمده

وقال في غلام يهواه وهو سميه [ من الوافر ] :

إذا باسمي دعيتُ حننت شوقاً وذكّرني به الداعي حبيبي
فليت كما اتفقنا بالأسامي وألفتها اتفقنا بالقلوبِ

وقال [ من الخفيف ] :

الليالي تسوء ثم تسرُّ وصروف الزمان ما تستقرُّ
غير أني عن الحوادث راضٍ بعد سخطٍ والعيش حلوٌ ومرٌّ
كنت صبّاً بواحد ثم ثنّيت فلي بالجميع وصلٌ وهجرُ
من كمثلي وعن يميني شمسٌ تتجلّى وعن شمالي بدرُ
ذا على خدّه من المسك سطرٌ وعلى طرف ذا من الغنج سطر
بتُّ يجري عليَّ من ريق هذين وكأسي شهدٌ ومسكٌ وخمرُ
ليَ مِنْ ريق ذا ومقلة هذا مَعَ كأسي سكرٌ وسكرٌ وسكرُ

وقال [ من المنسرح ] :

حذار من وصل من بليت بهِ فقد لقيت الرّدى بجفوتهِ[1]
دنوت منه كيما أقبّله فلم تدعني نيرانُ وجنته

وقال [ من البسيط ] :

قالوا التحى وستسلو عنه قلتُ لهُمْ هل يحسن الروض ما لم يطلع الزَّهَرُ
هل التحى طرفه الساجي فأهجره أم هل تزحزح عن ألحاظه الحوَرُ[2]

---

(١) الوصل : اللقاء ، والردى : الموت .
(٢) الساجي : الساكن . والحور : شدّة بياض العين وشدّة سوادها .

وقال [ من المنسرح ] :

يـا ضاحـكـاً يسـتهـلُّ مضحكَهُ عـن بردٍ واضـحٍ وعـن شنب[1]
أعـطيتني قبلـةً رشفـت بهـا الـشّهـد مشـوبـاً بعـبرة العـنبِ
كأنّنـي إذ لثمـتُ فـاك بها لثمـت تفـاحـةً مـن الذّهب

وقال [ من المتقارب ] :

فـديتُ مِنَ النـاس مَنْ لحظه بلا خنجـرٍ كاد أنْ يجرحا
كتمـت هواه زمـان الصّبـا وصـرَّحـت بالحـبِّ لمّـا التحى
وقيل محـا الشعـر لمـا بدا محاسـنـه منـه واستقبحـا
فقلـت لهـم مـا محـا حسنه ولـكنّ صبـريَ عنـه محا
بنفسـي عذارٌ بـدا طالعاً علـى ناضـر الـورد مـا أملحا
فـصـيَّـر فـي رزةٍ أصـبـعـي وأوثـق كـفِّي تحت الـرّحى[2]

وقال [ من الوافر] :

أشبِّهـهُ وحـاشيـةٌ لديه ثقـالاً كلّهـمْ رخـمٌ وبومُ[3]
ببـدر التـمِّ إشراقـاً وحسناً وقـد سـترت محاسـنـه الغيـوم
عـهـدت البـدر تـكنـفـه نـجـومٌ وذا بـدرٌ تـطيـف بـه رجـوم[4]

وقال [ من مخلع البسيط] :

عـابـوا وقالـوا تسـلَّ عنه فقلـتُ هـذا أوان حبي
إنّ الـذي عبتمـوه منهُ هـو الـذي يشـتهيه قلبي

---

(1) الشنب : صفاء الأسنان وابيضاضها .

(2) الرزة : حديدة يدخل فيها القفل ، والرّحى : الطاحون .

(3) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .

(4) الرجوم : شهب تظهر في السماء وكأنها نجوم تتساقط .

وكلّما عبتموه عندي زاد جنوني به وعجبي

وقال [ من السريع ] :

أحببت بدراً ما له مشبهٌ في الحسن لولا أنَّه جافي
أحورُ في مقلته حجّةٌ للعين والشين مع القاف
وفي ارتجاج الردف داعٍ إلى نونٍ وياءٍ قبل ما كاف[1]
سألته الوصل فلم يحتشمْ وقال قدِّم نقدك الوافي

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

يا سيدي ومؤمّلي قد شفَّني شوقي إليكا[2]
دمعي عليك موردٌ فكأنَّهُ من وجنتيكا

وقال في غلام أعرج [ من الكامل ] :

قالوا بليتَ بأعرجٍ فأجبتهم العيب يحدث في غصون البانِ
ماذا عليَّ إذا استجدت شمائلاً وروادفاً تغني عن الكثبان[3]
إنّي أحبُّ جلوسه وأريده للنوم لا للجري في الميدان
في كلِّ عضوٍ منه حسنٌ كاملٌ ما ضرَّني أنْ زلَّت القدمان

وله [ من الخفيف ] :

ليس شرب المدام للمستهامِ مُذهباً ما به من الأسقام
كُلَّما دبَّتِ المدامة في الأعضاء دبَّ اشتياقه في العظام

وقال في غلام رش عليه ماء الورد [ من الخفيف ] :

ليت شعري عن ماء وردك هذا هو من وجنتيكَ أمْ شفتيكا

---

(١) الردف : المؤخّرة .
(٢) شفّني : أمرضني وأنحلني .
(٣) الكثبان : الرمل المرتفع .

رقَّ حسناً وطاب عرفاً فقد د    لَّ بأوصافه الظّراف عليكا[1]

وقال [ من الخفيف ] :

بات سكران لا يحيرُ جواباً    عن كلامي وبتُّ ألثم فاهُ[2]
وأتاني إبليس يأمر بالسو    ء فما كان ذاك لا وهواه
شيمة الظّرف أن أصون حبيبي    عن قبيحٍ يراه أو لا يراه
أيُّ فرقٍ بين الحبيب إذا نيـ    ـك ولم يحتشمْ وبين سواه

وقال [ من المنسرح ] :

في وجه إنسانةٍ كلفتُ بها    أربعةٌ ما اجتمعن في أحد[3]
الخدُّ وردٌ ، والصدغ غاليةٌ    والرِّيق خمرٌ ، والثغر من برد[4]
لكلِّ جزءٍ من حسنها بدعٌ    تودع قلبي بدائع الكمد[5]

وقال [ من الرمل ] :

يا نظيرَ البدر في صورته    وشبيهَ الغصن في قامتِهِ
والذي ينتسب الورد إلى    روضةٍ تضحك في وجنتِهِ
ما ترى في عاشقٍ مكتئبٍ    دمعه وقفٌ على مقلته
واقفٌ بالباب يشكو ما به    فمتى تنظر في قِصَّته

وقال [ من الخفيف ] :

بأبي الأسمر الذي فزتُ منه    بهلالٍ يبين للناظرينا
قد سقانا فما شفانا مداماً    وشربنا من ريقه فروينا

---

(١) العرف : الرائحة الطيبة .

(٢) لا يحير جواباً : لا يدري .

(٣) كلفت : همت وعشقت .

(٤) الغالية : أخلاطٌ من الطيب .

(٥) الكمد : الحزن .

وقال [ من المتقارب ] :

غزالٌ فؤادي إليه صَبَا وهشٌ ولولاه لم يهششِ
أجِلْ نظراً في نقا خدّه وفي خدِّيَ الأصفر الأنمش[1]
تجد صحن خديه تفاحةً وخدِّي من أجله مشمشي

وقال [ من الخفيف ] :

خُذْ من الدهر ما صفا لك منه ودعِ الفكر في بنات الطريقِ
أيُّ شيءٍ يكون أطيب من كأ س رحيقٍ شيبتْ بريق عشيق[2]

وقال [ من المجتث ] :

تظنُّ أنّيَ أسلو كلاّ وربُّ البُنيَّه
الآن تيَّمَ قلبي باللحية السجيَّه[3]
الخدُّ خمرة فضلٍ على الخدود النقيَّه
فيه بقية حسنٍ لم تبقِ منِّي بقيَّه

وله [ من مجزوء الخفيف ] :

أنا والله تالفٌ آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامتْ قيامتي

وقال [ من المنسرح ] :

وشادن ما رأيت غرَّته الغراءَ إلاَّ شككت في القمرِ
قد قلت لما رأيت صورته تبارك الله خالق الصوّر

---

(١) الأنمش : من النمش ، وهي بقع صفار في الجلد تخالف لونه .
(٢) شيبت : مزجت .
(٣) السبجية : السوداء ، والسبج خرز أسود .

وقال في غلام زطي زامر [ من السريع ] :

ظبيٌ من الزُّطِّ تعلّقته ... فصار معشوقي ومولايَ
أحسن والإحسان لم يجمعا ... في حسنٍ إلاَّ لبلوايَ
إذا نأت روحيَ عن جسمها ... ردّ ليّ النأي بالناي

وقال في غلام يعرف بابن برغوث من مشاهير الملاح [ من الوافر ] :

بليت ولا أقول بمنْ لأنِّي ... متى ما قلت من هو يعشقوهُ
حبيبٌ قد نفا عنّي رقادي ... فإن غمَّضتُ أيقظني أبوه

وقال [ من المديد ] :

مستهامٌ ضاق مذهبُهُ ... في هوى من عزَّ مطلبُهُ[1]
كلُّ أمري في الهوى عجبٌ ... وخلاصي منه أعجبُهُ
لي حبيبٌ كلُّه حسنٌ ... فعيون الناس تنهبه
صيغ من ماءٍ ولي نظرٌ ... ليس يُروى حين يشربه
ضاع من عيني فمقلتُها ... في بحار الدمع تطلبه
منعتني من مقبَّلهِ ... حين أدنو منهُ عقربهُ[2]
واستدارت فهي تحرسه ... من فمي بخلاً وترقُبُهُ

وقال [ من البسيط ] :

أهلاً وسهلاً بمن زارتْ بلا عدةٍ ... تحت الظلام ولم تحذر من الحرسِ
تستَّرت بالدُّجى عَمْداً فما استترتْ ... وناب إشراقها ليلاً عن القبسِ
ولو طواها الدُّجى عنَّا لأظهرها ... برق الثنايا وعطر النحر والنفس

---

(١) مذهبه : طريقه وحيلته .

(٢) العقرب : حشرة معروفة لسعها شديد الألم « ويشبه الصدغ بها » .

## المجون وما يجري مجراه

قال [ من السريع ] :

قد قلتُ لما مرّ بي معرضاً كالبدر تحت الغسق الداجي[1]
يهتزُّ في حشيتِهِ مُتعَباً من كفلٍ كالموج رجراج[2]
ويلي على حلٍّ سراويله فإنَّه شدَّ على عاج

وقال في غلام تركي شرب معه [ من مجزوء الرمل ] :

أيُّها التركيُّ ما عندك للصبِّ النحيلِ
هل إلى ما يستر القرُ طق عنِّي من سبيل ؟
أشتهي ذاك وأخشى صولة اللَّيث الثقيلِ

وقال [ من المجتث ] :

يا ليلةً ليس فيها إلى الفقاح سبيلُ[3]
طالت على ذي اهتياجٍ له قمدٌ طويل[4]
مسكْرجٌ تتوالى دموعه وتسيل[5]
رقاده في الدياجي حتى ينيك قليل
موترٌ مستقيمٌ عليه رأسٌ ثقيل
أنزلته خان سوءٍ عنه يطيب الرحيل

---

(١) معرضاً : صاداً غير مكترث ، والغسق : الظلام .
(٢) الكفل : الردف ، ورجراج : متحرّك متموّج .
(٣) القرطق : كجندُب ، لبسٌ ، معرّب كرته وقرطقته : ألبسته .
(٤) الفقاح : جمع فقحة ، وهي حلقة الدبّر .
(٥) القمد : الطويل الضخم العنق .
(٦) مسكرجٌ : من صفات القضيب « والسكرجة » الإناء الصغير .

وقال [ من المجتث ] :

قــل للكويتــب عنّــي بــأيٍّ أيــرٍ تنيــكُ ؟
والأيــر منــك صغيــرٌ نضــوٌ ضعيــفٌ ركيــك[1]
شــاركْ بأيــرك أيــري ونــكْ فنعــم الشريــك

وقال [ من الكامل ] :

إنّــي بليت بشــادنٍ غنجٍ حســن الشمائــل وافــرُ الكفلِ
يبغــى الدراهــم وهــي معوزةٌ عنــدي فحبلــي غير متصلِ
مستعجــم الألفــاظ أجهــل ما يبــدي ويجهــل فهمــه غزلي
وإذا مدحــت فليس يفهمه والفــارسية ليس مــن عملي
فبحــقٍّ ما بينــي وبينــك من ودٍّ بلا زيغٍ ولا ميل[2]
امنــنْ علــيَّ بقربــه فعسى أحيا بزورتــه ويسمــح لي
الجــود منــك سجيّةٌ أبداً والمــدح والتقــريظ من قبلي

وقال [ من الطويل ] :

إذا لم يكن للأير بخــتٌ تعذَّرت عليه جهــات النيك من كلِّ ناحيهْ
حرمــت الغــزال الواسطــي لشقوتي فدمعــة أيري فوق خصييه جاريه
وفــاز به كل البــرايا ، وربَّما غدت عقدي في خدعة المرد واهيه[3]
أقــول لأيري وهــو يرقــب فتكةً به خيْــتَ يا أيري وغالتــك داهيه[4]
عزاءً فقــد خاس الرجــال بسيدي علــيٍّ ولاذوا بالدعــيِّ معاويه[5]

(١) نضوٌ : الضعيف المهزول .
(٢) الزيغ : الابتعاد .
(٣) عقدي : حيلي وألاعيبي ، وطُرقي واهية : ضعيفة .
(٤) غالتك داهيه : أصابتك مصيبةٌ قضت عليك .
(٥) خاس : أخلف وغدر ، وفسد .

وقال [ من الكامل ] :

لمـا رأت كلفـي بهـا وصبابتي وتأمّلـت شمطـاً يلـوح بعارضي[1]
قالـت أكلـت جنـاك ثم أتيتنا بمـدوَّدٍ من تمـر عمـرك حامضِ
أفحين نام الأير منـك وصلتنا تبغـي النـكاح بغير أيرٍ ناهض
لا تعرضـنَّ لمهـرةٍ إن لم تُرَضْ كلٌّ الرضى كسرت ضلـوع الرائِض

وقال [ من الطويل ] :

وجاهلـةٍ هبَّـت سفاهـاً تلومني وما عندها من لذَّة القصف ما عندي[2]
توبِّخنـي بالشيب والشيب مرشدٌ لعمـري ولـكن لسـت أنشـط للرشد
فقلـت لهـا كفّـي ملامـك إنّني بطـيءٌ عن العـذَّال في زمـن الورد

وقال [ من السريع ] :

وبـات في السطـح معـي واحدٌ من أكرم النـاس ذوي الفضل
أفسـو فيفسـو وهـو لي مسعدٌ كأنّمـا أملـي لـه ويستملي

وقال [ من المنسرح ] :

عشقـت للحين قينـةً عطفتْ قلبـي بالحسـن كلَّ منعطفِ
ورمـت نيكاً لهـا فكيف به لولا سفاهـي والبـدع من حرفي
قلـت ارفقـي بالشـريف فابتسمتْ عن لؤلـؤٍ ما اعتـزى إلـى صدفِ[3]
عجبـاً وأبـدت كالقعـب غضّ له أيري علـى بيضـه من الأسفِ[4]
وصـفّقـت فوقـه تحسّـرني وهـو كثيف المجسّ كالهدفِ

(١) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده .
(٢) القصف : الخلاعة والمجون .
(٣) اعتـزى : نمي ونسب .
(٤) القعب : النقرة « يريد بضع المرأة » .

حتـى إذا ما رنـا له ذكري وطـال حتـى عـلا علـى كتفي
قالـت بحقـي عليك تطمـع أن تولـج في ذا بالشعـر والشرف
تالله لا نكتنـي بقافيـةٍ ولا بفخـرٍ فانسـلْ أو ففِفِ
وأسبلـت ثوبهـا عليه فلـم أملك سلـواً ولـجّ بي كلفي
فعجـت عنهـا والأير ينشدني بيتـاً ويبـكي بأدمع ذرف[1]
قال لي الشـوق قف لتلثمه فمـن حذار الـرقيب لم أقف

وقال [ من مجزوء الوافر ] :

أيا من كلُّـهُ قمرٌ وكـلٌّ لحاظـه حَوَرُ
لقـد طالـت عداتـك لي وأيامـي بهـا قصـر
متى في البـرج تحصـل كي تزيـف ويهـدر الذكـر[2]
وتنشـر بيننـا قبـلٌ يطيـر لنـارهـا شـرر

وقال [ من المتقارب ] :

وســوداء بورك في بضعها ولا نال بؤسـاً فمـا أضيقا[3]
نزوت عليهـا ولا علـم لي بأن لهـا كعثـاً محرقا[4]
وكدت من الحـرِّ أن أشتوي ومـن شدّة الضيق أن أختنقا
وألفيت من جسدينـا معـاً لمبصـرنـا شبحـا أبلقـا
فإن أخدشـتْ قرطسـتْ بالمنى وإن تمّمـت ولـدتْ عقعقـا[5]

---

(١) عجت : ملت عنها .
(٢) تزيف : تتبختر، والذكر : عضو التناسل .
(٣) البضع : الفرج .
(٤) الكعثن : « الفرج » .
(٥) قرطست : أصابت الغرض ، وعقعق : طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود .

وقال [ من المتقارب ] :

لخمـرةَ عنـدي حديثٌ يطول رأتنـي أبـول فكـادت تبـولُ
فلمـا نهضـت أتـاني الكتاب وجـاء الهـدايا ووافـى الرسول
وقالـت تقـوَّل بنـا يا فتى فقلـت وأنعـظت لـم لا أقـول[1]

وقال [ من السريع ] :

وأجـر غلمانـي في واسطٍ جوعٌ ، وكانـوا لا يراموننا
جـادوا بمـا كنـت ضنينـاً به فاتّسعـوا ممّـا يناكوننـا
لـو أنّ رزقـي مثـلُ أدبارِهـمْ كنـت من الإثـراء قارونا[2]

* * *

## ملح من أهاجيه لخمرة

قال [ من البسيط] :

غشّـت خميرة يوم العـرس حاجبها بريقهـا وأتتنـي وهـي مختضبهْ
فقلـت للـزوج لا تغـررك حُمرتها فإنّهـا القفـل موضـوعٌ علـى خرِبهْ

وقال [ من السريع ] :

يا سائلـي عن ليلـةٍ لي مضتْ وطيبهـا عنـد أبـي الجيشِ
وكيف غنَّـت خمـرةٌ لا تسلْ غنَّـت فأغنتنـا عن الخيش[3]
كفٌّ علـى الطبـل لإيقاعـها وكفُّهـا الأخـرى على الفيش[4]
وربّمـا مرت لهـا فسوةٌ من فمهـا عفَّـتْ على العيش

---

(١) أنعظ الذكر : أي قام وانتصب .
(٢) قارون : أحد الكفرة الأغنياء في زمن موسى عليه السلام وردت قصته في القرآن الكريم .
(٣) الخيش : ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ .
(٤) الفيش : رأس الذكر .

وقال [ من السريع ] :

ربَّ عجوزٍ مستعينيه سلقيةِ اللون سلوقيه
عاجيَّة الشعر إذا استضحكتْ أبدت ثنايا آبنوسيه
ذات حرٍّ عنبلُهُ بأرزٌ كمرقبٍ في وسط بريِّه[1]
وشعرةٍ بالقمل منظومةٍ كالودع في عقصةٍ كرديّه
يفترُّ ذاك الصدغ عن بظرها كقنفذٍ عضٍّ على ريّه[2]
مُسِنَّةٌ تصبو إلى أمردٍ فهي على العاهة لوطيّه[3]

وقال [ من الوافر ] :

عجبت لخمرة البخراء أنّى أقامت مع مؤاجرها زمانا[4]
وليس لأيره طولٌ ولكنْ ينيكُ به فيردفه لسانا[5]
لحاه الله كيف يدس فيها لساناً ربّما درس القرانا

وقال [ من السريع ] :

هل لك يا خمرة في تجرةٍ مربحةٍ ما مثلها تجره
صيري إلى البصرة واسترزقي ربَّك بالنكهة في البصره
فلو عرضت الريق في سوقها لابتيعت التفلة بالبدره[6]
تزكو بها النخل وتحمر في غير أوان الحمرة البسره[7]

---

(١) الحرّ : الفرج .
(٢) ريّه : يعني على شفته حيث يبدأ الارتواء .
(٣) لوطية : من اللواط وهو الاتيان من دُبر .
(٤) البخراء : أي أن رائحة فمها كريهة .
(٥) يردفه : يضمّ إليه .
(٦) البدرة : كيس توضع فيه كميّة من الدراهم.
(٧) البُسْر : ثمر النخل الذي لوّن ولم ينضج .

وقال [ من المنسرح ] :

لا تسمعوا خمرة فقد هرمتْ ... وانكسرتْ تلكم القواريرُ
رثٌّ غناها ورثٌّ كعثنها ... والخلق المسترثُّ مهجور(١)
وكلُّ بازٍ يمسُّهُ هرمٌ ... تخرى على رأسه العصافير

وقال [ من الطويل ] :

وقد كنت قبل الشيب أعشق خمرةً ... وتفرطُ في عشقي وتضرطُ من حبي
إلى أن عفا حرّها ودبَّب منعظي ... وصارت قفا نبك وصرت ألا هبٍّي(٢)

وقال [ من البسيط] :

حسبي سواك وبسّي من وصالك لي ... شغلتُ عنك بمن أهواه فاشتغلي(٣)
لا تعذليني على ما كان من مللٍ ... من ذا يراك فلا يصبو إلى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحون معاً ... وصرت مفرغةَ الألحاظ والمقل
إنْ كنت أبصرت أسى منك في بصري ... فلا بلغت الذي أهواه من أملي
البحر أنت وأيري ليس من سمكٍ ... وليس بيني وبين البحر من عمل

وحصل معها في دعوة فغنّت . فقال ابن سكرة [ من السريع ] :

ذنبي عظيمٌ ما أرى يُغفرُ ... في وصل من نكهتها مبعر(٤)
فالحمد لله على حكمه ... هذا دليلٌ أنّني مدبر
قد قلت لما لاح لي ثغرها ... ولاح منه الخزف الأخضر
وانتشر السوسن من صدغها ... وثار منها نفس أبخر

---

(١) رثّ : بلي ، والكعثن : الفرج .
(٢) عفا : امّحى ، ودبّب منعظي : أي ضعف الذكر منّي .
(٣) بسّي : ابتعدي وتنحّي .
(٤) المبعر : المخرج .

وشفٌ قلبي نتن آباطها يا معشر الناس قفوا فانظروا[1]

* * *

## ما أخرج من سائر أهاجيه

قال [ من مخلع البسيط ] :

تهت علينا ولست فينا ولي عهدٍ ولا خليفه
فتِهْ وزد ما عليَّ جارٍ يقطع عنّي ولا وظيفه[2]
ولا تقل ليس فيَّ عيبٌ قد تقذف الحرّة العفيفه
الشعر نارٌ بلا دخانٍ وللقوافي رقىً لطيفهْ[3]
كم من ثقيل المحل سامٍ هوت به أحرفٌ خفيفه
لو هجي المسك وهو أهلٌ لكلٍّ مدحٍ لصار جيفه

وقال [ من البسيط ] :

أمّا الصيام فشيءٌ لست أعدمهُ مدى الزمان وإن بيَّتُّ إفطارا
أغشى أناساً فأغشى في منازلهمْ جوعاً عليَّ ولا أغشى لهم نارا
قد ألجموا القمل أن ترزأ دماءهمُ وألجموا في الكوى الجرذان والفارا[4]

قال [ من الوافر ] :

وهنوا بالصيام فقلت مهلاً فإنّي طول دهري في صيام
وهلْ فطرٌ لمن يمسي ويضحي يؤمّل فضلَ أقواتِ اللئام

---

(١) النتن : الرائحة الكريهة والآباط : جمع إبط .
(٢) ما عليّ جارٍ : أي رزقٌ أو مالٌ شهري .
(٣) الرُّقى : النفث .
(٤) الكوى : الخرق في الحائط .

وقال [ من السريع ] :

أكره أن أدنو إلى داركم لأنَّني أخشى على نفسي
ضرسي طحونٌ وعلى خبزكم من أكل مثلي آية الكرسي
وهو الذي أقعدني عنكُمُ فكيف آتي ومعي ضرسي ؟

وقال [ من الوافر ] :

عليلٌ لا يعاد من الخساسة له نفس تحيد عن النفاسهْ[1]
دخلت أعوده فازورّ عنّي كأنّي جئته لأدقّ راسه[2]

وقال [ من السريع ] :

قام إلى كلبٍ له مثله فلم يزل يعلوه بالسيفِ
فقلت ما ذنب أخيك الذي يقنع من زادك بالطيفِ
فقال لي لا عفوَ عن ذنبه حاف علينا أيَّما حيف[3]
صانعه الضيف بعظمٍ له فنحن في ريبٍ من الضيف

وقال [ من الكامل ] :

كلُّ العجائب قد سمعت وما أرى أنّي سمعت لشاعرٍ قرنان
قرن يحكُّ به السماء ومثله ذنبٌ يزور الحوت في الأزمان
وإذا تحدّث أحدثت لهواتُهُ فترى الأنوف تلوذ بالأردان[4]
وترى أخادعه تعطُّ كأرنبٍ عكفت عليه مناسر العقبان[5]

(١) الخساسة : الضعة ، والنفاسة : من النفيس وهو الثمين الغالي .
(٢) ازورّ : أشاح مغضباً .
(٣) الحيف : الانتقاص والظلم .
(٤) أحدثت : من الحدث وهو الريح والغائطمن الانسان، والأردان : أطراف الأكمام .
(٥) تعطّ : تتثنّى ، وعطّ الثوب : شقّه .

وقال [ من السريع ] :

لا قدّستْ أرضٌ أقمنا بها ... قريبةٌ من طبرستان

ليست خراسان ولكنّها ... تقرب من أرض خراسان

لا سقيت جرجان من وابلٍ ... قطراً ولا ساكن جرجان

قومٌ إذا حلَّ غريبٌ بهمْ ... مات من الشوق إلى البان[1]

وقال [ من السريع ] :

لا وصل الروح إلى تربةٍ ... تضمّنت روح أبي روح

والضرطُ والفسو على قبره ... أولى من التأبين والنوح

وقال [ من الخفيف ] :

يا جوّ أمرد يا حليف البلاده ... لك في الفسق عادةٌ أي عاده[2]

أنت لا تعرف الصلاة فقل لي ... لم تأنّقت في شرا سجّاده

وقال [ من الكامل ] :

يا شاعراً جمَّت مصائب دبره ... وتكاثفتْ لوداقه أوجاعُهُ[3]

طلب التطبُّع في القريض بجهده ... فجرت طبيعته وقام طباعُهُ[4]

وقال [ من البسيط ] :

علامة النحس والخذلان والشوم ... إغراض وجهك عن صقرٍ إلى بوم

كراغبٍ في بنات الزنج من أفنٍ ... وزاهدٍ في بنات الترك والروم[5]

---

(١) ألبان : شجر لين ورقه طويل ، أبيض الزهر، وبان : بعد ، وانفصل .

(٢) كذا وقع صدر هذا البيت .

(٣) جمَّت : كثرت .

(٤) القريض : الشعر .

(٥) الأفن : الحمق والجهل .

وقال [ من المتقارب ] :

تجشَّأتُ في وجهِ بوابه ليعرف شبعي فلا أمنعُ
وقلت له إنّ بي تخمةً فهل من دواءٍ لها ينفع ؟
فقال لقد غرّني معشرٌ بهذا الحديث الذي أسمع
فلما نذرت بهم صاحبي ولاحت موائده أوجعوا
فراحوا بطاناً ذوي كظَّةٍ وأقبلت من أجلهم أصفع[1]

وقال [ من الوافر ] :

يطيل المكث في الإصطبل حتّى يرى أير الحمار إذا آسبطرّا[2]
فيمرسه ويكثرُ قولَ طوبى لغمدٍ ضمّ هذا النصل شهرا[3]

وقال [ من الوافر ] :

لنا شيخ يصلّي من قعودٍ وينكح حين ينكح من قيامِ
صموت فمٍ أخو عيٍّ ولكنْ له دبرٌ يطفّل بالكلام[4]

وقال لكاتب وعده كاغداً فلم ينجز [ من المنسرح ] :

كددتني أن سألتك الورقا فكيف حالي إن قاسمتك الورقا[5]
يا كاتباً برزت كتابته فصار فيها مقدّماً لبقا
أسلم في مكتب المروءة والظرف وكسب العلا فما حذقا

(١) البطان : كثرة الأكل : والكظّة : امتلاء البطن حتى لا يطيق التنفُّس .
(٢) اسبطرّا : ظهر وانتصب .
(٣) يمرسه : يعركه بيديه أو يلوكه .
(٤) العيّ : صعوبة النطق : يطفّل : يتدبّر .
(٥) كددتني : أتعبتني وبخلت عليّ والورق الأول يقرأ بفتح الواو والراء جميعاً وهو ما يكتب فيه والورق الثاني يقرأ بفتح الواو وكسر الراء وهو الفضة .

حتى إذا أسلموه في مكتب اللؤم جرى كيف شاء وانطلقا

* * *

## ما أخرج من خمرياته ، وما يتصل بها من الأوصاف

قال [ من البسيط] :

إشربْ فلليوم فضلٌ لو علمتَ به بادرتَ باللهو واستعجلت بالطربِ
ورد الخدود وورد الروض قد جمعا والغيم مبتسمٌ والشمس في الحجب
لا تحبس الكأس واشربها مشعشعةً حتى تموت بها موتاً بلا سبب

وقال ، وقد شرب في الغمر بواسط[ من مجزوء الرمل ] :

ليلتي في الغمر دهري أو يقضّي العمر عمري
مرّ لي في العمر يومٌ لا أجازيه بشكر
بين غزلان النصارى أمزج الريق بخمر

وقال ، وقد شرب عند الأمير أحمد بن ورقاء [ من مجزوء الخفيف ] :

للأمير الجليل لا حطّ من نبل قدرهِ
قهوةٌ أشبهت سجا ياه في كلٍّ أمرهِ
ذات صفوٍ كودّهِ ونسيمٍ كنشرهِ
قد حصلنا بمجلسٍ فيه ريحان ذكرهِ
فشربنا بحمده وانتقلنا بشكرهِ
وسمعنا غرائباً من أفانين شعرهِ
فكأنّا في الخلد نر تع في طيب زهرهِ

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

قم يا غزال من الكرى روحي فداؤك من غزالِ

هــذا الصــبــوح وأنـــت وهــذه بكـر الحجــالِ
لا تــخـدعـن عـن الـشّـمـو ل يـشـوبـهـا مـاء الـشـمـالِ

وقال سامحه الله تعالى [ من الخفيف ] :

قد بدا الصبـح مؤذنـاً بسفور وفـرى الفجـر حلَّـةَ الديجورِ[1]
فـاسـقنـي قهـوةً تتـرجـم بـالـرِّقـة عـن دمع عاشـقٍ مهجـور

وقال [ من المنسرح ] :

يا ساهـر الطـرف قد بدا السَّحَرُ وجمّشتنـا بنشـرهـا الزَّهَـرُ[2]
ورقَّ جلبـابُ ليلنـا ودعـا إلـى الصـبـوح الصبـاح والقمرُ
فمـا ترى في اصطبـاح صافيةٍ بكرٍ حناهـا فـي الحانـة الكبر
رقَّـتْ فراقـتْ وفـات ملمسها ولـم يفتنـا النسيم والنظـر
فهـي لمـن شمّ ريحهـا أثـرٌ وهـي لمـن رام لمسهـا خبر
ترى الثـريا والغـرب يجذبها والبـدر يهـوى والفجـر ينفجر
كفٌّ عروسٍ لاحـت خواتمها أو عقـدَ درٍّ في الجـو ينتثر
في روضـةٍ راضهـا الـربيع ومـا قصّـر في وشـي بردهـا المطر[3]
حيث نأى النـاي بالعقـول وقد أبلـغ فـي نيل وتـره الوتر

وقال ، وكتب بها إلى يحيى بن فهيد يستهديه نبيذاً [ من المجتث ] :

رسالـة مـن مكـدٍّ وشـاعـرٍ وشـريـفِ
إلـى فتـىً مستبدٍّ بكـلِّ فعـلٍ ظريـف
إليـك يحيى اشتكائي صحـوي بيومٍ طريـف

(١) السفور : الوضوح ، وفرى : شقّ .
(٢) جمّش : داعب .
(٣) راضها : حلّ بها وقادها .

ولست مضمر نسكٍ كلاً ولا بعفيف
ولو أسام بديني لبعته برغيف[1]
موت الوزير دعاني إلى التماس طفيف
ولم أزل وهو حيٌّ في كلِّ خصبٍ وريف
وأنت منه اعتياضي يا ذا المحلِّ المنيف[2]
أجل وكهفي وغوثي على الزّمان العنيف
وفي النبيذ سلوٌّ عن الغرام المطيف
فامنن عليَّ بضخمٍ من الدنان كثيف
مستودعٍ ذات لونٍ ومطعمٍ حرّيف[3]
كأنّها وهم حسٍّ أتى بحدسٍ لطيف
فقد تبدَّد شملي وأنت للتأليف

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

يا من ثناه وذكره بين الورى مسكٌ وعنبرْ
إني كتبت وزائري ظبيٌ مليحُ الدلِّ أحورْ[4]
متمنِّعٌ في الصحو يسمح بالبضاعة حين يسكر
وأرى تعذُّر أمره في الكفِّ إنْ سِكْرٌ تعذَّر
فامننْ عليَّ بقهوةٍ أنف الحبيب بها يُعفَّر
فأنال منه أنا المنى وتحوز أنت ثناً وتؤجر

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

إن كنتَ تنشط للمديح وللثناء عليك منِّي

---

(١) أسام : من السوم وهو المفاصلة عند البيع والشراء .
(٢) المنيف : الشامخ المشرف .
(٣) الحرّيف : الحاد الطعم ، الذي يلذع الفم واللسان .
(٤) الدلّ : الجرأة في تلطف ، الغنج .

فابعث إليَّ مع الرسو ل إذا أتاك بملء دنٍّ
ومتى رضيت بأن أُقطَّع أو أهجَّن أو أزنّي[1]
فاصرف رسولي خائباً وادفع بقبحك حسن ظنّي

وقال [ من مجزوء الرمل ] :

يا فتى الجصّاص قد أعـ ـدمتني الإحسان دفعهْ
ولزمت الشحّ بالرا ح فما تسخو بجرعه
قد أتى العيد وصحوي فيه يا مولاي بدعه
أملي فيك قريبٌ ليس فيه ليَ مِنعه
شربةٌ من خمرك الصا في ومن ندّك قطعه[2]
ينبذ الحبُّ فيستنفده الشعر برقعه

وقال [ من المجتث ] :

لنا على النار قِدرٌ بخاتم النار بكرُ
وعندنا من بقايا صبيحة العيد خمر
وقد دعونا غلاماً كالغصن أعلاه بدر
فاطلعْ علينا وساعدْ أو لا فما لك عذر

وقال [ من مخلع البسيط] :

على الأثافي لنا قدورُ ساكنةُ النَّبض لا تفور[3]
قامتْ على سوقها لأكلٍ ونحن من حولها ندورُ
وعندنا من شراب عمروٍ دنٌّ رحيبُ الحشى كبيرُ

---

(١) أهجّن : أعاب .

(٢) الندّ : عود طيب الرائحة يُتبخَّر به .

(٣) الأثافي : الحجارة التي توضع عليها القدر ، واحدتها أثفية « الموقد » .

لمـــا فضضنـــاه فاح منه نسيم مسـكٍ ولاح نور
فــكن لنــا مسعــداً وبادر يكْمُــلْ بك الحســن والسرور
واغنــم من الدهــر صفــو يومٍ فهـو بتــكديـره جديـر

وقال يستهدي نبيذاً في ذكرة[1] [ من الطويل ] :

وزنجيةٍ لم تعـرف الزنـج طفلةٍ خميصـة بطـنٍ مسَّهـا عنـدك العطشْ
فجاءتـك تستسقـي من الخمـر ريَّها فترجـع كالحبلـى من النسـوة الحبشْ
فكم من هزيلٍ مثلهــا في ضمورها عنيت به حتــى تضلّــع وانتعشْ

وقال [ من المجتث ] :

للـورد عنـدي محلٌّ لأنَّــه لا يمــلُّ
كــلُّ السرياحيــن جنــدٌ وهــو الأميــر الأجــلُّ
إن غاب عزّوا وباهوا حتـى إذا عـاد ذلّوا

وقال من قصيدة[2] [ من الوافر ] :

ويومٍ لا يقــاس إليه يومٌ يلــوح ضياؤه من غير نار
أقمنــا فيه للــذات سوقاً نبيع العقــل فيـه بالعقار

* * *

## الشكوى والتفجع

وقال [ من الوافر ] :

أرى حلــلاً وديباجــاً حساناً فألحظهــا بطـرفِ المستريـبِ[3]

---

(١) الذكرة : الكتاب .
(٢) تقدم ذكر هذين البيتين « انظر ص ٤ من هذا الجزء » .
(٣) الطرف : العين ، والمستريب : الشاك .

وأعــرف قصّتــي وأردُّ طرفــي وفــي قلبــي أحــرُّ من اللهيبِ
جنــى نسبــي علــيَّ وصــدَّ رزقي وأثــكلني مــن الــدنيا نصيبي
فوا أسفاً علــى كســتيج قس ويا لهفــاً علــى قوس الصليب[1]

وقال [ من مجزوء الخفيف ] :

قــد أتــى العيد لا أتـى فلقــد أنهــج المهــج[2]
ليــس فيــه لهاشمـــيٍّ ســرورٌ ولا فــرج
إنّــه عيــد أهــل قــمّ وقــاشــان والكــرج[3]
يتــلاقــى بياضهــم بقلــوبٍ مــن السبــج[4]

وقال يتأسف على أيام المهلبي الوزير[ من الكامل ] :

يــا صاحبيَّ قفــا أبثُكما مــا قد منيت به من النُّوبِ
وافــى الــربيع وقــد ألفــت به درر السقــاة بدائــر النخب
في روضــةٍ صبــغ الــربيع بها ورد الخــدود بعصفــر العنب[5]
وإذا الغــلام أدار في يده صفــراء بعــد المــزج كالذهب
حمــراء يضحــك فوق مفرقها ثغــر الحبــاب كثغــر ذي شنب[6]
أسجــدت فوق الخــدِّ منــهُ فمي شكراً لمــا أوليت من طرب[7]
هذا حديثٌ كان لي ومضى كالأمس ولّــى ثمَّ لم يثب[8]

---

(١) الكستيج : خيط غليظ يشدّه الذمّي فوق ثيابه تحت الزنّار .
(٢) انهج المهج : أبلاها .
(٣) قم وقاشان والكرج : أسماء بلاد في إيران .
(٤) السبج : الخرز الأسود .
(٥) العصفر : نبات يصبغ به وصبغه أصفر .
(٦) الشنب : عذوبة ورقّة في الأسنان .
(٧) أسجدت : طأطأت وانحنيت .
(٨) لم يثب : يعود من جديد .

أيام كنت من المهالب في ... ربعٍ أغنّ ومرتعٍ خصب
فبمن أعوذ اليوم من كمدٍ ... لا أستقلُّ به من الكرب
والورد قد وافى بنضرته ... والنفس تطلب غاية الطلب
طلَّقتُ لذاتي الثلاث فما ... بيني وبين اللهو من سببِ
فإذا بصرت بوردةٍ قنعتْ ... نفسي بها وقضت مدى أربي
فعلى السرور وكلٍّ فائدةٍ ... بعد الوزير سلام محتسب

وقال [ من الطويل ] :

مضى ملكٌ عمَّ البرية جوده ... رءوفٌ وإن راع الأسود شفيق[1]
سكرت بنعماهُ وجود وزيره ... فقالت لي الأيام سوف تفيق

وقال [ من البسيط ] :

لا عذَّب الله ميتاً كان ينعشني ... فقد لقيت بضرِّي مثلَ ما لاقى
طواه موتٌ طوى منِّي مكارمه ... فذقت من بعده بالموت ما ذاقا

وقال لبعض الوزراء [ من المنسرح ] :

يا سيدي أنت إنَّ لي خبراً ... أجرى لساني وصلّب الحدقهْ[2]
هاك حديثي فإن نشطت له ... فاسمعْ وإلا فخرِّق الورقهْ
مستأنسٌ زارني وحسبك بالـ ... ـببغاء ضيفاً ذا فقحةٍ شبقه[3]
باكرني جائعاً فهتَّكني ... ومصّ منّي دمي ولا علقه
وهو على البخت ناقةٌ فمتى ... قدّمت ثوراً بفرثه شرقه[4]
لم يبق في روح برمّتي رمقاً ... أتى على اللحم واحتسى المرقه

---

(١) راع : أخاف .

(٢) الحدقه : سواد العين .

(٣) الفقحة الشبقة : النقحة : حلقة الدّبر والشبقة : من الشّبق ، أي حبّ الجنس .

(٤) البخت : الحظ . والفرث : ما يكون في الكرش .

وعـاث في سفرتـي كمشبلـةٍ غرثـى بتلك الأنامـل اللبقـه[1]
قلعاً وبلعـاً بـلا مراقبةٍ لله فـي عيلتـي ولا شفقه
قـل للـرئيس الـذي أناملـه مبسـوطـةٌ بالنـوال منخرقه[2]
حلّـت لي الميتـة التـي حُرمتْ فكيف تنبـو نفسـي عن الصّدقه

وقال [ من البسيط] :

يـا سيداً ظـلَّ فـرداً في سيـادتـه يخشى ويرجى لدفع الحادث الجللِ
الشـوق يُنهضني والعدم[3] يُقعدني فمـن شنـاك به ما بي من الخللِ[4]

وقال [ من السريع ] :

جملـة أمـري أنَّنـي مفلسٌ وليـس للمفلـس إخـوانُ
وكلُّ ذي عيشٍ بلا درهمٍ فعيشـه ظلـمٌ وعـدوان

وقال [ من مجزوء الرمل ] :

قيـل مـا أعـددتَ للبرد فقـد جـاء بشـدّهْ
قلـتُ درَّاعـةُ عريٍ تحتهـا جُبَّـةُ رعْدِهْ

وقال [ من البسيط] :

وجاهـلٍ قال لي : لا بدَّ من فرجٍ فقلـت للغيظ : لم لا بدَّ من فرجٍ ؟
فقـال من بعـد حينٍ قلـت يا عجباً من يضمـن العمـر لي يا بارد الحجج
لو كان ما قلـتَ حقّـاً لم أكن رجلاً مُقسِّـمُ العمـر في الروحـات والدّلج

---

(١) المشبلة : المسبعة . وغرثى : جائعة .
(٢) منخرقه : متكرّمة متلطّفة .
(٣) الجلل : العظيم .
(٤) العدم : الفقر : شناك : أبغضك .

أسعـى لأدرك حظّاً لو حظيت به ... ما كنت أول محظوظٍ من الهمج
ذنبي إلى الدّهر أنّي أبطحيٌّ أبٍ ... ولست أُعزى إلى قمٍّ ولا كرج[1]

وقال [ من البسيط ] :

أمسى يسائل عن حالي ليخبرها ... وكيف أمسيت في أهلي وفي بلدي
فقلت حالي بحالٍ من رثاثتها ... وعلّةُ الحال تُنسي علّةَ الجسدِ

* * *

## المدائح وما يقترن بها

قال من قصيدة في الفرج [ من السريع ] :

وقائلٍ لمْ غبتَ عن لحظِهِ ... وأنت من أصغر غلمانه
فقلت ما أجهل فخري بمنْ ... تسمو به سادات أزمانه
هيبته تمنع من قربه ... وحبُّه يغري بغشيانه[2]
وقد تبلَّدتُ فهل حيلةٌ ... تبسط أنسي عند لقيانه

وقال لابن لوزة ، وقد أهدى إليه دواة [ من البسيط ] :

أخٍ مزجت بروحي روحه جرى ... منّي كمجرى دمي في الجسم أفديه
ثم اتفقنا على ألقاب سالفنا ... فصرت في كلِّ حالٍ ما أضاهيه
أهدى إليَّ دواةً لو كتبت بها ... دهري أياديه لم تنفدْ أياديه

وقال في أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى [ من الوافر ] :

لقد أمسكت من عمر بن يحيى ... بحبلٍ لا أخاف له انبتاتا[3]

---

(١) أعزى : أنسب .
(٢) غشيانه : إتيانه وقصده .
(٣) انبتاتاً : انقطاعاً .

حباني في الحياة ورمَّ حالي ... وأوصى بي أبا حسنٍ وماتا[1]
فكنت مجاوراً للبحر منه ... فلمّا مات جاورت الفراتا

وقال يهني بالعيد [ من الوافر ] :

عماد الدين قابلك السعود ... وعشتَ كما تريد لمن تريدُ
وأظهرك الإله على الأعادي ... ومات بدائه فيك الحسود
أتاك العيد مقتبلاً جديداً ... وجدُّك فيه مقتبلٌ سعيد[2]
يُهنّي الناس بالأعياد فينا ... وأنت لنا برغم العيد عيدُ

وقال [ من الخفيف ] :

ولعمر الإله لولا أياديك لماتت خواطر الشعراءِ
عشت تطوي الأعياد طيَّ الأعادي ... في سرورٍ ونعمةٍ ورخاءِ

* * *

## سائر الملح والنوادر

قال [ من الوافر ] :

أقرَّ اللهُ عينكِ يا جفوني ... فقد أعتقت من رقٍّ السُّهاد
ويا عيني لك البشرى فنامي ... وتهنيك السلامة يا فؤادي
نزعت عن الهوى وبرئت منه ... إليك وكنت دهري في جهاد[3]

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

يا شاعراً نمتار من ... أفكاره الفقر الدِّقاقا[4]

---

(١) رمّ حاله : أصلحه وأقامه .
(٢) الجدّ : الحظّ .
(٣) نزعت عن الهوى : تخليت وفارقت .
(٤) نمتار : نشتري ونستخلص ، والفقر : القطع من القصائد .

شعـــرٌ لــو أنّ الشــهــد قيـــس بــه وجــدنــاه زعاقــا[1]

وقال يصف رمكة شقراء[2] [ من المنسرح ] :

شقــراء إلاّ حجــولٌ مؤخرها فهــي مدامٌ ورسغُهــا الزَّبد
تعــطيك مجهودهــا فراهتها في السير فالحضـر عندهــا وتد[3]

وقال [ من مجزوء الرمل ] :

قلــت للنّـزلـة حُلّي وانــزلــي غيـر لهاتـي
واتــركي حلقـي بحقـي فهــو دهليـز حياتـي

وقال في غلام له كبر فأخرجه [ من مجزوء الرمل ] :

مـا تركنـاه وفيــه لمحــبٍّ مــن طبـاخ
هــدر الـطير ومـن عا داتنـا أكــل الفراخ

وقال [ من السريع ] :

وهامــةٍ نيطــت بهــا لحيةٌ يظلــم من قد قاسهــا باللّحى
قـد نصـل الخضـب إلــى نصفها فهــي كمثــل النمــل إذ أجنحا[4]

وقال [ من المتقارب ] :

فإن كنــت من هاشــمٍ في الذّرى فقــد ينبــت الشــوك وســط الأقاحي

وقال [ من الطويل ] :

هو البحــر إلا أنّــه عذب موردٍ ومـن عجــبٍ أنّ العذوبــة في البحر

---

(١) الزعاق : الماء المرّ الغليظ الذي لا يطاق شربه .
(٢) الرمكة : المهرة أو الفرس .
(٣) الحضر والاحضار : ارتفاع الفرس عند العدو .
(٤) الخضب : من الخضاب وهو الصباغ ، ونصل أي ذهب قسمٌ منه .

وقال [ من الكامل ] :

الجوعُ يطرد بالرغيف اليابس      فعلام تكثُرُ حسرتي ووساوسي
والموت أنصف حين عدَّل قسمةً      بين الخليفة والفقير البائس

وقال [ من السريع ] :

كنتُ فقيراً ثم أغنيتني      وعدتُ في الفقر من الراس
كمثل من بخَّره أهله      وهو على مجمره فاسي[1]

وله [ من السريع ] :

أما ترى الروضة قد نوَّرت      وظاهر الروضة قد أعشبا
كأنّما الأرض سماءٌ لنا      نقطف منها كوكباً كوكبا

وقال [ من المنسرح ] :

أطعمني في خروفكم خَرَفي      فجئت مستعجلاً ولم أقفِ
غدوت أرجو طرافه فغدتْ      في طرفٍ والسِّماك في طرفِ

وقال [ من الوافر ] :

لقد بان الشباب وكان غضّاً      له ثمرٌ وأوراقٌ تظلُّكْ[2]
وكان البعض منك فمات فاعلمْ      متى ما مات بعضك مات كلُّكْ

أخذه من قول الخريمي [ من الوافر ] :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً      فبعض الشيء من بعضٍ قريبُ

---

(١) المجمر : ما يوضع فيه الجمر مع البخّور .

(٢) بان : مضى وذوى .

وقال في الزهد يخاطب نفسه [ من الطويل ] :

محمدُ ، ما أعددت للقبر والبلى ... وللملكين الواقفين على القبر؟
وأنت مصرٌّ لا تراجع توبةً ... ولا ترعوي عمَّا يذمُّ من الأمر
تبيت على خمرٍ تعاقر دنَّها ... وتصبح مخموراً مريضاً من الخمر
سيأتيك يومٌ لا تحاول دفعه ... فقدِّمْ له زاداً إلى البعث والحشر

* * *

# الباب السابع

## ٢ ـ نذكر فيه محاسن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج وغرائبه

هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف[١] ، ولا يبني رجل قوله إلا على سخف . فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر . وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يرده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة . وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بلغات الخلديين والمكدين وأهل الشطارة[٢] . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل كما قال إبراهيم بن المهدي لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم . ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل . ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه[٣] . ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك

---

(١) السجف : الستار .

(٢) مشوبة : ممزوجة ، والمكدين : الذين يستعطون الناس .

(٣) الرفث والقذع : أي فحشه وإساءته .

والأمراء ، والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله[1] ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام ، والأعمال المجدية التي ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر ، تحكّم الصبي على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمة صافية ضافية . وديوان شعره أسير في الآفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيال . وقد أخرجت من ملحه الخالية من الفحش المفرط ، الحالية بأحسن المقرط ، ونوادره التي تسر النفس ، وتعيد الأنس .

ما يستغرق وصف ابن الرومي [ من الكامل ] :

شرك العقول ونزهةٌ ما مثلها للمطمئنٍ وعقله المستوفز[2]
إن طال لم يملَلْ وإن هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز

فمن ذلك وصفه لشعره ولسخفه كقوله [ من المجتث ] :

فإنَّ شعري ظريفٌ من بابة الظّرفاء
ألذُّ معنىً وأشهى من استماع الغناء

وقوله [ من مجزوء الكامل ] :

قرمٌ إذا أنشدته شعري البديع تهلّلا[3]
فحسبت أن أبا عبا دة يمدح المتوكلا

---

(١) السفاتج : هي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تستردُّ بها مالك من عميلٍ له في بلدٍ آخر أنت قاصده « من السفتجة » .

(٢) شرك العقول : نظمها وحبكها . والمستوفز : المتيقظ الوافر .

(٣) القرم : السيد القوي .

وقوله [ من المجتث ] :

إن عاب ثعلب شعري　　أو عاب خفة روحي[1]
خريت في باب أفعلت　　من كتاب الفصيح

وقال [ من السريع ] :

يا سيدي هذي القوافي التي　　وجوها مثل الدنانير
خفيفةٌ من نضجِها هشَّةٌ　　كأنَّها خبز الأبازير

ومن أخرى يصف فيها نفسه [ من الخفيف ] :

حدَثُ السِّنِّ لم يزلْ يتلهَّى　　علمه بالمشايخ الكبراء[2]
خاطرٌ يصفع الفرزدق في الشعـ　　ـر ونحوٌ ينيك أمَّ الكسائي
غير أنّي أصبحت أضيع في القو　　م من البدر في ليالي الشتاء

ومن جملتها :

رجلٌ يدّعي النُّبوة في السخـ　　ـف ومن ذا يشكُّ في الأنبياء
جاء بالمعجزات يدعو إليها　　فأجيبوا يا معشر السخفاء

وقال [ من مخلع البسيط ] :

بالله يا أحمد بن عمروٍ　　تعرف الناس مثل شعري
شعرٌ يفيض الكنيف منه　　من جانبي خاطري ونحري[3]
نسيمه منتن المعاني　　كأنَّه فلتة بجحر
لو جدّ شعري رأيت فيه　　كواكب الليل كيف تسري

---

(١) ثعلب : أحد النحاة المشهورين .
(٢) حدث السنّ : صغيره .
(٣) الكنيف : المرحاض .

وإنما هزله مجونٌ يمشي به في المعاش أمري

وقال من قصيدة [ من المجتث ] :

ألست تعلم أنّي في غيبتي وحضوري
ما زلت فيك بمدحي أنيك أم جرير

ومن أخرى [ من الخفيف ] :

ويدٌ تخرج العرائس في مد حك بين الأقلام والأدراج
فاستمعها منّي ألذّ وأشهى من سماع الأرمال والأهزاج
بمعانٍ بخورها لك طيبٌ وفساها في لحية الزَّجَّاج[1]
حلقت في الطوال ذقن جريرٍ والأراجيز لحية العجَّاج

وكتب إليه بعض الرؤساء [ من مجزوء الرمل ] :

يا أبا عبد الإلّه بك أصبحت أباهي
غير أن السخف في شعرك قد جاز التناهي
ولقد أعطيت من ذا ك ملاحات الملاهي
أقدمِ الآن على القو ل ولا تصغِ لناهي

فأجابه [ من مجزوء الرمل ] :

سيدي شكرك عندي مثل شكري لإلّهي
سيدي سخفي الذي قد صار يأتي بالدواهي
أنت تدري أنه يد فع عن مالي وجاهي
ليت من عاداك عندي وهو ساهي الذقن لاهي

---

(١) الزّجاج : أحد النحويين .

فتـــرى لحيتـه فـي اسـتـــي إلـى الصـدغ كمـا هـي[١]

وقال [ من الوافر ] :

وشعــري سخفــه لا بدَّ منهُ ... فقــد طبنـا وزال الاحتشامُ
وهــل دارٌ تكون بلا كنيفٍ ... فيمــكن عاقــلاً فيهـا المقام

وقال [ من الوافر ] :

ترانــي ساكنــاً حانــوت عطرٍ ... فإن أنشــدت ثار لك الكنيفُ

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

شــعـري الــذي أصــبحـت فيه ... فضيحــةً بيـن المـلا
لا يســتجيـب لخـاطـري ... إلاّ إذا دخـل الخـلا[٢]

ومن أخرى [ من الطويل ] :

ألا أيُّهــا الأســتـاذ دعــوة شاعرٍ ... طريقتــه في الشعــر لا تتبهرج
إذا أنــت وظَّفــت القوافــي فخيرها ... وإن قلَّ ما يرجــو ومــا يتروّج
ومـن كان يحـوي العطـر دكان شعره ... فإنــي كنَّــاسٌ وشعــري له مخرج[٣]

وقال من قصيدة في بعض الوزراء خالية من السخف [ من المتقارب ] :

وهــذي القصيدة مثــل العروس ... موشّحـةٌ بالمعــانـي المـلاح
بــلا نفحــة من فســا عارضٍ ... ولا وزن خردلــةٍ من سلاح
فلــو أنّهــا جُعلــت خطبةٌ ... لكانــت تحــلُّ عقــود النّكاح
بعثــت بهــا عنبــراً في الشتاء ... وفي الصيف كافور خرطٍ رياحي[٤]

---

(١) الإست : فتحة المؤخّرة .
(٢) الخلا : أي المرحاض .
(٣) الكِناس : بيت الغزال في الشّجر .
(٤) الخِرط : اللبن المتعقّد ومعه ماء أصفر من داء .

فما مسحت خفشلنج الخصى ولا حنكت بلعوق الفقاح[1]
وشعري لا بدَّ من سخفه ولا بدّ للدار من مستراح[2]

ولما غلب على شعره هذا الفن من ذكر المقاذر ، وما ينضاف إليها ، سئل يوماً ابن سكرة عن قيمة ديوان شعره ، فقال « قيمته بربخ »[3] أي لكثرة ما يشتمل عليه مما يقع فيه ، وبلغني أن كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين ، وأنا كاسر فصلاً على ذكر ما أشرت إليه ، والحديث شجون .

* * *

## قطعة من نوادره في ذلك

كتب إلى أبي أحمد بن ثوابة ، وقد شرب دواء مسهلاً [ من الخفيف ] :

يا أبا أحمد بنفسي أفديك وأهلي من سائر الأسواء
كيف كان انحطاط جعسك في طا عة شرب الدواء يوم الدواء[4]
كيف أمسى سبال مبعرك النذ ل عريقاً في المرّة الصفراء
يا أبا أحمد ونصحك عندي واجبٌ في الإخاء فاحفظ إخائي
ربّ ريحٍ يوم الدواء دبورٌ شوّشت في عصاعص الأغبياء[5]
قدّروها فساً وقد كمن الجعس لهم في مهب ذاك الفساء
فإذا الفرش في خليج سلاحٍ ذائبٌ في قوام جسم الماء
فاتق الله أن تغرّك ريحٌ عصفت في جوانب الأحشاء

---

(١) خفشلنج : « يريد المنيّ » ، ولعوق انعقاح : يريد الغائط .
(٢) المستراح : المرحاض .
(٣) البربخ : منفذ الماء ومجراه ، والبالوعة من الخزف .
(٤) الجعس : اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس وهو القصير الدميم .
(٥) الدبور : الريح الغربية والعصاعص : جمع عُصْص : عظم الذنب أو المؤخرة في الإنسان .

لا تنفّسْ خناق سرمك عنه أو تخلّي سبيله في الخلاء[1]
والغذاء الغذاء فاحذر بأن تفسو فوق الفراش بعد الغذاء
احترس إنها نصيحة شيخٍ حنّكته تجارب الآراء

وأهدى إليه صديق له نبيذاً وكتب له [ من السريع ] :

مدامةٌ تمريّةٌ صافيه تلبس من يشربها العافيه
زففتها طوعاً إلى شاعرٍ ما وقفت قطُّ له قافيه

فصادف وصول النبيذ خلفة عرضت له فكتب إليه [ من السريع ] :

مولاي قد أحسستُ لما أتى شعرك بالعافية الشافيه
لكنّني في صورةٍ للخرا جملتها مقنعةٌ كافيه
قد كتبت سطراً على عصعصي هذا لسلطان الخرا ضافيه

وقال يهجو [ من مجزوء الكامل ] :

ولقد عهدتك تشتهي قربي وتستدعي حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا مثل الفسا بعد البخور
يا خرية العدس الصحيح النيء والخبز الفطير
في جوف منحلّ الطبيعة والقوى شيخٍ كبير
يخرى فيخرج سرمه شبرين من وجع الزحير[2]
يا فسوةً بعد العشا بالبيض واللبن الكثير
وفطائرٍ عجنت بلا الملح الجريش ولا الخمير
يا ضرطةَ الشيخ المبجّل بين حسادٍ حضور

(١) السُرم : عنق المخرج .
(٢) الزحير : مرض يستطلق معه البطن فيخرج منه دم ومخاط مع ألم .

يا ريح سرقين البغا ل يداف في بول الحمير[1]
يا نتن رائحة الطبيخ إذا تغيَّر في القدور
يا عشَّ بيض القمل فرَّ خ في السوالف والشعور
يا بول صبيان الفطا م ويا خراهم في الحجور
يا بغض تدخين الجشا في الصوم من تخم السحور[2]
يا حرّ قولنج البطو ن وبرد أعصاب الظهور
يا ذلَّة المظلوم أصبح وهو معدومُ النصير
يا سوء عاقبة التعقّد عند تمشية الأمور
يا كلَّ شيءٍ متعبٍ متعقّدٍ صعبٍ عسير
يا حيرة الشيخ الأصمِّ وحسرة الحدث الضرير
يا قعدةً في دجلةٍ والريح تلعب بالجسور
يا قرحةَ السِّلِ التي هدَّتْ شراسيف الصدور[3]
يا أربعاءً لا تدو ر به محاقات الشهور[4]
يا هدَّة الحيطان تنقض بالمعاول والمرور
يا قرحةً في ناظرٍ غلطوا عليها بالذرور[5]
فتسلَّخت مع ما يليها في الجفون من البثور
يا خيبةَ الأمل الذي أمسى يُعلَّل بالغرور
يا غلمة المتخدرا ت وراء أبواب القصور
يا ملتقى سعف الأيو ر على عراجين البظور
يا وحشة الموتى إذا صاروا إلى ظلم القبور

---

(١) سرقين البغال : زبلُها . ويداف : يخلط .
(٢) الجشا : الصوت الذي يخرج من الفم عند الشبع وامتلاء المعدة .
(٣) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو طرف الضلع اللّين المشرف على البطن .
(٤) المحاقات : الأوقات التي يكون فيها القمر محتجباً .
(٥) الذرور : ما يذرُّ في العين من دواء يابس .

يا ضجرة المحموم بالـ ـغدوات من ماء الشعير
يا شؤم إقبال الشتا ء أضرّ بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي خسفت بأيّام السرور
يا ضجّة الصخب المصدّ ع ذي التنازع والشرور
يا عثرة القلم المرشّش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غـ ـبَّ عشية اليوم المطير(1)
يا نومةً في شمس آ ب على التراب بلا حصير
يا فجأة المكروه في الـ ـيوم العبوس القمطرير(2)
يا نهشة الكلب العقو ر ونكهة الليث الهصور(3)
يا عيش عانٍ موثقٍ في القيد مغلولٍ أسير(4)
يا حدَّة الرمد الذي لا يستفيق من القطور
يا حيرة العطشان وقت الظهر في وسط الهجير
من لي بأن تلقاك خيلُ بني كلابَ بلا خفير
وأرى بعيني لحمك الـ ـمطبوخ في نار السعير
في الأرض ما بين السبا ع وفي السما بين النسور

وقال في المهلبي الوزير[ من الخفيف ] :

قيل إنّ الوزير قد قال شعراً يجمع الجهل شملُهُ ويعمُّهْ
ثم أخفاه فهو كالهرّ يخرا في زوايا البيوت ثم يطمُّهْ
ليتني كنت حاضراً حين يرويه فأفسو في راحتي وأشمُّهْ

---

(1) غبَّ : بعْدَ وعِقْب .
(2) القمطرير : الشديد .
(3) العقور : الذي يعضّ .
(4) العاني : الفقير الموجع .

وقال [ من المتقارب ] :

وذي همّةٍ في حضيض الكنيف ... وقرنين في فلك المشتري
دخلت عليه انتصاف النهار ... على غفلةٍ حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع ... سكرجة كان فيها مري[1]
فلمّا قعدت فسا فسوةً ... فلم تخطِ عصفتها منخري
وأقبل يضرط في إثرها ... فقلت أقوم وإلاّ خري

وقال في شيخ بني بعجوز [ من مخلع البسيط ] :

أفصحْ ودعني من الرموز ... قد دخل الشيخ بالعجوز
من لي بها حين ضاجعته ... في ذلك الموضع الحريز
فكنت أخرا على زليخا ... وهي إلى جانب العزيز

وقال وقد ركب إلى قوم فوجد بعضهم نائماً وبعضهم شارب دواء [ من مجزوء الرجز ] :

قد أصبحوا كما ترى ... ما بين نومٍ وخرا
قومٌ برئت منهمُ ... لأنَّهم مني برا
ما إنْ أرى مثلاً لهمْ ... ولا أرى أني أرى

وقال وقد عاتب إنساناً على زلة فجاء بأكبر منها [ من مجزوء الخفيف ] :

لي صديقٌ جنى عليَّ ... مراراً فأكثرا
ثم لمّا عتبته ... غسل البول بالخرا

وقال [ من مجزوء الرجز ] :

فقدت بختي إنَّهُ ... ما زال بختاً قذرا

---

(١) السكرجة : الإناء الصغير يؤكل فيه الشيء .

لـو كـان شيئـاً ناطقاً لكـان شيخـاً أبخـرا
مــن حيث ما درتُ بـه لطَّخ وجهــي بالخـرا

وقال [ من السريع ] :

يقــول قومٌ أبصرونــي وقدْ تلفــتُ مـا بينهــم سِكْرا
قم بالحــق الظهــر ولــو ركعةً فالنــاس قد صلّــوا بنــا العصرا
فقلــت ما أحســن ما قلتُمُ أقــوم حتــى ألحـقَ الظهرا
أقــوم والركعــة مـن عنـدَ من نعــم وإن قمــت فمــن يقرا
قالــوا فلا تسـكر فلسنــا نرى لعاقــلٍ في سكـره عذرا
والله لولا الســكر يا سادتي ما ذقــت مطبوخــاً ولا خمرا
قالــوا فهــذا الســكر ما حدُّهُ فقلــت حدُّ الســكر أن أخرا

وقال [ من المنسرح ] :

قومــي تنحًــي فلســتِ من شاني قومــي اذهبــي لا يراك شيطاني
لا كان َدهــرٌ عليك حصّلني ولا زمــانٌ إليـك ألجاني
قعــدت تفسين فوق طنفستي مـا بين راحــي وبيـن ريحاني
فمـا عدمنـا مـن الـكنيف إذا حضــرتِ إلاّ بنـات وردان(١)

سمعت ميمون بن سهل الواسطي يقول : حضرت مجلس الصاحب ليلـة بجرجان في جماعة من الفقهاء والمتكلمين كالعادة كانـت عنـده في أكثـر ليالـي الأسبوع ، فلما امتد المجلس وخالط النعاس بعض الأعين وجد الصاحب رائحة تأذى بها وتأفف منها، فأنشد هذه الأبيات المتقدمة :

* قومي تنحي فلست من شاني *

---

(١) بنات وردان : دواب .

وجاء الفراشون بالندّ فتلافوا تلك الفرطة ، وتقوَّض المجلس .

وقال في شهر رمضان وقد جاء في آب [ من مخلع البسيط ] :

| | |
|---|---|
| شهـــرٌ أراه يلـــجُّ مع منْ | يغتـــاظ من طولـــه ويدردْ[1] |
| فالبـــول قد جفَّ من حماه | في الجـــوف والجعس قد تقدَّدْ[2] |

وكان ضمن فرائض الصدقات بسقي الفرات ، واستخلف على نواحـي فم النيل. خليفة فكتب إليه [ من السريع ] :

| | |
|---|---|
| الحمـــد لله وشـــكراً له | والله أهـــل الحمـــد والشكـر |
| يا أيهـــا الذئـــب الـــذي اخترته | خليفـــة ينظـــر فـــي أمري |
| أوصيك بالأغنـــام شراً وهل | يوصـــي أبـــو جعـــدة بالشـرِّ[3] |
| امش إليهـــا مشية الليث أو | فاحمـــلْ عليهـــا حملة البر |
| ولا تدع في النيل من إثرها | إلا بقـــايا الصـــوف والبعر |
| أنظـــر إلـــى السكبـــاج من شمَّها | أو مرَّ مجتـــازاً علـــى القدر[4] |
| فـــاقبض علـــى لحيتـه واحترزْ | من حيلـــةٍ في أمرهـــا تجري |
| أريد أن تحصـــي طاقاتها | وكلٍّ ما فيهـــا من الشعر |
| اعمـــل بهـــا لي عمـــلاً جامعاً | مستظهـــراً فيـه كمـــا تدري |
| واحـــذر إذا وفَّيتهـــا في غدٍ | أن ينقص الـــكيل عن الحزر[5] |
| حتـــى إذا جئتـــك سلَّمتها | بذلك الإِحصـــا إلـــى جحـــري |
| أوصيك في القـــوم بهـــذا الذي | عقدتـــه فـــي الســـرِّ والجهر |

---

(١) يدرد : يغتاط ويحرد .

(٢) الجعس : القصير الدميم « يعني قضيبه » .

(٣) أبو جعدة : من كنى الذئب .

(٤) السكباج : مرق يتخذ من اللحم والخلّ .

(٥) الحزر : التقدير والتخمين .

وكيف لا أوصي بهذا وقد بليت منهم ببني البظر
واضطرني جور زماني إلى معيشةٍ تزري على الحرّ
والدّهر قد صارت به هيضةٌ فنحن غرقى في خرا الدهر[1]

وقال في ابن سكرة [ من مجزوء الخفيف ] :

سلحةٌ بعد قرقره من سلاح المزوّره[2]
باتت الليل كلّه جوف بطني مخمّره
ثم رامت تخلُّصاً فاغتدت ذات طرطره
ثم سارت كأسهمٍ عن قسيٍّ موتّره
فأصابت بوثبةٍ جوف ذقن ابن سكره

وقال لأبي الفضل الشيرازي لما تقلد الوزارة، وعرض بأبي الفرج بن فسابخس [ من مخلع البسيط] :

سعدك للحاسدين نحسٌ وهمْ ظلامٌ وأنت شمس
ارفقْ عليهم فلن يعودوا إليك حتى يعود أمس
فأنت تحت الظلام تسعى وذاك تحت اللحاف يفسو

وكان يوماً جالساً بجنب الدست في دار أبي الفرج فسابخس ، فعرضت له حاجة إلى الخلاء فبادر ورجع ، فسئل عن مبادرته فقال [ من مجزوء الرجز ] :

يا سائلي عن خبري زاحَمَ جوفي قذري
فكدت أن أخرى على دست الرئيس الطبري
فقمت أعدو حافياً وقد تغشّى بصري
حتّى خريتَ خريةً مثل الخبيص الجزري

---

(١) الهيضة : انطلاق البطن .

(٢) المزوّره : المؤخّرة .

كأنّها من عُظْمها روثة كرشٍ بقري

وقال [ من المجتث ] :

أبا الحسين بن نصر أبشر بعزٍّ ونصر
فأنت في الصدر أحلى من المنى جوف صدري
وليت لحيةَ من لا يهواك في جوف حجري
من أين مثليَ حرٌّ أو سفلةٌ غيرُ حرٍّ
خراي عند القوافي وذقن غيري بشعري
ومن تكلّف في الشعر نظم سبحةِ درٍّ[1]
نظمت من مثل طبعي الخسيس سبحة بعر
وجملة القول أنّي إحدى عجائب دهري
قد درّ ضرعي على ما ترى فللّه درّي[2]

وقال في إنسان طبري مات بالقولنج [ من مجزوء الرجز ] :

يا غصّةَ الموت افغري فاك لروح الطبري[3]
حتّى تمجيها على علاّتها في سقرِ
يا أيُّها الشاوي الذي أفلح لو كان خري
لمثل ذا اليوم يقال من خري فقد بُري

وقال يستميح شراباً [ من الوافر ] :

ألا يا إخوتي وذوي ودادي دعاءُ فتىً إجابته مناهُ
زيادة دجلةٍ والورد غضٌّ قد استولى على قلبي هواهُ

(١) السبحة : عقد من الخرز أوغيره يحمل في اليد للتسلية أو للتسبيح « المسبحة » .
(٢) درّ ضرعي : الدرّ : خروج اللبن ، والضرع : في الحيوانات حيث يجتمع الدرّ « الثدي » .
(٣) افغري : افتحي .

فهـذي ليس يفتنني سواها   وهـذا ليس يسبيني سواه
أمـا فيكم فتـىً يرثي لصحوي   فيسقيني المشوم ولـو خراه[1]

وقال [ من السريع ] :

يا عيني السفلى لحى سادتي   قد شهدت بالزُّور فاستعبري
أبكي عليها كلّما سرحت   في استي بدمعٍ سلسٍ أصفر

واتخذ دعوة كبيرة في أيام عز الدولة ، ودعا إليها أقواماً شتى من رجال الدولة وقال [ من مجزوء الرجز ] :

قـل للأمير المرتجى   مـن جاءني فقد نجا
ومن أبى فذقنه   في عصعصي قد لجَّجا
يسبح في بحر خرا   إذا جرى تموّجا
وهـا هنا حكمٌ إذا   كوى لحاهم أنضجا
من لم يجيء فذقنه   في است الذي استدعي فجا
فقل لمن لجج في   جوابه أو مجمجا[2]
سبالك المحفوف قد   حرّك منّي مخرجا[3]
مؤزّراً بالجعس في   حافاته مصهرجا
فيه خراً معتّقٌ   كالبنّ حين كرّجا[4]
تدفعه مقعدتي   بعد العشا ملهوجا[5]
من قبل أن تطبخه   طبيعتي فينضجا

---

(١) المشوم : الشراب .
(٢) لجّج : تردّد في الكلام ، ومجمج الحديث : لم يبيّنه .
(٣) سبالك : الشارب « ما فوق الشفة العليا من الشعر » .
(٤) كرّجا : فسُل وعلته خضرة .
(٥) ملهوجا : مخلوطاً ، أو لم ينضج .

مـــن كلٍّ من سرمـــي إلى لحيتـه قـــد التجا
عاشـــرت باستـــي ذقنه فامتـــزجـــا وازدوجـــا
وصـــعـــدا ونـــزلا ودخـــلا وخرجـــا
ولـــن تـــرى أحســـن من ذقـــنٍ تـــواخـــى شرجا[1]

وقال من أخرى [ من السريع ] :

أنظـــر لهـــرون وقـــد جاءني يطمـــع أن يبتزّنـــي ضيعتي
جذبـــت قوس استـــي في وجهه فقرطســـتْ لحيتـه ضرطتي[2]

ومن أخرى في قائد من الأتراك أراد أخذ داره [ من الخفيف ] :

إن أطفـــالـــي الـــذين تراهم حول ناري في الليل مثـــل الفَراش
أتـــرى ما شممـــت ريح فساهم حين باكرتنـــي وهـــم في الفِراش
وجعيساتهـــم خـــلال الزوايـــا مثـــل ذرق الفـــراخ في الأعشاش[3]
لا ترمهـــم واقبـــلْ نصيحـــة رأيي لك واحـــذر مغبَّـــة الغُشَّاش

وقال من أبيات وقد دخل على رجل اسمه عمرو والمـزين يحفـى شاربـه [ مـن الخفيف ] :

قد لعمـــري فارت طبيعـــة حجري منـــذ أحفـــى المقـــراض شارب عمر
كلمـــا قصَّ شعـــرةً صرَّ منها عصعصـــي النـــذل أو تفرقـــع ظهري

وقال من قصيدة في الوزير وقد أراده على الخروج معه لقتال أهل البطيحة [ من المنسرح ] :

يا سائلـــي عن بكاي حين رأى دمـــوع عينـــي تسابـــق المطرا

---

(١) الشرج : مخرج الغائط .
(٢) قرطست : أصابت .
(٣) ذرق الفراخ : سلحها .

ساعة قيل الوزير منحدرٌ ... أسرع دمعي وفاض منحدرا
وقلت يا نفس تصبرين وهلْ ... يعيش بعد الفراق من صبرا
شاورته والهوى يفتِّنه ... والرأي رأيُ الصواب قد حضرا
أهوى انحداري والحزم يكرهه ... وتارك الحزم يركب الغررا[1]
لأنّني عاقلٌ ويعجبني ... لزوم بيتي وأكره السفرا
الخيش نصف النهار يعجبني ... والماء بالثلج بارداً خصرا[2]
والشرب في روشني أقول به ... كما أرى الماء منه والقمرا[3]
ولا أقود الخيل العتاق بلى ... أسوق بين الأزقّة البقرا
من كلٍّ جاموسةٍ لعنبلها ... رأس بقرنيه يفلق الحجرا[4]
قد نفخ الشّحم جوفها فغدا ... كأنّهُ بطن ناقةٍ عشرا[5]
لما أتتني بالليل مقبلةً ... وثوبها بالخرا قد ائتزرا
تركض مثل الحصان نافرةً ... ومن يردُّ الحصان إن نفرا ؟
مدّ ذراعي في سرمها لبباً ... وسدّ أيري في سرمها شعرا[6]
أحسن في الحرب من صفوفكم ... غداً قعودي أصفف الطُّررا
وأنتف الشعر من جبين حرٍّ ... لطفت في نتفه وما شعرا
أو مبعرٍ جعسه يطالعني ... من كوّة الباب كلّما زحرا[7]
هيهات أن أحضر القتال وأن ... ترى بعينيك فيه ليَ أثرا
بل الذي لا يزال يعجبني الـــدبيب بالليل خائفاً حذرا

---

(١) الغررا : الجهل .

(٢) الخيش : الشراب البارد ، والخصر : البارد .

(٣) الروشن : الكوّة .

(٤) العنبل : البظر الطويل .

(٥) العُشراء : الحامل من النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر .

(٦) اللّبب : ما يشدّ من سيور السرج في صدر الداية ليمنع تأخر السّرج أو الرّحل .

(٧) زحرا : أخرج صوته أو نفسه مع أنين .

أنــا إلــى تلك وهــي نائمةٌ    وذا إلــى ذاك بعــد ما سكرا
وضجّــة النيك كلّمــا ضرطتْ    واحــدةٌ تحــت واحــدٍ نخرا
وقــول بعض المميّزين وقـد    شمّ فسانــا بأنفـه سحرا
في جعس هذا فطــورةٌ وأرى    أنّ خرا تلك بعــد ما اختمرا
الــدفُّ يوم الصبــوح دبدبتي    وبوقــي النــايُ كلّمــا زمرا
وخريتــي كلمــا رميت بها    مقتــل ذقــنٍ خضــبتها بخرا
هذا اعتقــادي وهــكذا أبداً    أرى لنفســي فأنــت كيف ترى

وقال [ من المجتث ] :

إذا تغنّــى سليــمٌ    عــاق المسرّة عنّــي
وافـى بـذقـن سخيـف الــــــمغنـي وجئـت ببـطني
فلحيــة التيـس منه    وســلحة الفيـل سنّــي

* * *

## ملح مما يتمثل به من أحوال السلف

قال من قصيدة في أبي الفضل الشيرازي [ من مخلع البسيط ] :

النــاس يفــدونك اضطراراً    منهــم وأفــديك باختيـاري
وبعضهــم فــي جوار بعضٍ    وأنــت حتــى أمــوت جاري
فـعـشْ لخبــزي وعش لـمـائـي    وعش لــداري وأهــل داري
يـا مـن بـإحسانـه بلغـت السـ    ـمــاء فـي الـعـزّ والــيسـار
فــاليوم قارون في غناه    عبــدي وكســرى ركاب داري

وقال [ من السريع ] :

يا من يدي من خيره فارغهْ    ملّيت لبس النعمــة السابغه[1]

---

(١) السابغة : الوافية الفضفاضة ويقال : درعٌ سابغة .

قد هشمتْ رأسي بأحجارها ألفاظك الهاشمة الدامغه

فيا أبا قابوس في ملكه رفقاً أبيت اللعن بالنابغه

وقال [ من السريع ] :

إنّك إنسانٌ له موقعٌ من ناظري في جوف إنسانه[1]

فكيف تخشى هجو من مدحه فيك يرى أوّل ديوانه

ومن له في شعره مذهبٌ ذكرك فيه نَوْرُ بستانه

تمضي لياليه وأيامُهُ وسرُّه فيك كإعلانه

ولست ممن يخلط الكفر في شكر أياديك بإيمانه

قلْ للذي جهّز في السعي بي بضاعةٌ عادت بخسرانه

لا تغترزْ أنّك من فارسٍ في معدن الملك وأوطانه

لو حدَّثتْ كسرى بذا نفسه صفعته في وسْطِ إيوانه

وقال في بختيار [ من المنسرح ] :

فديت وجه الأمير من قمرٍ يجلو القذى نوره عن البصر

فديت من وجهه يشككني في أنَّه من سلالة البشر

إن زليخا لو أبصرتْكَ لما ملَّتْ إلى الحشر لذّةَ النظرِ

ولم تقسْ يوسفاً إليك كما نجم السُّهى لا يقاس بالقمرِ

وكان يا سيدي قباك إذا هربت منها ينقدُّ من دُبُرِ[2]

بل وحياتي لو كنت يوسفها لم تك من تهمة العزيز بري

لأنني عالمٌ بأنّك لو شممت ريّا نسيمها العطر

سبقتها وانزبقت تتبعها ما بين تلك البيوت والحجر[3]

---

(١) إنسان العين : البؤبؤ .

(٢) قباك : ثوبك .

(٣) انزبقت : دخلت .

ولـم تزل بالـكدين تقصرها ... من قبل وقت العشا إلى السحر[1]
وقـد علمنا بأنّ سيدنا ال ... أمير ممَّن يقول بالبظر
ولـم تكن تلك تشتكي أبداً ... ما كان من يوسفٍ من الحذر
طبعك كالماء في سهولته ... لكنْ أبو الزبرقان من حجر
إنّ الملـوك الشباب ما خلقوا ... إلاّ صلاب الفياش والكمر[2]

وقال [ من السريع ] :

إنَّ بني برمك لو شاهدوا ... فعلك بالغائب والشاهدِ
ما اعترف الفضل بيحيى أباً ... ولا انتمى يحيى إلى خالدِ

وقال [ من المنسرح ] :

وكاتبٍ بارعٍ بلاغتُهُ ... تجلو علينا كلام سحبانِ
وخطُّه والكتاب في يده ... ينثر درّاً أمام مرجان
لو كان عند المأمون جوهره ... أهداه أو بعضه لبوران[3]

وقال في رجل سقطت امرأته من السطح فماتت [ من الطويل ] :

عفا الله عنها إنّها يوم ودّعت ... أجلُّ فقيدٍ في التراب مغيّبِ
ولو أنّها اعتلّتْ لكان مصابُها ... أخفّ على قلب الحزين المعذبِ
ولكنْ رأت في الأرض أفعى مجدلاً ... على قدر غرمول الحمار المشغّب[4]
فظنته أيراً والظنون كواذبٌ ... إذا أخبرت عن عام ما في المغيّبِ
وأهوت إليه من يفاعٍ ودونه ... ثمانون باعاً في علوٍّ مصوّب[5]

---

(١) الكدين : من الكِدن ، الشحمُ واللحم ، والكدَن : ثوب للخدر ومركب للنساء .
(٢) الفياش : الذكور . والكمر : العقدة التي في الذّكر .
(٣) بوران : زوجة المأمون وابنة الحسن بن سهل وزيره .
(٤) غرمول الحمار : ذكره .
(٥) اليفاع : التلّ وما ارتفع من الأرض .

فصـارت حديثـاً شاع بين مصدّقٍ تحقّقـه علمـاً وبين مكذّبِ
سعـى الطمـع المـردي إليهـا بحتفها ومـن يمتثـل أمـر المطامـع يعطب
فأعظـم يا هذا لك الله ربُّها وربُّـك أجـر الثّـكلِ في شاة أشعب

قيل لأشعب : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، شاة كانت لي على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قت[1] ، فأهوت إليه واثبة ، فسقطت من السطح فاندقت عنقها .

وسأل الهنكري مغني سيف الدولة ابن حجاج أن يصنع شعراً يغني به بين يدي صاحبه فقال [ من المتقارب ] :

أميري يا من ندى كفُّه يزيد على العـارض الممطرِ
أرى يومنـا يوم كأسٍ تدو ر من يد ذي دعـجٍ أحور[2]
وأبيض يحـدوك سكر الغرام على لثم شاربـه الأخضر
بحمـرة وجنته تستدلُّ على أنـه من بنـي الأصفر[3]
وأنّـك مـن دونـه قـد ضربـت هـامة ذي لبـدةٍ قسـور
وشعـر ابـن حجّـاج يا سيدي يغنّـي به عبـدك الهنكري
غنـاءٌ وشعـرٌ لنـا يجمعا ن مـا بين زلـزل والبحتري

وقال [ من البسيط ] :

غداً أراه علـى عبـل الشـوى مرحٍ والخيل من حوله مثـل الحصـى عددا
في خلعـةٍ لو رآهـا يوم يلبسها نمـرود قبّـل وجـه الأرض أو سجدا

(١) القت : الفصفصة اليابسة ، أو القتات وهو نوع من النبات .
(٢) الدعج في العين : سعتها مع اشتداد سوادها وبياضها .
(٣) بني الأصفر : الروم .

وقال [ من المنسرح ] :

يا من إذا ما اختللتُ أيَّدني ومن إذا ما ضعفت قوّاني
ابق لي اليوم ضعف ما بقَّيتْ أمس نسور الحكيم لقمان

وقال [ من السريع ] :

يا درَّة الملك ويا غرَّةً في وجه هذا الزمن الأدهمِ[1]
تراب نعليك على ناظري أعزُّ من عيسى على مريم

وقال [ من السريع ] :

فتى له عزمٌ إذا كلَّتِ السيوف مثل المرهفِ الصارمِ
وراحةٌ لو صفعت حاتماً تعلَّم الجود قفا حاتمِ

ومن أخرى [ من المنسرح ] :

هذا حديثي تنمي عجائبه بكثرة القال فيه والقيل
أعجزني دفنه فشاع كما أعجز قابيل دفن هابيل[2]

ومن أخرى [ من مخلع البسيط] :

وأبرصٍ من بني الزواني ملمَّعٍ أبلق اليدين[3]
قلت وقد لجَّ بي أذاه وزاد ما بينه وبيني
يا معشر الشيعة الحقوني قد ظفر الشمر بالحسين

ومن أخرى [ من مخلع البسيط] :

كلٌّ خفيف الرجلين ثقلٌ خفَّة رجليه بالحديدِ

---

(١) الأدهم : الأسود .
(٢) قابيل وهابيل : إبنا آدم عليه السلام .
(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض .

أُذِقْـهُ من غبٍّ ما جناه ... مـا ذاق يحيى من الرشيد

ومن أخرى [ من السريع ] :

واستـوف عمـر الدهـر في نعمةٍ ... دون مداهـا موقف الحشر
مصيبـةُ الحاسـد في مكثها ... مصيبـة الخنسـاء في صخر

ومن أخرى [ من البسيط ] :

يا من يعـادي الهـوى جهـلاً بموقعه ... ولا يزال يعـادي المـرء ما جهلا
أمـا رأيت الهـوى استولـى بفتنته ... علـى النبيين واستغـوى بهـا الرسلا
فإن شككت فسـلْ زيداً بقصته ... وأورياء يقـولا الحـق إن سئلا[1]
لم بتَّ هذا طلاقـاً حبـل زوجته ... وذاك في رقعـة التابـوت لم قتلا

ومن أخرى [ من السريع ] :

مولاي يا من كلُّ شيءٍ سوى ... نظيره فـي الحسـنِ موجودُ
إن كنـت أذنبـت بجهلـي فقد ... أذنـبَ واسـتغفـر داود

ومن أخرى [ من الرمل ] :

ملكٌ لو لم يكن من ملكه ... غير دارٍ وُشِّحـتْ بالنِّعمِ
لو رمـى شدّاد فيهـا طرفهُ ... زهَّدتـه بعدهـا فـي إرمِ

وله ، وقد خرج هارباً من غرمائه [ من المنسرح ] :

هربـتُ من موطنـي إلـى بلدٍ ... قد صفّـر الجـوع فيه منقاري
يقـول قومٌ فرَّ الخسيس ولو ... كان فتـىً كان غير فرّار
لا عيب لا عيب في الفـرار فقدْ ... فرّ نبـيُّ الهـدى إلـى الغار

---

(١) يزعم القصاصون أن أوريا جندي من جند داود عليه السلام ، وأن داود فتن بامرأته ، وأنه طلبها لنفسه ، واحتال لذلك فبعثه في قتالٍ ليموت فيه .

## ملح من سائر أمثاله في الجد والهزل
## الواقعة في فنون نوادره

قال [ من مجزوء الرجز ] :

| | |
|---|---|
| جميع ما لي صَدَقَهْ | لأكسرنّ فستقه |
| فبسّ كم تهذين يا | سنديةً مطلّقه[1] |
| لا بدّ للسندان أن | يصبر تحت المطرقه |
| وفيشتي لا بدّ أن | أسبكها في البوتقه |
| لا بد أن أطعن بالـ | ـمردي صميم الدرقه |
| وأن أمرّ الميل في | جوف سواد الحدقه |
| تريد مني أترك اللـ | ـحم وأحسو المرقه ! |
| ليس الثريد بابتي | بسّي من الملبّقه[2] |
| أريد من لحم است من | أعشقها مدقّقه |
| أح!ب أن لا تشفقي | عدمت هذي الشفقه |
| وكلُّ شاةٍ في غدٍ | برجلها معلّقه |
| لا بدّ من أن يقع الـ | زرفين جوف الحلقه[3] |

وقال [ من المنسرح ] :

| | |
|---|---|
| أخشى على حسبتي العدو وفي الـ | ـناس لمثلي أصادقٌ وعدي |
| هرٌّ يراني وفي فمي غددٌ | والهرُّ بالطبع يألف الغَدَدا |
| وإن تغافلت عنه غافصني | واستلب الكرش من يدي وغدا[4] |

---

(١) بسّ : صوت للزجر .

(٢) الثريد : طعام من خبزٍ مفتّت مبلولٌ بمرق ، وبابتي : الغاية والشرط والصنف .

(٣) الزرفين : حلقةٌ للباب .

(٤) غافصني : فاجأني على حين غرّة .

وقال [ من السريع ] :

قد وقع الصلح على غلتي فاقتسموها كارةً كاره[1]
لا يدبر البقّال إلاّ إذا تصالح السّنّور والفاره

وقال ، وقد سأل صديق عن حاله والعمال يصادرونه [ من الرمل ] :

أيُّها السائل عن حا لي أنا المضروب زيدُ
وأنا المحبوس لكنْ ليس في رجليَ قيدُ

وقال [ من المجتث ] :

وقائلٍ هو رأس الـ ـعمال بين الناس
والرأس يصلح إن لم ينفعك للروّاس
هذا هو الحقُّ والحقُّ ما به من باس

وقال [ من السريع ] :

فقرٌ وذلٌّ وخمولٌ معاً أحسنت يا جامع سفيان[2]

وقال [ من المنسرح ] :

الحمد لله إنَّ لي أملاً أنا إلى الخصِّ منه أستند[3]

وقال [ من الكامل ] :

إن كنت تحتقر العتاب تكبُّراً فالفيل يعمل فيه قرصُ البرغش[4]

---

(١) الكارة : حمل معلوم الوزن والمقدار من الطعام .
(٢) جامع سفيان : مثل يضرب لكثرة الاحاطة .
(٣) الخصّ : العناية والفضل ، والخُصّ بالضم : البيت من القصب .
(٤) البرغش : البعوض .

وقال [ من المتقارب ] :

وما الشيء للمرء يحتاله ولكنّه للفتى يرزقُه

وقال [ من الوافر ] :

دعوت نداك من ظمئي إليه فعنّاني بقيعتك السرابُ[1]
سرابٌ لاح يلمع في سباخٍ فلا ماءٌ لديه ولا شراب[2]
وليس الليث من جوعٍ بغادٍ على جيفٍ تحيط بها كلاب

وقال [ من الخفيف ] :

مستحيل المعنى يصلّى إلى الحشر ويخرى في جانب المحراب

* * *

## أنصاف أبيات له وأبيات في الأمثال

قال [ من الطويل ] :

* وربَّ كلامٍ تستثار به الحربُ *

وقال [ من السريع ] :

* حتّى متى ترقص في زورقي ؟ *

وقال [ من الكامل ] :

* خودٌ تزفُّ إلى ضريرٍ مقعدِ *

---

(١) عنّاني بقيعتك السراب : أي أتعبني الأمل الكاذب .
(٢) السِّباخ : من الأرض : ما لم يفلح ولم يعْمَر لملوحته .

وقال [ من الكامل ] :

* أصبحت أخلقُ منك بالزَّبدِ *

وقال [ من المنسرح ] :

* تفور من نصف خوصةٍ قِدْري *

وقال [ من الرجز ] :

* فقلتُ من يفسو على الكنيف *

وقال [ من الوافر ] :

عجبت من الزمان وأيّ شيءٍ عجيبٍ لا أراه من الزمانِ
أتأخذ قوت جرذانٍ عجافٍ فتجعله لأوعالٍ سمانِ[1]

وقال [ من الوافر ] :

وقد غمزوا مع العيدان عودي ليختبروا الصحيح من المريب[2]
فلان الخروع الخوّار منّا وبان تكرُّم النبع الصليب[3]

وقال في بوابٍ أعور حجبه عن رئيس [ من السريع ] :

سمعت فيمن مات أو من بقي بمقبلٍ بوابه أعورُ
واللّوزة المرة يا سيدي يفسد في الطعم بها السُكر

وقال [ من المنسرح ] :

ولي شفيعٌ إليك شرّفني إيجابه لي وزاد في قدري

---

(١) عجاف : هزال .

(٢) غمزوا : جسّوا وعصروا .

(٣) النبع : شجرٌ تصنع منه القسي ، والصليب : الذي لا يسهل كسره .

نبَّهـــت منـــه لحاجتـــي عمراً ولـــم أعـــوّل فيهـــا علـــى عمرو

يريد قول بشار [ من المتقارب ] :

إذا أيقظتــك حروب العدا فنبِّــه لهــا عمــراً ثم نمْ

وللآخر [ من البسيط ] :

المســتجير بعمــروٍ عنــد كُربتهِ كالمستجير من الرمضــاء بالنار[1]

وقال [ من الوافر ] :

عذرتُ الأســد أن صَليت بناري مخاطــرةً فمــا بال الكلاب
وأزواج الحرائــر لم يجابوا لديَّ فكيف أزواج القحاب ؟

وقال ـ وقد قال له بعض الرؤساء : ما أشبهك في الإبرام إلا بابن أبي رافع ـ [ من السريع ] :

ضربــت في الإبــرام يا سيدي لي مثــلاً بابــن أبــي رافع[2]
فقلــت في ذلك : لا تعجبوا من متخــمٍ يفســو علــى جائع

وقال [ من البسيط ] :

إنّــي بليت بأقــوامٍ مواعدُهم تزيدنــي فوق ما ألقــاه من محنِ[3]
ومــن يذقْ لسعــة الأفعى وإن سلمتْ منهــا حشاشتــه يفــزعْ من الرسن

* * *

(١) الرمضاء : الحرّ الشديد .

(٢) الابرام : العقد .

(٣) الحشاشـة : الروح والنفس .

## الشكوى ووصف سوء الحال

قال في ابن العميد [ من الوافر ] :

فداؤك نفس عبدٍ أنت مولى ... له يرجوك يا خير الموالي
حديثي منذ عهدك بي طويلٌ ... فهل لك في الأحاديث الطوال
وجملة ما يعبّره مقالي ... حصول استي على حرّ المقالي
وأنّي بين قومٍ ليس فيهمْ ... فتىً ينهى إلى الملك اختلالي
فلحمي ليس تطبخه قدوري ... وحوتي ليس تقليه المقالي
ومائي قد خلتْ منه جبابي ... وخبزي قد خلت منه سلالي
وكيسي الفارغُ المطروح خلفي ... بعيدُ العهد بالقطع الحلال
أفكّرُ في مقامي وهو صعبٌ ... وأصعب منه عن وطني ارتحالي
فبي مرضان مختلفان حالي الـ ... ـعليلة منهما تمسي بحال
إذا عالجت هذا جفّ كبدي ... وإن عالجت ذاك ربا طحالي[1]

وكان يكتب في حداثته لرئيس ، فتأخر عنه ، فكتب يسأله عن حاله في تأخره فكتب إليه [ من السريع ] :

سألت يا مولاي عن قصّتي ... وما اقتضى بالرسم إخلالي[2]
ليست بجسمي علةٌ تشتكي ... وإنّما العلّة في حالي
وذاك داءٌ لم تزل ضامناً ... من سقمه برئي وإبلالي[3]

وقال [ من المتقارب ] :

خليلي قد اتّسعت محنتي ... عليَّ وضاقت بها حيلتي

---

(١) ربا : انتفخ وازداد .
(٢) الرسم : الإيضاح والتبيان ، والإخلال : عدم الوفاء بالعهد .
(٣) إبلالي : شفائي .

عذرتَ عذاريَ في شيبه ... وما لمت أن شمطت لمتي
إلى كم يخاسسني دائماً ... زماني المقبح في عشرتي
تحيَّفني ظالماً غاشماً ... وكدَّر بعد الصفا عيشتي
وكنتُ تماسكتُ فيما مضى ... فقد خانني الدهر في مسكتي
إلى منزلٍ لا يواري إذا ... تحصّلت فيه سوى سوأتي
مقيماً أروح إلى منزلٍ ... كقبري وما حضرتْ ميتتي
إذا ما ألمَّ صديقي بهِ ... على رغبةٍ منه في زورتي
فرشت له فيه بسط الحديـ ... ـث من باب بيتي إلى صفّتي[1]
ومعدته في خلال الكلا ... م تشكو خواها إلى معدتي[2]
وقدْ فتّ في عضدي ما به ... ولكنْ عليه غلبت علّتي
وأغدو غدواً ملياً بأنْ ... يزيد به الله في شقوتي
فأيَّةُ دارٍ تيمّمتها ... تيمّم بوابها حجتي
وإن أنا زاحمتُ حتّى أموت ... دخلتُ وقد خرجتْ مهجتي
فيرفعني الناس عند الوصول ... إليهم وقد سقطت عمّتي[3]
وإن نهضوا بعد للانصرا ... ف أسرعت في إثرهم نهضتي
وإن قدَّموا خيلهم للركوب ... خرجت فقدّمت لي ركبتي
وفي جمل الناس غلمانهم ... وليس سوائي في جملتي
ولا لي غلامٌ فأدعو به ... سوى من أبوه أخو عمَّتي
ركنت مليحاً أروق العيو ... ن أيضاً فقد قبِّحت خلقتي
يعرق خدي جفاف الهزال ... وحاف الشناج على وجنتي[4]

---

(١) الصفة : الاستراحة أمام البيت .
(٢) الخواء : الفراغ والجوع .
(٣) العمّة : أي العمامة توضع على الرأس .
(٤) الشناج : تقبض الجلد .

وقوّسني الهمُّ حتى انطويت فصرتُ كأنّي أبو جدَّتي
وكان المزيِّنُ فيما مضى تكسِرُ أمشاطَهُ طرَّتي[1]
وكنت برأسٍ كلون الغداف فقد صرت أصلع من فيشتي[2]
ويا ربّ بيضاء رود الشبا ب كانت تحنُّ إلى وصلتي[3]
فصارت تصدُّ إذا أبصرتْ مشيبي وتغضب من صلعتي
على أنّني قلت يوماً لها وقد أمضت العزم في هجرتي
دعي عنك ما فوقه عمّتي فإن جمالي ورا تكّتي[4]
هنالك أيرٌ يسرُّ العيون طويلٌ عريضٌ على دقّتي

ومنها :

سوى أنّ قلبي قد صرفتـ ـه في شغله بالأسى عطلتي
وكانت بتكريت لي غلَّةٌ فغلّت بأجمعها غلتي
أغاروا على سمسمي غارةً تعدَّت فأنضت إلى حنطتي
فلا أزال في نقمةٍ كلُّ من أزال بحيلته نعمتي

وقال [ من الخفيف ] :

قد قنعنا فهات خبزاً بلحمٍ أنا من شدّة الخوى في السِّياقِ
فرجي أن أشمَّ رائحة اللحـ ـم ولو كان من فسا مرَّاقِ

وقال [ من السريع ] :

ما حال من يأوي إلى منزلٍ أرفقُ منهُ المسجد الجامعُ

---

(١) الطرّة : الشعر أو مقدمه الذي فوق الجبين .
(٢) الغداف : الغراب والشعر الأسود الطويل على سبيل الاستعارة .
(٣) رود الشباب : أي الشابة الحسناء .
(٤) التكّة : رباط السراويل .

لا يرتوى العطشان فيه ، ولا يلحق ما يقتاته الجائع
وسوقهُ كاسدةٌ بينكم لا مشترٍ فيها ولا بائعُ

وقال [ من الخفيف ] :

أتعشّى بغير خبزٍ ، وهذا خبري منذ مدّةٍ في غدائي
فأنا اليوم من ملائكة الدّو لة وحدي أحيا بغير غذاء
آيةٌ لم تكنْ لموسى بن عمرا ن ولا غيره من الأنبياء

* * *

## نبذ من لطائف نوادره في أنواع الكدية

قال [ من المجتث ] :

هذا وأيام أكلي عند الملوك الكبارِ
ما كنت أفطر إلا على كبود القماري
مشويةٌ وقلايا فاليوم سنّور داري
إذا أرادت تعشّى تنغّصتْ لي بفار

وقال بواسط ، وقد باع ثيابه [ من المجتث ] :

يا سادتي قول ميتٍ في مثل صورة حيٍّ
لم يبق في الخرج شيءٌ أتأذنون بشيٍّ ؟

وقال ، وقد تولى أقطاعاً وخرج إليها فوجدها خربة [ من السريع ] :

سيدي عبدك في الزيتِ فرَّ من الموتِ إلى الموت
حالي وأقطاعي خرابٌ فقدْ فررت من بيتي إلى بيتي

وقال [ من البسيط ] :

مـا لي أرى بيت ما لي حلَّهُ زحلُ — وحسبـه من بعيدٍ أن يرى زحلا[1]
فمـا ترى لا رأيت السـوء في رجلٍ — قد شبَّ تحت خطوب الدّهـر واكتهلا

وقال ، وقد رأى كلاب عز الدولة بختيار تطعم لحوم الجدا [ من الوافر ] :

رأيتُ كلابَ مولانـا وقوفاً — ورابضـةً علـى ظهـر الطّريق
فمـن وردٍ له ذنـبٌ طويلٌ — يعقّفـه وملهـوبٌ خلوقي[2]
تغـذّى بالجـدا فوددت أني — وحـقّ الله خركوشٌ سلوقي
فيا مولاي رافقنـي بكلبٍ — لآكل كلَّ يومٍ مع رفيقي
أرى القصّـاب قد أضحـى عدوّي — لشؤم البخت والملحـي صديقي[3]
فلـو أنّـي افتصـدت لمـا وجدتم — سوى الحلتيت داخـل باسليقي[4]
جفانـي اللحـم وهـو شقيق روحي — فمـن يعـدي علـى ذاك الشقيق
كأنّ اللحـم في صوم النصارى — توهّمنـي ابـن عمٍّ الجاثليق
وأحسـن ما رآه النـاس لحمٌ — جرايتـه تضـاف إلـى الدقيق

وله في مثل ذلك [ من المنسرح ] :

يا سيِّد النـاس عشـت في نعمٍ — تأوي إليهـا ممـالكُ العجمِ
بديهتـي في الخصـام حاضرها — أشهـر في الفيلقين مـن علم
والخـطّ خطـي كمـا تراه ولا الـ — زهـرة بين القرطـاس والقلم
هذا وخبـزيَ حافٍ بلا مرقٍ — فكيف لو ذقـت ثردة الدسم[5]

---

(١) الزَّحْل : التعب أو الجفاء والبعد وزُحل : أحد الكواكب السيارة .

(٢) المهلوب : المنتوف .

(٣) الملحي : اللائم .

(٤) الحلتيت : الصمغ . والباسليق : وريد يمتدّ في الذّراع .

(٥) اثردة الدسم : من الثريد وهو الخبز المقتت الممزوج بالمرق .

ما لـي وللحـم إنّ شهوتـهُ قـد تركتنـي لحمـاً علـى وضم[1]
ومـا لحلقـي والخبـز يجرحه بالملـح يشـكو حزونـة اللّقم[2]

وله في مثل ذلك [ من المنسرح ] :

يا من رأى البـدر حسـن صورته فبـان في البـدر موضـعُ الحسدِ
نحـن سنـانيرُ أهـل دولتكم فأنصفونـا من صاحـب الغدد
والله لولاك لم تبـت مرق اللـ ـحـم تروي شحومـه ثردي
ولـم يحـوّر لي الـدقيق ولا كانـت تحـوز المسلقـات يدي

وكتب لبعض الوزراء ، وقد أراد عمارة مسناة داره [ من السريع ] :

خفّـي فمـا أنـت بمعذوره ولا علـى نصحـك مشكوره
أذاك كم يصـدع قلبـي به وإنّمـا قلبـي قـاروره
فـي كلٍّ شيءٍ أنـت يا هذه مغمومـةٌ بي غير مسروره
حتـى مسنّاتـي التـي أصبحت وهـي خرابٌ غيـر معموره
أيّتهـا المـرأة لا تقلقي من قبـل أن تستعملـي الصوره
لـي سيدٌ أضحـت عناياته علـى مسنّـاتـي مـوفـوره[3]
ناهدتـه فيهـا علـى أنّها تجعـل بالصـاروج كـافـوره[4]
منّي أنـا لا شيء ومـن سيدي الـ ـآجـر والصنّـاع والنُّـوره[5]

وكتب إلى بعض الرؤساء يلتمس منه عمامة [ من مخلع البسيط] :

يا من له معجـزات جودٍ توجـب عنـدي له الإمامه

(١) الوضم : الطاولة التي يضع اللّحام عليها قطع اللحم .
(٢) الحزونة : الصعوبة .
(٣) المسناة : أحباس للمياه .
(٤) الصاروج : النورة وأخلاطها .
(٥) النُّورة : حجر الكلس .

مـا لي إذا ما الشمـال هبَّتْ قامـت علـى رأسـيَ القيامه
ودمّيت في القفـا عيونٌ بالطـول في موضـع الحجامه
أظـنُّ هذا من أجـل أنّي في البـرد أمشـي بلا عمامه

وقـال لبختيار حين عاود الحضـرة بعـد هزيمـة الأتـراك والحجـاج معـه [ مـن المنسرح ] :

الحمـد لله جاءت النعمُ وانصرفـت مع مجيئهـا النقمُ
واطلـع البـدر بعـد غيبته فانكشفـت عن وجوهنـا الظلم
فـأيُّ شيءٍ تريد تعمـل بي فإنّنـي منـك لسـت أحتشم ؟!
أريد ممـا آفتتحتـه ٠ عملاً يشـرد في دغبـاجـه اللقم[١]

وقال لسهل بن بشر يعرض بطلب مركوب [ من الخفيف ] :

يا ابـن بشـرٍ يا سيدي يا ابـن بشرٍ يا معينـي علـى ملمّـات دهري
حلـق الله ذقـن من يتشنّا ك وألقـاه في غيابـة حجر[٢]
أيُّ شيءٍ تريد تعمـل بي اليو م فهـذا أنـا وأنـت وشعري ؟!
أنـا في واسـطٍ أروح وأغدو بين مَدٍّ من الظنـون وجزر
تارةً يسنـح الغنـى لي فأرجو ه ، وطـوراً أرى دلائـل فقري
راجـلاً أعزبـاً فرجلـي وأيري بين بطـنٍ قد أعوزانـي وظهر
غيـر أنّي أرى عـمـيـرة بـالـلـيـل يمشي بجلدهـا بعض أمـري
وكعـابي التي يـرضّضهـا الـمشـي على من أحيلها ليت شعري[٣]
أنـت تدري وحسـب عبـدك فيما يرتجـي منـك قولُـهُ أنـت تدري

(١) الدغباج : النعيم والأكل .
(٢) يتشنّاك : يبغضك ، وغيابة حجر : قعر سجن .
(٣) يرضّضها : أي يترك بها رضوض وأوجاع .

وكتب إلى ابن قرة يقتضي مركوباً وعد به وهو على جناح السفر [ من السريع ] :

يا سيدي دعــوة ذي رحلةٍ مقصّــرٍ في الجــري مسبوقِ
والقــوم قد صحَّ بهــم عزمهمْ وضربــوا بالــطبل والبوق
وضمَّــروا للسير أفراسهم وفرســي الأشهــب في زيقي[1]
بــل لي كميتٌ ما رئــي مثله يــا سيدي قطُّ لمخلوق
كأنّنــي فــي متنــه راكبٌ داليةً فــي رأس زرنوق[2]
مــا في فضــلٌ لا ولا فيه لي لأننــي وهــو على الريق

وقال يتنجز رداء شرب [ من الخفيف ] :

ويحــك اســكت فضحتنــي يا راسي أنــت بالضــدّ من رءوس الناس
أنــت والله فارغ القحف إلاّ من كنــوز الخبــاط والإفلاس[3]
بسّك اقطـعْ ففـي ضمانـي الـرّداء الـ ـشـرب الأميريّ عن أبـي العباس[4]
أبيض الغــزل فيه خطٌّ سوادٍ مثــل خطّ الــرئيس في القرطاس

وقال يتنجز دراهم [ من المنسرح ] :

يا قمــراً في تمامــه طلعا هذا رسولــي إليك قد رجعا
في غاية الحســن والدماثــة والـ ـنعمــة والظــرف والجمــال معاً
عن طيب معنــاه في لطافته كأنّــه في الــكنيف قد وقعـا
وهــو يحــب الصــرار يفتقها ويشتهــي أن يجمِّش القطعا[5]
فاحســمْ بختــم القرطــاس مقطعه وامنــعْ يديه عليه أنْ تقعا

---

(١) الزّيق : ما أحاط بالعنق من رباط .

(٢) الزنوق : منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر .

(٣) الخباط : الزكام ، أو مرض كالجنون .

(٤) كذا ورد هذا البيت .

(٥) الصرار : جمع صُرّة، ما تجمع فيه الدراهم أو غيرها وتشدّ .

وارْدده من همةٍ بختمكهُ كأنّه بالفلوس قد صفعا

وقال يتنجز شعيراً لدابته [ من المنسرح ] :

كميتيَ اصهل واضرط فقال نعم بالسمع يا سيدي وبالطاعه
نعم ولكن أين الشعير ترى فقلت هو ذا يجيهم الساعه
قال فممّن فقلتُ من رجلٍ قد صار في الجود حاتم الباعه

وقال وقد بعثه إليه [ من مجزوء الخفيف ] :

كال لي ابن المعدل بالقفيز المعدّلِ[1]
من شعيرٍ بلا ترا بٍ نقيٍّ مغربل
ما أرى مثله فلا نٌ قضيماً لدلدل[2]

وقال يطلب خيشا [ من السريع ] :

يا أحرص الناس على مبعرٍ يدقُّ مستنجاه بالفيش
حتّى متى تتركني في لظى حرٍّ حزيران بلا خيش

وقال يستعين بأبي قرة على تطهير ابنه [ من السريع ] :

يا سيدي دعوةُ من لم تزلْ تعديه بالجود على دهرِهِ
إنّ ليَ ابناً أمسِ خلّفتهُ في منزلي كالفرخ في وكره
يبكي إذا ما عنّ ذكري له وفي فؤادي النار من ذكره
والعزم بي قد جدّ يا سيدي في شهرنا الأدنى على طهره
فقوِّني إنّي ضعيفُ القوى على الذي أنويه في أمره
فأنت سترُ الله في وجه من أصبح ذاك الطفل في ستره

---

(١) القفيز : المكيال .

(٢) دلدل : بغلة شهباء كانت للنبيّ ﷺ .

وقال لبعض بني حمدان [ من السريع ] :

فتىً يُغير المدح في داره على صناديقٍ وأكياس
ذقت ندى راحته مرّةً فطعمه في جوف أضراسي

وقال لرجل دعاه إلى عرس ثم بداله [ من المنسرح ] :

يا وقح الوجه جيّدَ الحدقه خست بوعدي وكنت غير ثقَه[1]
أين نصيبي من الطعام وما طمعت في لعقةٍ من المرقه
أشفقت مني وكان يقنعني عندك ما ليس يوجب الشّفقه
قطعة لحمٍ في وزن خردلةٍ على رغيفٍ كأنّه ورقه[2]

وقال يطلب مشروباً [ من مخلع البسيط ] :

يا سيدي عشت لي وبعدي وأرضُ نعليك صحن خدّي
عندك يا سيدي نبيذٌ وليس لي منه رطل دردي[3]
تروى وأظمأ وذاك بين الـ أحرار ضربٌ من التّعدّي
وقد تناهى أمري إلى أن بكّرت من منزلي أكدي[4]

وقال في مثل ذلك [ من المنسرح ] :

أبا الحسين الزمان ذو دولٍ أسبابها عند علّة العللِ
والعيش كالصّاب في مرارته طوراً، وطوراً أحلى من العسلِ[5]
ودار هذي الحياة مذ بنيت لم تخل من ساكنٍ ومنتقلِ

---

(١) خست بالوعد : لم تفِ به .
(٢) الخردلة : حبّة صغيرة سوداء تستعمل في التوابل وفي الطب .
(٣) الدُّردي : من الزيت ونحوه : ما يبقى راسباً في أسفل الإناء من الكدر .
(٤) أكدي : أطلب واستعطي .
(٥) الصاب : نبات شديد المرورة .

والنّـاس فـي طيبهـم ونتنِهِمْ ضدّان مثـل التُّفـاح والبصل
وهـم مليحٌ وآخـرٌ وحِشٌ ما بيـن رامشـةٍ إلـى جعل[1]
فوجـه هذا للسّيف وحشته ووجـه ذاك المليح للقبل
وليس هذا وقـت الخطـاب على جرايةٍ تقتضـي ولا عمل
الوقـت وقـت الأرطـال تعملها ما بين ثانـي الثقيل والرمل
وقحبـةٍ تبلـع القضيب ولا يعجبهـا غيره مـن الحمل
فابعـث بقفصيـةٍ تحدّثنـا عن حرب صفين أو عن الجمل[2]
غزيرة الـورد إن بي ظمأً لا يرتـوي من صبابـة الوشل[3]
ولا تجـادل أخـاك معتذراً فلسـت ممّـن يقـول بالجدل

وقال في مثل ذلك [ من الخفيف ] :

يا نديمـي قد خلـوت بحرٍّ ليس منـه ثقـلٌ علـى ملكيْهِ
اسقنيهـا وحـدي سروراً ببدرٍ يعلـم الله كيف شوقـي إليهِ
يا ابـن يحيى الـذي أمـوت وأحيا في موالاتـه وبيـن يديه
منـك هـذا النبيـذ والخبـز واللحـم الـذي يشـرب النبيـذ عليـه

وقال في مثل ذلك [ من الخفيف ] :

استمـع شرح قصـةٍ أنـا منها بـين وصـلٍ ممّـن أحـبُّ وهجرِ
ليَ وعـدٌ على غزالٍ غريرٍ ينجـز الوعـد كل غرَّةِ شهر[4]
ومغـنٍّ يحيط بالحـال علماً فهـو يأتـي ولا يقـول بحذر
وعليك انتهـاء سكرهمـا اليو م إلى غاية المراد وسكري

---

(١) الرامشة : الطاقة من الريحان ونحوه ، والجعل : الدميم الأسود .
(٢) القفصيّة : إناء يجعل فيه الخمر .
(٣) الوشل : الماء القليل .
(٤) غرّة شهر : مطلعه .

فأرحنـي من الهمـوم براحٍ تصـدر الهـم عن موارد صدري[١]
وابـقِ حيـاً يضـاف قسـطٌ إلـى عمـرك طـول الحيـاة مـن كـلٍّ عمر

* * *

## ما أخرج من خمرياته وما ينضاف إليها

قال [ من الوافر ] :

وليس العيش إلاّ شرب راحٍ إلـيَّ بشربهـا الساقـي يشيرُ
وكأسٍ يعـدل الساقـون فيها ولـكنْ حكم سورتهـا يجورُ
وشـدو صغيرةٍ كالخشف يحدي بصـوتِ غنائهـا الرّطـل الكبير

ومن أخرى [ من الخفيف ] :

آسقنـي بالكبـار إمّـا بطاسٍ أو بكأسٍ محـرورةٍ أو بجام[٢]
لا تكلنـي إلـى الصغـار التـي تحكـي قواريـر جونـة الحجّـام[٣]
وتقلّـدْ ديوان عشرتـي اليو م بـلا مشـرفٍ وغير زمام

ومن أخرى [ من المنسرح ] :

الشـرب لا الحـرب عادتـي ومعي ستـة رهـطٍ جنـدٌ صناديدُ
الـدنُّ والرّطـل والمشمـة والنّـ ـقـل وطبـلُ التـكريع والعودُ[٤]

---

(١) الراح : الخمر ، وتصدر الهم : تبعده .
(٢) الجام : الإناء الكبير .
(٣) القوارير : إناء مستطيل من زجاج يجعل فيه الشراب والطيب .
والجونة : سلّة صغيرة مستديرة مغطّاة بالجلد تكون مع العطارين ويوضع فيها الطيب .
(٤) النُّقل : ما يؤكل على الشراب من فاكهة أو فستق وما إلى ذلك .

ومن أخرى [ من مجزوء الخفيف ] :

سيدي ما أظنُّهُ  بعد يدري بما جرى
ما درى أنَّ عبدَهْ  فلسه قد تقشّرا
عند قومٍ معروفهم  فيَّ قد صار منكرا
كنتُ كالمسك مرةً  بالدنانير أشتري
فأنا اليوم بعد ما  صرت شيخاً كما ترى
عبدُ من عنده نبيـ  ـذٌ إذا كان أحمرا
خمرةٌ دنُّها يضـ  ـمن مسكاً وعنبرا[1]
كم فمٍ ذاقها فطا  ب وقد كان أبخرا[2]
وغلامٍ بكأسها  راح يسعى وبكَّرا
هو فينا بريحها  عبقٌ قد تعطَّرا
ظلّ يفسو وعندنا  أنّه قد تبخرا

ومن أخرى [ من مخلع البسيط] :

أيلول والعيد واعتدال الـ  ـهواء في اللّيل والنهارِ
وشهر شوال في تكافي  ساعات أيامه القصار
أربعةٌ تقتضيك دين الـ  ـسّماع واللهو والعقار
فاشربْ لها بالكبير إنّ الـ  ـكبير للسادة الكبار

ومن أخرى [ من البسيط] :

والكأسُ تسلبني عقلي ، وأهون ما  لهوتُ عن ذكره عقلي إذا سلبا
حمراء يمسي بناني وهو فوق يدي  منها بمثل شعاع الشمس مختضبا

---

(١) الدنّ : الزق أو وعاء الخمرة .

(٢) الأبخر : ذو الرائحة الكريهة .

ابتعتها غير مغبونٍ ولو طلب الخمار روحي بها أعطيت ما طلبا
وأربح الناس عندي في تجارته محصلٌ يشتري بالفضة الذهبا

ومن أخرى [ من الكامل ] :

يا صاحبيَّ استيقظا من رقدةٍ تزري عقل اللبيب الأكيسِ
هذي المجرَّة والنجوم كأنَّها نهرٌ تدفَّق في حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غسَّلت بنسيمها فعلام شربي الراح غير مغلّس[1]
قوما اسقياني قهوةً روميةً مذ عهد قيصر دنُّها لم يُمسس
صرفاً تضيف إذا تسلّط حكمها موتُ العقول إلى حياة الأنفس[2]

ومن أخرى [ من الخفيف ] :

من شروط الصبوحِ في المهرجانِ خفَّةُ الشغل مع خلوٍّ المكانِ
وحضور الطعام قبل طلوع الشمس مذ أمس بارد الألوان
والعروس التي تزفُّ إلى الأر طال في ثوب صبغها الأرجواني
رسموا طين دنِّها وهو رطبٌ باسم كسرى كسرى أنو شروان
وترى سوسن الكؤوس عليها كسوةً من شقائق النعمان
ثم خفق الطبول بين الأغاني واصطكاك الأوتار في العيدان
والسماع الذي يملّ على الأسماع ما تشتهي بلا ترجمان
كلُّ صوتٍ من اقتراحات إسحا ق التي زيَّنت كتاب الأغاني
لا أعد الصبوح إلاًّ غبوقاً إن جعلت الصبوح بعد الأذان[3]
يا خليليَّ قد عطشت وفي الخمرة ريٌّ للحائم العطشان

---

(١) غير مغلّسة : أي غير قديمة العهد .

(٢) صرفاً : صافية غير ممزوجة .

(٣) الصبوح والغبوق : شرب الخمرة صباحاً ومساءً .

فاسقياني محض التي نطق الوحـي بتحريمها من القرآن

والتي ليس للتأوُّل فيها مذهبٌ غير طاعة الشيطان

واعدلا بي عن التي هدَّت النا ر قواها وخنَّقت بالدخان

إنّني خشيةً من النار أخشى كلَّ شيءٍ يُمسُّ بالنيران[1]

لا تخافا عليَّ دقّة كشحي لاتكال الرجال بالقفزان[2]

فاسقياني بين الدّنان إلى أنْ ترياني كبعض تلك الدنان

مقعداً بعد خفّتي في نهوضي أخرساً بعد كثرة الهذيان

سكرةٌ بعد سكرةٍ تثبت اسمي في المفاليج أو مع العميان

اسقياني في المهرجان ولو كا ن لخمسٍ بقين من رمضان

اسقياني فقد رأيت بعيني في قرار الجحيم أين مكاني

أنا حودابة وذهني صديدٌ تحت خصي فرعون أو هامان[3]

كلُّ شيءٍ قدّمته لي فيه رأس مالٍ يأوي إلى الخسران

غير حبّي أهل الحواميم والحشر وطه وسورة الرحمن[4]

خمسةٌ حبّهم إذا اشتدّ خوفي ثقتي عند خالقي وأماني

قد تيقّنت أنّهم ينقلوني من يدي مالكٍ إلى رضوان

بهمُ قد أمنت خوف معادي وبهذا الوزير خوف زماني

يا أبا طاهرٍ ولولاك ما كا ن لبدر السماء في الأرض ثاني

لك يا سيدي دعا الفطر والأضحى ويوم النيروز والمهرجان

ومن أخرى في بختيار يهنئه بالأضحى [ من السريع ] :

قد صخّب البمُّ مع الزيرِ فقم قليلاً غير مأمور

---

(١) خشية النار : خوفها .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة والصرّة ووسط الظهر من الحسم . والقفزان : جمع قفيز وهو المكيال .

(٣) حودابة : أي العنيد .

(٤) أهل الحواميم : أهل الكساء « الرسول وآل بيته » .

قـم هاتهـا أصفـى إذا رقرقتْ ... في الـكاس من دمعـةٍ مهجور
مـن يدٍ عذراء لهـا وجنةٌ ... تحـار فيهـا أعينُ الحور
تحـدثـت فانتـشـر الـدرُّ من ... مشمَّـةِ النّـرجس والخيري[1]
وعنبـرت أنفاسهـا نكهـةً ... تبسّـم عـن نفحـة كافور
الليل والعشـر يقـولان لي ... مذ أمس قولاً غير مستور
أمسلـمٌ قلـت نعـم ظاهري ... وباطنـي في الخمـر نسطوري[2]
مـن أجـل هذا أنـا مذْ جئتما ... ما بيـن سكرانٍ ومخمور
فاسعـد بيوم العيد واجلس له ... في خلـوةٍ جلسـة مسـرور
وضـحٍّ فيـه بالدنـان التـي ... تخـرُّ بيـن البـمِّ والزير
مـن كلّ دنٍّ دمُّ أوداجهِ ... أحـلُّ من لحـم الخنازير
واستحضـر العـود ووجّـه بـه ... حتـى نصـلّي بالطنابيـرِ[3]
الركعـة الأولـى سريجية ... وركعـة التسـليم مـاخـوري[4]
وهـي صلاة العيد لا يستوي ... تجـوّزي فيهـا وتقصيـري
والله لو كنـت لهـا حاضراً ... لحيَّر العـالـم تكبيـري
فاشـربْ علـى ملكٍ تملّيته ... موشّـحٍ بالعـزِّ منصـور
فـي قدحٍ أزرقَ أو ساذجٍ ... أبيض مثـل الثلـج بلّور
واستجـل مع ذاك وذا أوجهاً ... صبيحـةً مثـل الدّنانير
كأنّمـا عينـك ما بينهُمْ ... تدور فـي زهـرة منثور

ومن أخرى في أبي الفتح بن العميد ، وكان قد هجر النبيذ بعد القبض على

---

(١) الخيري : زهر المنثور الأصفر .
(٢) نسطوري : من النّساطرة طائفة من النصارى .
(٣) الطنابير : من الطنبور آلة موسيقية .
(٤) سريجية : نسبة إلى سريج أحد المغنّين . وماخوري : من الماخور : وهو بيت الرّيبة .

بختيار . وكان ابن بقية الوزير قد شرب وابن الحجاج إذ ذاك يتولى الحسبة ببغداد [ من الكامل ] :

حقّـي علـى الأستـاذ قد وجبا ... فإليه قـد أصبحـت منتسبا
مولاي ترك الشـرب ينكره ... من كان في بغـداد محتسِبا
إن كان من غمٍّ الأمير فلمْ ... وزيره بالأمـس قد شربا
إنّ الملـوك إذا هُمُ اقتتلوا ... أصبحـتُ فيهـم كلـبَ من غلبا
فلـذاك أسـكر غير مكترثٍ ... وألفُّ مع خيشومـيَ الذّنبا
يا سادتـي قد جاءنـا رجبٌ ... فتفضّلـوا واسـتقبلوا رجبا
بمـدامـةٍ لـولا أبوتها ... ما كنـت قطُّ أشـرِّفُ العنبا
حمـراءَ مثـل النـار موقدةٍ ... لم تلـق لا ناراً ولا حطبا
من قال إن المسـك يشبهها ... ريحـاً فلا والله مـا كذبا

ومن أخرى في بعض الوزراء [ من السريع ] :

فُديتَ بي يا سيدي وحدي ... وعشـت ألفـي سنـة بعـدي
قد رحـل النـرجس فاشـربْ على ... محـاسـن المنثـور والـورد
من لي بهـا عنـدك مشمولةً ... قـد أصبحـت معدومـةً عندي
يمـزجهـا لي رشـأٌ أغيدٌ ... بريقـةٍ أحلـى من الشهد(١)
نهـاية الحـرِّ مجسٌ استه ... وريقـه فـي غاية البرد(٢)
جنـى من البستـان لي وردةً ... أحسـن من إنجـازه وعدي
وقـال والـوردة في كفِّهِ ... مع قدحٍ أذكى من الندِّ
اشـرب هنيئـاً لك يا عاشقي ... ريقـي مـن كفّـي علـى خدِّي

---

(١) الرشأ : الغزال .
(٢) مجسٌّ استه : أي وضع اليد عليها .

ومن أخرى [ من المنسرح ] :

يا من حقوق النيروز تلزمُهُ رسمك يوم النيروز مشهورُ
فاسكر من الليل واصطبح سحراً غداً تراني وأنت مخمور
واستنطق الزير إنّني رجلٌ يعجبني ما يقوله الزير[1]

ومن أخرى [ من مخلع البسيط ] :

قمْ فاسقني الراح أو تراني مبلبلُ العقل واللسانِ
إذا تكلّمت لم يُفسَّرْ قوليَ إلاّ بترجمان

وله يهنىء نصرانياً بفصحه [ من السريع ] :

أوجعْ دماغ القرع بالسلقِ اليوم يوم القطع والبلقِ[2]
اليوم يوم الراح يا سيدي فاشرب من الراح كما تسقي
كلْ سيدي واشرب ونك إنّما الـ ـحياة بين الشرب والفسق
وافطر من الصوم على فقحةٍ زبدتها في طرف الزقٍّ[3]
وابقَ سليماً ودعِ الموت لا يجنو على الخلق ولا يبقي

* * *

## ما أخرج من خرافاته في مجونه ومفاحشاته

قال [ من الوافر ] :

سرى متعرِّضاً طيف الخيال فسوَّف لا محالة بالمحال[4]

---

(١) الزير : وتر العود .
(٢) البلق : الفتح ، بلق الباب فتحه .
(٣) الفقحة : الحسنة الخلق ، أو حلقة المؤخّرة .
(٤) سوّف : أخلّ وماطل .

ولكنّي انتبهت فكان حزني على ما فاتني أسوأ لحالي
وما خلق النساء البظر إلاّ وبالاً حيث كنَّ على الرجال
عذيري في الزنا من كلِّ تيسٍ عتيقٍ قد تمرّد في الضلال
يحسِّن لي الحلال فنحن طول الـ ـنهار إذا اجتمعنا في جدال
وليس سوى الزنا همّي ورأيي فبيكار الخصى نيك العيال
وفي النيك الحرام خزعبلاتٌ قليلاً ما تراها في الحلال
وسرمٌ مرَّ مجتازاً بأيري كما صلّى العشا والدرب خالي
فقال له إلى كم تزدريني وتكشف بالقبيح إليَّ بالي
ولم تختار وصل الحرِّ دوني وتكرهني وتعرض عن وُصالي
ألم تر أنَّ شكل البدر شكلي وأنَّ الحرّ معكوس الهلالِ
تأمَّلَ تكّتي فوقي وأين الـ ـوهاد من الروابي والتّلال
فنكّس رأسه أيري طويلاً وفكّر في الجواب عن السؤال
وفكّر ثم قال له إذا لمْ توفَّق للصواب فما احتيالي
أبا الدرّاق ما للحرِّ ذنبٌ إذا فكرت في عذري ولالي
ولكنّي رأيت الحرَّ فينا يسام الخسف حالاً بعد حال[1]
فيقطع أنفه طفلاً وينشو كبيراً وهو منتوف السِّبال
ويلكم شدقه في كلِّ وقتٍ بغير خصومةٍ وبلا قتال
وأنت فسيِّء الأخلاق جداً كما تدري قليلُ الإحتمال
بأوّل خاطرٍ من غير فكرٍ تشرّس من لقيت ولا تبالي
ومدخلةٍ لها ردفٌ سمينٌ وخصرٌ كالهلال من الهزال
يؤذّن في استها أيري أذان الضّحى ويقيم في وقت الزّوال
وتعصف ريح عصعصها شمالاً وهل ريحٌ أرقّ من الشمالي

---

(١) يسام الخسف : يصيبه النقصان والاجحاف .

وقد بادلتها فمبالُها لي بمشّورة استها ولها قذالي[1]
كما لابن العميد جميع شكري ودنيا ابن العميد جميعها لي

ومن أخرى [ من السريع ] :

فحميةُ السّرم ولكنّها البظراء شيرازية المفرق
قالت لأيري بعد ما صبّ في دواتها أكثر من دورق[2]
أوحشت عشّ استي فقل لي متى تؤنسه يا عنق اللّقلق
فقال هيهات وهل يرجع اللصُّ إذا فرّ من المطبق

ومن أخرى في حسبته [ من السريع ] :

يا معشر الناس اسمعوا دعوةً دخّالةً بالنصح خرّاجه
من منكمُ طار على حسبتي قطعت بالدّرة أوداجه[3]
لأنّه أقرنُ ليستْ له بعديَ في زوجته حاجه
كأنّ أيري في آستها زمجٌ يطلب بين الشوك درّاجه[4]

ومن أخرى [ من السريع ] :

جاريةٌ أرض نبات استها رقيقةُ التربة خوّاره
تسيح في جانب مفساتها عين خرا بالعرض خرّاره
كأنّ لي منها على عاتقي كراع شاة فوق قنّاره[5]

(١) القذال : يعني ذكره .
(٢) الدروق : مكيال للشراب .
(٣) الحسبة : منصب كان يتولاّه مسؤول عن مراقبة الأسعار .
(٤) الزّمج : الغضب ، وزمج على القوم دخل بغير إذن منهم .
(٥) القناره : القنور : الضخم الرأس ، والطويل .

ومن أخرى [ من المنسرح ] :

وقينـةٍ كلٌّ مـن يعاشرها مغتبـطٌ بالسـمـاع مسـرورُ
مبـرودة الـرّيق بعـد هجعتها وجوفهـا في الفـراش محرور
كأن تنّورهـا الشـديد حمى بقـرب عهـد الشبـاب مسجور[1]
تشـمُّ ريح استهـا الزنـاة كما تشـمُّ ريح اللحـم السنانير
فجوفهـا قربـةٌ وفـي حرّها خنـدق بول وبظرهـا سور

ومن أخرى [ من السريع ] :

ولـم أزل وهـي إلـى جانبي كظبيـةٍ عفـراءَ وحشيَّهْ
أنـبٌّ مثـل التيس فوق استها وهـي بحـال النيـك تيسيّه

ومن أخرى [ من الوافر ] :

صمـدت لهـا وجنـح الليل داجٍ بأخـطـف للطـريدة من عقابِ
وأولـع بالمباعـر مـن قرادٍ وأوقـع فـي المقـاذر من ذباب

ومن أخرى [ من الوافر ] :

فتـاةٌ ما عرفنـا قطُّ منها بحمـد الله إلاّ كلَّ خيرِ
فمـا تهـوى سوى أيار شهرا وليس إمامهـا غيـر الزبير

ومن أخرى [ من السريع ] :

قالـوا رأينـاك بمـا فيك من هشـاشـة الفـطنة والكيـسِ
تحبـو إلـى باب آستهـا مثـل ما يحبـو ابـن عامين إلـى الدّيس[2]
فأيُّ شيءٍ كان قلـت الذي يكون بيـن العنـز والتيس

---

(١) مسجور : موقد .

(٢) الدّيس : الغابة المتلبّدة « أو الوطء والجِماع » .

وقال [ من مخلع البسيط ] :

يا سادتي ما استرقَّ ديني شيءٌ كمثل الحرِّ السمينِ
لمّا أراه يزول عقلي عنّي ويعتادني جنوني
وأشتهي أنْ أغوص فيه من مشط رجلي إلى جبيني
وكلّما شلتُ منه رأسي رزقت قوماً يغوّصوني
أغيب شهراً فلا تراني العيون والناس يطلبوني
حتى إذا كان بعد شهرٍ دلَّ على موضعي أنيني
فديته كالعروس يجلى في دست وردٍ وياسمين
جبينه الصّلت من حديدٍ وشدقه الرخو من عجين
وخير ما يقتنيه أيري صلابةٌ بُطِّنت بلين

وله [ من مجزوء الرجز ] :

يا صاح فاشرب واسقني من الشراب العكبري[1]
مع أمردٍ عصعصهُ يجيد بلع الكمر
أو قينةٍ طنبورها المحفوف صلب الوتر
حوريةٌ قد شربت بالرطل ماء الكوثر
من الجنان وجهها وسرمها من سقر[2]
لها حرٌ كأنَّه وجه غلام خزري[3]
ذو شعرةٍ أطرافها شبه رءوس الإبر
أصيح في نيكي لها تقدَّمي تأخّري

---

(١) العكبري : من العكبر : شيء يجيء به النحل على أفخاذها وأعضادها فتجعله في الشهد مكان العسل .
(٢) سقر : جهنّم .
(٣) الخزر : جماعة من التتار .

أحسنــت لي هم، هكذا مُـدِّي وشـدِّي واعصـري
العيش مـا أطيب ذا يــا مهجتي يا بصـري
لمثــل ذا الـوقـت انتفي أو احلقـي أو نـوّري

ومن أخرى [ من مخلع البسيط ] :

صــبيةٌ بظــرهــا بجنبي يبيت مثــل الصبــيِّ المخضَّبْ
مفعـول بـاب استهـا بـأيـري الــــــفـاعـل فــوق الفـراش ينصبْ
وسرمهـــا كان أمس غرّاً لـم يتفقّــه ولا تأدّبْ
فــاليوم قد صار منــذُ قاسى أمــور أهــل الزِّنــا وجرَّبْ
إذا رأى الأير من بعيدٍ بوَّق في وجهــه ودبدبْ

ومن أخرى [ من البسيط ] :

تبــول من شدق مهــزولٍ به عجفٌ وقــد تفقّــا عليه بظرهــا سمنا[1]
ترغــي وتزبــد شدقــاه إذا اختلفا كأنَّــه شدق مفلــوجٍ حســى لبنا[2]

ومن أخرى [ من الخفيف ] :

ذات حمٍ يسقــي الفراغــات صرفاً من عصير الخصــي بغير مزاج
بات دكشــاب فيشتــي في خراها يخلــط الدوغبــاج بالزيرباج[3]

وقال [ من مجزوء الرجز ] :

لــو أنَّ سرمــاً كان في يديــه ملــكُ اليمــن

---

(١) تفقا : تشقّق .

(٢) حسى : شرب .

(٣) الدكشاب : رأس الـذّكر ، والـدوغباج والـزيربـاج : لغة فـارسية . الـدوغباج : تعني : المنيّ والمخيطي ، والزيرباج : المختّر الذي في أمعائها .

لكان أولى منه بي قطعةُ بظرٍ عفن

وقال [ من مخلع البسيط ] :

عمرك الله يا ابن عمروٍ عمر ثلاثين ألف نسر
وجهك عند الصباح شمسي وأنت عند المساء بدري
مولاي ذا اليوم يوم سعدٍ أشرف عندي من ألف شهر
نذرت فيه إذا التقينا سكراً إلى الليل بعد سكر
مع قينةٍ لا تريد غيري فهي تجيني بغير حذر
أيري على أنَّه طويلٌ أقصر من بظرها بشبر
لصوف شعر استها مدادٌ يعجنه بولها بحبر
فأيّ شيءٍ تقول هو ذا أقوم حتى أفي بنذري

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

ضرطتْ ونحن بعكبرا فتشوَّشتْ سفن الغروبِ
وفست على ريحِ الشما ل فألحقتها بالجنوبِ
ومسحتُ مبقلةَ استها فوجدتها ألفي جريب
جاءت إليَّ وجوفُها يغلي ولا قدرُ الزبيب
فسلقت بيضي في آستها وشويت في حرِها عسيبي[1]

ومن أخرى [ من المنسرح ] :

وكم حديثٍ كأنّه سمرٌ قد مرّ لي في الزّنا مع السمر
وافرة الرّدف فهو يثقلها لطيفةُ الكشح نضوة الخصر[2]
طعم خراها مع طعم فيشلتي يشبه طعم اللّبا مع التمر

(١) العسيب : عظم الذنب « ويعني به قضيبه » .
(٢) نضوة الخصر : هزيلته .

لو لم أشبّبْ بشعر عانتها ما طاب للناس كلهُمْ شعري[1]
قيل لأيري وقد رأوه ولا الهارب بعد الحصول في الأسر
يشتدُّ بعد العشا إلى حرّها عدواً بلا حشمةٍ ولا فكَر
ما لك هوذا تطير قال لهم أطير مستعجلاً إلى وكري
ولي خصىً لو خرجت أعرضه اشتراه منّي بروحه درّي
ايري عليه كأنّه وتدٌ قد علقت فيه دبّة البزر[2]

ومن أخرى [ من مجزوء الكامل ] :

يا ويحكم واللحم يعرض والبزاة على الكنادر[3]
قوموا بنا نحشو البظو ر بفيشنا حشو المساور
نبدا بكرّاعاتهم ونعود نعثر بالزوامر
ثم الحوافظ إنهنّ عجائزٌ شمطٌ عواهر
أحراحهم بيض العنا فق واللّحى سود المباعر[4]
كشيوخ أصحاب الحديث إذا تمشّوا بالمحابر

ومن أخرى [ من السريع ] :

أنا ابن حجاج إليه أبي يُنمي وقلبي من بني عذره
لم يخل جسمي في الهوى من ضنىً قطُّ ولا عيني من عبره
حبائبٌ مثل حصى عكبرا والرقبا مثل نوى البصره
حامضة البول ولكنْ لها مستنعَظٌ أحلى من التمره[5]

---

(١) العانة : الشعر الذي ينبت حول الفرج .
(٢) دبّة البزر : ظرفٌ للبزْر والزّيت .
(٣) الكنادر : مجثم البازي .
(٤) الأحراح : جمع حر ، والعنافق : شعرات صغار بين الشفة السفلى والذقن .
(٥) المستنعظ : يعني به « بضع المرأة » .

لهـا حرٌّ درّتـه جرّةٌ ومبعـرٌ روثته صخره
فمـا تلاحظنـا سوى مرّةٍ حتـى أتـى الشيخ أبـو مرّه[1]

* * *

## نبذ من ملحه القصار من أخباره

كان قد دعا مغنية ، فلما دارت الكؤوس تساكرت عليه وتناومت وهو جالس ، فقال [ من مجزوء الرمل ] :

غـطّتِ البـظراء لمّا عاينـت مفتاح ديـري
ورجـت منّـيَ خيراً قلـت لا ترجين خيري
اقعـدي عنـدي وهذا فافعليـه عنـد غيـري
أنـت في دعـوة أذني لسـت في دعـوة أيري

وحصلت عنده مغنية كان يتعاشق لها . ونام ابن حجاج ، فتفرقع ظهره فغضبت وانصرفت ، فقال [ من السريع ] :

قـد غضبـت ستـي وقـد أنكرت قرقعـةً تظهـر في ظهري
وليس لي ذنـبٌ ولكنّني أضـرط بالليل ولا أدري
فليت شعـري وهـي غضبانةٌ من حجرهـا أضـرط أم حجري

وأنا أستظرف كنايته بالفرقعة عن الضراط .

ودعا مغنية ، فخلا بها ، فهجمت عليه صديقه له ، فتضاربتا وتجارحتا وطال بينهما الشر . فقال [ من الخفيف ] :

رحـم الله من أتانـي بموسى فتقصّـى بحـدّه جبّ أيري[2]

---

(١) أبو مرّة : هو إبليس ، وكنّي بمجيئه على حصول ما يغضب الله .
(٢) جبّ : قطع .

كلٌّ يومٍ أغضــي له عن جنايا تٍ كأنّ الحــديث فيهــا لغيري
ولعمــري كم من صبــاحٍ بشرٍ كان لولاه قد جرى لي بخير

ووردت عليه رقعة صديقين له يدعوانه للشرب وابنه قد جدر وملح فكتب إليهما [ من المنسرح ] :

يــا سيدي النبيذ موجود وبــابُ شرب النبيذ مسدودُ
قدْ مَلُــح ابنــي فكيفَ يشــربُ مَنْ أمسى ولحــم ابنــه تمكسود[1]

وعرض له صداع ،فانفرد إخوانه بالشرب مع مغنية كان قد اشترطها، فكتب إليهم [ من الوافر ] :

حصلــت أنـا الشقــيُّ علــى الصداع وأنتـم بالتمتُّــع والسُّمـاعِ
خلوتــمْ بالتــي قلبــي إليها شديدُ الشــوق مشهــور النّزاعِ[2]
فتــاةٌ أصبــح الإجمــاع فيها يقــرّ بأنّهــا شرطُ الجمــاعِ[3]

وحصل مع رجل يكنـى أبـا الحسين في دار رجـل بخيل ، فالتمس أبـو الحسين العشاء بعد الغداء ، فقال ابن حجاج [ من مخلع البسيط ] :

يا سيدي يا أبــا الحسين أنــت رفيعٌ بنقطتينِ
يا كلــب الضّــرس ما يداوي ضرســك إلاّ بكلبتيــن
ويلك قل لي جننــت حتّى نلتمــس الخبــز مرّتيـن
فــي دار من خبــزه عليه ألف رقيبٍ بألف عين

وحضر في دعوة ، وأخر الطعام ، فقال [ من الكامل ] :

يا صاحــبَ البيت الذي أضيافه ماتـوا جميعـا

(١) كذا ، ولم يتجه لي عجزه .
(٢) النزاع : الميل .
(٣) شرط الجماع : أي صالحة للمعاشرة .

حصَّلتنا حتى نمو تَ بدائنا عطشاً وجوعا
ما لي أرى فلك الرغيف لديك مشترفاً رفيعا[1]
كالبدر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعا

ونظر إليه يذهب ويجيء في داره ، فقال [ من السريع ] :

يا ذاهباً في داره جائيا بغير معنىً وبلا فائده
قد جُنَّ أضيافك من جوعهمْ فاقرأ عليهم سورة المائده

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية وليها ، فكتب إليه [ من الوافر ] :

أيا من وجهه قمرٌ منيرُ يضيءُ لنا وراحته السحابُ
إذا حضر الحساب أعدت ذكري وتنساني إذا حضر الشّراب
أجبني بالقناني والمثاني ووجهك إنّه نِعمْ الجواب
وكِلني في الحساب إلى إلَهٍ يسامحني إذا وضع الحسابُ[2]

وركب إلى بعض الرؤساء يهنئه بعيد النحر ، فلم يصادفه ، فكتب إليه [ من الوافر ] :

أيا من وجهه كالشمس توفي فيمحق نورَهُ بدرُ التمام
لعيد النّحر أيامٌ قصارٌ تلمُّ بنا اجتيازاً كلَّ عامِ
أُمرنا كلّنا بالنيك فيها وأكل الطيبات وبالمدام
فقيل لنا اشربوا وكلوا ونيكوا حلالاً أو على وجه الحرام
وما قيل اقطعوها بالتهاني وتكرار التحايا والسلام

---

(١) المشترف : أي المشرف العالي .
(٢) كلني : دعني ووكِّل بي .

فيا طوبى لمن صلُّوا قعوداً ونـاكوا في الكواشـلِ من قيام[1]
وقـد بكَّرتُ أمسِ علـى كميتٍ يقصّـر خطـوه طول المقام[2]
جريح الجنـب من ضغـطِ الحزام قريحِ الفـكِّ من مضـغ اللجام
فإن أنـا لم أعـدْ فالله أولى بعـذري ثم أنت بلا كلام

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها ويصف حسنها . فأمره بالإجابة فقال [ من السريع ] :

يا ذا الـذي جاء بِحـرٍّ له في الســرِّ يهـديه إلـى أيري
علـيَّ شغـلٌ بالمهـمِّ الذي تراه فاطلـب نايكاً غيري

وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر ، وكان مستهتراً بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج ، فقال [ من السريع ] :

إيّـاك والعفـة إيّاكا إيّاك أن تفسـد معناكا
أنـت بخيرٍ يا أبـا جعفرٍ ما دمـت صلـبَ الأير نيّاكا
فنِكْ ولـو أمّـك واصفـع ولـو أبـاك إن لامـك في ذاكا

وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبـو الفـرج قد خلـوا في الـديوان لعقوبـة أصحاب المهلبي عقب موته ، وأمرا ان تلوث ثياب النـاس بالنفـط إن قربـوا من الباب ، وقد كان المهلبي فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحجب وخاف النفط فانصرف فقال [ من مخلع البسيط ] :

الصفــح بالنفــط في الثيابِ ما لم يكن قطُّ في حسابي
ليس يقــوم الوصـول عندي مقـام خيطـين من ثيابي
يا ربّ من كان سنّ هذا فزده ضعفـاً من العذاب

---

(١) الكواشل : الفياشل الضخمة ، وكاش جاريتُه : جامعها .
(٢) الكميت : من الخيل الذي بين الأسود والأحمر .

فـي قعـر حمـراء ليس فيها غير بنـي البظـر والقحابِ
تفعـل في لحمـه المهرّي ما يفعـل الجمـر بالكباب
فالقـرد عنـدي يجـلُّ عمَّنْ يسـنُّ هذا علـى الكلاب

ووردت عليه رقعة خصم له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتاً منها [ من الكامل ] :

إنّـي جعلـت إجابتـي في ظهرها عمـداً ليمـكن فضُّهـا في المجلس[1]
كانـت كنيفـاً فائضـاً فزرعـت في ظهـر الـكنيف حديقـةً من نرجس

وكان ابن شيراز قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله ، فكتب إليه ابن حجاج [ من مخلع البسيط ] :

يا من إلـى مجـده انقطاعي ومـن بـه أخصبـت رباعي
قـد زاد خوفـي عليك جدّاً وعظّـم الأمـر فـي ارتياعي
فـي كلِّ يومٍ سبـعٌ جديدٌ ينفـر مـن ذكره استماعي
تغـدو إليه بـلا احتشامٍ ولا انقبـاضٍ ولا امتناع
وليس قتـل السّبـاع ممّا يدرك بالختـل والخـداع[2]
فـلا تطـر بعـدها لسبعٍ مراسـه غيـر مستطـاع
إن صراع السبـاع عنـدي حاشـاك ضربٌ من الصّداع
آعـدلْ إلـى الـكأس والندامى والأكل والشُّـرب والسِّمـاع
وأمـردٍ جـامـعْ لـشـرط الـعـنـاق والـبـوس والـجـمـاع
بلـى أجـع لي السبـاع واطرح خصـمـي فـي بركة السباع
فـإنَّ عيشـي في أنْ أراه بيـن سبـاع الرُّبـى الجيـاع

---

(1) فضُّها : فتحها .
(2) الختل : الخداع والتستُّر .

وكان سأل بعض الرؤساء أن يتكلم في أمر كان له فوعده ثم أمسك وسكت فقال [ من السريع ] :

يا صنماً يعبده شعري بلا ثوابٍ وبلا أجر
إن لم تكن دبّاً فخاطبهم بلفظة تسمع في أمري
انطق بنفسٍ قبل أن يحسبوا أنّك من طين وآجرّ[1]

وقال وقد عرضت له علة صعبة، ثم صلح بعد اليأس ، فكتب إلى بختيار [ من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت في نعيمٍ حلو الجنى دائمِ المسرَّهْ
عبدك يشكو إليك حمّى قد سبكته الصفراء نقره
حمّى لتنورها وقودٌ يزيد في اليوم ألف سجره[2]
قد حفرت تربةً لصيدي فكدت منها أصير صبره
علّة سوءٍ كانت تريني نفسي فوق الفراش حسره
طالعني الموت من زوايا برسامها ألف ألف مرّه[3]
قد نصب الفخَّ لي ولكنْ أفلتُّ من فخّهِ بشعره

وقوله [ من السريع ] :

يا سيّدي دعوةُ من قلبُهُ من خوفِ ما مرّ به يخفُقُ
قد نصب الفخَّ لصيدي أبو يحيى ولكن أفلت العقعق[4]

وقلده الوزير ناحية ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتاب الصرف يوم

---

(١) الآجر : القرميد .
(٢) سجره : من سجر النار أي زادها وقوداً.
(٣) البرسام : علّة يهذى فيها .
(٤) العقعق : طائرٌ كالغراب ذو لونين أسود وأبيض طويل الذنب .

الأحد ، فقال [ من مجزوء الكامل ] :

يا مَنْ إذا نظر الهلا ل إلى محاسنه سجدْ
وإذا رأته الشمس كا دت أن تموتَ من الحسد
يوم الخميس بعثتني وصرفتني يوم الأحد
والناس قد غنّوا عليّ كما رجعت إلى البلد
ما قام عمروٌ في الولا ية ساعةً حتى قعد

وقال في مثل ذلك [ من المنسرح ] :

يا مالك الصدر ما خلوت من الـ إيراد ما عشت فيه والصّدر[1]
قلّدتني ليلةً وباكرني كتاب صرفي المشوم في السّحر[2]
فقد بختي فكيف درت به دوّر لي جانب استه وخري

وقال ، وقد حجبه بواب لبعض الرؤساء مرات فكتب إليه [ من السريع ] :

قولا لمن إحسانه لم يزل شفاء علاتي وأوصابي[3]
بي علّةٌ تقطع أسبابها من راحة الصّحة أسبابي
أخفيت ما بي اليوم منها فما تطلّع الناس على ما بي
وليس يشفيني سوى نهشةٍ من قطعةٍ من كبد بوّاب
تبيت فيها وهي مشبوبة بالنار أضراسي وأنيابي[4]
فامنن بأن تذبحَ لي واحداً بالنعل في دوّارة الباب
فنقطةٌ من دمٍ أوداجه أنفع لي من رطل جلاّب

* * *

(١) الايراد : ورود الماء للارتواء ، والصدور : العودة عنه بعد الارتواء .
(٢) المشوم : أي المشؤوم الملعون .
(٣) الأوصاب : الأمراض .
(٤) مشبوبة : متّقدة .

## ملح من نوادره في ذكر الصفع

قال [ من السريع ] :

يا سخن العين التي لم تزل ... تعيش في الناس بلا عقلِ
إن لم تزن نفسك مستأنفاً ... والخوف بين القول والفعل
حلٌ بيافوخك منّي الذي ... يحلُّ يوم العيد بالطبل
لا تجهل اليوم على من له ... معرفةٌ بالعقل والجهل
فتىً وإن زلّت به نعلهُ ... أصفع خلق الله بالنّعل

وقال [ من الرمل ] :

هاربٌ منّي وقد خاف العمى ... بقفا للنعل بادي المقتلِ
وبكفّي شمشكٌ منتعلٌ ... والقفا حبر الشمشك المنعل[1]

وقال [ من المنسرح ] :

في البيت لي درَّةٌ يحدّث عنْ ... أفعالها الموغلون في الشارع
تأكل لحم القفا السمين كما ... يأكل رز البهطة الجائع[2]

وقال [ من الخفيف ] :

ربَّ مستصفعٍ نسخت بنعلي ... بين أجفانه شروط القوافي
كلُّ نهب الطلى مباح حمى الرأ ... س حريب الآذان والأكتاف[3]
فاتق الله في غطاريف أذنيك وأعصاب أخدعيك الضعاف[4]

---

(١) الشمشك : نوعٌ من الأحذية .
(٢) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسّمن معرّب من الهنديّة .
(٣) الطلى: الخمر ، والحريب : المسلوب .
(٤) الغطاريف : الغطرفة : الخيلاء والعبث ، والأخدع : عرق في العنق .

وقال [ من السريع ] :

قل لابـن حسنـون ومـا زال من تعجـرفٍ يصـغـو ويستعفي
أمـا ترى رخٌ يدي جائلاً وشـاه أذنيك علـى الكشف[1]

وقال [ من المنسرح ] :

قد وقـع المنـع والحجـاب معاً فكلٌ من رام بابَـكُمْ صفُعا
وافيتـه طامعـاً لأدخلـه ولـم أكن قط أحمـد الطمعا
فواثبـونـي جهـلاً بمرتبتـي في حيث أشـكو الصّـداع والصّلعا
لا تطلبـوا بعـدهـا مواصلتي فإنّ حبـل الوصـال قد قُطِعا

وقال وقد صرف عن عمل كان إليه [ من المنسرح ] :

قال وأجفـان مقلتيه تكِفْ وجسمـه ظاهـر السقـام دنِف
أعمالنـا هذه التـي كثـر الـ إرجـاف فيهـا بنـا فليس تقف[2]
قد صرفونـا عنهـا فقلـت لهم نعـم وصـادف عين واو نون ألفْ

وقال [ من مخلع البسيط] :

قلـت وقـد جاء حرّ شاذا لأي معنـى قد جاء هذا
قالـوا لصفـع العِبـاد حتّى يجعـل أقفاءهـم جذاذا[3]
فقمـت وابنـايَ يتبعاني ننسـل من بينهـم لواذا[4]

* * *

(١) الرخ والشاه : من أدوات الشطرنج .
(٢) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .
(٣) الجُذاذ : المقطّع المكسر .
(٤) لواذاً : إحتماءً .

## نبذ من ذكر سرقاته

من ذلك قوله [ من المنسرح ] :

شيخٌ فتـىً والشبّـاب أكثرهم     قـد علـم الله غير فتيان

من قول كثير [ من البسيط ] :

يا عزُّ هل لك في شيخٍ فتـىً أبداً     وقـد يكون شبـابٌ غير فتيان

وقوله [ من الوافر ] :

وأولاد الحرائـر لم يجابوا     لديَّ فكيف أولاد القحابِ

من قول دعبل [ من الكامل ] :

إنـي لأهجـو من يجـود بماله     أتظننـي أدع اللئيم الواضعا

وقوله [ من الوافر ] :

علـى أنّـي أظنُّـك سوف تنجو     بعرضـك من يدي منجـى الذئابِ

من قول أبي الزيات [ من المتقارب ] :

نجا بـك لؤمـك منجى الذئاب     حمتـه مقـاذره أن ينالا

وقوله [ من الوافر ] :

وأحسـن ما رأينـا قطُّ راحاً     إذا كانـت مطيَّة كأس راحِ

من قول أبي تمام [ من الكامل ] :

راحٌ إذا الـرّاح كنَّ مطيَّها     كانـت مطـايا الشـوق في الأحشاء

وقوله [ من الوافر ] :

سُتِـرتُ بظلّـهِ من ريبِ دهري     فعـزٌ علـى النوائـب أن تراني

من قول أبي نواس [ من الطويل ] :

تستَّرت من دهــري بظـلٍّ جناحه ... فعينــي ترى دهــري وليس يراني

وقوله [ من الكامل ] :

أمشــي بقلبــي، لا برجلــي ، إنَّما ... تمشي بحسب هوى القلـوب الأرجلُ

من قول اللجلاج [ من الطويل ] :

ومـا زرتـكم عمـداً ولـكنَّ ذا الهوى ... إلى حيث يهوى القلب تهوي به الرجلُ

وقوله [ من الوافر ] :

وخمَّــارٍ أعــدَّ الـكأس ظئراً ... لطارقــه فلــم يرضعــه غيلا[1]

أوفِّيهِ خلاص التبــر وزناً ... فيسبــكه ويعــطينيه كيـلا

من قول ابن المعتز [ من المتقارب ] :

وخمّــارةٍ مــن بنــات المجوس ... ترى الــزقَّ في بيتهــا شائلا[2]

وزنّــا لهــا ذهبــاً جامداً ... فكالــت لنـا ذهبــاً سائلا

وقوله [ من الوافر ] :

فتــاةٌ كالمهــاة تروق عينـي ... مشاهدهــا وتفتُــنُ من رآها

تــكاد تردُّ للمجبــوب أيراً ... وتحــدث للفتــى العنّين باها[3]

من قول جحظة [ من مجزوء الكامل ] :

لـــو مـــرّ بـالأعمـى لأبــصـــر أو بعنّيــنٍ لأنعــظ[4]

(١) الظئر : المرضع غير الأم . والغيل : اللبن الذي ترضعه المرأة وهي حامل.
(٢) الشائل : أي الذي ارتفعت قوائمه عند الملء أو النفخ ، يريد هنا ان الزق ممتلىء .
(٣) المجبوب : المقطوع الذكر. والعنّين : العاجز جنسياً. وباهاً : نكاحاً .
(٤) أنعظ : انتصب وقام .

## نبذ مما تكرر من معانيه

قال [ من السريع ] :

وفـي فمـي سكرةٌ حلوةٌ    قـد نغَّصتهـا لـوزةٌ مرَّه

وله [ من السريع ] :

واللّـوزة المـرَّةُ يا سيدي    يفسـد في الطعـم بهـا السُكر

وله [ من السريع ] :

كأنَّـه وهـو إلـى جنبها    سكرةً مـع لوزةٍ مرّه

وله [ من المنسرح ] :

نبّهـت منـه لحاجتـي عمراً    ولـم أعـوّل منـه على عمرو

وله [ من المنسرح ] :

فمـا استجـارت بعمـرو مظلمةٌ    بل حين جاءتـك أنـت يا عمر
فالشّعـر قد صار فيهـا وأتى    مع ذا بتفصيل ذلك الخبر

وله في عكس المعنى [ من السريع ] :

ولـم تنبِّه عمـراً حاجتي    بل وقعـتْ منـك علـى عمرو

وله [ من المنسرح ] :

خيـر السـتـور التـي نعلّقها    سـتـر خصـىً مسبـلٍ علـى حجر
والقـدر إن لمِ يكنْ لهـا طبقٌ    لم يتهـرَّ العصيبُ في القدر[1]

---

(١) العصيب : الصلب الكثير العصب من اللحم .

وله [ من المنسرح ] :

ولـم تر العين قطُّ أحسـن مِنْ ستـر خصـىً مسـبلٍ علـى حجر

وله [ من الخفيف ]:

كـتبت رقـعـةً إلـيَّ وقـد عـبّـت بسـطرٍ مقـرمطٍ خـلف سـطر
يا فتـى سـترُ باب سرمـي خصاهُ هات قل لي متـى تعلـقْ بستري

وله [ من الوافر] :

أحـنُّ إذا رأيت الحـرّ ليلاً بجنبـي وهـو منتـوفٌ نظيفُ
ولا آبـاه إن هو جاء يوماً وفـي رأس الكلاجـق منـه ليف[1]

وله [ من مخلع البسيط] :

فـاستـأذنيـهِ غـداً وعـودي إلـيَّ منتـوفـةً نظيفـه
فقـد تبيَّنت فـوق رأس الـحـرّ ذي الـزوزك لـيفـه[2]

وله [ من المنسرح ] :

بيضـاءُ وهـجُ استهـا يفـور حمى وريقهـا العـذب باردٌ خصـرُ

وله [ من السريع ] :

بريقـةٌ كالثّلـج مبرودةٌ ومبعـرٌ كالنّـار محـرورُ[3]

وله [ من السريع ] :

نهـاية الحـر مجسّ آستها وريقهـا في غاية البرد

---

(١) الكلاجق : ما يحيط بالفرج .
(٢) الزوزك : القصير « البظر » .
(٣) البريقة : البيضاء المتلألئة أو الحسناء من النساء .

وله [ من مخلع البسيط ] :

للبـزد في ريقـه كزازٌ وللحمى في آسـته حريقُ

وله [من مخلع البسيط] :

يا زوج من ريقهـا حميمٌ وريـق مفسـائها صقيعُ[1]

وله [ من الخفيف ] :

وغـلامٌ شظّـى بكرفس مفسا ه قديمـاً أسنَّـةُ الأقـلام[2]

وله [ من الخفيف ] :

لا ترى كرفسـا علـى باب مفسا ه يشـظّي بصـوفه الأقلامـا

وله [ من الخفيف ] :

ودواة اسـتهـا بصـوفٍ ولا اللّيـفُ يُشَـظّـي أسـنّـة الأقـلام

وله [ من الرمل ] :

كلّمـا استمـددت من سرمها شعَّـب ستّـي قلمـي الكرفسُ

وله [ من السريع ] :

فـديت من لقّبنـي مثلما لقّبتـه والحـق لا يغضبُ
إن قلـت يا عرقـوب أطمعتني قال فلـم نفسـك يا أشعبُ

وله [ من السريع ] :

وعدتنـي وعـداً وحاشـاك أنْ تروغ منـه روغـة الذيبِ[3]

---

(١) الحميم : المستعر ، والحار .
(٢) شظّى : قطّع وشقّق،|والكرفس : القـطن. وتكرفس الرجل : انضم ودخل بعضه في بعض .
(٣) تروغ : تتهرّب .

مـا كنـت إذ أطمعتنـي أشعباً فيه ولا أنـت بعرقوب[1]

* * *

## ما جاء له في التضمين

قال ، وقد كان غاب عن الحضرة مع الوزير ثم عاد فلما قرب توقف عن الدخول [ من الوافر ] :

أيا مولاي دعـوة مستغيثٍ قد التهبـتْ جوانحـه بنارِ
أغثنـا بالـرحيل غداً فإنّا من الشـوق المبـرّح في حصارِ
وأبـرحْ ما يكون الشـوق يوماً إذا دنـت الـدّيار من الدّيار

وقال [ من ] [ البسيط ] :

قد قلت لمـا غدا مدحي فمـا شكروا وراح ذمّـي فمـا بالـوا ولا شعروا
علـيَّ تحـت القوافـي من معادنها ومـا علـيَّ إذا لم تفهـمِ البقر

وقال [ من الوافر ] :

ولـم أطـرب إلـى عذراء رودٍ بهـا عن وصـل عاشقهـا نفارُ
ولا غـرثى الـوشـاح كـأنّ ورد الـــحيـاء بـوجنـتيـهـا الجلّـنار[2]
بنفسـي كلُّ مهضـومٍ حشاها إذا ظلمـت فليس لهـا انتصارُ
ولكنّـي طربـت إلـى خليلٍ سمحـت ببذلـه ولـي الخيار
فلمّـا أن مضـى في حفـظ من لا يضيّعـه وشـطَّ بـه المزارُ
ندمـت ندامـة الكسعـي لمّا غدت منـه مطلقـةً نـوارُ
فعينـي ما تجفُّ لهـا دموعٌ وقلبـي ما يقـرُّ لـه قرار

---

(١) أشعب : رجلٌ مشهور بحبّ الطعام ،وعرقوب : هو ابن صخر ، أو ابن معبد بن أسد من العمالقة ، أكذب أهل زمانه ، وأصبح يضرب به المثل في عدم الوفاء بالمواعيد فيقال : كمواعيد عرقوب .

(٢) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

وقال [ من الخفيف ] :

سيدي إن أقمت بعدك بالصعد فقلبي عليَّ غير مقيمِ
غير أنّي أقول بالرغم منّي فلعلّي أكفُّ بأس همومي
من يكن يكره الفراق فإنّي أشتهيه لوقفةِ التّسليم

وله يخاطب ابن بقية ، وقد حجب عنه وهو على الشراب [ من مخلع البسيط ] :

بحقّ رأس الأمير مثلي يظمأ في دولة الأميرِ
فما لكم تشربون دوني ولست في جملة الحضورِ
قد قلت لما حجبتموني فاشتدّ من بابكم نفوري
إن دام هجرانكُمْ على ذا طويتُ من بينكم حصيري

وقال [ من الخفيف ] :

صاح أيري ورمحه فوق خصييه ولا رمح ضمرةَ بن هلال
قرّبا مربط النعامة منّي لقّحت حرب وائلٍ عن حيال
ثم أهوى بطعنةٍ بات منها سرم ستّي ذاك الشقيُّ بحالِ
فتولّى يقول وهو طعينٌ دمه مع خراه مثل البزال[1]
لم أكن من جناتها علم الله وإنّي بحرِّها اليوم صالي

وقال [ من الخفيف ] :

أسفر الصبح فاسقياني وقد كا ن من اللّيل وجهه في نقابِ
وانظر اليوم كيف قد ضحك الـ ـزّهر إلى الروض من بكاءِ السَّحاب
إنّ صحوي وماء دجلة يجري تحت غيمٍ يصوبُ غير صواب[2]

---

(١) البزال : يقال بزل الإناء شقّه أو ثقبه .
(٢) يصوب : يمطر .

اتركاني ومن يعيِّرُ بالشيب وينعي إليَّ عهد الشباب
فبياض البازيِّ أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

وقال في ابن العميد يودعه ويصف الفرس ويذمه [ من الخفيف ] :

أيُّها السيِّد الذي طاب في المجد فروعاً كريمةً وأصولا
لو مشى بي الشّيخ الفرق لسابقتك سيراً إلى الوداع ذميلا[1]
فتجاوزت خانقين وخلّفت ورائي على الطريق جلولا
لكن الشيخ كان جذعاً من الخيل طريّا فصار جذعاً طويلا[2]
كلّما سار سال دمع مآقيه ومن حقٍّ دمعه أن يسيلا
مستغيثاً يصيح تحتي ضراطاً مزوجاً في طريقه وصهيلا
أبصر القتّ وهو يجري فغنّى بعد ما كاد عقله أن يزولا[3]
أزجر العين أن تبكي الطلولا إنّ في القلب من كليبٍ غليلا

وقال يصف ضعف فرسه [ من البسيط] :

يسومني المشي مضطراً وليس له المسكين بالمشي شبراً واحداً جلدُ
ما كلَّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدٌ إلاّ بما تجدُ

وقال ، وقد حجب مع جماعة من الكتاب [ من الكامل ] :

قد قلت لما أن رجعت مولّياً ومعي مدابيرٌ من الكتّابِ
نحن الذين لهم يقال وكلّنا فلّ العصا وطريدة الحجاب
قومٌ إذا قصدوا الملوك لمطلبٍ نُتفت شواربهم على الأبواب

---

(١) الذميل : السير السريع اللّين .
(٢) الجذع : من الحيوانات : صغيرها .
(٣) القتّ : نوع من النبات ، أو حبّ بريّ يؤكل أحياناً بعد دقّه وطبخه .

وقال [ من المنسرح ] :

يا ربربُ اعبرْ بنا إلى ملكٍ تَوَّجَهُ الله بالمهاباتِ
يقول للريح كلّما عصفتْ هل لك يا ريح في مباراتي

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

قالت وقد كشف الودا ع قناع حزنٍ قد علَنْ
وأذلَّ بالجزع الفرا ق قوى عزاءٍ ممتهن
يا من مُحنت بفقده حوشيتُ فيك من المحن
خلّفتني والحزن بعدك يا قريني في قرن[1]
فإذا صبرت ضرورةً صبر الوقيذ على الوسن[2]
فترى يطيق الصّبر عنك أو السّلو أبو الحسن
طفلٌ نشا وفؤاده بك يا أباه مرتهن
كالفرخ يضعف قلبه عن أنْ يودّع بالحزن
فأجبتها وهي التي استولت عليَّ بلا ثمن
طلبُ المعاش مفرِّقٌ بين الأحبَّة والوطن
يا ربّ فازددْ سالماً سكناً يحنُّ إلى سكن

وكتب إلى رئيس يستهديه مشروباً وهو مع بعض أصدقائه وعندهم مغنية فلم يفعل [ من البسيط] :

يا سيدي جودك المشهور ما فعلا أبيع بالرخص يا هذا أم ابتذلا ؟
واسوأتا من أناسٍ ظلت أطمعهم أنّ الذي التمسوه منك قد حصلا
حتى إذا عاد من أرسلته بيدٍ صفرٍ وما كان عندي أنّه وصلا

---

(١) القرن : الشّرك أو الأغلال .

(٢) الوقيذ : الشديد المرض المشرف على الفناء .

قالـوا لقينتهـم غنـيّ عليه لنا صوتـاً ضربنـا له في شعـره مثلا
ما زلـت أسمـع كم من واثـقٍ خجلٍ حتـى بليت فكنـت الواثـق الخجلا

* * *

## ما أخرج له في التخلص

قال في أبي تغلب ، وقد توجه من الموصل إلى بغداد [ من الخفيف ] :

افضُضِ الـدنّ واسقنـي يا نديمي اسـقنـي مـن رحيقـه المختومِ
اسقني الـخمـرة الـتي نـزلـت فيـــــهـا على القـوم آيـة الـتحـريـم
اسـقنـيـهـا فـإنّـني أنـا والـقـــــسُّ جميعـاً نبـولهـا في الجحيم
اسـقنيهـا ولا تكلنـي إلـى النقـل عليهـا ولا إلـى المشمـوم[1]
بادر الصبـح بالصبيحـة وجهاً فابنـة الـكرم شرط كلِّ كريم
ثم قـلْ للشمـال من أيـن يـا ريــــح تـحمّلت روح هـذا الـنسيـم
أتـرى الخضـر مرَّ لي فيك أم جز ت برضـوان فـي جنـان النعيم
أم تقـدّمـت والأميـر أبـو تغلـبَ قـد صحّ عزمـه فـي القـدوم

وقال في فتح قلعة أردمشت من قصيدة [ من الوافر ] :

سقانـي كأسـه سحـراً بوقتٍ وكـان صبوحنـا في يومِ سبت
غلامٌ أعجمـيٌّ فيـه ظرفٌ وحـذقٌ بالتـلـطّف والتأتي
سقاني دو وسـا وازددت منها علـى سكري وصبحنـي بهفت[2]
فلمـا نمـت قام وقـال برّوا لمـن حولـي خوى خانـي بجفت[3]

---

(١) تكلني : تدعني وتتركني . والنقل : ما يؤكل مع الشراب، والمشموم : من فاكهة وفستق وغيره .
(٢) دو وسا وهفت : من الأعداد الفارسية أي إثنين وثلاثة وثمانية .
(٣) جفت : إجتفت المال : اجترفه أجمع .

وفـي باب آستـه زغـبٌ لطافٌ ملاحٌ مثـل ورد الـزاد رخت[1]
ولـكن كان لا يقـوى لشؤمي وخذلانـي بـه سواد بختي
فشدّقـت الصّـبيَّ فدتـه نفسي بدوديكي وتيمـردم درست
وكان من استـه كالبنـت بكراً مخـدّرة الخـرا ففتحـت بنتي
كمـا فتحـتْ وحـدّ السيف يدمي من الأعنـاق قلعـة اردمشت

وقال في مدح صاعد [ من مجزوء الخفيف ] :

ومهـاةٍ غريـرةٍ غضّـة الحسـن ناهـدِ
فتنتنـي بِمـعصـمٍ وبـكـفٍّ وسـاعـدِ
وبثغـرٍ منضّـدٍ شنـبِ الـرّيـق بارد[2]
ونـسـيـمٍ كـأنّـه اشـتقَّ من نشرِ صـاعـد[3]
فهـو طيباً كذكـره فـي الثنـا والمحـامـد
همـةٌ في العـلا اقتدت بالسّـهـى والفـراقـد
ونـدىً بخلـت بـه كـفٌّ يحيى بـن خالـد

وقال [ من مجزوء الرجز ] :

كأنّمـا بـاب استهـا شكلـة كـافٍ مطلقـه
بيـن سطـور كاتـبٍ حـروفـه محقّقـه
يصـكُّ لـي بين يدي سيّدنـا فـي ورقـه
باللحـم والخبـز الذي روحـي بـه معلّقـه
يا من بـه قد فتحت أبـواب رزقـي المغلقـه

---

(١) رخت : الرُّخّ : نباتٌ هشّ .
(٢) الشنب : البارد .
(٣) النشر : العبق الطيب .

وقِّعْ لمن علَّمه جودك حذق العقعقه[1]

* * *

## هذه نبذ من ملح ملحه الرائقة ، وما يتصل بها

قال [ من الوافر ] :

حلفتُ لقد بلغت مدى المعالي وأنت على تجاوزه قديرُ
فبحرك درّ لجته ثمينٌ وغيثك ماء مزنته طهورُ

وقال لبعض الرؤساء في يوم كان المطر يجيء فيه ساعة ثم ينجلي الغيم ، وتطلع الشمس ثم يعود [ من الكامل ] :

يا سيدي تفديك مهجة خادمٍ لك يستقلُّ لك الفداء بنفسهِ
يفديك مَنْ جلّيت أوّل كربةٍ عنه ومن أدركت آخر نفسهِ
انظر إلى اليوم الذي أشبهته لو كان جنسك ناشئاً من جنسهِ
يحكي نداك بغيثه فإذا انجلى فكأنَّ وجهك ما انجلى من شمسهِ
لكنْ فضلت عليه أنّك دائماً تبقى وهذا اليوم تابع أمسه

وقال [ من المتقارب ] :

هو الشيخ لما صفا جوهر الـ ـفضائل منه ولم يكدرِ
أضاف الزمان إليه ابنه كما اقترن البدر بالمشتري

وقال لرئيس اختلف ابنه إلى الكتاب [ من السريع ] :

يا عارضاً يروي الثّرى غيثه ومنهلاً يشفي الصّدى موردُهْ[2]

---

(١) العقعقه : التصويت : والعقعق طائرٌ كالغراب .
(٢) العارض : الغيم الممطر .

أقعـدت في الكتـاب من لم يكنْ يضـرُّه أنَّـك لا تقعـدُهْ
أنـت أبـوه فهـو يُنمـي إلى كتابـةٍ يوجبهـا محتـدُهُ[1]
إن شئـت علِّمْـهُ وإن شئـت لا لا بدّ أن تحـكي أبـاه يدُهْ

وقال [ من السريع ] :

لا زلـت يا عُمْـرَ أبـي عمرو أبقـى علـى الدّهـر من الدهر
فتَـى إذا ما جاء لي بحرُهُ أمـرت من يخـرى علـى البحر
وإن بدا لي وجهـه طالعاً صفعـت بالشـمس قفـا البدر

وله [ من السريع ] :

فديت عزّ الدولـة المرتجى بمهجتـي إن قبلـت مهجتي
ومـن أنـا في عيلـة إحسانه وفقـر أهلـي فـي عيلتي
ثيابـه فـي سفطـي بيتها وخبـزه مـأواه فـي ملتي[2]
جرايةٌ أصبحـت في رزقها في كلٍّ يوم أجتبـي غلتي
وكان جوفـي بالخـوى مأتماً فاليوم بيت العـرس في معدتي

وقال [ من الخفيف ] :

سيدي والـذي يقيك من السو ءِ يمينـاً من أوكد الأيمان[3]
لا جحـدت النعمـى لأكفـر إحسا نك عنـدي يا دائـم الإحسان
أنـا في نـزهـةٍ من العيش في ظلّـــك طـول الـحيـاة كـالـبسـتـان
ذات زهـرٍ فيه البنفسـج والنّر جس معـه شقائـق النعمان
جالسٌ في تبظـرمٍ ترك الحا سد يقلـى بعـر آستـه بوراني[4]

(١) المحتد : الأصل .
(٢) سفَطي : من السفاطة : أي متاع البيت .
(٣) أوكد الأيمان : أكثرها إصراراً وعزماً .
(٤) تبظرم : إذا كان أحمق وعليه خاتمٌ فيتكلّم ويشير به في وجوه الناس .

وله في شارب دواء [ من المجتث ] :

يا من به تتباهى مجالسُ الخلفاءِ
ومن تقصَّرُ عنه مدائح الشّعراءِ
يا سيدي كيف أصبحت بعد شرب الدواءِ
خرجت منه تضاهي في الحسن بدر السّماء
في ثوب صحة جسمٍ مطرّزٍ بالشّفاء

وقال من أبيات في الصاحب [ من مخلع البسيط ] :

يا أيُّها السّيِّد الجليل المرجوُّ للحادث الجليل
كلٌّ مديحٍ أجملت فيه يقصر عن فعلك الجميل

وقال في ابن بقية [ من مجزوء الكامل ] :

يا بدر يا بدر التمام بك أشرقت خلع الإمام
يا من له الأسما العظا م بحرمة الأسما العظام
هبْ لي بقا ابن بقيَّةٍ هبةً تجدد كل عام
أنت الكريم فهبْ لنا هذا الكريم من الكرام
فلقد علمت بدعوتي أنّي على خبزي أُحامي

* * *

## قطعة من ملحه في نوادره في سائر الفنون

وقال [ من الوافر ] :

أعصرَ شبيبتي قف لي قليلا أناشدك المودّة أن تحولا[1]

---

(١) أن تحول : أن تفارق وتتغير .

فديتك يا شبابي أنت ما لي أراك مكلكلاً نضواً عليلا[1]
تولّى حسنك المفقود عنّي وحوّل رحله إلاّ قليلا
وقالوا الشيب يكسبه جلالاً معاذ الله بل خطباً جليلا

وقال [ من الوافر ] :

بياض الشيب تكرهه الغواني ويعجبها سوادٌ في الشباب
وشيبُ لحى الزناة فدتك نفسي ضراطٌ في اللحى عند القحاب

وقال [ من مخلع البسيط ] :

طاقة آسٍ جنيت منها بلحظتي نرجساً ووردا
أرضاه مولىً وليس يرضى مولاي بي في هواه عبدا

وقال [ من السريع ] :

فديت إنساناً على هجره ووصله تحسدني الناسُ
لما احتوى الورد على خدّه ودبّ في عارضه الآسُ
مزجت كأسي من جنى ريقه بمثل ما دارت به الكأسُ

وقال في أرمد [ من البسيط ] :

أنا الفداء لعينٍ بعض أسهمها مشكوكةٌ بين أحشائي وفي كبدي
فيها سقامٌ فتورٍ لا خفاء به تُجدِّد السقم في قلبي وفي جسدي[2]
كانت تعلُّ فؤادي وهي سالمة فكيف بي وهو يشكو علّة الرمد ؟؟[3]

---

(١) مكلكلاً : مهموماً . نضواً : هزيلاً .
(٢) الفتور : الضعف والإنكسار .
(٣) تعلُّ : تمرض .

وقال [ من المنسرح ] :

فديت من مرَّ في الرصافة بي    فقلت : يا سيدي، فلم يُجِبِ
واصفرَّ غيظاً عليَّ وامتزجتْ    صفرةُ ذاك اللُّجين بالذهب

وقال في أبي تغلب يستهديه فرساً [ من الرمل ] :

اسمع المدح الذي لو قيل في    أحدٍ غيرَكَ قالوا سرقا
جاء يستهديك مهراً أدهماً    يركب الفارس منه غسقا[1]
كالدّجى تبصر من غرَّتِهِ    فوق أطباق دجاه فلقا[2]
جلَّ أن يلحق مطلوباً ومن    طلب الرّيح عليه لحقا
فتراه واقفاً في سرجه    يتلظّى من ذكاه قلِقا[3]
فإذا طار به المشي مضى    وهو كالرّيح يشقُّ الطرقا
كالسّحاب الجون إلاّ أنَّه    ليس يسقي الأرض إلاّ عرقا
جمع الأمرين يعدو المرطى    في مدى السبق ويمشي العنقا[4]

وقال يصف الفرس الذي أهداه له أبو تغلب [ من المجتث ] :

اليوم يوم سروري    بالموصليِّ الذنوبِ
من عند قرمٍ كريمٍ    جزل العطاء لبيب
آدابه جعلتهُ    يُعنى بكلِّ أديب
ركَّبت فيه القوافي    فجاد بالمركوب
ذو غرَّةٍ يتلالا    في حالكٍ غربيب[5]

---

(١) الأدهم : الأسود . والغسق : الظلام .
(٢) الفلق : الصباح .
(٣) يتلظّى : يتحرّق .
(٤) المرطى بفتحات : نوع من العدو ، والعنق : السير السريع .
(٥) الغربيب : الشديد السواد .

لــون الشبــاب عليـه مـع غرّةٍ كالمشيـب
صهيلـه جوف إذني ولا غنـاء غريـب
وروثـه المسك طيباً بيـن اللحـى والجيـوب
لــولا اضطـراري إليه نزّهتـه عـن ركوبي

وقال في خصم له أعمى [ من الوافر ] :

سمعتـم قطُّ أعجـب من ضريرٍ يقـدِّر أن يجـور علـى بصيرٍ؟
ولـو شاء الـوزير- ولـم يزل لي صلاحـي في مشيئـات الوزير-
لألزمـه العصـا يمشـي عليها وعلّمـزه القـران علـى القبور

وفيه [ من المنسرح ] :

إن كان هذا الضـرير يعنتني بحجـةٍ مثـل عينـه غلقِه[1]
فوقّـع السـوس في عصـاه ولا بورك في قسطـه من الصدقة

وقال [ من السريع ] :

لا يحسـن الإشـراف من مقعدٍ كأنّـه زرقة فـرّوج[2]
أقصـر من يأجـوج في قدّه وقـرنـه أطـول مـن عوج[3]

وقال [ من مجزوء الخفيف ] :

أزجـر العين أن تـرى أزرق العيـن أشقـرا
مـا أرى البـوم وجهه قــطُّ إلاّ تـطـيًّرا

---

(١) يعنتني : يكرهني لزوم ما يصعب عليّ أداؤه واحتماله ، غلقه : مقفله .
(٢) زرقة فرّوج : سلحته .
(٣) يأجوج ومأجوج ، ورد ذكرهما في القرآن الكريم ، قومٌ من الأقوام .
وعوج : هو عوج بنُ عوق : رجلٌ ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى وذكر من عظم خلقه شناعة .

وقال [ من الخفيف ] :

سيدي حشمتي عليك حرامُ ... وبحكم الكريم تقضي الكرامُ
وأرى مذ ملكتني أنّ مثلي ... أبداً لا تفيدك الأيامُ
خادمٌ ناصحٌ ، وعبدٌ محبٌّ ... وصديقٌ ، وصاحبٌ ، وغلامُ
خمسة قد جمعتهم لك وحدي ... لمعاني اختصاصهم والسلامُ

وقال يتشوق رئيسا ويصف رواقه [ من الكامل ] :

لا والذي يا سيدي يفني الأنام وأنت باقي
ما للخليفة مثل صحنك والتدلّي والرواق[1]
دارٌ غدت شرفاتها توفي على السّبع الطباق
فقبابها وكواكب الجوزاء تسمو باتّفاق
ولها حصونٌ تشتكي حيطانها بعد الفراق
ويضيع فيها الخضر وهو يسير في ظهر البراق
لما دخلت أطوفها ومشيت في طول الرواق
دارٌ بها يا سيدي ما بي إليك من اشتياق

وقال يناقض ابن المعتز في قوله [ من المجتث ] :

لا تدعني لصبوحٍ ... إنّ الغبوق حبيبي
الليل لون شبابي ... والصّبح لون مشيبي

وقال [ من مخلع البسيط ] :

الصّبح مثل البصير نورا ... والليل في صورة الضرير
فليت شعري بأيّ رأيٍ ... يختار أعمى على بصير

---

(١) الصحن : الدار أو البهو المتسع فيه .

وقال [ من مخلع البسيط ] :

كم من صديقٍ يروق عيني بالشّكل والحسن واللّباقهْ
ليس له في الجميل رأيٌ ولا بفعل القبيح طاقه[1]
كأنّه في القميص يمشي فالوذج السوق في رقاقه[2]

وقال يصف بغلة [ من السريع ] :

تعرف لي أحسن من بغلةٍ جدَّدت في البرِّ بها عهدي
تنساب كالماء على حافرٍ كأنّه من حجرٍ صلدِ
نابت عن الأشهب لما مضى نيابة الكلب عن الفهد[3]

حاشية من قصيدة لابن حجاج [ من الوافر ] :

فأقسم لا بيسين وطه ولا بالذاريات ولا الحديد[4]
ولكن بالوجوه البيض مثل الـ ـأهلة تحت أغصان القدودِ
وشربِ الريِّ من خمر الثنايا وشمٍّ المسك من ورد الخدود
وتطفيتي حرار الوجه يوم الـ ـفراق بمصٍّ رمّان النهود
وبالخمر التي كانت لعادٍ ولكنْ بعد محنتهم بهود
مدامٌ في قديم الدهر كانت تعدُّ لكلِّ جبارٍ عنيد
مدامٌ ليس لي فيها إمامٌ أصلِّي خلفه غير الوليد

* * *

---

(١) طاقه : قدره .
(٢) الفالوذج: نوع من الحلواء تعمل من الطحين والماء والعسل . والرقاق : نوع من الخبز .
(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبة وهي بياض غلب على السّواد .
(٤) يسين وطه والذاريات والحديد : سورٌ من القرآن الكريم .

## فصــل

ملح ابن حجاج لا تنتهي حتى ينتهي عنها ، وفيما أوردته منها كفاية ، على أنها غيض من فيضها ، وقراضة من تبرها[1] ، ولكن الكتاب لا يتسع لأكثر من ذلك ، والله أسأل العفو والمغفرة .

* * *

## أبو القاسم علي بن جلبات

أحد أفراد الدهر في الشعر ، وكنت أنشدت له لمعاً أوردتها في النسخة الأولى ثم وجدتها منسوبة إلى غيره ، كقوله [ من الكامل ] :

برزت لنا تحت القناع الأزرق ليلاً فعاد لنا كصبحٍ مشرقِ
الوجه بدرٌ والقناعُ سماؤهُ والشّعر بينهما كليلٍ مُطبقِ

ثم وقع إلي من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله والوزير أبي النصر سابور بن أردشير ، فأخرجت غررها ، وهي سوى ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور ، وإذا سقت ذلك أكرر ذكر ابن جلبات في جملتهم .

قال أبو القاسم من قصيدة في الخليفة القادر بالله [ من الطويل ] :

وفي الدهر عن مطلٍ بما هو واعدٌ فساخطه راضٍ ، وشاكيه حامدُ
وأدركتِ الرّيَّ الخلافة بعدما تجهّمها عن موقف الحقّ ذائدُ[2]
رأت قادراً بالله لم يعدُ قدره مدى العفو عمّا رام باغٍ وحاسدُ
رأينا به العباس معنىً وصورةً فما عدَّ عنّا غائباً فهو شاهدُ

(١) القراضة : القطع الصغيرة ، والتبر : الذهب .
(٢) تجهّم : استقبلها ، وذائد : مانع .

تقبَّلهُ فضلاً أشاد بذكره ... له قبله جدٌّ كريمٌ ووالد
كذاك الأصول الزاكيات ذواهبٌ ... إلى ما رأتها بالزكاء المحاتد
ومن يكُ لله المهيمن سعيه ... ينل ساعياً في ظلّه وهو قاعد

ومنها :

فللّه ما تأتي ولله ما ترى ... وما أنت فيه صادرُ الأمر واردُ
وملّيت من ربٍّ السماء فوائداً ... عدوّك منها قبل سيفك فائدُ
فوالله ما ندري أليث ضبارمٍ ... مفيت الأعادي أنت أم أنت عائد[1]
كذا الخلفاء الراشدون الأولى مضوا ... وأنت عليهم بالبقية زائد
فلا عوّلتْ إلاّ على مجدك العلا ... ولا انتسبت إلا إليك المحامد

وقال في الوزير سابور بن أردشير [ من الوافر ] :

رويدك قد تعاليت اطّلاعاً ... على العلياء همّاً وارتفاعا[2]
ونفسك لا ترى ببلوغ مجدٍ ... ـ وإن أوفى على النجم ـ اقتناعا
إذا ما خطّةٌ ضاقتْ عليه ... أشرت لها فأمعنتِ اتساعا
برأيٍ ما رأته الشمس إلاّ ... تمنّت أن تكون له شعاعا
وأذلَّ بعزِّه صرفَ الليالي ... ورام عصيَّها حتى أطاعا
ندىً وبسالةً علماً يقيناً ... بأنّهما به في الخلق ذاعا
تكفَّل ذا نداك وما رأينا ... جواداً كاملاً إلاّ شجاعا
ودونك كلّ بكرٍ لم تملّكْ ... سواك لها من الأنفِ افتراعا[3]
رأت حسن اختراعك للمعالي ... فبارتها معانيها اختراعا
وها أنا ذا أرى لك كلَّ وقتٍ ... ببدعٍ من مكارمك ابتداعا

---

(١) الضبارم : الأسد ، والرجل الجريء على الأعداء ، على سبيل الاستعارة .

(٢) اطّلاعا : رفعة واشرافاً .

(٣) الأنف : الشمم والكبرياء ، واقتراعاً : من اقترع البكارة أي افتضّها .

تراعـي أمـرَ ذا وتـريش هذا فما لي لا أُراش ولا أراعى ؟[1]
فلا زالـت لك الـدنيا فناءً ولا حلّ الفنـاء لهـا رباعا
فقـد أضحى افتـراق المجـد فيمن حوتـه من الـورى فيك اجتماعا

وله من أخرى فيه [ من المتقارب ] :

فدمْ يا وزير العـلا والنُّهى تنـال المنـى وتوقّـى الحذارا
وراعِ اختلالـيَ سرّاً ولا تراع ربـاء اختلالـي جهارا[2]
ولا تستمـع خبـراً طارئاً عن المـرء أو تبتليه اختبارا
ولا تـحسـبن كـلّ عـودٍ يـريـك ما أنت مورٍ من القـدْح نارا[3]
فمـا كلُّ وحشٍ يرى ضيغماً ولا كلّ عودٍ يسمّـى غفارا[4]

وقال فيه [ من الوافر ] :

أبـا نصـرٍ وأنـت البحـر طامٍ على العـافين جيّاش العباب[5]
يقيم مقـام جيشٍ من ليوثٍ بفضـل نهـاه سطـراً من كتاب

ومنها :

رآك لقصـده أهـلاً ، وأنّى يرجّـى الغيث من غير السَّحاب ؟
وقـد أظمـأه ورد سواك إلاّ الـ أقـلّ، وأيّ وردٍ من سراب ؟

وقال من أخرى [ من الطويل ] :

ويستبشـر الإسـلام أنّـك سالمٌ وأنّ بقـاء الملك باسمـك دائمُ

---

(١) تريش : تغني وتجعل له ما يساعده على الحياة .
(٢) اختلالي : نُكسي وسوى حالتي ،والرّباء : المنة والفضل .
(٣) مورٍ : مشعل وموقد .
(٤) الضيغم : الأسد .
(٥) طامٍ : غامرٍ وفائض .

وأنّ المعالي ما بنى لك ذو العلا ... وليس لما تبني يد الله هادمُ
أنا الشمس إن لم تستبن عين ناظرٍ ... ضيائي فإنّ الذنب للعين لازمُ
وما دمت بعد الله لي عنه رازقاً ... فما أتظني أنّه لي حارمُ[1]

وقال من أخرى [ من البسيط ] :

وأنت فرع زكاء الأصل منه ، ولا ... يطيب إلا بطيب المنبت الثمرُ
وأنت بحر النهى ما للعقول إلى ... سواه مورد صفوٍ ما له كدرُ
وأنت بيت الندى طافت بكعبته ... حجّاجه ، ونداك الركن والحجر
وقد عُرِفْتَ ولم تحددْ بمنزلةٍ ... والشيء يجهل علماً وهو مشتهر[2]
كالشمس تدركها الأبصار ظاهرةً ... وحدّ منزلها بالغيب مستتر
والملك من بعد طول الكدِّ في دعةٍ ... كالعين أغفت وقد أعيا بها السهر[3]
إليك جاب الفلا عزمٌ تمثّل في ... تحقيقه منك قبل المورد الصّدَرُ
في كلِّ طاميةٍ بالآل ظاميةٍ ... تصدى بها النفس ما يُروى به النّظر
إذا الركائب من أشباهها لعبتْ ... بعد المقيل تولّى حثّها الأشر[4]
أبثُّها فيك آمالي فما انتظرتْ ... لفرط ما طويت ما كنت أنتظر
حتى إذا هي حلّت من ذراك حمىً ... قالت : إلى منتهى المجد انتهى السّفر
ألست لي يا أبا نصرٍ مدى أملي ... وأنّني بك في اللأواء منتصر[5]
فمر زماني لا ينتابني بأذىً ... فإنّه لك فيما شئت مؤتمر

* * *

(١) أتظنّي : أشك ، وحارم : مانع .
(٢) تحدد : أي تقدّر بمكان .
(٣) الكدّ : الجهد والعمل .
(٤) الحث : السوق والاسراع ، والأشر : النشيط .
(٥) اللأواء : الشدّة .

## ٣ ـ محمد بن الحسين الحاتمي

حسن التصرف في الشعر ، موف على كثير من شعراء العصر ، وأبوه أبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم ، وليس يحضرني من شعره إلا بيتان هما عنوان محاسنه ، وهما [ من الخفيف ] :

لي حبيبٌ لو قيل لي ما تمنّى ... ما تعدَّيته ولو بالمنونِ
أشتهي أن أحلّ في كلِّ جسمٍ ... فأراه بلحظ كلِّ العيون

* * *

ومما اخترته لابنه قوله من قصيدة في الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين استهلالها [ من الخفيف ] :

حيّ رسم الغميم تحيي الغميما ... إنْ فقدت الهوى فحيّ الرّسوما[1]
واستمحْ مقلة الغمام على أطـ ... ـلاله ديمةً أبت أن تدوما[2]
نثرت عقد دمعها فغدا النو ... ر بأعطاف روضها منظوما
هو مأوى الظباء إنساً ووحشاً ... ومحلُّ الأسود خلقاً وخيما[3]
كلُّ ريمٍ يعطو فيصطاد ليثاً ... عند ليثٍ يسطو فيصطاد ريما
كم رعينا من البطاح وكأس الـ ... ـراح والأوجه الملاح نجوما
حين رضنا من التصابي جموحاً ... وبعثنا من الوصال رميما[4]
ودعتنا المنى إلى مرح الفتك ... ولكنّنا أجبنا الحلوما

---

(١) الغميم : إسم مكان ، والغميم : واد بين الحرمين على مرحلتين من مكان . والرسوم : الآثار .

(٢) الديمة : السحابة الممطرة .

(٣) الخيم : يكسر الخاء المعجمة ـ السجيّة والطبع .

(٤) الجموح : فتوة الشباب وجهله، والرميم : البالي .

حين صرف الزمان كان اعتذاراً ورياح الخطوب كانت نسيما
قد وقفنا على الطلول طلولاً ومثلنا على الرسوم رسوما
وخلعنا على البكاء عيوناً ونزفنا من الدموع جموما[1]
ومتى يجشم الظليم مداها في سراها فقد ظلمنا الظليما[2]
وهي تبدي منها نجاراً ومن سير الدجى مخلفاً ومنّي كريما
وإلى القادر الإمام قريت البيد حرفاً أنضى بها الديموما[3]
الإمام الماضي العزيم الذي راح وأضحى على المعالي زعيما
وهو من أسرةٍ همُ رسموا الدّهر ذرى المجد والمعالي قديما
وهمُ كالبحار جوداً وكالأنجم هدياً وكالسّيوف عزيما

ومنها :

أنت أيدت بالخلافة ركن الشرع فارتدّ نهجه مستقيما
وذببت العدو عنه ولولاك بلا مريةٍ لعطّ أديما[4]
أنت أنكحتني الرجاء فقد أضحى ولوداً وكان قبل عقيما
دُمْ تدمْ دولة المفاخر والمجد وحسن الزمان في أن تدوما
والبس المهرجان ما ابتسم الفجر وأهدى من الرياض نسيما

وقال [ من الطويل ] :

منازلهم لا شافهتك النوازلُ وأطلالهم حيّاك طلٌ ووابلُ
كأن الرّبا لم تلبس الأرض حالياً ولا أخملت بالنور تلك الخمائل[5]

---

(١) الجموم : الكثير والغزير « من الجمّ » .
(٢) الظليم : ذكر النعام .
(٣) الحرف : الناقة العظيمة ، أو المهزولة ، والديموم والديمومة : الفلاة الواسعة .
(٤) عطّ : تشقق .
(٥) الخمائل : الجنائن المزهرة .

تعرّفتهـا واستنكـر الطّـرف أنّها كما استنكرت سقـم المحبّ العواذل

وكم قطْـع ليلٍ بعـد ليلٍ قطعته وسرح الكرى عن جفـن عينـي هامل

وقـد مالـت الجـوزاء حتّـى كأنّما بهـا راقصٌ من سورة الـكأس مائل

وخلـت الثـريا كف عذراء طفلةً مختّمـةً بالـدُّرِّ منهـا الأنامل

تخيّلتهـا في الأفـق طرّةَ جعبةٍ ملـوكيةٍ لم تعتلقهـا حمائل[1]

كأنّ نبـالاً ستـةً من لآلىءٍ يوافـى بهـا في قبّـة الأفـق نائل[2]

وعيشٍ كنـوّار الـرياض استرقته خلاسـاً ، وأحـداث الليالي غوافل[3]

لمامـاً وأغصـان الشبيبـة رطبةٌ ومـاء الصبـا في ورد خدّيَ جائل

ويومٍ كحلـي الغـانيات سلبته حلي الربـا حتى انثنى وهـو عاطل

سبقـت إليه الصبح والشـمس غضّةٌ وصبـغ الدجى عن مفرق الفجر ناصل[4]

ونشـوان من خمـر الـدلال سقيته شمـولاً فنمّـت عن هواه الشمائل[5]

شكا ظمـأً منـه الموشّـحُ ، وارتوت بمـاء الصّـبا أردافـه والخلاخل

إذ العيش مخضـرّ الأصائـل ناعمٌ وإذ زبـرج الـدنيا خليلٌ مواصلُ[6]

وليلٍ موشّـى بالنجـوم صدعته بأبيضَ وشّـى صفحتيه الصياقل[7]

إليك ، أمير المـؤمنين، ارتمـت بنا بنـات الفـلا والمقربـات الصواهل

إلـى من له في جبهـة الدهـر ميسمٌ ومن سيفـه في مفـرق الدهـر سائل[8]

تشيم الحيا من كفّـه وهـي لجّةٌ تشـقُّ جيوب القطـر فيهـا الأنامل

(١) الحمائل : ما يعلّق به السيف .
(٢) النائل : العطاء .
(٣) خلاساً : أي خلسة في غفلةٍ من عين الزمن .
(٤) ناصل : خارج .
(٥) نمّت : دلّت وأظهرت، والشمائل : الصفات .
(٦) الزبرج : الزينة من وشي أو جوهر أو نحوهما ،وهنا يعني إقبال الدنيا عليه بمباهجها .
(٧) وشّى : طرّز وزيّن : والصياقل : الذين يصقلون السيوف .
(٨) الميسم : العلامة والأثر .
(٩) تشيم : تنظر وتتطلع .

ومن عوّدته المكْرُماتُ شمائلاً فليس له عنها ، ولو شاء ، ناقل
وإنْ راسل الأعداء فالجرد رسله إليهم ، وأطراف العوالي الرسائل[١]
بيومٍ عقيمٍ يلقح البيض بأسه ولود المنايا وهو أشمطُ ثاكلُ[٢]
إذا ما أسرّ النقع أنوارُ شمسه أذاعت بأسرار الحمام المناصل[٣]
فيا بدرُ لا تغرب ، ويا بحرُ لا تفضْ ويا نوءُ لا تخلف حياً منك هاطل[٤]
عظُمْتَ فهذا الدهر دونك همّةً وجدت فهذا القطر عندك باخلُ

وقال في الأمير شمس المعالي [ من الخفيف ] :

كم قلوبٍ تحمّلت بالحمول ودموعٍ طلّت بتلك الطلولِ
واصطبارٍ أضيع ما بين إيضا ع المطايا وفي المحلّ المحيلِ[٥]

ومنها :

وبنفسي بدرٌ يعود ضياء الـ ـبدر من نور وجهه بالأفولِ
أثمرت وجنتاه روضاً جنى الـ ـورد يفتّر عن غديرٍ شمولِ
وإلى مسرح المكارم قابو س أراح الندى سوام العقولِ[٦]
فارسُ الكتب والكتائب والمنـ ـبر والخيل واليراع النحيل
تعبُ البيض والسلاهب والأر ماح والوفر والندى والعذول[٧]
وكهولٌ أوهت كواهلها السمـ ـر تهادى إلى ابتغاء الدخول
يتعاطون بالصوارم كاسا ت المنايا على غناء الصّهيل

---

(١) الجرد : الخيل الأصيلة ، والعوالي : الرماح .
(٢) الأشمط : الذي خالط سواد شعره البياض .
(٣) النقع : الغبار ، والحمام : الموت .
(٤) النوء : المطر وشدّة الريح .
(٥) المحيل : الماحل المجدب .
(٦) سوام العقول : طلبها والتفكير بها .
(٧) السلاهب : من الخيل ما عظم وطال عظامه . ، والعذول : الكثير العذل واللوم .

كم يدٍ للخطوب طالت على الأحـــــــرار قصّـرتهـا ببـاعٍ طــويــل
فـابقَ ما استعبـر الغمام ومـا علَّـــــــلَ صبّـاً نسيمُ روضٍ عليـل[1]

* * *

(١) استعبر : سال ماؤه واستعبرت العين : جرى دمعها .

# الباب الثامن

## في تفاريق قطع من مِلح المقلّين

## من أهل بغداد ونواحيها ، والطارئين عليها من الآفاق، والمقيمين بها .

### ٤ ـ القاضي ابن معروف

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معروف ، وكان ـ كما قرأته في فصل للصاحب ـ شجرة فضل ، عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذيها أرض المروءة ، وقد تقدم بعض ذكره في منادمة المهلبي وغيره من الوزراء ، وجمعه بين جد العلم وهزل الظرف ، وخشونة الحكم . ولين قشرة العشرة ، وكان ـ على تقلده قضاء القضاة دفعات بالحضرة واشتغاله بحلائل الأعمال من أمور المملكة ـ يقول شعراً لطيفاً في الغزل ، يتعاوره القوالون والقيان ملحناً[1] .

وقرأت لأبي إسحاق الصابي فصلاً من كتاب عن الوزير ابن بقية إلى ابن معروف ، واستحسنه جداً في وصف نظمه ونثره وهو :

وصل كتاب قاضي القضاة ، بالألفاظ التي لو مازجت البحر لأعذبته ، والمعاني التي لو واجهت دجى الليل لأزاحته وأذهبته ، ولم أدر بأي مذاهبه فيها

(١) يتعاوره : يتداوله .

أعجب ، ولا من أيها أتعجب ، أمن قريض عقوده منظومة ، أم من ألفاظ لآلئها منثورة ، أم من ولوجها الأسماع سائغة ، أم من شفائها العلة نافعة ؟ وأما الأبيات التي رسم التقدم بتلحينها ، وقال بمذهب أهل الحجاز فيها ، فما أعرف كفؤاً لمثلها ملحناً ، ولو كان إسحاق الموصلي ، ولا مجيباً ولو كان امرأ القيس الكندي ، ولا أرضى لها مهراً إلا حبات القلوب ، ولا مجالاً إلا أرجاء الصدور ، وقد جعل الله فيها من الفضل ما يشغلنا حفظه عن تعاطي الإجابة عنه ، وقرن بها من الأطراب ما يكفينا تأمله عن صياغة الألحان له .

ولأبي إسحاق شعر كثير فيه ، فمن ذلك قوله في افتتاح قصيدة [ من البسيط] :

أقسمت بالله ما يُرجى لمعروفِ ... في الحادثات سوى القاضي ابن معروفِ

ولابن حجّاج في بعض من كان يناوىء ابن معروف من الحكام [ من مخلع البسيط] :

يا أيُّها الحاكم الرقيع ... ذقنك في سلحتي نقيعْ
إن ابن معروف في محلٍّ ... مرامه متعبٌ منيعْ
فضّله الله واجتباه ... للأمر واختاره المطيع
هذا له وحده فقل لي ... من أنت في الناس يا وضيع

وقد أوردت ما حضرت به من مشهور ما هو من شرط الكتاب من غرره ، فمنها قوله من قصيدة [ من الطويل ] :

ولم تُسلِني الأيام عنك بمرّها ... بلى زادني بعد اللقاء تتيُّما
وقد كنت لا أرضى من النيل بالرضا ... وآخذ ما فوق الرضا متلوِّما
فلما تفرَّقنا وشطّت بنا النوى ... رضيت بطيفٍ منك يأتي مسلِّما[1]

---

(١) شطّت : باعدت .

وقال [ من الكامل ] :

لو كنت تدري ما الـذي صنـع الهوى ... والشـوقَ بالجسـد النحيل البالي
لهجـرتَ هجـري واجتنبـت تجنُّبي ... ووصلـت من بعـد الصـدود وصالي

وقال [ من الطويل ] :

ومـا سرَّ قلبـي منـذ شطّـتْ بك النّوى ... نعيمٌ ولا كأسٌ ولا متصرِّف
ومـا ذقـت طعـم المـاء إلاّ وجدته ... سوى ذلك الماء الـذي كنـت أعرف
ولـم أشهـد اللّـذات إلاّ تكلُّفا ... وأيُّ نعيمٍ يقتضيه التكلُّفُ[1] ؟

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

احـذر عـدوّك مـرةً ... واحـذر صديقـك ألفَ مرَّهْ
فـلربّمـا انقـلـب الـصّـديـق فكـان أعـرف بـالمضـرَّهْ

* * *

## ٥ ـ أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء ، وإحسان ظرفاء الشعراء ، والذي رأيته من كتبه : كتاب القيان ، وكتاب الأغاني ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة النجار ، وكتاب مجرد الأغاني ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ، وما أشك في أن له غيرها ، وكان منقطعاً إلى المهلبي الوزير ، وكثير المدح ، مختصاً به ، فمن ذلك قوله فيه من قصيدة [ من الطويل ] :

---

(١) التكلُّف : التصنُّع ، وتحمل الشيء على غير عادة .

ولمـا انتجعنـا لائـذين بظلِّه أعـان ومـا عنَّـى ومـنَّ ومـا منَّا[1]
ورَدْنـا عليه مقتـرين فَراشَنَا وردِنـا نداه مجـدبين فأخصبنا[2]

وله من قصيدة يهنئه بمولود له من سرية رومية [ من الكامل ] :

آسعـدْ بمولـودٍ أتـاك مباركاً كالبـدر أشـرق جنـح ليلٍ مقمرِ
سعـدٌ لوقـت سعـادةٍ جاءت به أمٌّ حصـانٌ من بنـات الأصفر
متبجِّـحٌ في ذروتـي شرف الذرى بين المهلَّـب منتمـاه وقيصر
شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى حتـى إذا اجتمعـا أتـت بالمشتري

أخذه من مصراع ابن الرومي [ من السريع ] :

* شمسٌ وبدرٌ ولدا كوكبا *

وقال من قصيدة فيه عيدية [ من الطويل ] :

إذا ما علا في الصّـدر للنهـي والأمرِ وبثّهمـا في النفـع منـه وفـي الضرِّ
وأجـرى ظُبـى أقلامـه وتدفّقتْ بديهتـه كالمستمـدِّ من البحر[3]
رأيت نظـام الـدُّرِّ في نظـم قولِهِ ومنثـوره الرقـراق في ذلك النثر
ويقتضـب المعنـى الـكثير بلفظهِ ويأتي بما تحوي الطـوامير في سطر[4]
أيا غرَّة الدّهـر ائتنفْ غرَّة الشّهر وقابـلْ هلال الفطـر في ليلـة الفطر[5]
بأيمـن إقبـالٍ وأسعـد طائرٍ وأفضـلَ ما ترجـوه في أفسـح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهـد صادقاً بطهـرك فيه واجتنابـك للوزر
فأكرم بمـا خطّ الحفيظـان منهما وأثنـى به المثني وأطـرى به المطري

(١) عنّى : حبس معونته ، ومنّ : تكرّم ، وما منّا : أي لم يعدّد ما فعله له من الخير وفخر به .
(٢) مقترين : معدمين ، فقراء .
(٣) الظُّبى : جمع ظبّة ، حدّ السيف والسنان والسكين ونحوها، ويعني بها رؤوس الأقلام لأنها مسنّنة .
(٤) الطوامير : الصُّحف .
(٥) إئتنف الشيء : أخذ فيه وابتدأه .

وزكّتك أوراقُ المصاحف وانتهى إلى الله منها طول درسك والذِّكر
وقبضك كفَّ البطش عن كلِّ مجرمٍ وبسطكها بالعُرف في الخير والبرّ[1]
وقد جاء شوال فشالت نعامة الـصّيام وأبدلنا النعيم من الضرّ[2]
وضجّت حبيس الدنّ من طول حبسها ولامت على طول التجنُّب والهجر
وأبرزها من قعر أسودَ مظلمٍ كإشراق بدرٍ مشرق اللّون كالبدر
إذا ضمّها والورد فوه وكفُّه فلا فرق بين اللون والطعم والنشر[3]
وتحسبه إذ سلسل الكأس ناظماً على الكوكب الدرِّيِّ سمطاً من الدُّرّ[4]

وقال يهنئه بالعافية [ من البسيط] :

أبا محمدٍ المحمود يا حسن الـ إحسان والجود يا بحر الندى الطّامي[5]
حاشاك من عود عوّادٍ إليك ومن دواء داءٍ ومن إلمام آلام

وقال فيه [ من المتقارب ] :

تأوّب عيني طيفٌ ألمّ لظالمةٍ طرقت في الظُّلم[6]
تخيَّل منها خيالٌ سرى فيسلب حلمي بذاك الحلم
فما أنس لا أنس إقبالها تميسُ بغصنٍ سَقَتْهُ الدِّيم[7]
وقد بدرت مثل بدر الدّجى سما في السماءِ علواً وتمّ
على رأسها معجرٌ أزرقٌ وفي جيدها سبحة من برم[8]

(١) العرف : الكرم والمعروف .
(٢) شالت : ارتفعت .
(٣) النشر : الرائحة الطيبة .
(٤) السمط : العقد .
(٥) الطامي : الفيّاض الغامر .
(٦) تأوّب : وجع وألم .
(٧) تميس : تمشي بغنجٍ ودلال .
(٨) المعجر : الغطاء ، والبرم : كل ما فيه لونان مختلطان وحبلٌ للمرأة مزيّن بجوهر .

ولـم ترتقـبْ لطلـوع الرقيب ... ولـم تحتشـمْ لطلـوع الحشـم
لقـد سؤتنـي يا نظـام السرور ... وأسقمتنـي يـا شفـاء السقم
أهـذا المـزار أم الازورار ... وإلمامـكم ألـمٌ أم لمـم[1]
ويومٍ كمثـل رداء العرو ... س حسنـاً وطيبـاً إذا ما يشم
خلعـت عذاري ولـم أعتذر ... ولـم أحتشـم فيه من يحتشم
وقابلـتُ فيه صفـاء الشمال ... بصفـو الشمـول وشجـو النغم
فـداؤك نفسـيَ هذا الشتاء ... علينـا بسلطانـه قد هجم
ولـم يبـق من نشبـي درهمٌ ... ولا من ثيابـيَ إلاّ رِمم[2]
يؤثِّـر فيهـا نسيم الهواء ... وتخرقُهـا خافيـات الوهـم
وأنـت العمـاد ونحـن العفاة ... وأنـت الـرئيس ونحـن الخدم[3]

وله فيه [ من المتقارب ] :

فـداؤك نفسـي من الحادثاتِ ... وريب الـرّدى وحلـول الحذرْ
فعـالك تكبـر عن موعدٍ ... ووعـدك يسبـق أنْ ينتظرْ
وكفُّـك تهمـي علـى المعتفين ... بفيضٍ عفـا وصفـا من كدر
إذا عاقـك الشغـل عنّـي ولم ... أذكّرك نفسـيَ خوف الضّجر
تسكّعـتُ في حيرةٍ لا أجو ... ز منهـا إلـى عضـدٍ أو وزر
رهنـت ثيابـي وحـال القضا ... ء دون القضـاء وصـدٌ القدر
وهـذا الشتـاء عسـوفٌ علي ... كمـا قد تراه قبيح الأثـر[4]
يغـادي بصـرٍّ من العاصفا ... ت أو دمـقٍ مثـل وخـز الإبر[5]

---

(١) في الأصول : « وإلمامكم بنا ألم أم لمم » ولا يستقيم به الوزن .
(٢) النشب : المال القديم الموروث ، والرمم : البالي .
(٣) العفاة : المحتاجين .
(٤) عسوفٌ : قاسٍ وظالم .
(٥) الصرّ : صوت الريح وعصفها .

وسكان داري ممّن أعو ... ل يلقين من برده كلَّ شرّ
فهذي تحنٌّ، وهذي تئنٌّ ... وأدمع هاتيك تجري درر
إذا ما تململن تحت الظلام ... تعلَّلن منك بحسن النظر
ولاحظنَ ربعك كالممحلين شاموا البروق رجاء المطر[1]
يؤمّلن عَودي بما ينتظرن ... كما يرتجى آيبٌ من سفر
فأنعمْ بإنجازِ ما قد وعدت ... فما غيرك اليوم من ينتظر
وعشْ لي وبعدي فأنت الحيا ... ة والسمع من جسدي والبصر

وقال من أخرى فيه [ من البسيط ] :

يا فرجةَ الهمّ بعد اليأس والوجلِ ... يا فرحة الأمن بعد الروع والوهلِ
اسلمْ ودمْ وابقَ واملكْ وانمُ واسمُ وزدْ ... واعطِ وامنع وضرّ وانفع وصلْ وصلِ

وقال في وصف الخمر من قصيدة [ من الخفيف ] :

وسلافٍ كالتبر أذكى من المسك وأصفى صبغاً من الزّعفران
وكأنّ اليد التي تحتويها ... من صبيب العقيان في دستبان[2]

وقريب منه قوله [ من الطويل ] :

وبكرٍ شربناها على الورد بكرةً ... فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغدِ
إذا قام مبيَضٌّ اللباس يديرها ... توهمته يسعى بكمٍّ مورَّدِ

والأصل فيه قول أبي الشيص [ من الطويل ] :

سقاني بها والليل قد شاب رأسه ... غزالٌ بحنّاء الغزالة مختضبْ

---

(١) شاموا : نظروا وترقّبوا .
(٢) الدستبان : نوعٌ من الآنية .

وقال في أبي سعيد السيرافي [ من الخفيف ] :

لست صدراً ولا قرأت على صد ... رٍ ولا علمك البكيُّ بكافي[1]
لعن الله كل شعرٍ ونحو ... وعروض يجيء من سيراف

وقال في القاضي الأيذجي، وكان التمس منه عكازة فلم يعطه إياها [ من البسيط ] :

اسمع حديثي تسمع قصّةً عجبا ... لا شيء أعجب منها تبهر القصصا
طلبت عكّازةً للوحل تحملني ... ورمزتها عند من يخبي العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوي عصا عصبٍ ... ولم أخل أنّه صبٌّ بكل عصا

وكتب إلى القاضي التنوخي يلتمس منه خبرا [ من الرجز ] :

يا أيُّها القاضي السنيُّ الذّكر ... ومن علا على قضاة العصر
قد اجتمعنا في محلٍّ وعر ... ومنزلٍ ضنكٍ ومثوىً قفر
خالٍ من الخير كثير الشرِّ ... نلقى زماني ألمٍ وضرٍّ
من ليل بقٍّ ونهار حرٍّ ... فقد فقدت جلدي وصبري
وليس لي عند مجيء فكري ... سوى تشكّي فادحاتِ أمري
بقلمٍ يخطّها في سطر ... إلى فتىً ذي أدبٍ وقدر
فاسمع لشكواي وجدْ بعذر ... قد صفّرت محبرتي من حبر
ولم أجده مشترىً فأشري ... فجد حباك الله طول العمر
بمثلها حبراً وفز بشكري ... من بين نظمٍ حسنٍ ونثر
وربّ مجدٍ باسقٍ وفخرٍ ... نالهما الحرُّ ببذل النزر[2]

* * *

(١) البكيُّ: القليل العطاء، ومن الآبار: القليلة الماء.

(٢) الباسق: الشامخ الرفيع، والنزر: القليل من الجهد.

## ٦ ـ أبو الحسن بن مقلة

من أبناء الوزراء وبقية بني مقلة ، يقول [ من الخفيف ] :

لستُ ذا ذلّةٍ إذا عضّني الدّهـر ولا شامخاً إذا واتاني
أنا نارٌ في مرتقى نفس الحا سد ماءٌ جارٍ مع الإخوان

وقال من قصيدة [ من الكامل ] :

وإذا رأيتُ فتىً بأعلى رتبةٍ في شامخٍ من عزِّه المترفِّعِ
قالتْ لي النفس العروف بفضلها: ما كان أولاني بهذا الموضع

وقال [ من الكامل ] :

الدَّهرُ يلعب بالفتى فيهيضُهُ طوراً ، ويجبر عظمه فيُراشُ[1]
وكذا رأينا الدّهر في إعراضه ينحى وفي إقباله ينتاش[2]

وقال [ من المتقارب ] :

أدلَّ فيا حبذا من مدلّ ومن ظالمٍ لدمي مستحلّ
إذا ما تعزّز قابلته بذلٍّ ، وذلك جهد المقلّ

وقال [ من الرمل ] :

أنت يا ذا الخال في الوجنة ممّا بيَ خالِ
لا تبالي بي ولا تخطرني منك ببال
لا ولا تفكر في حا لي وقد تعرف حالي
أنا في الناس إماميٌّ وفي حبّك غالي[3]

* * *

(١) يهيض : يكسره ، كناية عن الفقر ، ويراش : أي يجعل له ريشاً كناية عن الغنى .
(٢) ينتاش : يطلب وينقذ .
(٣) غالي : أي مغالي من الغلو .

## ٧ - أبو الحسن علي بن هرون بن المنجم

ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء ، وفي أسرته يقول الصاحب [ من الكامل ] :

لبني المنجّم فطنةٌ لهبيه ومحاسنٌ عجميةٌ عربيه[1]
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى عُرفت بشدَّةِ العصبيه

ولذكرهم في القسم الثالث من هذا الكتاب مكان في أصحاب الصاحب وشعرائه .

* * *

فأما أبو الحسن ، الذي هو كبيرهم ، فقد اقتصرت من ذكره واقتصاص أمره على نبذ حكاها الصاحب في كتابه المعروف بالروزنامجه ، مما اتفق له مع أبي محمد الوزير المهلبي حين ورد الصاحب بغداد ، وقد أرسل يحكيها لأستاذه ابن العميد ، ثم أوردت ما علق بحفظي من ملحه .

### فصل

استدعاني الأستاذ أبو محمد فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه ، وقد أعدا قصيدتين في مدحه فمنعهما من النشيد لأحضره فأنشدا قعوداً وجودا بعد تشبيب طويل ، وحديث كثير : فإن لأبي الحسن رسما أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد ، أحب إلى من أن أحصل عنده في رتبة مقصر، يبتدىء فيقول ببحة عجيبة ، بعد إرسال دموعه ، وتردد الزفرات في حلقه ، واستدعائه من جؤذر غلامه منديل عبراته ، والله والله ، وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها ، وطلاقها وعتاقها ، وما ينقلب إليه حرام وعبيده

---

(١) فطنه لهبيه : أي متوقّده دليل على الذكاء .

أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله ، أو اتفق من عهد أبي دؤاد الإيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله ، بل عيبه أن محاسنه تتابعت ، وبدائعه ترادفت ، فقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يجمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فإذا بلغ بيتاً يعجب ويتعجب من نفسه فيه قال : أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن والأب يعوذه[1] ويهتز له ، ويقول أبو عبد الله استودعه الله ولي عهدي وخليفتي من بعدي ، ولو اشتجر[2] اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواه ، أمتعنا الله به ورعاه ، وحديثه عجب ، وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته ، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها ، وأدل على جملتها أنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه ، فامتنع من بيعها ، وأعتقها وتزوج بها .

## فصــل

وسمعت عنده أبا الحسن بن طرخان ، وقد نمى إلى سيدنا خبر ابنه وحذفه والفتى يبرز عليه مع التمسك بمذهبه ، وليس بالعراق ولا شيء من الآفاق طنبوري يشاكله أو يقاربه ، ومما يغنى به من شعر أبي الحسن ويحلف على الرسم أن لا مداني له فيه [ من الكامل ] :

بينــي وبين الدهــر فيك عتابُ ... سيطــول إنْ لم يمحــهُ الإعتابُ

يا غائبــاً بوصــالـه وكتابه ... هل يرتجــى من غيبتيك إيابُ

وإذا بعــدت فليس لي متعلّلٌ ... إلا رســولٌ بالرِّضــا وعتاب

(١) يعوذه : يدعو له بالحفظ .

(٢) اشتجر : تخاصم .

وإذا دعوت مساعداً فهو المنى ... سعد المحب وساعَدَ الأحبابُ
لولا التعلُّل بالرجاء تقطّعتْ ... نفسٌ عليك شعارها الأوصاب[1]
لا يأس من روح الإله فربما ... يصل القطوع وتحضر الغيّاب[2]

إلى ههنا من كتاب الروزنامجه .

وقرأت للصابي فصلاً يشتمل على ذكره وبيتين من شعره ، وهو : قد شغل قلبي أيد الله سيدنا ما بلغني من تألمه من قدمه ، وأضر بي وبالأحرار انقطاعه بذلك عن مساعي كرمه . وأقول له ، ما أنشدنيه علي بن هرون بن المنجم لنفسه من قصيدة كتب بها إلى أبي الحِواري ، وقد وثبت رجله من عثرة لحقته [ من الخفيف ] :

كيف نال العثار من لم يزل منه مقيلاً من كلِّ خطبٍ جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدم لمْ تخطُ إلاّ إلى مقامٍ كريم

وقال في قدح أصفر [ من الرجز ] :

وقدحٍ مورّس السّربال ... من نقشه قبل المدام حال[3]

* تحسبه ملآن وهو خال *

أخذ معنى قوله * من نقشه قبل المدام حالي * قريبه أبو محمد بن المنجم فقال من قصيدة في وصف دار الصاحب [ من الطويل ] :

وأبوابها أثوابها من نقوشها ... فلا ظلم إلا حين ترخي ستورها

ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد في المعنى .

* * *

---

(١) الأوصاب : الأمراض والآلام .
(٢) القطوع : المهجور .
(٣) مورّس : من الورس ، وهو نبات كالسمسم تغطي ثمره غدد حمر ، يصبغ به .

## ٨ ـ الأحنف العكبري أبو الحسن عقيل بن محمد العكبري

شاعر المكديين[١] وظريفهم ، ومليح الجملة والتفصيل منهم . وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره فأوردته ، وهو : لو أنشدتك ما أنشدنيه الأحنف العكبري لنفسه ، وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام ، وحسن الطريقة في الشعر ، لامتلأت عجباً من ظرفه ، وإعجاباً بنظمه ، ولا أقل من إيراد موضع افتخاره فإنه يقول [ من الهزج ] :

على أنّي بحمد اللـه في بيتٍ من المجد
بإخواني بني ساسا ن أهل الجدِّ والحدِّ[٢]
لهم أرض خراسان فقاشان إلى الهند
إلى الروم إلى الزنج إلى البلغار والسّند
إذا ما أعوز الطرق على الطراق والجند
حذاراً من أعاديهم من الأعراب والكرد
قطعنا ذلك النّهج بلا سيفٍ ولا غمد
ومن خاف أعاديه بنا في الرّوع يستعدي

ولهذا البيت الأخير معنى بديع ، وتفسيره : يريد أن ذوي الثورة وأهل الفضل والمروءة إذا وقع أحدهم في أيدي قطاع الطريق وأحب التخلص ، قال : أنا مكدي ، فانظر كيف غاص ، وأبرز هذا المعنى المعتاص . إلى ههنا كلام الصاحب .

وفي هذه القصيدة !

وقالوا قد سلا عنك وقد حال عن العهدِ

---

(١) المكديين : المتكسّبين .
(٢) الحدّ : الفطنة .

ولا والله ما أسلو ولكن قلَّ ما عندي

وأنشدني علي بن مأمون المصيصي قال : أنشدني الأحنف لنفسه [ من الخفيف ] :

عشتُ في ذلَّةٍ وقلَّةِ مال واغترابٍ في معشر أندال[1]
بالأماني أقول لا بالمعاني فغذائي حلاوة الآمال
لي رزقٌ يقول بالوقف في الرأي ورجلٌ تقول بالاعتزال

وقال [ من البسيط ] :

رأيت في النّوم دنيانا مزخرفةً مثل العروس تراءت في المقاصير[2]
فقلت جودي فقالت لي على عجلٍ إذا تخلّصت من أيدي الخنازير

وقال [ من البسيط ] :

العنكبوت بنت بيتاً على وهنٍ تأوي إليه وما لي مثله وطنُ
والخنفساء لها من جنسها سكنٌ وليس لي مثلها إلفٌ ولا سكنُ

وقال [ من البسيط ] :

قد قسّم الله رزقي في البلاد فما يكاد يُدرك إلاّ بالتفاريق
ولست مكتسباً رزقاً بفلسفةٍ ولا بشعر ولكن بالمخاريق[3]
والناس قد عملوا أنّي أخو حيلٍ فلست أنفق إلاّ في الرساتيق[4]

---

(١) الأندال : مفردها النّدل وهو الوسخ .
(٢) المقاصير : الحجرات التي تقيم فيها والمقاصير : العشيّات .
(٣) بالمخاريق : الألاعيب والتمويه القائم على الكذب والاختلاق .
(٤) الرساتيق : الرستاق : الرزداق .

وقال [ من الخفيف ] :

قال رؤيا المنام عندك حقٌّ قلت هيهات كلُّ ذاك بخارُ
ليت يقظانهم يصحُّ له الأمر فكيف المغطُّ والنّخّار[1]

وقال [ من الهزج ] :

سريرٌ بِتُّ بماخورِ على دفٍّ وطنبور
وصوت الطبل كردَمْ طعْ وصوت الناي طلّير
فصرنا من حمى البيت كأنّا وسط تنور
وصرنا من أذى الصفع كمثل العمى والعور
لقد أصبحت مخموراً ولكنْ أيَّ مخمورِ

وقال من قصيدة [ من الوافر ] :

ترى العقيان كالذّهب المصفّى تركّب فوق أثفار الدواب[2]
وكيسي منه خلوٌ مثل كفّي أما هذا من العجب العجاب

وقال [ من مجزوء الرمل ] :

قام للشقوة أيري وجرى بالنحس طيري
وولّى حلَّ سراويلك يا مولاي غيري
وتقرّأت علينا كسعيد بن جبير
أترى قد عقر الناقة يا مولاي أيري
ليس لي منك سوى صبِّحك الله بخير

* * *

(١) المغطّ والنّخار : أي النائم المستغرق في نومه ، والذي يسمع له صوت أثناء نومه « شخير » .
(٢) الأثفار : جمع ثفر ، وهو سيرٌ في مؤخر السرج يشدّ تحت ذنب الدابة .

## ٩ ـ ابن العصب الملحي

قد أجريت ذكره عند ذكر السري الرّفاء ، وكان يتطايب في المداخلة والمعاشرة ، ويقول شعراً خفيف الروح .

كتب إليه ابن سكرة [ من الخفيف ] :

يا صديقاً أفادنيه زمانٌ فيه ضنٌّ بالأصدقاء وشحٌّ
بين شخصي وبين شخصك بعدٌ غير أنّ الخيال بالوصل سمح
إنما يمنع التآلف منّا أنّني سكرٌ وأنّك مُلحُ

فأجابه من أبيات منها [ من الخفيف ] :

هل يقول الإخوان يوماً لخلٍّ شاب منه محضَ المودة قدحُ[1]
بيننا سكّرٌ فلا تفسدنه أو يقولون بيننا ويكَ مِلحُ

وقال في قاض [ من الهزج ] :

لنا قاض له وجهٌ على أخذ الرشا عابسْ[2]
ولكنّ له أيراً يدقُّ الرطب واليابس

وقال [ من مجزوء الرمل ] .

ذرفتْ عين الغمام فاستهلّت بسجامِ[3]
وبكى الإبريق في الـ ـكأس بدمعٍ من مدام
فاسقني دمعاً بدمعٍ من مدامٍ وغمام
واعصِ من لامك فيه ليس ذا وقت الملام

* * *

(١) شاب : مزج ، ومحض المودة : خالصها، والقدح : الذمّ .
(٢) الرشا : أي الرشوة .
(٣) السجام : الدمع السائل .

## ١٠ - أبو علي الحسن بن علي الخالع

شاعر مفلق من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ، ولذكره موضع آخر في الباب التاسع . ومن ملح شعره قوله من أبيات [ من الخفيف ] :

اسقنا من شرابك الصّرف نمزجه بماءٍ من الثنايا زلال[١]
بنت كرمٍ كأنّها خجلةُ الخدّ تبدَّت في حلَّةٍ من دلال[٢]

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

هو معلمٌ لهواك فاعلمْ وهي الرسوم كما ترسّم[٣]
قف مطلق العبرات محتبس الصبابة يا متيّم
حتى ترى ديباج خدّ ك من دموعك فيه معلم
واذكر زمان خلاعةٍ لك في مغانيه تقدّم
إذ أنت في مجموع شمل الغانيات به مقسّم
يثني عناقك من سعا دٍ ساعداً عبلاً ومعصم[٤]
وتصير من نَعَمٍ إليك معاطف الغصن المنعّم
أرعيت ألحاظي بمو شي الرّبى خضلٍ موشّم[٥]
متضوّع الأرجاء من نفس الشمال إذا تنسّم[٦]
ألقت بكلِّ قرارةٍ فيه يد الأنواء درهم
والأقحوان الغضُّ من خجل الشقائق قد تبسّم

---

(١) الصرف : الخالص ، الصافي .
(٢) بنت كرمٍ : أي بنت العنب .
(٣) معلمٌ : دليل .
(٤) العبل : الضخم .
(٥) خضلٍ موشّم : النديّ المعلَّم من النبات .
(٦) متضوّع : أي يفوح طيبه .

فكأنّما ريّاه أخلاق الوزير وقد تكرّم
يا من إليه مقالد العلياء عن حقٍّ تسلّم
مات السّماح فكنت في إحيائه عيسى ابن مريم

* * *

## ١١ ـ الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد النامي الخوارزمي

أنا أختم هذا الباب بذكر من هو للعلم مجمع ، وللأدب مفزع . وإليه الرحلة اليوم ببغداد في تدريس كتب الشافعي رحمه الله ، مع الشيخ أبي حامد الإسفرائيني أيده الله ، وله لسان يستوفي أقسام الفصاحة ، ويجمع بين العذوبة وحسن العبارة والبراعة ، وشعر يشرف بصاحبه ، ويأخذ من القلب بمجامعه كقوله [ من الطويل ] :

أيا زائر البيت العتيق وتاركي قتيلَ الهوى لو زرتني كان أجدرا
تحجُّ احتساباً ثم تقتلُ عاشقاً فديتك لا تحججْ ولا تقتلِ الورى

وكقوله ، وكتب به إلى أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي [ من الخفيف ] :

حاش لله أن أزول عن العهد وإن زاد سيدي في الجفاءِ
أنا ذاك الذي عرفت قديماً لابسٌ للصديق ثوب الوفاء

وأنشدني أبو الحسن الكرخي ، قال: أنشدني الشيخ أبو محمد لنفسه [ من الكامل ] :

يا عينُ منكِ شكايتي وبلائي أنت التي أسلمتني لشقائي
لمّا نظرت إلى محاسن وجههِ أشعلت نار الشوق في أحشائي
ثم اعتبرت لتخدعيني بالبكا فكشفت ذاك السرّ للأعداء
فتأمّلي ماذا جنيتِ وأمسكي بالله عنّا معشر الغرباء

وقال : أنشدني أيضاً لنفسه [ من المنسرح ] :

عجبت من معجبٍ بصورته وكان من قبل نطفةً مذره[1]
وفي غدٍ بعد حسن صورته يصير في الأرض جيفةً قذره
وهو على عجبه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذره[2]

وقال : أنشدني أبو محمد الحامدي له بيتين في سابور استملحتهما جداً ، وهما [ من مجزوء الكامل ] :

سابور ، ويحك ! ما أخسّك ! بل أخصّك بالعيوبِ !
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم كيف يحسن في القطوبِ

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه ، قال : أنشدني أبو يعلى الواسطي ، قال : أنشدني النامي لنفسه [ من البسيط ] :

قالتْ له ورأى في وجهها أثراً فازورّ عنه كئيب القلب مدهوشا
ما حسن ديباجة الخدِّ المليح إذا لم يحكِ في حسنه الديباج منقوشا

قال : وأنشدني أبو علي الكندي، قال : أنشدني النامي لنفسه ، وقد أهدى هدية مهرجانية إلى بعض الرؤساء [ من المنسرح ] :

هديَّةُ المهرجان واجبة على السلاطين لا على الفقها
وإن جرى عبدكم على سننٍ من التهادي فما أتى سفها
حَمْلٌ على أنّني لكم قلمٌ قطّ برأسين يكشف الشبها

* * *

---

(١) مذره : قذره وقبيحه .

(٢) العذره : الأقذار كالغائط وغيره .



# الباب التاسع

## فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم

### ١٢ - في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

منهم من تقدم ذكره ومنهم من تأخر ، ومنهم من لا يجري له ذكرٌ فيما سواه .

قال السلامي من قصيدة فيه وقد أعيد إلى الوزارة وخلع عليه [ من البسيط] :

اليوم طبَّقَ أفق الدولة النورُ ... وأوضحت فلقَ الملك التباشيرُ[1]
فكلُّ عينٍ إليك اليوم طامحةٌ ... وكلُّ قلبٍ بما خوِّلت مسرورُ
أقبلت في خلع السلطان زيّنها ... ذيلٌ على أنجم الجوزاء مجرور
كأنّما نسجتها في الرياض يداً ... غيثٌ فرونقها بالحسن مغمور
ورحت فوق جوادٍ كالعقاب جرى ... والجود في سرجه والمجد والخير

محمد بن أحمد الحمدوني من قصيدة له فيه [ من البسيط] :

وفي الظعائن مهضومُ الحشى غنجٌ ... يخطو بأعطاف نشوان الخطا ثملِ[2]
ظبيٌ مشى الورد من لحظي بوجنته ... مشيَ اللواحظ من عينيه في أجلي

---

(١) الفلق : الاشراق والنور .

(٢) الظعائن : النساء في الهودج ، وثمل : نشوان يتمايل غنجاً ودلالاً .

ومترف الترب مجّاج الندى عطرٍ مفوّف النور موسوم الثرى خضلِ[1]
قد شام جدوله فيها مهنّدةً فاهتزّ مثل اهتزاز الخائف الوجل
إذا نسيم الصبّا باحت سرائره أصغى إليهنّ سمع الغصن بالميل
والروض تسحب فيه السحب أرديةً مظاهراتٍ عليها أظهر الحلل
يا مؤنس الملك والأيام موحشةٌ ورابط الجأش والآجال في وجل
ما لي وللأرض لم أوطن بها وطناً كأنّني بكرُ معنىً سار في المثل
لو أنصف الدهر أو لانت معاطفه أصبحت عندك ذا خيلٍ وذا خول[2]
لله لؤلؤ ألفاظٍ أساقطها لو كنّ للغيد ما استأنسن بالعطل[3]
ومن عيون معانٍ لو كحلت بها نجل العيون لأغناها عن الكحل[4]
سحرٌ من الفكر لو دارت سلافته على الزمان تمشّى مشية الثمل[5]

أبو الفرج الببغاء [ من البسيط ] :

لمت الزمان على تأخير مطّلبي فقال ما وجه لومي وهو محظورُ
فقلت لو شئت ما فات الغنى أملي فقال أخطأت بل لو شاء سابورُ
عذْ بالوزير أبي نصر وسلْ شططاً أسرفْ فإنّك في الإسراف معذور[6]
وقد تقبّلتُ هذا النّصح من زمني والنّصحُ حتى من الأعداء مشكورُ
وما لطرف رجائي عنك منصرفٌ وهل يفارق جرم المشتري النور[7]

(١) ومترف الترب : أي أنه يعيش حياةً راغدة في سعة وبحبوحة .
(٢) الخول : الخدم والعبيد .
(٣) العطل : يقال جيدٌ عطل : أي خالٍ من الحليّ .
(٤) النجل : الواسعة .
(٥) السلاقة : الخمرة .
(٦) غد : أي احتمي ، والشطط : مجاوزة الحدّ .
(٧) الجرم : الكوكب ، والمشتري : أحد الكواكب .

ابن بابك من قصيدة [ من الخفيف ] :

شِمت برقَ الوزير فانهلَّ حتّى لم أجد مهرباً إلى الإعدامِ
وكأنّي وقد تقاصر باعي خائضٌ في عباب أخضرَ طامي
مستفيض النّدى كريم السّجايا عاجل العفو آجل الانتقام
كذب الزاعمون أنّ المعالي في صدور المثقّفات الدوامي
إنّما المجد والنّدى والمساعي والرّدى في أسنَّةِ الأقلام[1]

ابن لؤلؤ من قصيدة [ من المتقارب ] :

خصال العلا كلُّها من خصالي وصوب الحيا قطرةٌ من شمالي
خلقتُ كما شاءتِ المكرماتُ بعيدُ النظير فقيد المثال
تنزّهني عن دنايا الأمو ر نفسي وتندبني للمعالي
فللبأس طول يدي والحسام وللمجد والحمد جاهي ومالي
وحرفٍ تعرّس فيها الرياح إذا ما صغت للوني والكلال[2]
أجرّتْ تعوّج مثل القسيّ يُحملن ركباً كمثل النّبالِ[3]
ومجنوبةٍ في حواشي المطيّ ينفِّضن أعرافها كالسّعالي
طلبن الوزير فتى أردشير صنو الندى وحليف المعالي
بعيد مدى الجود لا يتّقي مؤمّله بكريه المطال[4]
أغرُّ يرى لك ما لا تراه لديه ويعطيك قبل السؤال
ويهتزُّ من طربٍ للسماح هزّ الصّبا للرماح الطوال

(١) المثقفات : أي السيوف والرماح الصقيلة .
(٢) الحرف : النوق ، وتعرّس : تستريح، والونى والكلال : التعب والارهاق .
(٣) أجرّت : تركت وشأنها .
(٤) المطال : من المطل وهو التسويف والمماطلة .

الخليع النامي من قصيدة [ من الكامل ] :

في أيِّ منـزل صبـوةٍ لم أنزلِ ... وبـأيٍّ منطـق عاذلٍ لم أعذل[1]
ما حقٌّ هذا الربـع إذ فيه الهوى ... أن يستضـام بوقفةِ المستعجل
كِلْ إنْ حضـرت إلـى الدمـوع سؤاله ... فالدّمـع أفصـح من سؤال المنزل[2]
يا هذه إن لم يكُنْ لك نائلٌ ... فعـدىً وإن لم تجملـي فتجملي
جودي فإنْ لم تحسنـي فتعلّمـي الـ ... إحسـان من هذا الـوزير المفضل
أعـدى الزمـان ندا أبـي نصـر فلو ... سمنـاه أن يهـب الصّبـا لم يبخل
أرضـى الديانـة والصيانـة حكمه ... بكفايتـي قلـمٍ وقـائم منصل[3]
يـا موئـل الراجي وهـل للحـائم الـ ... ـصّادي سوى قطر الحيا من موئل[4]
أسعـد بإقبـالٍ وعيدٍ قابلاً ... بك شخص سعـدٍ ليس بالمترحِّل
وتمـلَّ فضـلك فهـو أفخـر ملبسٍ ... وتبـوَّ عزَّك فهـو أمنـع معقل[5]
وآخبـر متى ما شئـت إخلاصـي تبنْ ... لك نيَّةُ المصفـي مـن المتجمّل
ما قلـت قطّ لمنعـمٍ هبْ لي وفي ... تحصيل رأيك قد رغبـت فهبـه لي
فالآن قد أوفـى النجـاح علـى المنى ... بسعادتـي في الأصـل لا بتوصلي
وعلمـتُ أنّـي مقبـلٌ وعلامـة الـ ... ـإقبـال أنّـي عذت منـك بمقبل

الحاتمي من أرجوزة [ من مجزوء الرجز ] :

أولـى بعفـوٍ مَنْ قدرْ ... لا عفـو عن جانٍ أصرّ[6]

---

(١) الصبوة : جهل الفتوة ولهوها .
(٢) كِلْ : أي دع .
(٣) المنصل : السيف .
(٤) الصادي : الظمآن .
(٥) تبوّ : أي تبوأ وارتقي ، والمعقل : الحصن .
(٦) الجاني : الآثم المذنب .

لــم يجــن ذنبــاً من أقرّ الصّــبــر عنــوان الظفــر
أولــى بفــوزٍ من صَبَرْ المجــد في خوض الخطر
كفّــي العيــان المختبــر أولــى بعــرفٍ مــن شكر
شــكــر الــريــاض للمطــر إن يطــوِ معــروفٌ نشر
الحمـد خيـرُ مدّخـر إن ساءك الـزّمـان سـرّ
مـا كسـر الدهـر جبرْ من زجـر الهـوى انزجر
بــادر من العيش الغرر ما العيش إلا المبتدر[1]
لهفــي لعصـرٍ مدّكـر إذ غصــن عيشــي مهتصر[2]
آصــالــه مثـل البكـر لم تفتــرع منـه العذر[3]
مــرّ كلمــحٍ بالبصــر وأرّجُ النّشـر عطـر
غصــنٌ ودعـصٌ وقمر تحــت ظلامٍ من شعر[4]
ذي ريقــةٍ تشــكو الخصر شيبــت بمســكٍ وسكر[5]
محييةٌ ميـت الوطـر وسابـحٍ سامـي النظـر
أســرع من وشــك القدر وخاطـر الـوهـم خطر
وسائــلٍ مــن منحــدر وقبلــةٍ علــى حـذر

ومنها :

أوفــى علــى كل البشر سابــور مجـداً وأثـر
وإنّمــا العضــب الذكـر أعــاره مـا لم يعر[6]

---

(١) الغرر : الفرص ، والمبتدر : المبادر الذي لا يؤجّل .
(٢) مهتصر : مقصّف ومعتصر .
(٣) تفترع : تفتض ، والعذر : من العذراء وهي البكر التي لم تمسّ .
(٤) الدعص : الكثيب من الرمل كناية عن الأرداف .
(٥) الخصر : البارد .
(٦) في الأصول: «إن ما العضب الذكر» ولا يتمّ الوزن، والعضب: السيف، والذكر: القاطع .

رأياً كمحتوم القدر فانصاع كالنّجم انكدر
يحمد إن ذمّ المطر تهفو الرواسي إن زفر
في كفّه نفعٌ وضرّ ولحظه خيرٌ وشرّ
والدهر طوعٌ ما أمر يجري بما ساء وسرّ
ذو خلقٍ سهلٍ يسر كمثل نوّار الزهر
وشبه أنواءِ المطر يحيي أفانين الثمر
من بالغٍ ومنتظر كالأمن من بعد الحذر
والخير في أعقاب شر وكالكرى غبّ السهر(١)
عمّرت ما شاء الوطر فأنت للملك وزر(٢)
دونك عذراء الفقر تُتلى كما تتلى السُّور

الخالع من قصيدة [ من البسيط ] :

أفي غلائلها غصنٌ من البان يهتزُّ في نعمةٍ أم قدُّ إنسان
هيفاءُ مرهفة الأعطاف إن خطرتْ أهدت نشاط الهوى من خطو كسلان
تبسّمت فظنَّنا أنَّ مبسِمها فيه من اللؤلؤ المجلوِّ سمطان(٣)
وأومأتْ بيمينٍ لو دنت لفمي لأفسدت صالحاً من نسك إيماني
مقسِّم العيش في تحصيل مأثرةٍ سيارةٍ يتقاضاها لباسان
فللدروع عليه يوم ملحمةٍ وللدرائع منه يوم ديوان
طرز الطّلاقة في ديباج غرّته للبشر فيها إشاراتٌ بألوان
كأنّ ماء الحياء الغمر منسكباً فيها يفيض على نوّار بستان(٤)

---

(١) الكرى : النعاس، وغبّ السهر : بعده .
(٢) الوطر : الحاجة والمأرب والبغية ، وزر : مساعد وحامٍ .
(٣) السمط : العقد .
(٤) الغمر : الكثير .

محمد بن بلبل من قصيدة [ من الكامل ] :

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً ... وارتدّ روض الحمد وحفاً ناعما[1]
سمّيت نفسي إذ رجوتك واثقاً ... ودعوتها لك مذ مدحتك خادما
فمتى أقوم بشكر نعمتك التي ... عقدت عليَّ من الخطوب تمائما[2]
لا زال جدُّك للعدو مزاحماً ... يعلو وآنف حاسديك رواغما[3]
واسعد بعيدٍ قد حبتك سعوده ... عزّاً يكون مع السعادة قادما

أحمد بن علي المنجم من قصيدة [ من الخفيف ] :

أيهذا الوزير محّصت بالإحسان جور الدنيا ووزر الزمان
فاشربِ الراح راحة القلب أخت الروح روح المكروب أنس الأماني
وابقَ ما شئت في نعيم تراهٍ ... لك أنموذجاً لعيش الجنان

السفياني من قصيدة [ من الكامل ] :

روض المنى بك عاد غضّاً مونقاً ... واهتزّ غصن المجد فيه وأورقا
وابيض وجه الدهر بعد سخومه ... وارتدّ بعد ظلامه فتألّقا[4]
فُتَّ الأنام فما يجاريك امرؤٌ ... في حلبة الفخر المنيع المرتقى
ولو اغتدى ظهر المجرّة راكباً ... وغدا بأذيال السُّهى متعلّقا
أجرى فكان مسبِّقاً وصفا فكا ... ن مروِّقاً وسطا فكان محقّقا
وشأى فكان محدّقا وهمي فكا ... ن مطبّقا وعفا فكان موفّقا[5]

---

(١) الوحف : الغزير من النبات والشعر .
(٢) التمائم : جمع تميمة وهي عوذة يعلّقها الانسان تجنّباً لشرٍّ من الشرور ودفعاً له .
(٣) جدك : حظّك ونجمك .
(٤) السخوم : السواد .
(٥) شأى : تطلع بنظرٍ حاد .

أحمد بن المغلس من قصيدة [ من الخفيف ] :

أبــروقٌ تلألأتْ أم ثغورُ ولـيالٍ دجـت لنـا أم شعورُ
وغصــونٌ تأوَّدت أم قدودٌ حامــلاتٌ رمّانهــن الصدورُ[1]
طالعاتٌ من السجوف على الركـــــب بـدورٌ أبـرزتهنّ الخـدور[2]
مثقــلاتٌ أردافُهُــنَّ ولكـن مرهفــاتٌ من فوقهــن الخصورُ
مـطمعـاتٌ في وصلهنّ ودون الـــــوصل إن رمتـه دمـاءٌ تمـور[3]
عــزَّ منهـنَّ مــا يــرام كمـا عـــــزّ جنابٌ يحتـلُّ فيـه الـوزيـر
نصر المجد حافظاً حـرمة المجـــــد أبــو نصـر الـرضـا سـابـور
مفــردٌ في الـزمــان ليس يـدانيــــه من النـاس مشبـهٌ أو نــظيـر
إنْ يواجــه فطـود حلــمٍ ركينٌ أو يفـاوض فبحـر علـمٍ غزيرُ[4]
أو يجــد واهبــاً فغيثٌ مطيرٌ أو يصـل واثبـاً فليثٌ هصورُ

سعد بن محمد الأزدي من قصيدة [ من الطويل ] :

أأجفـو الهــوى في ربعِــهِ لا أخاطبه وأمضي ولـم تلعـب بدمعـي ملاعبه ؟

ومنها في وصف السحاب :

وأقمــرَ منشــور الجنــاح مرفرفٍ تحلّــى بعقيانِ البــروق ترائبه[5]
وخلف غمــام الخــدر بدرٌ مضمّخٌ بحســن بديعٍ والحلــيُّ كواكبُهْ
أرجـى أبــا نصــرٍ لعصــرٍ كأنّما من النــار عينــاه فمــن ذا يغاضبه

(١) تأوّدت : تمايلت .
(٢) السجف : الفرجة بين السترين .
(٣) تمور : تجري .
(٤) الطود الركين : الجبل العالي الثابت الأركان ، والرزين .
(٥) الترائب : جمع تربية ، وهي موضع القلادة من النحر .

علـى عيلـةٍ لو حُمِّـل الدهـر ثقلها لزلـت به رجـلاه وانقضّ غاربه[1]
إذا ما رآه النـاس قالـوا تعجُّباً تبـارك مختـار الكمـال وواهبُهْ

الحسن بن محمد العضدي [ من الكامل ] :

يلقـاك إن لاقـاك دهـرك كالحاً متبسّـماً كالعـارض المتبسِّـم[2]
وإذا سمـا نحـو العـلا لم يتخذْ غير المواهـب والعـلا من سُلَّم
سيَّان عزمـك والحسـام المُنتضى ونـدى يديك وصـوبُ نوء المرزم[3]
كم منّـةٍ لك لم يكدِّرْ صفوها منٌّ وكم نعمـى شفعـتَ بأنعم ؟
أتـراك تحرمنـي لطيف عنايةٍ وبـك الغـداة من الزّمـان تحرّمي
وأنـا ابـنُ أنعمـك القديمـة فليصِلْ منـك السمـاح مؤخّـراً بمقدم

عون بن علي العنـري [ من مخلع البسيط ] :

لسـتُ علـى العتـب بالمنيب ولا لـلّـوم بمستجيـب[4]
جـلّ غرامـي وزاد سقمي وذبـت شوقـاً إلـى مذيبي
غير عجيبٍ نحـول جسمي شوقـاً إلـى حسنـه العجيب
تلهُّـبُ الـوجنتين منـهُ غادر قلبـي علـى لهيب
يا دهـر أغربـت في التعدّي والجـور ظلمـاً علـى الغريب
شوبـك لي فرقـةً بشوقٍ أطلـع من لمتـي مشيبي[5]
حسبـي أبـو نصـر المرجّى عونـاً علـى الدّهـر والخطوب
إن ضاق دهـرٌ بنـا أوينا منـه إلـى صدره الرحيب

(١) الغارب : الكاهل .
(٢) الكالح : المتجهِّم الوجه .
(٣) نوء المرزم : نوء الشتاء البارد .
(٤) المنيب : التائب والراجع .
(٥) شوبك : من الشوب ـ بفتح فسكون ـ مصدر بمعنى الخلط والمزج ، تقول : شاب كذا بكذا يشوبه شوباً .



# الباب العاشر

## ١٣ ـ في ذكر الشريف أبي الحسن الرضى الموسوي النقيب وغرر شعره

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل ، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلّى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين ، من مضى منهم ومن غبر[1] على كثرة شعرائهم المفلقين ، كالجماني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح ، الممتنع عن القدح ، الذي يجمع إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها ، فأما أبوه أبو أحمد فمنظور علوية العراق مع أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى ، وكان قديماً يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده أبي الحسن هذا ، وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة ، فقال أبو الحسن قصيدة يهنىء بها أباه ، ويشكره على تفويضه أكثر هذه

---

(١) غبر : تقدّم في الزمان .

الأعمال إليه [ من الكامل ] :

انظرْ إلى الأيّام كيف تعودُ ... وإلى المعالي الغرّ كيف تزيدُ
وإلى الزمان نبا وعاود عطفه ... فارتاح ظمآنٌ وأورق عودُ[1]
قد عاود الأيام ماء شبابها ... فالعيش غضٌّ والليالي عيد
إقبال عزٍّ كالأسنّة مقبلٍ ... يمضي وجدٌّ في العلاء جديدُ
وعلاً لأبلج من ذؤابة هاشمٍ ... يثني عليه السؤدد المعقود[2]
قد فات مطلوباً وأدرك طالباً ... ومقارعوه على الأمور قعود
ما السؤدد المطلوب إلاَّ دون ما ... يرمي إليه السؤدد المولود
فإذا هما اتفقا تكسَّرت القنا ... إن غالباً وتضعضع الجلمود[3]

وله من قصيدة في أبيه ، ويذكر حجه بالناس [ من الوافر ] :

دعيني أطلب الدنيا فإنّي ... أرى المسعود من رزق الطلابا
ومن أبقى لآجله حديثاً ... ومن عانى لعاجله اكتسابا
وما المغبونُ إلاَّ من دهته ... فلا مجداً ولا جدةً أصابا[4]
ونصل السّيف تسلم شفرتاه ... وتخلق كلّ أيامٍ قرابا[5]
وأيامٌ تجوز عليك بيضٌ ... وقد فتحت من الإقبال بابا
وكم يومٍ كيومك قدت فيه ... على الغرر المقانب والركابا[6]
إلى البلد الأمين مقوّماتٌ ... تماطلها التعجُّل والإيابا[7]

---

(١) نبا : فارق وابتعد ولم يستقر على ما كان عليه .
(٢) الأبلج : المنير ، والذؤابة : ذروة النسب .
(٣) الجلمود : الصخر .
(٤) المغبون : الخاسر الذي انتقص حقه ، والجدة : العطاء والغنى والترف .
(٥) القراب بالضمّ ، بزنة غراب ـ غمد السيف وجفنه .
(٦) المقانب : جمع مقنب بزنّة منبر : وهو الجيش .
(٧) الإياب : العودة .

بحيث تفرّغ الكوم المطايا حقائبها وتحتقب الثوابا[1]
معالم إنْ أجال الطرف فيها مسيءُ القوم أقلع أو أنابا[2]

وقال في الطائع لله أمير المؤمنين من قصيدة [ من الكامل ] :

لله ثمَّ لك المحلُّ الأعظمُ وإليك ينتسب العلاء الأقدمُ
ولك التراث من النبي محمدٍ والبيتُ والحجر العظيمُ وزمزمُ
تمضي الملوك وأنت طودٌ ثابتٌ ينجاب عنك متوّجٌ ومعمّمُ[3]
لله أيُّ مقام دينٍ قمتَهُ والأمر من دون القضية مبهم
فكأنّما كنت النبيَّ مناجزاً بالقول أو بلسانه تتكلم[4]
أيام طلّقها المطيع وأوحشت مذ زال عن ذا الغاب ذاك الضيغمُ
فمضى وأعقب بعده مستيقظاً سجلاه بؤسي في الرجال وأنعم[5]
كالغيث يخلفه الربيع وبعضهم كالنارِ يخلفه الرَّماد المظلم

ينظر معنى المصراع الأول إلى بيت المتنبي ، وهو أحسن ما قيل فيه ، وهو قوله [ من الطويل ] :

* فإنَّك ماء الورد إنْ ذهب الورد *

ومعنى المصراع الثاني من قول الشاعر[ من الوافر] :

وبعضُهُمُ يكون أبوه منه مكان النار يخلفها الرّماد

---

(١) تحتقب : تكتسب وتحصل .
(٢) أقلع : صلُح وابتعد عن فعل السوء وأناب : تاب .
(٣) ينجاب : ينزاح وينكشف .
(٤) مناجزاً : مدافعاً وقاضياً وموفيّاً .
(٥) سجلاه : حكمه ورأيه .

ومنها في وصف النوق :

هـنٌّ القســيّ من النحــول فإنْ سما طلــبٌ فهـنَّ مـن النجـاء الأسهم

ما أحسن ما جمع بين القسي والأسهم في هذين الوصفين ! وما أراه سبق إليه على هذا الترتيب .

ومنها :

وعظمــت قدراً أن يروقــك مغنمٌ أو أن يصــلّ علــى بنانــك درهمُ[1]

هي راحــةٌ ما تسـتفيق من النّدى أبــد الــزمـان وبــدرةٌ لا تختم[2]

ما كان يومــي دون مدحــك أنّني صبٌّ بغير جلال وجهــك مغرم

أنـت العــلا فلقصــدها مــا أقتـني مـن جــوهـرٍ ولمــدحها مــا أنـظم

ما حقٌّ مثلــي أنْ يضــاعَ وقوله باقــي العمــاد علــى الزمــان مخيِّمُ

وأنــا القــريب قرابــةً معلومةً والعــرق يضــرب والقرائــب تلحم

إنــي لأرجــو منــك أنْ سيكون لي يومٌ أغيظ به الأعــادي أيوم[3]

وأنــال عنــدك رتبــةً مصقولةً إنْ عاين الأعــداء رونقهـا عموا

إنّــي وإنْ ضرب الحجــاب بطوده أو حال دونــك يذبــل ويلملم[4]

لأراك في مرآة جودك مثــل ما يلقــى العيان الناظــرُ المتوسِّمُ

يا دهــر دونــك قد تماثــل مدنفٌ واقتصّ مهتضــمٌ وأورق معدم[5]

إنّــي عليك إذا امتــلأت حميّةً بنــدى أمير المــؤمنين محـرّم

---

(١) يصلّ : يرنّ ويسمع له صوت .

(٢) البدرة : كيس توضع فيه كميّة من الدراهم .

(٣) يوم أيوم : أي شديد كقولهم : ليلٌ أليل وليلة ليلاء وشعر شاعر ، كأنهم لم يجدوا شيئاً يصفونه به إلاّ أن يشتقوا الوصف منه .

(٤) يذبل : جبل ، ويلملم : ميقات اليمن ، مكان على مرحلتين من مكة .

(٥) اقتص مهتضمٌ : أي نال حقّه بعد انتقاص.

ومــذ ادّرعــت فنــاءه وعطاءه أُرمــى ويرمينــي الزّمــان فأسلم

وقال من قصيدة لما خلع الطائع يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجع مما لحقه وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [ من مجزوء الكامل ] :

إنْ كــان ذاك الــطود خــــــرّ فبعــدمــا استعـلى طــويــلا
مــوفٍ عـلــى القلل الذوا هب في العــلا عرضــاً وطولا[1]
قــرمٌ يســدّد لحظـه فيرى القــروم لا مثولا
ويُــرى عــزيــزاً حــيث حــــــلّ ولا يَــرى إلّا ذلــيــلا
كــالّــليـت إلّا أنّــهُ اتــــــخــذ العــلا والعــزّ غـيــلا[2]
وعــلا عـلــى الأقــران لا مثــلاً يعــدُّ ولا عديلا
مــن معشــرٍ ركبــوا العلا فأبــوا عن الــكرم النّزولا
كرمــوا فروعــاً بعــد ما طابــوا وقــد عجمــوا أصولا[3]
نســبٌ غــدا روّاده يســتنخبــون لــه الفحــولا
يــا ناصــر الــدّين الــذي رجــع الزمــان بـه كليـلا
يــا صارم المجــد الــذي ملئت مضــاربــه فلــولا
يــا كــوكــب الإحــســان أعـــــــجلك الــدُّجى عنــا أفــولا
يا مصعــب العلياء قــا دتك العــدى نقضــاً ذلولا
لهفــي عـلــى ماضٍ قضى أنْ لا يُرى منــه بديلا
وزوال ملكٍ لم يكنْ يومــاً يقــدّر أن يزولا
ومنــازلٍ سطـر الزمـا ن على مغــانيهـا الحؤولا
مــن يزجــرِ الدّهــر الغشو م ويكشفِ الخطــب الجليلا ؟

---

(١) موفٍ : مشرف ومرتفع .

(٢) الغيل : مسكن الأسود .

(٣) عجموا : جرّبوا واختبروا .

وتــراه يمنــع دونـنــا وادي النــوائـب أن يسيلا
عقّـاد ألــويــة المـلو ك علـى العــدى جيلاً فجيلا
صــانعـت يــوم فراقـه قلبـاً قد اعتنــق الغليلا[1]
ظَعَــنَ الغنــى عنّـي وحوّ ل رحلـه إلاّ قليـلا[2]
إن عــاد يــومــاً عــاد وجـــــــــه الــدهـر مقتبـلاً جمـيــلا
ولئــن غدا طوع المنو ن ميمّـماً تلـك السّبيلا
فلقـد يخلّـف مجـدَهُ عبئـاً علـى الـدّنيا ثقيلا
واستــذرت الأيام مــن نفحــاتـه ظـلاًّ ظليــلا[3]

وله من قصيدة يذكر فيها الحال يوم القبض على الطائع لله ، ويصف خروجه من الدار سليماً ، وقد سلبت ثياب أكثر الأشراف والقضاة ، وانتهبوا وامتحنوا ، فأخذ هو بالحزم ساعة ، ووقف على الصورة ، وبـادر إلـى نزول دجلـة ، وكان أول خارج من الدار ، وتلوم من تلوم حتى جرى عليه ما جرى ، ويذكر غرضاً آخر في نفسه ويشكو الزمان، ويذم عمل السلطان [ من البسيط] :

لواعـج الشــوق تخطيهــم وتصميني والـلوم في الحـبِّ ينهاهـم ويغريني[4]
سلا عن الوجــد إنّــي كلّ شارقةٍ تريشنــي الشّيب والأيام تبريني[5]
من لي ببلغــة عيشٍ غير فاضلةٍ تكفُّنــي عن أذى الــدنيا وتكفيني
أخــي من باع دنياه وزخرفها بصونــه كان عنــدي غير مغبون
قالــوا أتقنــع بالــدّون الخسيس وما قنعـتُ بالـدّون بل قنّعــت بالدون[6]

---

(١) الغليل : الظمأ .
(٢) ظعن : رحل .
(٣) استذرت : استظلّت .
(٤) تصميني : تقتلني .
(٥) سلا : نسي ، وطابت نفسه بعد الفراق .
(٦) الدون : الوضع القليل .

إذا ظننّا وقدَّرنا جرى قدرٌ | بنازلٍ غير موهومٍ ومظنون
أعجبْ بمسكة نفسي بعد ما رميتْ | من النوائب بالأبكار والعون[1]
ومن نجاتيَ يوم الدار حين هوى | غيري ولم أخل من حزمٍ ينجّيني
مرِقت فيها مروق النجم منكدراً | وقد تلاقت مصاريع الرّدى دوني[2]
وكنت أوّل طلاّعٍ ثنيتها | ومن ورائي شرٌّ غير مأمون[3]
من بعد ما كان ربّ الملك مبتسماً | إليَّ أدنيه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه | لقد تقارب بين العزّ والهون
ومنظرٍ كان بالسّراء يضحكني | يا قرب ما عاد بالضّراء يبكيني
هيهات أغترُّ بالسلطان ثانيةً | قد ضلّ ولاَّجُ أبواب السلاطين

وقال في القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر عند استقراره في دار الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [ من الكامل ] :

شرف الخلافة يا بني العباسِ | اليوم جدَّدهُ أبو العباسِ
وافى لحفظ فروعها وكنيِّه | كان المثير مواضع الأغراس[4]
هذا الذي رفعت يداه بناءها الـ | ـعالي وذاك موطِّدُ الآساس

كأنه ألم فيه بقول ابن الرومي في المعتضد بالله [ من الطويل ] :

كما بأبي العباس أنشىء ملككم | كذا بأبي العباس منكمْ يُجدد

رجع :

ذا الطود بقَّاه الزمان ذخيرةً | من ذلك الجبل العظيم الراسي
فالآن قرَّ العزُّ في سكناته | ثلجَ الضمائر باردَ الأنفاس

(١) العون : يقصد النوائب الشديدة .
(٢) المروق : الخروج والنّفاذ من جانبٍ إلى آخر .
(٣) الثنية : منعطف الوادي .
(٤) كنيِّه : أي بيت الخلافة والكنّ ، وقاء كلّ شيء وستره .

وقفــت أخــامص طالبيه ورفّهت أيدٍ نقضــن معاقــد الأحلاس[١]
واحتــلّ غاربــه ولــيّ خلافةٍ ما كان يلبسهــا علــى اللَّباس
سبــق الرّجــال إلــى ذراهــا ناجياً من نابِ كلّ مجــاذبٍ نهّاس[٢]
يقظـانُ يجــرح في الخطــوب وينثني ولهــاه للكِلْـمِ الــرغيب أواسي[٣]
ويرقُّ أحيانــاً وبين ضلوعه قلــبٌ علــى المــال المثمَّــر قاسي
تغــدو ظُبــى البيض الرقــاق بقلبه أحلـى وأعـذب من ظبــاء كناس[٤]
فكأنَّ حمــل السيف يقطــر غِربه أنســى يمين يديه حمــل الكاس
أحســود ذي الغــرر الشــوادخ إنَّها حرمٌ علــى الأعيار لا الأفراس[٥]
لا تحســدن قومــاً إذا فاضلتهم فضلــوك في الأخــلاق والأجناس
مجـدٌ أميرُ المــؤمنين أعدته غضّــاً كنــوز المــورق الميَّاس
وبعثــت في قلــب الخلافــة فرحةً دخلت علـى الخلفـاء في الأرماس[٦]
أورِقْ أمين الله عودي إنّما أغــراث مثلك في العــلا أغراسي[٧]
واملك علــى من كان قبلك سلوةً في فرط تقريبــي وفــي إيناسي

وله فيه من أخرى يصف فيها جلسة جلسها فأوصل إلى حضرته الحجيج وغيرهم وحضر الشريف ذلك المجلس ، وعليه السواد في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة منها [ من الكامل ] :

لمــن الحــدوج تهزهــنَّ الأنيق والــركب يطفـو في الســراب ويغرق[٨]

(١) الأخامص : أطراف الأقدام ، والأحلاس : أي العهود والمواثيق .
(٢) النّهاس : النهاش والذي يعضّ .
(٣) ولهاه : مواساته ، والكلم : الجرح ، والرغيب : الواسع .
(٤) الظُّبى : الحدّ من السيف وغيره ، والكناس: بيت الظبي .
(٥) الشوادخ : الظاهرة المنترة والأعيار : جمع عير كل قافلة من الجمال والبغال والحمير .
(٦) الرمس : القبر .
(٧) أغراث : تجويع .
(٨) الحدوج : جمع حدج بكسر الحاء وسكون الدال ، وهو مركب للنساء كالمحفة .

أنّي اهتديتُ ؟ فلا اهتديت ! وبيننا ... سورٌ عليّ من الظلام وخندقُ
ومطلّحون لهمْ بكلّ ثنيّةٍ ... ملقى وسادته الثّرى والمرفق
أبغاةَ هذا المجد ، إنّ مرامه ... دحضٌ يزلُّ بطالبيه ويزلق[1]
لا تحرجوا هذي البحار فربّما ... كان الذي يروي المعاطش يغرق
ودعوا مجاذبة الخلافة إنّها ... أرجٌ بغير ثيابهم لا يعبق
وأبوكم العباس ما استسقى به ... بعد القنوط قبائلٌ إلاّ سقوا[2]
بعج الغمام بدعوةٍ مسموعةٍ ... فأجابه شرق البوارق مغرق[3]
لله يومٌ أطلعتك به العلا ... علَماً يزاول بالعيون ويرشق
لمّا سمتْ بك غرّةٌ مرموقةٌ ... كالشمس تبهر بالضياء وترمق
وبرزتَ في بُردِ النبيّ وللهدى ... نورٌ على أسرار وجهك مشرق[4]
وعلى السّحاب الجون ليثٌ مُعَظّماً ... ذاك الرّداء وزرٌّ ذاك اليلمق[5]

وكأنّ دارك جنّةٌ حصباؤها الـجادي أو أنماطها الإستبرق[6]

في موقفٍ تغضي العيون جلالةً ... فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس إمّا شاخصٌ متعجّبٌ ... ممّا يرى أو ناظرٌ متشوّق
مالوا إليك محبّةً فتجمعوا ... ورأوا عليك مهابةً فتفرّقوا
وطعنت في غرر الكلام بفيصلٍ ... لا يستقلُّ به السّنان الأزرق
وأنا القريب إليك فيه ، ودونه ... لندى عدوّك طود عزٍّ أعبق
عطفاً أمير المؤمنين فإنّنا ... في دوحة العلياء لا نتفرّق

---

(١) الدحض : الباطل والزّلل .
(٢) القنوط : اليأس .
(٣) بعج : شقّه وجعل ماءه يسيل .
(٤) برد النبي : عباءته أو لباسه .
(٥) اليلمق : بزنة جعفر : قباء فارسي .
(٦) الجادي : الزعفران .

ما بيننـــا يوم الفخـــار تفاوتٌ أبـــداً كلانـــا في المعالـــي معرق[١]
إلاّ الخلافـــة ميَّزتـــك فإنّني أنـــا عاطـــلٌ منهـــا وأنـــت مطوَّق[٢]

هذه طريقة لم يسبق إليها ، وما أحسنها في جمع أطراف الاستعطاف والمدح ! وله من أخرى يذم الزمان ، ويفتخر [ من المنسرح ] :

توقّعـــي أن يقـــال قدْ ظعنا ما أنـــت لي منـــزلاً ولا وطنا
يا دار قلَّ الصّـــديق فيكِ فما أحسُّ ودّاً ولا أرى سكنا
كيف يخـــاف الزمـــان منصلِتٌ مذ خاف غدر الزمـــان ما أمِنا[٣]
لم يلبس الثـــوب من توقّعه للأمـــر إلاّ وظنَّـــه كفنا
لي مهجـــةٌ لا أرى لهـــا عوضاً غير بلـــوغ العـــلا ولا ثمنا
ما ضرَّنـــا أنّنـــا بلا جدةٍ والبيت والـــركن والمقـــام لنا[٤]
سوف ترى أنّ نيل آخرنا من العـــلا فوق نيل أوّلنا
وأنّ ما بُزَّ من مقادمنا يخلفـــه الله فـــي أواخرنـــا[٥]

وورد عليه أمر أهمه وأقلقه فرأى شيباً في رأسه وسنه ثلاث وعشرون سنة .
فقال [ من السريع ] :

عجّلـــتَ يا شيبُ علـــى مفرقي وأيُّ عذرٍ لك أن تعجلا ؟
فكيف أقدمـــت علـــى عارضٍ ما استغـــرق الشعـــر ولا استكملا
كنـــت أرى العشـــرين لي جنّةً من طارقـــات الشيب إنْ أقبلا[٦]
فالآن سيّـــان ابـــن أمِّ الصّبا ومـــن تســـدّى العمـــر الأطولا[٧]

---

(١) معرق : أصيل .
(٢) عاطل منها : أي أنها ليست من نصيبي بل هي من نصيبك ، والجيد العطل : الخالي من الحليّ .
(٣) منصلت : مسرع وسابق .
(٤) الجدة : الغنى والمال .
(٥) بزَّ : سلب وأخذ بالقوة .
(٦) الجنّة : الستر والدرع .
(٧) تسدّى : امتدّ به العمر .

يا زائــراً ما جاء حتــى مضى وعارضــاً ما جاد حتــى انجلى
ومــا رأى الــراؤون مــن قبلنا زرعــاً ذوى من قبــل أن يسبلا[1]
ليت بياضــاً جاءنــي آخـراً فدى بياضٍ كـان لي أولا
وليت صبحــاً ساءنــي ضوؤه زال وأبقــى ليلـه الأليلا
يا ذابــلاً صوَّح فينانه قد آن للذابــل أن يختلى[2]
خطّ برأســي يققــاً أبيضاً كأنّمــا خـطّ به منصلا[3]
هذا ولــم أعــدّ مجــال الصّبا فكيف من جاوز أو من علا
من خوفــه كنــت أهــاب السُّرى شحّــاً علــى وجهــي أن يبذلا[4]
فليتنـــي كنـــت تسربلتُــه في طلــب العــزّ ونيـل العلا
قالــوا دعِ القاعــد يزري به من قطـع الليل وجـاب الفلا
قل لعذولــي اليوم عدْ صامتاً فقــد كفانــي الشيب أنْ أعذلا
طبــت به نفســاً ومــن لم يجد إلاّ الــردى أذعــنُ واستقتلا

وقال في الوزير أبي القاسم علي بن أحمد يستصوب رأيه في الاستتار لأمر أوجبه [ من مجزوء الكامل ] :

تأبــى الليالــي أن تديما بؤســاً بخلــقٍ أو نعيما
والمــرء بالإقبــال يبــلـغ وداعــاً خطـراً عظيمــا
وينــال بغيتـه ومــا أنضــى الــذميل ولا الرسيما[5]
فــإذا انقضــى إقباله رجــع الشــفيع له خصيما

---

(١) ذوى : ذبل ، وأسبل : بدت سنابله .
(٢) صوّح : يبس وتشقّق .
(٣) اليقق : يعني به الشيب .
(٤) السُّرى : المسير ليلاً .
(٥) الذميل : المسرع في لين والرسيم : أثر السير في الأرض .

وهـو الزمـان إذا نبا سلـب الـذي أعطـى قديما
كالـريح ترجـع عاصفاً من بعـد ما بدأت نسيما
ذاك الـوزير وكان لي وزراً أحزّبـه الخصومـا[1]
فـالآن أغـدو للعـدى ونبالهـا غرضـاً رجيمـا[2]
سـدّي العـلا وأنـار لا فضّ اللقـاء ولا ملوما
حتـى إذا لم يبـق إلاّ أنْ يلام وأنْ يليما
طـرح العنـاء علـى اللئا م مجانبـاً ومضـى كريما
لـم يعتلقـه الحبـس ممتهـنـاً ولـم يعـزل ذميمـا
أفنـى العـدى وقضـى المنى وبنـى العـلا ونجـا سليما
وجـهٌ كأن البـدر شا طره الضياء أو النّجوما
لـو قـابـل الـليـل الـبـهـيـم لـمـزّق الـليـل الـبـهـيـمـا
يـجـلو الـهـمـوم وربّ وجـــهٍ إن بـدا جلب الـهـمـومـا
كان العـظيم ، وغير بـد عٍ منـه أنْ ركب العظيما
والحـرّ من حذر الهوا نِ وحـاول الأمـر الجسيما
بعثـوا سواك لهـا وكا ن مبلّـداً عنهـا مليما[3]
والـعـاجـز الـمـأفـون أقـــعـــد مـا يكـون إذا أقيمـا[4]
فسـقـى بـلادك حيـث كنـت المـزن منبعقـاً هزيمـا[5]
فلقـد سقـى خـديَّ ذكـرك دمـع عينـيَّ السّجومـا

وقال [ من الطويل ] :

عذيري من العشرين يغمزن صعدتي ومـن نوب الأيام يقرعـن مروتي[6]

---

(١) وزراً : مساعداً ومؤازراً .
(٢) رجيماً : المرجوم بالحجارة ، والملعون .
(٣) المبلّد : العاجز الرأي والضعيف .
(٤) المأفون : الضعيف الرأي .
(٥) المنبعق : المفاجىء المندفع ، والهزيم : المندفع بقوّة .
(٦) المروة ـ بفتح فسكون ـ الحجر الأبيض الورّاق الذي يوري ناراً .

ألا لا أعـد العيش عيشـاً مع الأذى لأن رفيق الـذل حيٌّ كميّتِ
تخوّفنـي بالمـوت والمـوت راحةٌ لمـن سلّ عزمـي قلبـه مثـل همّتي
وكم بين ذي أنفٍ حمـيٍّ وحاملٍ موارن قد عودن حمـل الأحشة[1]

وقال [ من الطويل ] :

أكابرنـا والسابقـون إلـى العلا ألا تلك آسـادٌ ونحـن شبولها
وإنّ أسـوداً كنـت شبـلاً لبعضها لمحقوقـةٌ أن لا يذلَّ قبيلهـا

وقال [ من الطويل ] :

حذفـت فضـول العيش حتـى رددتها إلـى دون ما يرضـى به المتعفِّفُ
وأمّلـت أن أجـري خفيفـاً إلـى العلا إذا شئتـمُ أن تلحقـوا فتخفّفوا
حلفـت بربِّ البـدن تدمـى نحورها وبالنفـر الأطـوار لبّـوا وعرّفوا[2]
لأبتـذلنّ النفس حتّـى أصونها وغيري في قيدٍ من الـذلِّ يرسفُ
فقـد طالمـا ضيّعـت في العيش فرصةً وهـل ينفـع الملهـوف ما يتلهف
وإنّ قوافـي الشعـر ما لم أكن لها مسفسفـةً فيهـا عتيقٌ ومقرف[3]
أنـا الفـارس الوثّـاب في صهواتها وكلّ مجيدٍ جاء بعـديَ مردف

وقال [ من الطويل ] :

بنـو هاشـمٍ عينٌ ، ونحـن سوادها على رغم من يأبـى ، وأنتـم قذاتها[4]
وأعجـب ما يأتـي به الدهـر أنكمْ طلبتـم علاً ما فيكُمُ أدواتها

---

(١) الموارن : جمع مارن ، وهو من الأنف أرنبته .
(٢) البدن : النوق ، والأطوار : أصحاب العلم والمعرفة .
(٣) العتيق : الأصيل : والمقرف : قريب من الهجين إلاّ أن الأقراف يكون من قبل الذكر والهجنة تكون من قبل الأنثى .
(٤) قذاتها : القذى ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .

وأمّلتمُ أن تدْركوها طوالعاً دعوها سيسعى للمعالي سعاتها
غرست غروساً كنت أرجو لقاحها وآمل يوماً أن تطيب جناتها
فإنْ أثمرتْ لي غير ما كنت آملاً فلا ذنب لي إن حنظلتْ نخلاتها[1]

وقال يرثي أبا منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي [ من المنسرح ] :

أيُّ دموعٍ عليك لم تصبِ وأيّ قلبٍ عليك لم يجبِ[2]
ما لي وما للزمان يسلبني في كلّ يومٍ غرائب السّلب
أما فتىً ناضر الصبا كأخي عنديَ أو زائد المدى كأبي
وإنّني للشّقاء أحسبني ألعب بالدهر وهو يلعب بي
ما نمت عنه إلاّ وأيقظني من الرزايا بفيلقٍ لجب[3]
في كلّ دارٍ تغدو المنون، ومن كلّ الثنايا مطالع النوب
يفوز بالراحة الفقيد وللـ ـفاقد طول العناء والتعب
أحمد ، كم لي عليك من كمدٍ باقٍ ؟ ومن جود أدمعٍ سرب
ولوعةٍ تحطّم الضلوع إذا ذكرت قرب اللقاء عن كثب
إنْ قطّع الموت حبلنا فلقد عشنا وما حبلُنا بمنقضب[4]
كم مجلسٍ صبّحته ألسننا نفضن فيه لطائم الأدب
من أثرٍ يونق الفتى حسنٍ أو خبرٍ يبسط المنى عجب
أو عرضٍ أصبحت خواطرنا تساقط الدرّ منه في الكتب
كالبارد العذب روّقته صبا الفجر أو الظَّلم زين بالشنب[5]

(١) الحنظل : نبات ثمره شديد المرارة .
(٢) لم تصب : لم تنهمر ألماً ، والوجيب : الخفقان والاضطراب .
(٣) اللجب : الكثير ذو الضجّة الشديدة .
(٤) منقضب : منقطع .
(٥) الظَلْم : ماء الأسناب وبريقها ، والشّنب : البارد ، أو صفاء الأسنان وبياضها .

غاض غدير الكلام ما بقي الدّهر وقرّتْ شقائق الخطب[1]

يا علم المجد لمْ هويتَ وقدْ    كنت أمين العماد والطنب ؟

يا مقول الدهر لم صمتّ وقد    كنت زماناً أمضى من الشهب ؟

يا ناظر الفضل لمْ غضضتَ وما    كنت قديماً تغضي على الريب ؟

كنت قريني ولست لي لدةً    كنت نسيبي ولست من نسبي[2]

ممّا يقوّي العزاء عنك وإن    شرّد قلبي العزاء بالكربِ

أنّك أحرزتها وإن رغم الدهر ثمانين طلقة الحقب

فإنْ دموعي جرين نهنهها    علمي أن قد ظفرت بالأرب[3]

فليت عشرين بتُّ أحسبها    باعدن بين الورود والقرب

إنّي أظمأ إلى المشيب ، ومن    ينجُ قليلاً من الرّدى يشب

إن سرّني طالع البياض أقلْ    يا ليت ليل الشّباب لم يغب

مرّ على ذلك التراب من المزن خفوق الأعلام والعذب[4]

فثمّ بشرٌ أصفى من الغدق العذب وجودٌ أندى من السحب

لا تحسبنّ الخلود بعدك لي    إنّ المنايا أعدى من الجرب

إنْ أنجُ منها وقد شربت بها    فإنّ خيل المنون في طلبي

ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه . ولما رثى أبا منصور الشيرازي بهذه القصيدة في سنة ثلاث وثمانين رثى أبا إسحاق الصابي في سنة أربع وثمانين بالقصيدة التي أوردتها في بابه ، ثم لما حال الحول وتوفي الصاحب في سنة خمس وثمانين وتعجب الناس من انقراض بلغاء العصر الثلاثة على نسق في ثلاث سنين ، رثاه أيضاً بقصيدة سأورد غررها في مراثي الصاحب .

---

(١) الشقاشق : الفصيح من الخطب .

(٢) اللدّة : وهو الذي ولد معك أو تربّى .

(٣) نهنها : منعها وكفّها .

(٤) العذب : أعالي الرماح ، وطرق الفنن من الشجر .

وله من قصيدة رثى بها أبا محمد بن أبي سعيد السيرافي ، وكان من الأعيان الأعلام في العربية وما يتعلق بها ، وتوفي بعيد الصاحب [ من الكامل ] :

لم ينسنا كافي الكفاة مصابه حتى دهانا فيك خطبٌ مضلّع[1]
قرحٌ على قرحٍ تقارب عهده إنّ القروح على القروح لأوجع
وتلاحُقُ الفضلاء أعدل شاهدٍ أنّ الحمام بكلّ علقٍ مولع[2]

وقال من أخرى [ من البسيط ] :

يا مصعباً بخست أيدي المنون به فقيد قودٍ ذليل الظّهر مطواع[3]
يسقي أسنّته حتى تفيض دماً ويهدم العيس من شدٍّ وأيضاع[4]

وقال [ من الكامل ] :

هيهات أصبح سمعه وعبانه في الترب قد حجبتهما أقذاؤه[5]
يمسي ولين مهاده حصباؤه فيه ومؤنس ليله ظلماؤه
قد قلّبتْ أعيانه ، وتنكّرتْ أعلامه ، وتكسّفت أضواؤه
مغفٍ وليس للذّةٍ إغفاؤه مغضٍ وليس لفكرةٍ إغضاؤه
وجهٌ كلمع البرق غاض وميضه قلبٌ كصدر العضب قلّ مضاؤه[6]
حكم البلى فيه فلو يلقى به أعداءه لرثى له أعداؤه
إنّ الذي كان النعيم ظلاله أمسى يطنّب بالعراء خباؤه[7]

---

(١) المضلّع : القوي ذو الثقل .
(٢) العلق : النفيس الغالي .
(٣) القود : يعني الخيل التي تقاد .
(٤) العيس : النوق ، والشدّ والايضاع : الحلّ والترحال .
(٥) العبان : الجسم الغليظ الخشن .
(٦) غاض وميضه : غاب واختفى بريقه ، والعضب السيف ، وفلّ مضاؤه: تقطّع حدّه القاطع .
(٧) يطنّب : أي يقيم خباءه والطنب الأعمدة .

قد خفّ عن ذاك الرواق حضوره أبداً ، وعن ذاك الحمى ضوضاؤه
كانت سوابقه طراز فنائه يجلو جمال روائهن رواؤه
ورماحه سفراؤه ، وسيوفه خفراؤه ، وجياده ندماؤه
ما زال يعدو والركاب حذاءه بين الصوارم والعجاج رداؤه[1]
لا تعجبنّ فما العجيب فناؤه بيد المنون ، بل العجيب بقاؤه
من طاح في سبل الردى آباؤه فليسلكنَّ طريقهمْ أبناؤه

ومن قصيدة رثى بها والدته [ من الكامل ] :

أبكيك لو نقع الغليل بكائي وأقول لو ذهب المقال بدائي[2]
وأعوذ بالصبر الجميل تعزّياً لو كان في الصبر الجميل عزائي
طوراً تكاثرني الدموع ، وتارةً آوي إلى أكرومتي وحيائي[3]
كم عبرةٍ موّهتها بأناملي وسترتها متجمّلاً بردائي
أبدى التجلّد للعدو ، ولو درى بتململي لقد آشتفى أعدائي
فارقت فيك تمسّكي وتجمّلي ونسيت فيك تعزّزي وإبائي
كم زفرةٍ ضعفتْ فصارت أنَّةً أتممتها بتنفّس الصّعداء
لهفان أنزو في حبائل كربةٍ ملكتْ عليَّ جلادتي وعنائي
قد كنت أرجو أن أكون لك الفدا مما ألمّ فكنت أنت فدائي
وجرى الزمان على عوائد كيده في قلب آمالي وعكس رجائي
وتفرّق البعداء بعد مودّةٍ صعبٌ فكيف تفرُّق القرباء
وتداول الأيام يبلينا ، كما يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء[4]
كيف السلوُّ وكلّ موقع لحظةٍ أثرٌ لفضلك خالدٌ بإزائي

---

(١) العجاج : الغبار .
(٢) نقع الغليل : رواه .
(٣) الأكرومة : الفعل الكريم .
(٤) الرشاء : الحبل .

وقال [ من الكامل ] :

قلْ لليالي قد ملكت فأسجحي ... ولغيرك الخلق الكريم الأسجح[1]
إنْ ساء فعلك في فراق أحبّتي ... فلسوء فعلك في عذاريَ أقبح
ضوءٌ تشعشع في سواد ذؤابتي ... لا أستضيء به ولا أستصبح

ومنها :

والذلُّ بين الأقربين مضاضةٌ ... والذلُّ ما بين الأباعد أروح[2]
وإذا رمتك من الرجال قوارصٌ ... فسهام ذي القربى أشدُّ وأجرح
لو لم يكن ليَ في القلوب مهابةٌ ... لم يطعنِ الأعداء فيَّ ويقدحوا

وقال [ من المتقارب ] :

أنا ابن الأناجب من هاشمٍ ... إذا لم تكن نُجُبٌ من نجبْ
تلاثُ برودهم بالرماح ... وتلوى عمائمهمْ بالشهبْ[3]
عتاق الوجوه ، وعتق الجيا ... د في الضمر تعرفه والقببْ[4]
يشفّ الوضاء خلال الشحو ... ب منها وخلف الدخان اللهبْ

وقال [ من السريع ] :

السراح والراحة ذلُّ الفتى ... والعزُّ في شرب ضريب اللقاح[5]
ما أطيب الأمر ولو أنّه ... على رزايا نعمٍ في المراح

---

(١) اسجحي : يسِّري وسهلي ، والخلق الأسجح : اللّين السهل .
(٢) المضاضة : الألم والمصيبة .
(٣) تلاث : تلطّخ وتصاب .
(٤) عتاق الوجوه : كرامها ، والقبب : ضمور البطن ودقّة الخصر .
(٥) الضريب : اللبن الذي يحلب بعضه فوق بعض .

وقال وأجاد [ من الرجز ] :

ستعلمون ما يكون منّي ... إن مدّ من ضبعي طول سنّي[1]
أأدع الدنيا ولم تدعني ... وسعت أيامي ولم تسعني

* أفضل عنها وتضيق عني *

وقال من أخرى [ من الوافر ] :

تجاذبني يد الأيّام نفسي ... ويوشك أن يكون لها الغلابُ
نهضت وقد قعدن بي الليالي ... فلا خيلٌ أعزّ ولا ركاب
وما ذنبي إذا اتفقت خطوبٌ ... مغاضبةٌ وأيامٌ غضاب
وبعض العدم مأثرةٌ وفخرٌ ... وبعض المال منقصةٌ وعاب[2]
بناني والعنان إذا نبتْ بي ... ربي أرضٍ ورجلي والركاب[3]
سواءٌ من أقلّ الترب منّا ... ومن وارى معالمه التراب

كأنه من قول ابن نباتة [ من الوافر ] :

* ومن لبس التراب كمن علاه *

رجع :

وإنّ مزايل العيش اختصاراً ... مساوٍ للذين بقوا فشابوا[4]
وأوّلنا العناء إذا طلعنا ... إلى الدنيا ، وآخرنا الذهاب
وإنّ مقام مثلي في الأعادي ... مقام البدر تنبحه الكلاب
رموني بالعيوب ملفقاتٍ ... وقد علموا بأنّي لا أعاب

(١) الضبع : ما بين الإبط ، إلى نصف العضد .
(٢) العدم : الفقر ، والعاب : من العيب .
(٣) نبت : جفت ولم توافق .
(٤) مزايل : مفارق .

وأنّـي لا تدنّسنـي المخازي    وأنّـي لا تروّعني السّباب
ولمّـا لم يلاقـوا فيّ عيباً    كسونـي من عيوبهـم وعابوا

وقال [ من الطويل ] :

سأبـذل دون العـزّ أكرم مهجةٍ    إذا قامت الحرب العوان على رجلِ[1]
ومـا ذاك أنّ النفس غير نفيسةٍ    ولكن رأيت الجبـن ضربـاً من البخل
ومـا المكرهـون السمهـرية في الطلى    بأشجـعَ ممّـن يكره المـال بالبذل

وقال في ذم بعض الناس [ من البسيط ] :

الله يعلـم ميلـي عن جنابكمُ    ولـو تنـاهيت لي في البـرّ واللطفِ
فكيف بي وعلـى عينيك ترجمةٌ    من الحقـود وعنـوانٌ من السّرفِ

أخذه من قول البحتري [ من الوافر ] :

وفـي عينيك ترجمـةٌ أراها    تدلُّ علـى الضغائـن والحقود

رجع :

أطـوف منـك بوجـهٍ غير ملتفتٍ    إلـى المناجـي وعـطفٍ غير منعطف
فمـا أغبُّـك من عذرٍ ولا شغلٍ    ولا أزورك من وجـدٍ ولا شغف[2]
لا قدس الله نفسـاً منـك جامعةً    كيد البغـال وحقـد الخلـد والسّرف
ولا سقـى الغيث داراً أنـت ساكنها    إلاّ بأغبـر ناريٍّ الـذّرى قصف

وقال [ من المنسرح ] :

زللـت من موقفـي علـى طللٍ    بالٍ فمـن عاذري من الطلل

---

(١) العوان : الشديدة .
(٢) الغبّ : الزيارة فترة بعد فترة .

لمّا تأملت قبح صورته رجعت أبكي دماً على أملي
وجهُ كظهر المجنّ مسترق الحسن وأنفٌ كغارب الجمل[1]

وقال في الخليفة القادر بالله [ من الوافر ] :

تخطينا الصفوف إلى رواقٍ تحجّبُ بالصوارم والرّماحِ
وحيّينا عظيماً من قريش كأنّ جبينه فلق الصّباح
عليه سيماءُ المجد يبدو وعنوان الشجاعة والسّماح[2]

وقال في أبي الحسن النصيح ، وقد لامه في تأخره عنه [ من مجزوء الوافر ] :

أكافينا النّصيح بقيت فينا دائماً أبدا
تحثُّ إلى العلا قدماً وتبسط بالنوال يدا
لئن حرّقتني عذلاً لقد نوّهت بي صعدا
عليَّ طروق داركمُ وليس عليّ أن أردا[3]

أخذه من قول منصور :

عليَّ أن أزوركُمُ وليس عليَّ أن أصلا

وقال [ من المتقارب ] :

أبيعك بيع الأديم النغل وأطوي ودادك طيَّ السّجلْ[4]
وأنفض ثقلك عن عاتقي فقد طالما آذيتني يا جبلْ
قوارص لفظٍ كحزِّ المدى وشزرات لحظٍ كوقع الأسلْ[5]

---

(١) المجنّ : الدرع ، والغارب : السنام في الجمل لأنّه أعلاه.

(٢) سيمياء : آثار وعلامات .

(٣) أرِد : من الورد وهو الشراب ويعني الحصول على الصلة .

(٤) نغل الأديم : أي فسد في دبغه .

(٥) شذرات لحظ : أي نظرات مغضبة، والأسل : الرماح .

وإنَّ أذلَّ الأذلّين منْ يروم ببضـع النسـاء الدول[1]

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

يا ليلـةً كرُمَ الزما ن بهـا لو آن اللّيل باقي
كـان اتفـاقـاً بيننـا جارٍ علـى غير اتّفاق
فاستـروح المشتـاق مـن زفـرات همٍّ واشتيـاق
واقتـصّ للحقـب الموا ضي بل تسـلـف للبواقي
حتّـى إذا نسمـت ريا ح الصبـح تؤذن بالفراق
بـرد الـسّـوار لـهـا فـأحـميت الـقـلادة بـالـعـناق

وله في وزير بذل مالاً كثيراً حتى يقلد الوزارة فاستصوب رأيه في ذلك [ من مجزوء الرمل ] :

اشـتـرِ العـزَّ بمـا بيـع فمـا العـزُّ بغـال
بـالقصـار الصـفـر إن شئـت وبالسّـمـر الطـوال
ليس بالمغبـون حظّـاً مشـترٍ عـزّاً بمـال
إنّمـا يدخـر المـال لحـاجـات الرجـال
والفتـى مـن جعـل الأمـوال أثمـان المعالـي

وقال [ من السريع ] :

يا عذبـة المبسـم بلّـي الجوى بنهلـةٍ من ريقـك البارد[2]
أرى غديراً شبمـاً ماؤه بادٍ فهـل للمـاء من وارد[3]
من لي بـذاك العسل الـذائب الـجـاري خـلال البـرد الجـامـد

---

(١) بضع النساء : فروجهنّ .
(٢) الجوى : شدّة الوجد والاحتراق من العشق .
(٣) الشبم : البارد .

وقال [ من الطويل ] :

وسالمتُ لما طالت الحرب بيننا إذا لم تظفرْ في الحروب فسالم

وقال [ من الطويل ] :

لنا الدوحة العليا التي نزعتْ لها إلى المجد أغصان الجدود الأطايبِ
إذا كان في جوّ السماء عروقها فأين عواليها وأين الذوائبِ ؟

وله في غلام أعجمي [ من الطويل ] :

حبيبيَ ما أزرى بحبّك في الحشا ولا غضّ عندي منك أنّك أعجمُ
بنفسي من يستدرجِ اللّفظ عجمةً كما يمضغ الظبي الأراك ويبغم[1]

وقال [ من البسيط ] :

كم المقام على جيلٍ سواسيةٍ ترجو الندى من إناءٍ قطُّما رشحا
تشاغل الناس باستدفاع شرّهمُ عن أن تسومهمُ الإعطاء والمنحا

وقال [ من الكامل ] :

واهاً على عهد الشباب وطيبه والغضّ من ورق الشباب الناضرِ
واهاً له ما كان غير دجنّةٍ قلصت صبابتها كظل الطائر[2]
وأرى المنايا إن رأت بك شيبةً جعلتك مرمى نبلها المتواتر
لو يفتدي ذاك السواد فديته بسواد عيني بل سواد ضمائري
أبياض رأسٍ واسوداد مطالبٍ ؟ صبراً على حكم الزمان الجائر !

وكان عمل قصيدة في بهاء الدولة وأنفذها إليه ، فنسبه بعض الحساد إلى الترفع عن إنشادها ، فقال [ من الطويل ] :

---

(١) بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها ، تعطف عليه .
(٢) دجنّة : الظلمة ، أو الغيم الكثير المظلم .

جناني شجاعٌ إن مدحت ، وإنّما لساني إن نسيم النّشيد جبانُ

وما ضرّ قوّالاً أطاع جنانه إذا خانه عند الملوك لسان

وربّ حَيِيٍّ في السّلام وقلبه وقاحٌ إذا لفّ الجياد طعان[1]

وربّ وقاح الوجه تحمل كفّه أنامل لم يعرق بهنّ عنان

وفخر الفتى بالقول لا بنشيده ويروي فلانٌ مرّةً وفلان

وورد عليه أمر أشغل قلبه فقال [ من السريع ] :

إن أنشب الخطب فلا روعةً أو عظم الأمر فصبرٌ جميل

فليهون المرء بأيامه أنّ مقام المرء فيها قليل

إنّا إلى الله وإنّا له وحسبنا الله ونعم الوكيل

بعونه تعالى قد تم طبع القسم الثاني من يتيمة الدهر ، حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ، ويتلوه ـ إن شاء الله تعالى ـ القسم الثالث ، ويشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان .

نسأل الذي بيده الحول والطول أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

---

(١) الوقاح : الصلب والجريء .

# القســم الثالــث

من يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر

وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان



# بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على آلائه ، وأسأله شكر نعمائه ، وأصلي على محمد المصطفى المختار ، وآله وصحبه الأطهار .

وبعد ، فلما تم القسم الثاني من يتيمة الدهر أتبعته بالقسم الثالث منها ، وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وسائر فضلائها وغربائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم ، وغرر ألفاظهم .



# الباب الأول

## ١٤ ـ في ذكر ابن العميد ، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره وغرره من نثره ونظمه

هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وأوجد العصر في الكتابة ،وجميع أدوات الرياسة ، وآلات الوزارة ، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة ، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ ، والرئيس ، يضرب به المثل في البلاغة ، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة ، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها ، إلى براعة المعاني ونفاستها . وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب ـ وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها ـ بغداد في البلاد ، كالأستاذ في العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وقد أجرى ذكرهما معاً مثلاً أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن الأصبهاني في قصيدة فريدة مدح بها الصاحب ، فلما انتهى إلى وصف بلاغته قال وأحسن ما شاء [ من البسيط ] :

| | |
|---|---|
| دعوا الأقاصيص والأنباء ناحيةً | فما على ظهرها غير ابن عبّاد |
| والي بيانٍ متى يطلقْ أعنّته | يدعْ لسان إيادٍ رهن أقياد |
| ومورِدٍ كلماتٍ عطّلت زهراً | على رياضٍ ودرّاً فوق أجياد |
| وتاركٍ أولاً عبد الحميد بها | وابن العميد أخيراً في أبي جاد |

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلالة ، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق [ من البسيط ] :

ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

لأن أباه أبا عبد الله الحسين بن محمد المعروف بكلّة[1] في الرتبة الكبرى من الكتابة ورسائله مدونة بخراسان .

وذكر أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي أن رسائل أبي عبد الله لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل ، وعندي أن هذا الحكم من أبي إسحاق فيه حيفٌ شديد على ابن العميد ، والقاص لا يحب القاص .

ومن خبر أبي عبد الله أن أصله من قم ، وكان يكتب لما كان بن كاكي ، فلما قتل ما كان في المعركة واستبيح عسكره ، وحمل قواده وخواصه مقرنين في الأصفاد إلى الحضرة ببخارى ، وفي جملتهم أبو عبد الله نفعته شفاعة فضله ونبله . فأطلق عنه وأكرم ورتب في الدار السلطانية . ولما تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر . ولقب الشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان حسده أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير ، فقال فيه [ من الطويل ] :

تظلَّم ديوان الرسائل كلّه إلى الملك القرم الهمام وحقٌ له

من أبيات أنسانيها تطاول المدة بها ، واستعجم عليّ مكانها ، وكان إذ ذاك أبو القاسم علي بن محمد النيسابوري الإسكافي يكتب في ديوانه ، ويرى نفسه أحق برتبته ومكانه ، ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه ، ويقعد مقعده . وله فيه أبيات تستظرف وتستملح ، فمنها قوله [ من مجزوء الرجز ] :

وقائل ماذا الذي من كلّةٍ تطلبه

---

(١) الكِلَّة : الصوفة الحمراء في رأس الهودج وهي كنية تدل على شهرته .

قلت له أطلب أنْ يقلب منه لقبه

وقوله فيه ، وكان يحضر الديوان في محفة لسوء أثر النقرس[1] على قدمه [ من مجزوء الكامل ] :

يا ذا الذي ركب المحفّة جامعاً فيها جهازه
أترى الإله يعيشني حتى يرينيها جنازة

وقوله فيه ، وقد استوزر والديوان برسمه [ من الطويل ] :

أقول وقد سرْنا وراء محفّةٍ وفيها أبو عبد الإله كسيرا
شقاؤك من شكواك ثم شقاؤنا من أيام سوءٍ قدّمتك وزيرا
ترقيك من هذي المحفّة حيّةٌ إلى النعش محمولاً تصرُّ صريرا[2]

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبي عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته ، وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل في حياة أبيه وبعد وفاته بالري وكور الجبل وفارس . يتدرج إلى المعالي ويزداد على الأيام فضلاً وبراعة ، حتى بلغ ما بلغ ، واستقر في الذورة العليا من وزارة ركن الدولة ، ورياسة الجبل ، وخدمه الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدي ، فمدحه بتلك القصائد المشهورة السائرة التي منها [ من الكامل ] :

من مبلغ الأعراب أنِّي بعدهمْ شاهدت رسطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملِّكاً متبدِّياً متحضّرا
ولقيت كلَّ الفاضلين كأنّما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدّماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخّرا

---

(1) النقرس : مرض يصيب الجلد ويترك فيه آثاراً وتقلصات .
(2) ترقيك : تلدغك ، تصرُّ : تصوّت .

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ثمنٌ تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته وقطفت أنت القول لما نوّرا

ومدحه الصاحب بمدح كثيرة استفرغ فيها جهده ، وألقى حميته ، فمن عيون شعره فيه قوله من قصيدة [ من الخفيف ] :

من لقلبٍ يهيم في كلّ واد وقتيلٍ للحبٍّ من غير واد
إنّما أذكر الغواني والمقصد سعدي مكثراً للسّواد
وإذا ما صدقت فهي مرامي ومنائي وروضتي ومرادي
وندى ابن العميد إنّي عميدٌ من هواها أليّة الأمجاد[1]
لو درى الدهر أنّه من بنيه لازدرى قدر سائر الأولاد
أو رأى الناس كيف يهتزّ للجود لما عدّوه في الأطواد[2]
أيّها الآملون حطّوا سريعاً برفيع العماد واري الزناد
فهو إنْ جاد ضُنَّ حاتم طيٍّ وهو إنْ قال قلَّ قسُّ إياد
وإذا ما ارتأى فأين زيادٌ من علاه وأين آل زياد
أقبل العيد يستعير حلاه من علاه العزيزة الأنداد
سيضحّي فيه لمن لا يواليه ويبقى بقيّة الأعياد
ومديحي إن لم يكن طال أبياتاً فقد طال في مجالي الجياد
إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كلٍّ ناد

ما أحسن ما أدمج الافتخار في أثناء المدح ! وإنما ألم فيه بقول يزيد بن محمد المهلبي لابن المدبر [ من الخفيف ] :

إن أكن مهدياً لك الشعر إني لابن بيت تهدى له الأشعار

---

(١) الآليّة : القَسمْ .
(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل الثابت .

ومن مختار شعر الصاحب قوله فيه وقد قدم إصبهان [ من الكامل ] :

قـدّم الـرئيس مقدّمـاً في سبقه ... وكأنّما الـدنيا جرت في طرقه
فجبالهـا من حلمـه ، وبحارها ... من جوده ، ورياضهـا من خلقه
وكأنّمـا الأفـلاك طوع يمينه ... كالعبـد منقـاداً لمـالك رقّه
قد قاسمتـه نجومهـا : فنحوسها ... لعـدوه ، وسعودهـا في أفقه
ما زلـت مشتاقـاً لنـور جبينه ... شوق الرياض إلى السّحـاب وودقه[1]
حتـى بدا من فوق أجـرد سابحٍ ... إن قال فتٌّ الـريح فاه بصدقه
يحـكي السّحـاب طلوعـه فصهيله ... من رعـده ومسيره من برقه
فنظمـت مدحـاً لا وفـاء بمثله ... وسجـدت شكراً لا نهـوض بحقّه

وقوله [ من مجزوء الكامل ] :

قالـوا : ربيعـك قد قدمْ ... فلك البشـارة بالنعـم
قلـت : الـربيع أخـو الشتا ... ء أم الـربيع أخـو الكرم ؟
قالـوا : الـذي بنوالـه ... يغنـي المقـلّ عن العدم
قلـت : الـرئيس ابـن العميـ ... ـد إذاً؟ فقالـوا لي : نعم !

وقوله [ من المنسرح ] :

أمـا ترى اليوم كيف جادلنا ... بمستهـلّ الشـؤبـوب منسجمـه[2]
يحـكى أبـا الفضـل في تفضّله ... هيهـات أن يعتـزى إلـى شيمه[3]
كم حاسـدٍ لي وكنـت أحسده ... يقـول من غيظـه ومـن ألمه :
نال ابـن عبّـاد المنـى كملاً ... إذ عدّه ابـن العميد من خدمه

---

(١) الودق : المطر المنهمر بهدوء .
(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، أو شدتها .
(٣) الشيم : الصفات الحميدة ، والسجايا .

وقوله في توديعه [ من المتقارب ] :

أودّع حضرتك العالية ... ونفسي لا دمعتي هاميه
ومن ذا يودّع هذا الجناب ... فتهنؤه بعده العافيه
جنابٌ رعيت به جنّةً ... قطوف مكارمها دانيه[1]
رأيت به فائضات العلا ... وعلّمت ما للهمم العاليه
كأنّي بغداد في شوقها ... إليك وأدمعها الجاريه
وأنت المرجّى لإظفارها ... بآمالها وبآماليه
ولو كنت تأذن لي في المسير ... إذاً سرت في جملة الحاشيه
سبقت جوادك مدّ الطريق ... وسرت وفي يدي الغاشيه[2]

ولابن خلاد القاضي فيه مدح تشوبها ملح ، كقوله [ من الوافر ] :

بأسعد طالعٍ عيّدت يا من ... بطلعته سعادة كلّ عيد
فعشْ ما شئت كيف تشاء والبسْ ... جديد العمر في زمنٍ جديد
فقد شهدت عقول الخلق طرّاً ... وحسبك بالبصائر من شهود
بأنّ محاسن الدنيا جميعاً ... بأفنية الرئيس ابن العميد

ولأبي الحسن البديهي فيه من قصيدة [ من المتقارب ] :

إذا اعتمدتني خطوب الزّمان ... وكان اعتمادي على ابن العميد
تذكرت قربيَ من قلبه ... فيمّمته من مكانٍ بعيد
تجاوز في الجود حدّ المزيد ... وجلّ نداه عن المستَزيد
وفات الأنام ، وفاق الكرام ... برأيٍ سديدٍ ، وبأسٍ شديد

ومما يستبدع فيه ويستحسن معناه قول أبي علي [ بن ] مسكويه له عند

---

(١) دانيه : أي مذلّلة سهلة الجناء .

(٢) الغاشية : سورة من القرآن الكريم ، والغاشية الغطاء ، وغلاف القلب .

انتقاله إلى قصر جديد بناه [ من البسيط ] :

لا يعجبنّك حسن القصر تنزله فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائةً ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

وأنشده ابن أبي الشباب[1] في يوم مهرجان قصيدة في مدحه أولها [ من الطويل ] :

آقبرٌ لنا طلّت ثراك يد الطلِّ وحيّا الحيا المسكوب ذلك من ثلِّ [2]

فتطير من الافتتاح بذكر القبر ، وتنغّص باليوم والشعر ، وفي هذه القصيدة :

نعيمٌ فقدناه فما نرتجي له معاودةً إلاّ بفضل أبي الفضل

ودخل أبو بشر الفارسي الحافظ ـ وكان متقدماً في علم العربية ، متأخراً في قول الشعر ـ عليه يوماً ، وقد هاج به النقرس فأنشده [ من الهزج ] :

شكى النقرس نقريسٌ أخو علمٍ ونطّيس
فما دام لكم قوسٌ فنفسي لكُمُ جوس[3]

فقال له : يا أبا بشر ، هذه رقية النقرس .

ولا غنى لهذا الشعر عن التفسير ، النقريس : الداهية ، والحاذق من الادلاء ، والنطيس : الفطن بالأمور العالم بها ، وأنشد [ من الرجز ] :

وقد أكون مرّةً نطيساً طبّاً بأدواء النسا نقريسا

والقوس : صومعة الراهب ، والجوس : جمع جايس ، والجوسان : التردد ، وفي القرآن ( فجاسوا خلال الديار ) .

---

(١) في نسخة « ب » « ابن أبي الثياب » .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « أقبورنا طلّت ثراك يد الطلّ » وهو غير مستقيم الوزن ، والثل : الغيم المتصبِّب .

(٣) الجوس : الجوع أو شدّة النظر وتتابعه .

ومن أمثل شعر أبي بشر قوله [ من المتقارب ] :

وأنِّــيَ لا أكره من شيمتي زيارة حيٍّ بلا منفعه
ولا أحمـد القـول من قائلٍ إذا لم يكن منـه فعـلٌ معه
ومـن ضاق ذرعـاً بإكرامنا فلسنـا نضيق بأنْ نقطعه

وكان كل من أبي العلاء السروي ، وأبي الحسن العلوي العباسي ، وابن خلاد القاضي ، وابن سمكة القمي ، وأبي الحسين بن فارس ، وأبي محمد بن هندو، يختص به ويداخله وينادمه حاضراً ، ويكاتبه ويجاويه ويهاديه نثراً ونظماً ، ويقال : إن أحسن رسائله الإخوانيات وما كاتب به أبا العلاء ، لصدوره عن صدر مائل إليه محب له مناسب بالأدب إياه .

* * *

## فصل من رسالة له إليه في شهر رمضان وهو مما لم يسبق إليه

كتابي ـ جعلني الله فداك ـ وأنا في كدٍّ وتعب ، منذ فارقت شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان ، وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم . ومرتهن بتضاعف حرور[1] لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضاً[2] أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضبّ ويصـرف وجه الحربـاء عن التحنّـق ، ويزويه عن التبصـر ، يقبض يده عن إمسـاك ساق وإرسال ساق [ من البسيط ] :

ويترك الجـاب في شغـلٍ عن الحقب ويقدح النـار بين الجلـد والعصب[3]

(١) الحرور : شدّة اللهب .
(٢) الغريض : الطازج .
(٣) الجاب : حمار الوحش .

ويغادر الوحش وقد مالت هواديها [ من الطويل ] :

سجوداً لدى الأرطى كأنّ رؤوسها علاها صداعٌ أو فواقٌ يصورها[1]

وكما قال الفرزدق [ من الطويل ] :

ليومٍ أتت دون الظلال شموسه تظلُّ المها صوراً جماجمها تغلي

وكما قال مسكين الدارمي [ من الطويل ] :

وهاجرةٍ ظلّت كأنّ ظباءها إذا ما اتّقتها بالقرون سجودُ
تلوذ بشؤبوبٍ من الشمس فوقها كما لاذ من وخز السّنان طريد

وممنوٍّ بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كلا ولا قلة ، وكسحو الطائر من ماء الثماد دقة[2] ، وكتصفيقة الطائر المستحرّخفة [ من الطويل ] :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةٌ فلما رجوها أقشعتْ وتجلَّت
وكنقر العصافير وهي خائفةٌ من النواطير يانع الرطب[3]

وأحمد الله على كل حال ، وأسجله أن يعرفني فضل بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب إليه في أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته . وينقض مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد عليّ غرة شوال فهي أسر الغرر عندي وأقرّها لعيني ،

---

(١) الأرطى : شجرٌ له ثمرٌ كالعناب ، والفواق : الميل والإنكسار في الفوق ، وهو موقع الوتر من رأس السهم ، ويصورها : يلويها .
(٢) الثماد : الماء القليل .
(٣) البيت من المنسرح ، والكاف ليست منه ، وإنّما اجتلبها للتشبيه .

ويسمعني النعرة[1] في قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور[2] ، ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها . ويحط من الأجسام نوءها[3] ، كلفا يغمرها ، وكسوفا يسترها ، ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة . وينقص من أطرافه كما تنقص النيّرات من طرف الزند ، ويبعث عليه الأرضة ، ويهدي إليه السوس ، ويغري به الدود ، ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل ، ويجتحفه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم . ويرمي به مسترق السمع . ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه وتهتك بطلوعه ( ويرحم الله عبداً قال آمينا )[4] وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستعفيه من توفيقي لما يذمه ، وأسأله صفحاً يفيضه ، وعفواً يسيغه ، وحالي بعد ما شكوته صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

وقد أجمع أهل البصيرة في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه ، وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام ، لأبلغ إمام ؟

* * *

---

(١) النُعرة : الأمر الذي يهمُّ به .

(٢) الكور : موضع الزنابير ، وهي من الذباب الأليم اللسع .

(٣) النوء : الاضطراب والشدّة .

(٤) هذا عجز بيت من البسيط ينسب لمجنون ليلى وصدره « يا ربّ لا تسلبني حبّها أبدا » .

## فصـــل مـن أولهـا

كتابي وأنا مترجّح بين طمع فيك ، ويأسٍ منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فإنّك تدل بسابق حرمة ، وتمتّ بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة[1] ، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل ما يرعى لك ، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك : أقدم رجلاً لصدمك . وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك[2] ، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنيعة لديك ، وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة فإلى انجلاء[4] . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك . بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت . فلا عجب ان تنتبه انتباهةً تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمكن[5] ، طمعاً في إنابتك[7] ، وتحكمياً لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك

---

(١) الغلول : الحقد والغش .

(٢) الاصطلام : الاقتطاع من الأصل .

(٣) يعزب : يبعد ويغيب .

(٤) الغمرة : الشدّة .

(٥) الاستيناء : التمهّل .

(٦) الإنابة : العودة والتوبة .

واستدراجاً لك ، فإن يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسددك ، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير .

* * *

## فصل منها

وزعمت أنك في طرف من الطاعة ، بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها ، وحلبت شطريها . فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك . كيف وجدت ما زلت عنه ؟ وكيف تجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول في ظلٍّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عذى[1] وماء روي ، ومهاد وطي ، وكنٍّ كنين[2] ، ومكان مكين ، وحصن حصين . يقيك المتالف[3] ، ويؤمنك المخاوف . ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة[4] ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال، وتعلّقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك، ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك . ففيم الآن أنت من الأمر؟ وما العوض عما عددت ، والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفّك ، وغمست في خلافها يدك ؟ وما الذي أظلّك بعد انحسار ظلّها عنك ؟ أظلٌّ ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ؟ قل نعم ! كذلك ،

---

(١) العذى : الهواء الخالص .

(٢) الكنّ : الحصن والستر .

(٣) المتالف : الأذى والضّرر .

(٤) المتربة : الفقر .

فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة ، وأروحها في الآجلة ، إن أقمت على المحايدة والعنود[1] ، ووقفت على المشاقة والجحود .

ومنها ـ تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي ، فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ؟ واجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك ؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

قال مؤلف هذا الكتاب :

بلغني عن بلكا ـ وكان آدب أمثاله ـ أنه كان يقول : والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عرك أديمي واستصلاحي ، وردى إلى طاعة صاحبه .

أقرأني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ـ وقد اجتمعنا بإسفرائين عند زعيمها أبي العباس . الفضل بن علي ـ فصلاً من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة ، وكنت مررت عليه وأنا عنه غافل ، فنبّهني على شرفه في جنسه ، وحرك مني ساكناً معجباً بحسنه متعجباً من نفاسة معناه ، وبراعة لفظه ، وهو : قد يعد أهل التحصيل في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها . وانتقاض مررها . والأحوال الداعية الى ارتفاع جل الموجود منها ، وعدم الزيادة فيها : الطوفان بالنار والماء ، والموتان العارض من عموم الأوباء ، وتسلط المخالفين في المذاهب والآراء ، فإن كل ذلك يخترم العلوم اخترماً . وينتهكها انتهاكاً ، ويجتث أصولها اجتثاثاً ، وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتتسع قدرته . فإن البلاء به لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته ، تعظم النعمة

---

(١) العنود : الميل عن القصد .

في تملّك سلطان عالم عادل ، كالأمير الجليل الذي أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها ، ومجتمع فرقها ، وهي نور ، نوافر ممن لاقت حتى تصير إليه ، وشرد نوازع حيث حلت حتى تقع عليه . تتلفت إليه تلفت الوامق[1] وتتشوف[2] نحوه تشوف الصب العاشق . قد ملكتها وحشة المضاع ، وحيرة المرتاع :

فإنْ تغش قوماً بعده أو تزورهمْ     فكالوحش يدنيها من الأنس المحلُ

* * *

## وهذه فصول قصار له تجري مجرى الأمثال

وقد أخرجتها مما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، من غرره وفقره ، وكفاني شغلاً شاغلاً ، وقادني منه شكره ، وليست تنكر أياديه عندي .

فمنها : من أسرَّ داءه، وستر ظمأه بعد عليه أن يبلَّ من غلله ويبلّ من علله[3] * متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى[4] ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى * خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله * الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرب ، ولا تدرك إلا بتجشّم كلفة وتصعّب[5] * المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه * قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه * هل السيد إلاّ من تهابه إذا حضر ، وتغتابه إذا أدبر * اجتنب سلطان الهوى ، وشيطان الميل ، وغلبة الإرادة * المزح والهزل بابان إذا

---

(١) الوامق : المحب والعاشق .
(٢) تتشوّف : تتزيّن وتتطلّع .
(٣) يبلّ : يرتوي ، ويبلُّ من علله : يشفى .
(٤) الإعتوار : التداول .
(٥) تجشّم : كابد وعانى .

فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر ، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر .

* * *

## ما أخرج من المكاتبات بالشعر التي دارت بينه و بين ابن جلاد القاضي

أهدى ابن خلاد إلى ابن العميد شيئاً من الأطعمة ، وكتب إليه في وصفها ، وابن العميد إذ ذاك في عقب مرض عرض له ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة أولها [ من البسيط] :

قلْ لابن خلاّد المفضى إلى أمد ... في الفضل برّز فيه أيُّ تبريزِ
يعدى اهتزازك للعلياء كلَّ فتىً ... مؤخّرٍ عن مدى الغايات محجوز
ماذا أردت إلى منهوض نائبةٍ ... مدفّعٍ عن حمى اللذات ملهوز[1]
هزت بالوصف في أحشائه قرماً ... ما زال يهتزّ فيها غير مهزوز[2]
لم يترك فيه فحوى ما وصفت له ... من الأطايب عضواً غير محفوز[3]
أهديت نبرمةً أهدت لآكلها ... كرب المطامير في آبٍ وتموز[4]

( نبرمة ) هكذا في النسخة ، ولست أعرفها ، وأظن أنها شيء يجمع من الحبوب ، ويدق ويعجن بحلاوة .

ما كنت لولا فساد الحسن تأمل في ... جنسٍ من السمن في دوشاب شهريز[5]
هَل غير شتّى حبوبٍ قد تعاورها ... جيش المهاريس أو نخز المناخيز
رمت الحلاوة فيها ثم جئت بها ... تحذى اللسان بطعمٍ جِدٌّ ممزوز

---

(١) الملهوز : المدفوع الممنوع .
(٢) القرم : الطعام .
(٣) المحفوز : المطعون .
(٤) المطامير : جمع مطمورة وهي الحفرة في جوف الأرض .
(٥) الشهريز والسهريز ، وبالضم والكسر : نوع من التمر يذكر صاحب القاموس أنه معروف .

لو ساعدتك بنو حواء قاطبةً ... عليه ما كان فيهم غير ملموز[1]
أوقعت للشعر في أوصافها شغلاً ... بين القصائد تروى والأراجيز
لا أحمد المرء أقصى ما يجود به ... إذا عصرناه أصناف الشواريز[2]
ما متعة العين من خدٍّ توردّه ... يزهى عليك بخالٍ فيه مركوز
مستغرب الحسن في توشيع وجنته ... بدائعٌ بين تسهيمٍ وتطريز[3]
يوفى على القمر الموفى إذا اتصلت ... يسراه بالكأس أو يمناه بالكوز
أشهى إليك من الشيراز قد وضحت ... في صحن وجنتها خيلان شونيز[4]
وقد جرى الزيت في مثنى أسرتها ... فضارعت فضّةً تغلى بأبريز
ماذا السماح بتقريظٍ وتزكيةٍ ... وقد بخلت بمذخورٍ ومكنوز

ومنها :

لا غرو إن لم ترح للجود راحته ... فالبخل مستحسنٌ في شيمة الخوزى[5]

هكذا في النسخة ، وأظن أنه * لم ترح للجود رائحة * .

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [ من البسيط] :

يا أيّها السيّد السامي بدوحته ... تاج الأكاسر من كسرى وفيروز
أتى قريضك يزهى في محاسنه ... زهو الربى باشرت أنفاس نيروز
يا حسنه لو كفينا حين يبهجنا ... خطب النبارم فيه والشواريز
أقررت بالعجز والألباب قد حكمتْ ... به عليٌّ فقدك اليوم تعجيزي

(١) الملموز : المعيب المطعون فيه .
(٢) الشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه .
(٣) التوشيع : التزيين ، والتسهيم : التخطيطوهما أيضاً ضربان من ضروب البديع .
(٤) خيلان شونيز : الخيلان جمع خال وهو علامة في الوجه ، وشونيز : إسم بلد .
(٥) الخوزي : نسبة إلى خوزستان .

جوِّز قريضي في بحر القريض فكمْ من قائلٍ عدّ قوالاً بتجويز
إن عدت في حلبةٍ تجري بها طمعاً إنّي لأشجع من عمرو بن جرموز
إنّا لمن معشرٍ حطّوا رحالهم لما استبيروا على أسطمة الخوز[1]
لا نعرف الكسم والطرذين يوم قرى ولا الغبوق على لحمٍ وخاميز[2]

وأهدى ابن خلاد إليه كتاباً في الأطعمة . وابن العميد ناقه من علة كانت به ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة منها [ من المتقارب ] :

فهمت كتابك في الأطعمة وما كان نولي أن أفهمه
فكم هاج من قرمٍ ساكنٍ وأوضح من شهوةٍ مبهمه[3]
وأرّث في كبدي غلّةً من الجوع نيرانها مضرمه
فكيف عمدت به ناقهاً جوانحه للطوى مسلمه[4]
خفوق الحشى إن تصخ تستمع من الجوع في صدره همهمه
تتيح له شرهاً موجعاً وتغري به نهمةً مؤلمه
فأين الإخاء وما يقتضيه منك بأسبابنا المبرمه
وأين تكرّمك المستفيض فينا إذا غاضت المكرمه
وهلا أضفت إلى ما وصفت شيئاً نهشّ لأن نطعمه
يمدُّ الصديق إليه يداً إذا ما رآه ويشجى فمه
وأين شواريزك المرتضاة إذا ما تفاضلت الأطعمة
وأين كواميخك المجتباة دون الأطايب بالتكرمه

---

(١) استبيروا : أهلكوا ، والأسطمة : أوساط القوم وأشرافهم ، والخوز : إسم يطلق على بلاد خوزستان .

(٢) الكسم والطرذين : من الأطعمة ، والخاميز : مرق السكباج المبرَّد المصفّى من الدّهن .

(٣) القَرَم : الطعام والشوق إليه .

(٤) الناقه : من يفهم الحديث ونحوه ، والطوى : الجوع .

وهـل أنـت راضٍ بقولـي إذا ذكرت : دعـوه فمـا ألأمه !
إذا المـرء أكرم شيرازه فلا أكرم الله من أكرمه
وكيف ارتقابـي بقيّا امرىءٍ إذا ليم أعتـب بالنبرمه[1]
فـإن كان يجذبـك نعـت الطعام إذا الجـوع ناب أذاه فمه[2]
إذا جعـت فاعمـد لمسموطةٍ بجوذابـة المـوز مستفرمـه
متـى قستهـا بالمنـى جاءتا سواءً كمـا جاءت الأبلمه[3]
وبـزّ السـرابيل عن أفرخٍ تخـال بهـا فلـذ الأسنمه
تهـبّ النفـوس إلـى نيئها كأنّ النفـوس بهـا مغرمه
فـلا الفـم إن ذاقـه مجّه ولا الطبـع إن زاره استوخمه
ودونـك وسطـاً أجـاد الصنا ع تلفيق شطـريه بالهندمه
وعالـي علـى دفّـه هيدبا كثيفـاً كمـا تحمـل المقرمه[4]
سدىً من نتـائف نيرت بهنّ فأضحـت نسـائجهـا ملحمـه[5]
فمـن صدر فائقـةٍ قد ثوت ومـن عجـز ناهضـةٍ ملقمه
ودنّـر بالجـوز أجـوازه ودرهـم باللـوز ما درهمه
وقـاني بـزيتـونها والـجبـن صفـائـح من بيضـةٍ مـدعمـه
فمـن أسطـرٍ فيه مشكولةٍ ومـن أسطـرٍ كتبـت معجمـه
وفـوّف بالبقـل أعطافه فوافـى كحـاشيـة معلمـه[6]
موشّـى تخـال بـه مطرفاً بديع التفـاويـف والنّمنمـه
إذا ضاحكتـك تباشيـره أضـاءتْ له المعـدة المظلمه

(١) ليم : من اللوم .
(٢) يجذبك : يحلو لك ، مه : اسم فعل مبني على السكون بمعنى « كفّ » .
(٣) الأبلمة : يقال : المال بيننا شقّ الأبلمة ، أي نصفين .
(٤) الهيدبا : الشعر الكثير ، والمقرمه : محبِس الفراش .
(٥) السَّدى من الثوب : ما مدّ من ، ونيرت : أي جعل خيوطه طولاً ، لها نير ، وهو جمع الخيوط الى القصب .
(٦) فوّف : طرّز وزيّن ، ومعلمه : مزيّنه ومخططه .

وهاك خبيصاً إذا ما اقترحت ... على العبد إنعامه أنعمه
إذا سار في ثغرة سدها ... أو انساب في خللٍ لأمه
فإن شئت فادخل به مفرداً ... وإن شئت فادع إليه لمه[1]
وإيّاك تهدم ما قد بنا ... ه هدماً وتنقض ما أبرمه
فإن لم تجد ذاك يجدي عليك ... إذا ما سغبت فقل لي لمه
تعد من الجود وصف الطعام ... ولست تقول بأن تطعمه
وتحظر ما قد أحل الإلّه ... ضراراً وتطلق ما حرّمه[2]
فهل نزلتْ في الذي قد شرعتَ ... على أحدٍ آيةٌ محكمه
وهل سنَّةٌ فيه مأثورةٌ ... رواها لأشياخكم علقمه
وقلت تواصوا بصبرٍ جميلٍ ... فأين ذهبت عن المرحمه
ومن عجبٍ حاكمٌ ظالمٌ ... يرجى ليحكم في مظلمه

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [ من المتقارب ] :

هلمّ الصحيفة والمقلمه ... وأدن المحيبرة المفعمه
لأكتب ما جاش في خاطري ... فقد عظم الخوض في النبرمه
وعجّل عليَّ بهذي وذي ... فإنّي من الخوض في ملحمه
ألا حبذا ثم يا حبذا ... كتابي المصنف في الأطعمه
كفانا به الله ما راعنا ... بعلّة سيدنا المؤلمه
أطاب الحديث له في الطعام ... ففتّق شهوته المبهمه
وعاد بأوصافه للغذاء ... وطاب لنا شكر من سلّمه
ومنْ يشكرِ الله يعطَ المزيد ... كما قال الأعمش عن خيثمه
أيا ذا الندى والحجى والعلا ... ومن أوجب الدين أن نعظمه

(١) اللمه : الجماعة من الناس والأصحاب .
(٢) ضراراً : تضييقاً .

لئــن كان نبرمتــي أفسدت ولــم تأت صنعتهـا محكمه
فســوف يـزورك شيرازنــا فنقســم بالله أن تكرمـه
يميــس بشــونيــزه كالعـرو س يخطــر في الحلــة المسهمه
ويبــطـل وســط مسموطــةٍ وجـوذابــةٍ عندهــا محكمــه[1]
ويزهــى الخــوان بتقديمــه عليـه ويحمــد مــن قدّمــه[2]
ويرمـز إخوانـنــا دونـه كأنّ تحـاورهـم زمزمــــه[3]

* * *

## ما أخرج من إخوانياته

وكتب إلى أبي الحسن العباسي هذه الأبيات ، وهي من مشهور شعره وجيده [ من البسيط] :

أشــكو إليك زمانــاً ظلّ يعركني عرك الأديم ومـن يعـدى علــى الزمن
وصاحبــاً كنــت مغبوطــاً بصحبته دهــراً فغادرنــي فرداً بلا سكن
هبَّــتْ له ريحُ إقبــالٍ فطــار بها نحـو السـرور وألجانـي إلــى الحزن
نأى بجانبــه عنّــي وصيّرني من الأسى ودواعي الشـوق في قرن[5]
وبــاع صفــو ودادٍ كنــت أقصره عليه مجتهــداً في السّــر والعلن
وكان غالــى به حينــاً فأرخصه يا من رأى صفــو ودٍّ بيع بالغبن
كأنّــه كان مطــوياً علــى إحنٍ ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني[6]

---

(١) الجوذاب : طعام يتخد من سكّرٍ وأرز ولحم .
(٢) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .
(٣) الزمزمه : الدويّ ، والصوت الذي يسمع من بعيد .
(٤) في قرن : في شركٍ وقيد .
(٥) الإحن : الحقد .

« إن الـكرام إذا ما أسهلـوا ذكروا    من كان يألفهم في المنـزل الخشن »

وكتـب إلـى بعض إخوانـه هذه القصيدة ، ليعرضهـا علـى أبـي الحسـن العباسي ، وهي سائرة في الآفاق ، وكأنه قد جمع فيها أكثر إحسانه ، فقال [ من الكامل ] :

قد ذبـت غير حشاشـةٍ وذماءِ    ما بين حرٍّ هوىً وحـرٍّ هواءِ[1]
لا أسـتفيق من الغـرام ولا أرى    خلـواً من الأشجـان والبرحاءِ
وصـروف أيامٍ أقمـن قيامتي    بنـوى الخليط وفرقـة القرناء
ومثيرِ هيجٍ لا يشـقُّ غباره    فيمـا خبـاه مهيِّجُ الهيجاء
وجفـاءِ خلٍّ كنـت أحسـب أنّه    عونـي علـى السـّراء والضّراء
ثبـتِ العزيمـة في العقـوق وودّه    متنقّـلٍ كتنقّـل الأفياء
ذي ملّـةٍ يأتيك أثبـت عهده    كالخـطِّ يرقـم في بسيط الماء
أبـكي ويضحـكه الفـراق ولن ترى    عجبـاً كحاضـر ضحـكه وبكائي
نفسـي فداؤك يا محمـد من فتىً    نشـوان من أكرومـةٍ وحياء
كأسٌ من الشِّيمِ التـي في ضمنها    درك العـلا عارٍ من العوراء[2]
عذب الخلائـق قد أحطـت بخبره    وبلوتـه فـي شدّةٍ ورخاء
وبلـوت حاليه معـاً فوجدته    في العـود أكرم منـه في الإبداء
أبلـغ رسالتـي الشـريف وقـلْ له    ( قـدك اتئـب أربيت في الغلواء )[3]
أنـت الـذي شتَّـت شمـل مسرتي    وقدحـت نار الشـوق في أحشائي
وجمعـت بيـن مساءتـي ومسرتي    وقرنـت بيـن مبرّتـي وجفائي
ونبـذت حقّـي عشرتـي ومودتي    وهرقـت مائي خلّتـي وإخائي

(١) ألذماء : بقية الروح .

(٢) درك العلا : نيلها .

(٣) هذا الشطر صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبي تمام وتمامه : « كم تعذلون وأنتم سجرائي » .

وثنيت آمالي على أدراجها وردت خائبةً وفود رجائي

فرجعت عنك بما يؤوب بمثله راجي السّراب بقفرةٍ بيداء

وعرضت ودّي بالحقير ولم أكنْ ممَّن يباعُ وداده بلقاء

ورضيت بالثمن اليسير معوضةً منّي ، فهلاّ بعتني بغلاء

وزعمت أنّك لست تفكر بعدما علِقتْ يداك بذمّة الأمراء

هيهاتَ لم تصدقك فكرتك التي قد أوهمتك غنىً عن الوزراء

لم تغن عن أحدٍ سماءٌ لم تجدْ أرضاً ولا أرضٌ بغير سماء

وسألتك العتبى فلم ترني لها أهلاً ، وجئت بغدرةِ الشوهاء

وَرَدَتْ مموّهة ولم يرفع لها طرفٌ ولم ترزقْ من الإِصغاء

وأعار منطقها التذمّم سكتةً فتراجعت تمشي على استحياء

لم تشفَ من كمدٍ ، ولم تبردْ على كبدٍ ، ولم تمنحْ جوانب داء[2]

من يُشفَ من داءٍ بآخر مثله أثْرَتْ جوانحه من الأدواء

داوت جوىً بجوى ، وليس بحازمٍ من يستكفّ النار بالحلفاء[3]

لا تغتنمْ إغضاءتي فلعلّها كالعين تغضيها على الأقذاء[4]

واستبقِ بعض حشاشتي فلعلّني يوماً أقيك بها من الأسواء

فلو آن ما أبقيت من جسمي قذىً في العين لم يمنع من الإِغفاء

نظيره قول المتنبي [ من الطويل ] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقّ رأسه من السّقم ما غيّرت من خطّ كاتب

رجع :

فلئن أرحت إليَّ غارب سلوتي ووجدت في نفسي نسيم عزاء

لأجهزنَّ إليك قبح تشكرٍ ولأنشرنّ عليك سوء ثناء

(١) الكمد : الحزن والغيظ .

(٢) يستكفّ :يمنع . والحلفاء :

(٣) الاغضاء : خفض الطرف حياءً وأذىً .

ولأكسونّـك كلَّ يومٍ حلّةً متروعـةً مـن حيَّةٍ رقشاء
ولأعضـلنَّ مودّتـي من بعدها حتـى أزوّجهـا من الأكفاء[1]

وكتب إلى العلوي [ من المجتث ] :

يا من تخلّـى وولّى وصدّ عنّي وملاّ
وأوسـع العهـد نكثاً وأتبع العقد حلاّ
مـا كان عهـدك إلاّ عهد الشـبيبة ولّى
أو طائفـاً من خيالٍ ألـمَّ ثمّ تولّـى
أو عارضـاً لاح حتّى إذا دنى فتدلّى
ألـوتْ به نسماتٌ من الصّبـا فتجلّى
أهـلاً بما ترتضيه في كلِّ حالٍ وسهلا
ليجـزينّـك ودّي بمثل فعلك فعلا
إنْ شئـت هجـراً فهجراً أو شئـت وصـلاً فوصلا
صبـرت عنّي فانظرْ ظفـرتَ بالصبـر أم لا
إنّـي إذا الخـلُّ ولّى ولّيته مـا تولّى

وكتب إلى أبي محمد بن هندو ، وقد أهدى له مداداً ارتضاه [ من المجتث ] :

يا سيـدي وعمادي أمـددتنـي بمـداد
كمسـكنيـك جميعـاً مـن ناظـري وفؤادي
أو كالليالـي اللواتـي رميننـا بالبعـاد

وكتب إلى أخيه أبي الحسن بن هندو صبيحة عرسه [ من مجزوء الكامل ] :

أنعـم أبـا حسـن صباحاً وازدد بزوجتـك ارتياحا

---

(١) أعضلنّ : أضيّق وأمسك .

قـد رضـت طرفـك خالياً فهـل استلنـت له جماحا ؟[1]
وقدحـت زنـدك جاهـداً فهـل استبنـت له انقداحا ؟
وطـرقت منغلقاً فهـل سنّـى الإلّـه لـه انفتاحا ؟
قـد كنـت أرسلـت العيو ن صبـاح يومـك والرواحا
وبـعثت مـصـغـيةً تـبـيـت لـديك تـرتقب النجاحـا
فغـدت علـيّ بجملـةٍ لم تولنـي إلاّ افتضاحا
وشـكت إلـيّ خلاخـلاً خرسـاً وأوشـحـةً فصاحا
منعـت وساوسهـا المسا مع أن تحسّ لكـم صياحا

وهذه الأبيات بديعة في فنها ، ولم أسمع أملح منها في معناها ، إلا قول الصاحب وهو أقرب من التصريح وأظرف ، وأبيات ابن العميد أجزل وأخفـى ، وأدخل في باب الكناية والتعريض [ من السريع ] :

قلبـي علـى الجمـرة يا أبـا العلا فهـل فتحـت الموضـع المقفلا
وهـل فككت الختـم عن كيسه وهـل كحلـت الناظـر الأكحلا
إنّـك إنْ قلـتَ نعـم صادقا أبعـث نثـاراً يمـلأ المنزلا[2]
وإنْ تجبنـي من حياءٍ بلا أبعـث إليك القطـن والمغزلا

* * *

## هذا ما أخرج من مقارضاته

اجتمع عنده يوماً أبو محمد بن هندو ، وأبـو القاسـم بن أبـي الحسين بن سعد ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبري ، وأبو الحسن البديهي .

---

(١) راض : قاد وأسلس، والجماح : التمرُّد .
(٢) النثار : الذهب .

فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة ، فقال لهم : تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدىء فعل ، فابتدأ وقال [ من الطويل ] :

* وأترجةٍ فيهـا طبائعُ أربع *

فقال أبو محمد :

* وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *

فقال أبو القاسم :

* يشبّهها الرائي سبيكة عسجد *

فقال أبو الحسين بن فارس :

* على أنّها من فأرةِ المسك أضوع *

فقال أبو عبد الله الطبري :

* وما اصفرّ منها اللون للعشق والهوى *

فقال أبو الحسن البديهي :

* ولكن أراها للمحبين تجمع *

وسئل بعض حاضري مجلسه عن قصة له ، فقال ولم يقصد وزنا [ من مجزوء الخفيف ] :

أيّ جهدٍ لقيته وشقاءٍ شقيته ؟

فقال الأستاذ : قولوا على هذا الوزن شعراً ، وفي المجلس أبو الحسن العباسي ، وابن خلاد القاضي ، فقال أبو الحسن :

بـي غزالٌ مقرطـقٌ شفّنـي إذ هويتـه[1]
أحـرز السحـر طرفه وحـوى الغنـج ليته[2]
زاد في الكبـر عامداً إذ رآنـي وليتـه
حـسـبيَ الله والـرئـيـسَ لـمـا قـد دهـيتُـهُ

وقال ابن خلاد :

يا خليلـيّ ساعدا نـي علـى مـا دهيتُهُ
انظـرا أيّ معذلٍ بقضـاءٍ أتيتـه
سـامنـي السّيـد الـرئيـس محـالا شنيتـه
ظـلّ مستعـدياً على رشـأٍ قـد هويته
عجبـاً أن يكون لي والياً مـن وليتـه
مـا خشيت فيه الحروب فيـه ولـكـن خـشـيـتـه
فـاز روحـي لو أنّني فـي منـامـي أريته

وقال الأستاذ :

أيُّ جهـدٍ لقيتـه وشـقـاءٍ شقـيتُـهُ
مـن نصيحٍ أودّ من نصحـه لي سكوته
قـال صبـراً ومـا درى أنّ صبري رزيته
قلـت عنـك المـلام ما باختيـاري هـويتـه
لـم أكنْ أجشـم البلا ء لـو آنـي كفيتـه
ربّ ثـوبٍ من الـمـذلّـة فـيـه كـسـيـتـه
ضـلّ عنـدي تجلّدي فكأنّـي نسيتـه
فـي فـؤادي هـوىً يحـرّقـنـي لـو طـويـتـه

---

(١) مقرطق : متزيّن يلبس الأقراط في أذنيه أي الحليّ .

(٢) الليت : صفحة العنق .

يا ابـن خلاّد الذي شاع في النـاس صيته
أنصف الهائـم الذي يتجـافـى مبيتـه
قـلْ لمـن أشبـه المها مقـلتـاه وليتـه[1]
ثغـره قـد أشـتّ شمـل اصـطبـاري شتيتـه[2]
لـيس يحـيـى المـتيّم الـــصّـب إلاّ مـمـيـتُـهُ
أنـت قوتـي ومـا بقا ء امـرىء بان قوتُهُ
أيُّ ذنـبٍ سـوى المـذلّـة فـي الحـبِّ جيتـه
مـا أسيـغ الـسلوّ عـنـــك لـو آنـي سقـيتـه
كيف يرجـو البقـاء إنْ باين المـاء حوتـه
مـا أشـاء الـسـلوّ عـنـــك فـإنْ شئتَ شيتُـهُ
كـلّ شيءٍ رضيتَـهُ مـن غرامـي رضيتُـهُ

* * *

## ما أخرج من شعره في الغزل

قال من قصيدة [ من الطويل ] :

هل البـثُّ إلاّ ما تحملنيهِ أم البـرح إلاّ مـا تكلّفينه
متـى علقـت نفسـي حبيبـا تعلّقتْ به غِيَـرُ الأيام تسلبنيه
شفيعـي إذا استشفعـت غير مشفعٍ ووجهـي إذا وجّهـت غير وجيه

وقال [ من الكامل ] :

ظلّـت تظلِّلنـي من الشمس نفسٌ أعـزّ علـيَّ من نفسي

---

(١) الليت ـ بكسر أوله : العنق .
(٢) أشتّ : فرّق وباعد، والشتيت : المتفرق .

فأقول واعجباً ومن عجبٍ شمسٌ تظلّلني من الشمس

وقال في الفصد لمعشوقه [ من البسيط] :

ويح الطبيب الذي جسَّت يداه يدك ما كان أجهله فيما قد اعتمدك[1]
بأيّ شيءٍ تُراه كان معتذراً من مسّه بحديدٍ مؤلمٍ جسدك
لو أنّ ألحاظه كانت مباضعهُ ثم انتحاك بها من رقةٍ فصدك[2]

* * *

## ما أخرج من شعره في سائر الفنون

قال من قصيدته الهرية عارض فيها ابن العلاف [ من المنسرح ] :

يا هرُّ فارقتنا مفارقةً عمّت جميع النفوس بالثكلِ
لو كان بالحادثات لي قبلٌ إذاً أتاك الصريخ من قبلي
يا مثلاً سائراً إذا ذكر الـ ـحسن تركت الحسان كالمثل
وقيل هل تفتديه إنْ قبل الد هر فداءً فقلت حيهل[3]
أفديه بالصفوة الكرام من الـ إخوان دون الأخدان والخلل[4]
بل بمحل الكرى ومعتلج الـ ـفكر وحبّ القلوب والمقل
بل بسكون الوجيب يجلبه الـ أسن إلى قلب خائفٍ وجل[5]
بل بحلول الشفاء يجنبه الصّحة بعد الأوصاب والعلل[6]

---

(١) جسَّت : لامست وتفحّصت .

(٢) المباضع : جمع مبضع وهو ما يستعمل في الجراحة للبضع .

(٣) حيهل : كلمة منحوته بمعنى أجل .

(٤) الأخدان : الأصدقاء .

(٥) الوجيب : الاضطراب والخفقان ، والوجل : الخوف .

(٦) الأوصاب : المرض .

بـل بـبلوغ الـمنى وقـاصيـة الــــبغيـة عـفـواً ونـهـبـة الأمـل

وقال في المغني القرشي [ من الوافر ] :

إذا غنّاني القرشيُّ يوماً وعنّاني برؤيته وضربه
وددت لو آن أذني مثل عيني هناك وأنّ عيني مثل قلبه

وللمهلبي في هذا المعنى [ من مجزوء الوافر ] :

إذا غنّاني القرشي دعوت الله بالطرشِ
وإن أبصرت طلعته فوا لهفي على العمشِ

وقال فيه أيضاً [ من مجزوء الوافر ] :

إذا غنّى لنا أمماً حشوت مسامعي صمما[1]
وإن أبصرت طلعته كحلت نواظري بعمى

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

آخِ الرجال من الأبا عد ، والأقارب لا تقارب
إنَّ الأقارب كالعقا رب ، بل أضرُّ من العقارب

وقال [ من الطويل ] :

وللرأي زلاّتٌ يظلُّ بها الفتى مركَّبةً فوق الثنايا أنامله

* * *

(١) أمماً : قليلاً .

## هذا ما أخرج من شعره في المعمي

قال في السفرجل [ من المتقارب ] :

يقولـون خطـبٌ من البين جلاّ ولـم أر سير الخليط استقلاّ
وقـد لقبـوه نوى غربةٍ ولـم أر أقـرب منـه محلاّ
وبـزّت سرابيلـه عنـوةً فألفـي لمّـا تعـرّى تحلّى
وأفـرد من بيـن أترابه فمـا غضّ من حسنـه أن تخلّى
وزلّ فقلنـا لعـاً ناعشاً لعـالٍ إذا ما تعلّـى تدلى[1]
تزيـد مكاسـره لـذّةً إذا ما الغمـام عليه استهلاّ
إذا نال منـه السـليم استقلّ وإن نال منـه السـقيم استبلاّ
إذا ما امـرؤ ملّ روح الحياة فحاشـا لذلك من أن يملاّ

وقال في ماء الورد [ من مجزوء الكامل ] :

قـل للأديـب أبـي الحسيـن أتتـك صمـاءُ الغِيـر
نـكـراء فـي حالاتها لـذوي البصـائـر معتبر
دهـيـاء يـعـتـرف الـضـمـيـر بهـا وينكـرهـا البـصـر
مـاذا ترى فـي درهمٍ قـد مسّـه قـدّ الإبر
وتحفـة مـن بعـده تباشـراً طرفـاً وزر[2]
أزرى بـه وسـط الردى وهـو الحيـاة المشتهر
فـاكشف لنـا عن سرّه بلـطيـف حدسـك والنظر

وقال في الشمس [ من البسيط ] :

ماذا ترى يا أبـا العبـاس في عجبٍ تشابهـت منـه أولاه وأخراه

---

(١) لعاً لك : وهو دعاء للعاثر يعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٢) كذا ورد في الأصل .

ترى مقمّـــه شروى مؤخره حسنـاً ، ويمنـــاه في تمثـــال يسراه[1]
من حيث واجهتــه أرضـــاك منظره وكيـف قابلتــه أغنـــاك مغناه
يهـــوى المباعـــد منـــه قرب منزله حتـــى إذا ما تغشّـــاه تحاماه

* * *

(۱) الشروى : ـ بفتح فسكون ـ المثل والنظير .



# الباب الثاني

## ١٥ ـ في ذكر ابنه أبي الفتح ذي الكفايتين
## والأخذ بطرف من طرف أخباره ، وملح بنات أفكاره

هو علي بن محمد ، ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسورة ( وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا ) وما أصدق ما قال الشاعر [ من الكامل ] :

إنّ السريّ إذا سرى فبنفسه وابن السريِّ إذا سرى أسراهما

وكان نجيباً ذكياً ، لطيفاً سخياً ، رفيع الهمة ، كامل المروءة ، ظريف التفصيل والجملة ، قد تأنّق أبوه في تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره ، وفضلاء وقته ، حتى تخرج وخرج حسن الترسل ، متقدم القدم في النظم ، آخذاً من محاسن الآداب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال . وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة ، لقب بذي الكفايتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وبعد صيته ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفي ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح إلى ما سيأتي ذكره آخر الباب بمشيئة الله وعونه .

ومن طرف أخباره ما حدثنيه أبو جعفر الكاتب ، وكان أبو بكر الخوارزمي يدعوه القمغدي لكونه قمي المولد بغدادي المنشأ ، وكان أبو جعفر هذا من حاشية أبي الفتح فترامت به بعده الحوادث إلى نيسابور ، قال : كان الأستاذ الرئيس قد قبض جماعة من ثقاته في السر يشرفون على الأستاذ أبي الفتح في منزله ومكتبه

ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وينهون إليه جميع ما يأتيه ويذره ويقوله ويفعله . . فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون ، من عقد مجلس الأنس واتخاذ الندماء ، وتعاطي ما يجمع شمل اللهو ، في خفية شديدة ، واحتياط تام ، وأنه كتب في تلك الحالة رقعة إلى من سماه لي أبو جعفر ، ونسيت اسمه ، في استهداء الشراب ، فحمل إليه ما يصلحهم من المشموم والمشروب والنقل . فدس الأستاذ الرئيس إلى ذلك الإنسان من أتاه برقعة أبي الفتح الصادرة إليه ، فإذا فيها بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد اغتنمت الليلة ـ أطال الله بقاك يا سيدي ومولاي ! ـ رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام ، بإهداء المدام ، عدنا كبنات نعش[1] ، والسلام .

فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً ، بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهر لي أثر براعته ، ووثقت بجريه في طريقي ، ونيابته منابي ، ووقّع له بألفي دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس ، قال : كنت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات الهاجرة ، فقال لي : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فلم أحر جواباً لأني لم أفطن لما أراد ، فلما كان بعد هنية أقبل رسول والده الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقمت إليه ، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلي وقال : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فبهت وسكت ، وما زلت أفكر حتى تنبهت على أنهما أرادا الخيش ، فكأن من كان يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه الأستاذ أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة ، ولفرط اهتزازه لها أراد مجاراتي ، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها ، ثم أخذت أتحفه بنكت نثره ، وملح نظمه .

---

(١) بنات نعش : مجموعة من الكواكب متقاربة تبدو ليلاً وكأنها مجتمعة .

وكان مما أعجب به ، وتعجب منه ، واستضحك له ، حكايتي رقعة له وردت علي ، وصدرها : رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة[1] ، وأقصر من أنملة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الأستاذ الرئيس وزنها ، واستحلى رونقها ، وأنشد جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك الروى ، وهو قول القائل [ من المجتث ] :

لئنْ كففت وإلاّ شققت منك ثيابي

فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح ، ثم أنشدني في الوقت [ من المجتث ] :

يا مولعاً بعذابي أما رحمت شبابي
تركت قلبي قريحاً نهب الأسى والتصابي
إن كنت تنكر ما بي من ذلّتي واكتئابي
فارفع قليلاً قليلا عن العظام ثيابي

قال : فتأمل هذه الطريقة ، وانظر إلى هذا الطبع ، فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفته ، ولم يعد الجنس ، ولم يقصر دونه . وبذلك تعرف قدرة القادر على الخطابة والبلاغة .

قال : ومن شعره وهو في المكتب قوله من قصيدة في أبيه أولها [ من الهزج ] :

أليلٌ هو أم شعرُ وبرقٌ هو أم ثغر
وحرُّ الصدر ما ضمّنت الأحشاء أم جمر ؟
ويهماء كمثل البحر يرتاع لها السّفر[2]

---

(١) العنفقة : الشعرات التي تلي الشفة السفلى .

(٢) اليهماء : الأرض الواسعة التي لا يهتدى فيها إلى الطرق .

تعسّفتُ على هولٍ وتحتي بازلٌ جسر[1]
إلى مَنْ وجهه بدرٌ ومَنْ راحته بحر
ومن جدواه مدٌّ للورى ليس له جزر
هو الغيث هو الليث هو الفخر هو الذّخر
لأمرٍ مظلمٍ يخشى وخطبٍ فادحٍ يعرو

وقوله من نيروزية فيه [ من الكامل ] :

أبشر بنيروزٍ أتاك مبشّراً بسعادةٍ وزيادةٍ ودوامِ
واشربْ فقد حلّ الربيع نقابه عن منظرٍ متهلّلٍ بسّامِ
وهديتي شعرٌ عجيبٌ نظمه ومديحه يبقى على الأيّام
فاقبله واقبلْ عذرَ من لم يستطع إهداء غير نتيجة الأفهام

ومن إحساناته المشهورة قوله من قصيدة [ من الكامل ] :

عودي وماء شبيبتي في عودي لا تعمدي لمقاتل المعمودِ
وصليه ما دامت أصايل عيشه تؤويه في فيءٍ لها ممدود
ما دام من ليل الصّبا في فاحمٍ رجل الذرى قينان كالعنقود
قبل المشيب فطارقات جنوده يبدلنه يققاً بسحمٍ سود[2]

وقوله لما تقلد الوزارة بعد أبيه [ من المتقارب ] :

دعوت الغنى ودعوت المنى فلما أجابا دعوت القدحْ
إذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترحْ

---

(١) البازل : الذي طلعت نابه من الإبل. والجسر : القوي الصلب .
(٢) اليقق : البياض ، والسحم : الشديدة السواد .

وقال [ من الطويل ] :

إذا أنا بلغت الذي كنتُ أشتهي ... وأضعافه ألفاً فكلني إلى الخمر
وقل لنديمي قمْ إلى الدهر فاقترح ... عليه الذي تهوي ودعني مع الدهر

وله [ من الخفيف ] :

أين لي من يفي بشكر الليالي ... إذ أضافت خيالها وخيالي
لم يكن لي على الزمان اقتراحٌ ... غيرها منيةً فجاد بها لي

وقوله في أترجة أهداها إلى والده الأستاذ الرئيس [ من البسيط ] :

أتتك صفراء تحكي لون ذي مقةٍ ... وريح راحٍ حشاها شادنٌ خنثُ[1]
زففتها حين زفَّتْ لي على أملٍ ... إنّي غلامك لا مينٌ ولا عبثُ[2]

وقوله من قصيدة أخرى في عضد الدولة ، أولها [ من الطويل ] :

عتبت على الأيام لو عرفتْ عتباً ... وعاتبتها لو أعقبتْ ذنبها عتبى
قضت بيننا أحكامها البين كلما ... طلعن بنا شرقاً غربن بها غربا
تحجّب عنّي الشمس من نور وجهها ... وتمنح ريّاها الركائب والركبا

ومنها :

وكنت أظن الحبَّ قبلُ خلابةً ... فها هو ذا يغري بمخلبه الخِلبا[3]
تدور السقاة بالأباريق بيننا ... فنحسبها سرباً يزجّي لنا سربا

---

(١) الخنث : من فيه انخناث أي تكسُّر وتثنٍّ .

(٢) المين : الكذب .

(٣) الخلابة : الخديعة بالحديث الرقيق، والخِلبا : حجاب الكبد أو حجاب القلب .

ومنها :

وقد نظمت شمل العصابة روضةٌ منوّرةُ النوّار تحسبها عُصبا[1]

ومنها في وصف النجائب :

متى لم أنل أقصى المنى بنجابها فلا نهضت نجباً تسير بنا نجبا
ولا رحلت نحو العفاة رحالها ولا كان لي ما بين آمالها نهبا
ولا كنت عبداً للذي الدهر عبدهُ أعدُّ النجومَ بعد صحبته حصبا

وقوله من قصيدة أخرى فيه ، أولها [ من الطويل ] :

أفضت عقودٌ أم أفيضت مدامع وهذي دموعٌ أم نفوسٌ هوامع ؟[2]
على الملك قوّامٌ وللدين حافظٌ وللمال وهّابٌ وللجار مانع
أسودٌ ولكنَّ الحراب عرينها شموسٌ ولكنَّ الصفوف مطالع
أشاحوا وما شحّوا ونابوا وما نبوا وكان لهم تحت المنايا مناقع[3]

ومنها في ذل الأعداء :

أذالهم ذلّ الهزيمة فانحنتْ قناة الظهور واستقام الأخادع[4]
وكان لهم لبس المعصفر عادةً فخاطت لهم منه السيوف القواطع

ومنها :

بطرتم فطرتم والعصا زجرٌ من عصى وتقويم عبد الهون بالهون نافع[5]

---

(١) العُصب : شجر اللبلاب .
(٢) الهوامع : السائلة .
(٣) نبوا : فارقوا وابتعدوا . والمناقع : من النقع وهو الغبار الذي تثيره الحرب .
(٤) أذال : أهان ، والأخادع :الرقاب،والأخدع عرقٌ في الرقبة .
(٥) البطر : الكبرياء عند حلول النعمة ، والهون : الخزي والذلّ .

ومنها :

تبسمتَ والخيل العتاق عوابسٌ وأقدمت والبيض الرقاق هوالع
صدعتَ بصبح النصر ليل جموعهم وكيف بقاء الليل والصبح صادع
فما الصبح منآدٌ ولا الليل خاذلٌ ولا النصل خوّانٌ ولا السهم طالع[1]

ومنها في وصف الشعر :

ومقترحاتٍ في القوافي بداءةً بدائع للإحسان فيها ودائع
كلامٌ شكورٌ أطلقت من عنانه صنائع تخجلن النهار نواصع
خدمت بقولي ذا ومن قبل قوله خدمت وغى والقول للفعل شافع

وقال من أخرى ، وقد ذكر الشعر [ من الطويل ] :

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتبٍ وإن كان مرضياً فقل شعر كاتبي

* * *

## ذكر آخر أمره

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي ، قال : لما توفي ركن الدولة ، وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة ، أقبل من أصبهان إلى الري ، ومعه الصاحب أبو القاسم ، وخلع على أبي الفتح خلعة الوزارة ، وألقى إليه مقاليد المملكة ، والصاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به ، وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء الظن به ، فبعث الجند على أن يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسر في نفسه الموجدة على أبي الفتح لهذا الشأن وغيره ، وانضاف ذلك إلى تغير عضد

(١) منادٌ : منحنٍ ومتثنٍّ ، والأود : الإعوجاج .

الدولة واحتقاده عليه لأشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها ، منهامما يلته بختيار ، ومنها ميل القواد إليه ، بل غلوهم في موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته ، واجتمعت آراء الأخوين على اعتقاله ، وأخذ أمواله . ولما اعتقل في بعض القلاع بدرت منه كلمات نمَّت إلى عضد الدولة ، فزادت في استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال ، وعذبه ومثل به ، ويقال : إنه سمل احدى عينيه ، وقطع أنفه ، وجز لحيته ، ففي تلك الحال يقول أبو الفتح وقد يئس من نفسه ، واستأذن في صلاة ركعتين ، فصلاهما ودعا بدواة وقرطاس وكتب [ من السريع ] :

بدّل من صورتي المنظر لكنّه ما غيّر المخبر
ولست ذا حزنٍ على فائتٍ لكنْ على من لي يستعبر
ووالـه القلب لما مسّني مستخبرٌ عنّي ولا يخبر
فقل لمن سرَّ بما ساءنا لا بد أن يسلك ذا المعبر

وأخبرني أبو جعفر الذي قدمت ذكره ، وكان مختصاً به . قال : كان أبو الفتح قبيل النكبة التي أتت على نفسه . قد أغرى بإنشاد هذين البيتين ، لا يجف لسانه من ترديدهما في أكثر أوقاته وأحواله ، ولست أدري أهماله أم لغيره [ من الرمل ] :

دخل الدنيا أناسٌ قبلنا رحلوا عنها وخلَّوها لنا
فنزلناها كما قد نزلوا ونخلّيها لقومٍ بعدنا

فلما حصل في الاعتقال ، واستيقن أن القوم يريدون دمه لا محالة ، وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله ، مد يده إلى جيب جبة عليه ففتقه عن رقعة فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، فألقاها في كانون نار بين يديه ، وقال للقائد الموكل به المأمور بقتله بعد مطالبته : اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على العذاب ، ويمثل

به ، حتى تلف رحمه الله تعالى ، وفيه يقول بعض أصحابه [ من الكامل ] :

آل العميد وآل برمك ما لكمْ قلَّ المعين لكم وذلَّ الناصر !
كان الزمان يحبّكم فبدا له إنَّ الزمان هو المحبُّ الغادر

ولأبي بكر الخوارزمي في مرثيته من قصيدة [ من الكامل ] :

يا دهر إنك بالرجال بصيرُ فلذاك ما تجتاحهم وتبير[1]

وهي تذكر في موضعها من شعره ، إن شاء الله سبحانه وتعالى .

* * *

(١) تبير : تفنى .



# الباب الثالث

## ١٦ ـ في ذكر الصاحب أبي القاسم إسمعيل بن عباد وإيراد لمع من أخباره ، وغرر نظمه ونثره

ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم . وتفرده بغايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ، ولكني أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء ، والأدباء والشعراء ، وحضرته محطرحالهم ، وموسم فضلائهم . ومترع آمالهم . وأمواله مصروفة إليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم ، وهمته في مجد يشيده ، وإنعام يجدده . وفاضل يصطنعه ، وكلام حسن يصنعه أو يسمعه . ولما كان نادرة عطارد في البلاغة ، وواسطة عقد الدهر في السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل . وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ، وبدائع الأفهام . وثمار الخواطر ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول . وذوب العلوم ودرر القرائح . فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في حد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتي الشرق والغرب ، واحتف به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب

القوافي وملك رق المعاني ، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين ، كأبي نواس ، وأبي العتاهية ، والعتَّابي ، والنمري ومسلم بن الوليد ، وأبي الشيص ، ومروان بن أبي حفصة ، ومحمد بن مناذر ، وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والري وجرجان ، مثل أبي الحسين السلامي ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي طالب المأموني ، وأبي الحسن البديهي ، وأبي سعد الرستمي ، وأبي القاسم الزعفراني ، وأبي العباس الضبي ، وأبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن وأبي هاشم العلوي ، وأبي الحسن الجوهري ، وبني المنجم ، وابن بابك ، وابن القاشاني ، وأبي الفضل الهمذاني ، وإسمعيل الشاشي ، وأبي العلاء الأسدي ، وأبي الحسن الغويري ، وأبي دلف الخزرجي ، وأبي حفص الشهزوري ، وأبي معمر الإسماعيلي ، وأبي الفياض الطبري ، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكرهم أو ذهب عني اسمه ، ومدحه مكاتبة الشريف الموسوي الرضى ، وأبو إسحاق الصابي ، وابن حجاج ، وابن سكرة ، وابن نباتة ، ولذكر كل من هؤلاء مكان من هذا الكتاب ، إما متقدم أو متأخر ، وما أحسن وأصدق قول الصاحب [ من الخفيف ] :

إن خير المداح من مدحتهُ     شعراء البلاد في كلِّ نادي

* * *

## لمع من أخبار محاسنه ، وملح من نوادر توقيعاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج في وكرها ، ورضع أفاويق درها[1] ، وورثها من أبيه كما قال

(١) الأفاويق : ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعةً بعد ساعة وهو يريد ما اجتمع من اللبن .

أبو سعيد الرستمي [ من الكامل ] :

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد
يروي عن العبّاس عبادٌ وزا رته وإسماعيل عن عباد

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحب من الوزارة قال له : لك في هذه الدولة من إرث الوزارة ، ما لنا فيها من إرث الإمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

وحدثني عون بن الحسين الهمداني التميمي ، قال : كنت يوماً في خزانة الخلع للصاحب ، فرأيت في ثبت حسبانات كاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم الخز التي صارت تلك الشتوة في خلع الخدم والحاشية ، ثمانمائة وعشرين قال : وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملونة ، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئاً ، فسأل الصاحب عنه : فقيل : إنه في مجلس كذا يكتب ، فقال : علي به ، فاستمهل الزعفراني ريثما يكمل مكتوبه ، فأعجله الصاحب ، وأمر بأن يؤخذ ما في يده من الدرج ، فقام الزعفراني إليه ، وقال : أيد الله الصاحب [ من الكامل ] :

اسمعه ممّن قاله تزدد به عجباً فحسن الورد في أغصانه

قال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً منها [ من المتقارب ] :

سواك يعد الغنى ما اقتنى ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عبادٍ المرتجى تعدّ نوالك نيل المنى
وخيرك - من باسطٍ كفّه وممن ثناها - قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى فأصغر ما ملّكوه الغنى

وغادرت أشعرهم مفحماً وأشكرهم عاجزاً ألكنا[1]
أيا من عطاياه تهدى الغنى إلى راحتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين كسىً لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ضروب من الخزّ إلاَّ أنا
ولست أذكر لي جارياً على العهد يحسن أن يحسنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة ، أن رجلاً قال له : احملني أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت أن الله تعالى خلق مركوباً غير هذه لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه ، ثم أمر بإدخاله الخزانة ، وصب تلك الخلع عليه وتسليم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي ، قال : عهدي بأبي محمد الخازن ماثلاً بين يدي الصاحب ينشده قصيدة له فيه ، أولها [ من البسيط ] :

هذا فؤادك نهبى بين أهواء وذاك رأيك شورى بين آراء
هواك بين العيون النجلِ مقتسمٌ داءٌ لعمرك ما أبلاه من داء
لا تستقرّ بأرض أو تسير إلى أخرى بشخصٍ قريبٍ عزمه نائي
يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبالـعذيب يوماً ويوماً بالخليصاء
وتارةً تنتحي نجداً وآونةً شعب العقيق وطوراً قصر تيماء

قال : فرأيت الصاحب مقبلاً عليه بمجامعه حسن الإصغاء إلى إنشاده ، مستعيداً أكثر أبياته ، مظهراً من الإعجاب به ، والاهتزاز له ، ما يعجب الحاضرين فلما بلغ قوله :

---

(١) الألكن : من ثقل لسانه ، أو كان به عجمة .

أدعى بأسماء نبزاً في قبائلها كأنّ أسماء أضحت بعض أسمائي[1]
أطلعت شعري وألقت شعرها طرباً فألّفا بين إصباحٍ وإمساء

زحف عن دسته طربا ، فلما بلغ قوله في المدح :

لو أن سحبان باراه لأسحبه على خطابته أذيال فأفاء[2]
أرى الأقاليم قد ألقت مقالدها إليه مستبقاتٍ أيّ إلقاء
فسّاس سبعتها منه بأربعةٍ أمرٌ ونهيٌ وتثبيتٌ وإمضاء
كذاك توحيده ألوى بأربعةٍ كفرٌ وجبرٌ وتشبيهٌ وإرجاء

جعل يحرك رأس مستحسن ، فلما أنشد :

نعم تجنّب « لا » يوم العطاء كما تجنّب ابن عطاءٍ لثغة الراء[3]

استعاده وصفق بيديه ، ولما ختمها بهذه الأبيات :

أطرى وأطرب بالأشعار أنشدها أحسن ببهجة إطرابي وإطرائي
ومن منائح مولانا مدائحه لأنّ من زنده قدحي وإيرائي[4]
فخذ إليك ابن عباد محبرةً لا البحتري يدانيها ولا الطائي

قال : أحسنت أحسنت ، ولله أنت ، وتناول النسخة وتشاغل بإعارتها نظره ، ثم أمر له بخلعة وحملان وصلة .

وسمعت أبا عبد الله أيضاً يقول : أهدي إلى الصاحب هدية أهدى منها إلى

---

(١) النبز : اللئيم في حسبه وأخلاقه، والنبز : العيب واللقب
(٢) الفأفأه : كثرة ترديد الفاء في الكلام .
(٣) ابن عطاء : أحد كبار المعتزلة إسمه واصل بن عطاء وقد تجنّب حلقة الحسن البصري وتبعه جمع سمّوا بالمعتزلة .
(٤) منائح : الأعطيات والمنح ، وأورى النار : أوقدها .

شيخ الدولتين أبي سعيد الشبيبي ، وكتب معها رقعة مصدرة بهذا البيت [ من البسيط] :

رويت في السُنَّةِ المشهورة البركه     أنّ الهدية في الإخوان مشتركه

وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلى أبو العباس تاش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه نوح بن منصور ملك خراسان يريدني فيها على الانحياز إلى حضرته ، ليلقى إلى مقاليد مملكته ، ويعتمدني لوزارته ، ويحكمني في ثمرات بلاده . فكان فيما اعتذرت به من تركي امتثال أمره والصدر عن رأيه ، ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي وضمنتي وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تحمل مثلي !

وحدثني أيضاً ، قال : سمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك في ريعان شبابي ، فلما تقوض المجلس ، وانصرف القوم ، وقد حل الإفطار نكرت ذلك فيما بيني وبين نفسي ، واستقبحت إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، واتساع حاله ، واعتقدت ألا أخل به إذا قمت يوماً مقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده ، وكانت داره لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها ، وكانت صلاته وصدقاته وقرباته في هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة .

وحدثني بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني ، قال : لما أدخلني والدي إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بني اقعد ، كم تسجد ؟ كأنك هدهد !

قال : وقد قال يوماً لبعض من تأخر عن مجلسه لعلة وجدها : ما الذي كنت تشتكيه ؟ قال « الحما » قال « قه » يعني « الحماقة » فقال « وه » يعني « القهوة » .

قال : واستأذن عليه الحاجب يوماً لإنسان طرسوسي فقال « الطر » في لحيته ، و « السوس » في حنطته .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي يقول : سمعت بعض ندماء الصاحب يقول : كنت يوماً بين يدي الصاحب فقدم البطيخ فقلت « لا مترك » فقال « بالعجلة لمترك » (؟) وكنت أريد أن أقول لا مترك للبطيخ فسبقني إلى التنادر بهذا التجنيس .

حدثني أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلّي طوّلت فقال : لا بل تطوّلت .

وحدثني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال أهدي العميري قاضي قزوين إلى الصاحب كتباً وكتب معها [ من الخفيف ] :

العميري عبد كافي الكفاةِ ومن اعتدّ في وجوه القضاةِ
خدم المجلس الرفيع بكتبٍ مفعماتٍ من حسنها مترعات

فوقع تحتها [ من الخفيف ] :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ، ليس مذهبي قول هات

قال : وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولوداً ، ويسأله أن يسميه ويكنيه فوقع في رقعته .

أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ، والنفس مسرة مستقرة . والاسم عليّ ليعليَ الله ذكره ، والكنية أبو الحسن ليحسِن

الله أمره . فإني أرجو له فضل جده ، وسعادة جده ، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من مائة مثقال ، قصدت به مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص الذهب الإبريز من نوب الأيام ، والسلام .

قال : وكتب إليه أبو منصور الجرجاني [ من مجزوء الرجز ] :

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى
إني رزقت ولداً كالصبح إذ تبلّجا
لا زال في ظلّك ظلُّ المكرماتِ والحجى
فسمِّه وكنِّهِ مشرَّفاً متوّجا

فوقع تحتها [ من مجزوء الرجز ] :

هنئتهُ هنئته شمس الضحى بدر الدجى
فسمِّهِ محسّناً وكنّه أبا الرجا

وعرض على بعض الإصبهانيين رقعة لأبي حفص الوراق الإصبهاني ، قد أخذ منها البلى ، وفيها توقيع الصاحب ، وهذه نسخة الرقعة :

لولا أن الذكرى ـ أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ! ـ تنفع المؤمنين ، وهزة الصمصام تعين المصلتين ، لما ذكرت ذاكراً ، ولا هززت ماضياً . ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكد الجواد السمح . وحال عبد مولانا ـ أدام الله تأييده ! ـ في الحنطة مختلفه ، وجرذان داره عنها منصرفه . فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل إن شاء الله تعالى . . . وهذه نسخة التوقيع :

أحسنت أبا حفص قولاً ، وسنحسن فعلاً ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك في الاسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى .

وسمعت أبا النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، يقول : كتب بعض أصحاب الصاحب رقعة إليه في حاجة فوقع فيها ، ولما ردت إليه لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبي العباس الضبي ، فما زال يتصفحها ، حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحدة وكان في الرقعة : فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل ، فأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً يعني « أفعل » .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي ، يقول : كتب بعض العمال رقعة إلى الصاحب في التماس شغل ، وفي الرقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله ، فوقع تحتها : من كتب إشغالي ، لا يصلح لأشغالي .

وحدثني أبو الحسن علي بن محمد الحميري ، قال : رفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب في ظلامة لهم مترجمة بالضرابين ، فوقع تحتها « في حديد بارد » .

وحدثني أبو سعد نصر بن يعقوب ، قال : كان الصاحب يقول بالليالي لجلسائه إذا أراد أن يبسطهم ويؤنسهم : نحن بالنهار سلطان ، وبالليل إخوان .

وحدثني أيضاً قال : قال الصاحب : ما أفحمني أحد كالبديهي ، فإنه كان عندي يوماً ، وأتينا بفاكهة ومشمش فأمعن فيه ، فاتفق أني قلت : إن المشمش يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني الميزبان إذا تطبب .

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب ماء بثلج أنشد على أثره [ من الرجز ] :

قعقعة الثلج بماءٍ عذبِ تستخرج الحمد من اقصى القلب

ثم يقول : اللهم جدد اللعن على يزيد .

وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي ، قال : انتحل فلان ( يعني أحد

المتشاعرين ) بحضرة الصاحب شعراً له ، وبلغه ذلك ، فقال : أبلغوه عني [ من المجتث ] :

سرقت شعري ، وغيري يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك صفعاً يكدُّ رأساً وأخدع
فسارق المال يقطع وسارق الشعر يصفع

قال : فاتخذ الليل جملا ، وهرب من الريّ .

وحدثني غيره قال : كتب إنسان إلى الصاحب رقعة وقد أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه ، فوقع فيها ( هذه بضاعتنا رُدت إلينا ) .

ووقع في رقعة استحسنها ( أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ ) .

ووقع في كتاب بعض مخالفيه ( فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ) .

ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه في معاودة حضرته ( ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت ) .

وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي توقيع الصاحب إليه في رقعة : من نظر لدينه نظرنا لدنياه ، فإن آثرت العدل والتوحيد ، بسطنا لك الفضل والتمهيد ، وإن أقمت على الجبر ، فليس لكسرك من جبر .

ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال : التصرف لا يلتمس بالتكفف إن احتجنا إليك صرفناك ، وإلا صرفناك .

ورفع إليه بعض منهي الأخبار : أن رجلاً ممن ينطوي له على غير الجميل يدخل داره في الناس ، ثم يتلوّم على استراق السمع ، فوقع : دارنا هذه خان ، يدخلها من وفى ومن خان .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان مكي المنشد قد انتاب الصاحب بجرجان ، وكان قديم الخدمة له ، فأساء أدبه غير مرة ، فأمر الصاحب بحبسه ، فحبس في دار الضرب وهي بجواره بجرجان ، فاتفق أنه صعد يوماً سطح داره لحاجة في نفسه وأشرف على دار الضرب ، فلما رآه مكي نادى بأعلى صوته : ( فاطلع فرآه في سواء الجحيم ) فضحك الصاحب وقال ( اخسئوا فيها ولا تكلمون ) ثم أمر بإطلاقه .

وحدثني أبو النصر العتبي قال : سمعت أبا جعفر دهقان بن ذي القرنين يقول : قدمت إلى الصاحب هدية أصحبنيها الأمير أبو علي محمد بن محمد برسمه واعتذرت إليه بأن قلت : إنها إذا نقلت إلى حضرته من خراسان كانت كالتمر ينقل إلى كرمان . فقال : قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك وهذه سبيل ما يصحبك .

وحدثني الهمداني قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الخضيري ، يحضر مجلس النظر للصاحب بالليالي ، فغلبته عيناه مرة وخرج منه ريح لها صوت ، فخجل وانقطع عن المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني [ من البسيط ] :

يا ابن الخضيريّ لا تذهبْ على خجلٍ لحادثٍ منك مثل الناي والعود
فإنّها الريح لا تستطيعُ تحبسها اذ أنت لست سليمان بن داود

وحكي أن مثل هذا الأمر وقع للهمذاني في مجلس الصاحب فخجل ، وقال : صرير التخت ، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت ، فيقال إن هذه الخجلة كانت سبب مفارقته لتلك الحضرة وخروجه إلى خراسان .

وحدثني أبو نصر النمري بجرجان قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب ، وذلك قبيل العيد ، فجاءني

رسول بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان [ من الكامل ] :

يا أيُّهــا القاضــي الــذي نفســي له | مع قرب عهــد لقائــه مشتاقه
أهــديت عطــراً مثــل طيب ثنائه | فكأنّمــا أهــدى له أخلاقه

وقال : وسمعته يقول : إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيت يوماً من فرط تحفّيه بي أو توضّعه لي ، فأنشدني [ من الكامل ] :

أكرم أخــاك بأرض مولده | وأمــدّه مــن فعلك الحسن
فالعــزُّ مطلــوبٌ وملتمسٌ | وأعــزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي : قد فرغت من هذا المعنى في العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولي [ من الطويل ] :

وشيّدت مجــدي بين قومــي فلــم أقلْ | ألا ليت قومــي يعلمــون صنيعي

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قول الله تعالى ( يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ) .

وحدثني أبو حنيفة الدهشتاني ، قال : كتب الصاحب إلى أبي هاشم العلوي وقد أهدى إليه في طبق فضة عطراً [ من الكامل ] :

العبــد زارك نازلاً برواقكا | يستنبــط الإشــراق من إشراقكا
فاقبــل من الــطيب الــذي أهديته | ما يســرق العُطــار من أخلاقكا
والظُّرف يوجــب أخــذه مع ظَرفِهِ | فأضف به طبقــاً إلــى أطباقكا[1]

وحدثني عون بن الحسين الهمداني ، قال : سمعت أبا عيسى بن المنجم

---

(١) الظرف : اللطافة والكياسة ، ومع ظرفه : أي غلافه .

يقول : سمعت الصاحب يقول : ما استأذن لي على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة ، فيأذن لي فيه ، وما أذكر أنه تبذّل بين يدي ومازحني قطّ إلا مرة واحدة ، فإنه قال لي في شجون الحديث ، بلغني أنّك تقول المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال . فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجد ما لا نفرغ معه للهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إليّ مراسلة ، حتى عاودت مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجري مجرى الهزل والمدح .

وسمعت أبا الحسن العلوي الهمداني الوصي ، قال : لما توجهت تلقاء الري في سفارتي إليها من جهة السلطان ، فكرت في كلام ألقى به الصاحب . فلم يحضرني ما أرضاه ، وحين استقبلني في العسكر ، وأفضى عناني إلى عنانه ، جرى على لساني ( ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ) فقال ( إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ) ثم قال : مرحباً بالرسول ابن الرسول ، الوصي ابن الوصي .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتعصبه له ، فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال الصاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصلة .

وسمعت أبا القاسم الكرخي يقول : دخل أبو سعيد الرستمي يوماً دار الصاحب فنظر إلى الخلع والأحبية السلطانية المحمولة برسم الصاحب والناس يقيمون رسم النثار لها ، فارتجل قصيدة أولها [ من البسيط ] :

ميلوا إلى هذه النعمى نحييها ودار ليلى فخلّوها لأهليها

وسمعت أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري ، يقول : إن للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن قرة وابن زكرياء لما زادا عليها . فسأله أن

يعيرنيها إن كانت عنده ، فذكر أنها في جملة ما غاب عنه من كتبه ، فاستغربت واستبعدت ما حكاه من تطبب الصاحب ونسبته في نفسي إلى التزيد والتكثر ، إلى أن ظفرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر ، ووجدتها تجمع إلى ملاحة البلاغة ، ورشاقة العبارة ، حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه ، وتدل على التبحر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه ، وهذه نسختها ، وأكثر ظني أنه قد كتبها إليّ أبو العباس الضبي .

قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره، وأنبأ عنه من أحوال جسمه ، فدلتني جملته على بقايا في البدن يحتاج معها إلى الصبر على التنقية ، والرفق بالتصفية ، فأما الذي يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته فلأمرين : أحدهما أن الجسم كما قلت آنفاً لم ينق فتنفتق الشهوة الصادقة وترجع العادة السابقة . والآخر أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولزت[1] بها المبردات قلت الشهوة وضعف الهضم ،ومع ذلك فلا بد مما يطفي ويغذي . ثم يمكن من بعد أن يتدارك ضعف المدة بما يقوى منها ويزيل العارض المكتسب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس : قدم علاج الأهم ثم عد وأصلح ما أفسدت . والأقراص في آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة ، وأصلحت به العروق . وقوي به الطحال ، ليتمكن من جذب العكر لا سيما والذي وجده مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها والبلدة التي وردها ، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقياً من الفضول لما أثر هذا التأثير . ولا طول هذا التطويل . وإنما اغتر مولاي بأيام السلامة فكان يتبسط في أنواع الطعام ويسرف في تناول الشراب ، فامتلأ الجسم من تلك الكيموسات الرديئة ، وورد بلداً شديد التحليل مضطرب الأهوية فوجدت النفس عوناً على حل ما انعقد . ونقض ما اجتمع . وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها وتتصل مدتها لأن الجسد يخلص خلاص الإبريز ، إذا زال عنه الخبث ، وسبك ففارقه الدرن . وأما الرعشة التي

---

(١) لزّت : لصقت ولزمت .

يتألم مولاي منها ، ويضيق صدراً بها ، فليست والحمد لله محذورة العاقبة ، وإنها لتزول بإقبال العافية . فالرعشة التي تتخوف هي التي تعرض من ضعف القوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ ، وتؤذي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام ، فأما هذه التي تعتاد عقيب الحمى فهي على ما قال جالينوس من أن حدوثها يكون إذا شاركت العروق التي تحدث فيها علة العصب ، وتزول عنه بزوال الفضل . وعجب مولاي من تكرهه شم الفواكه ، ولا غرو إذا عرف السبب ، فإن العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل إليها من الروائح الزكية ، يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتكرهها ولا تقبلها . وتأباها ولا تؤثرها .

ألا يرى مولاي أن الأشياء الحلوة توجد في فم ذي الصفراء بطعم الأشياء المرة ، لامتلاء المرارة المضادة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والإدارة وهذا راجع إلى مثل ما حكمنا به أولاً من أن هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله ، لما يخشى من سقوط القوة ، وإن كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة ، وأنا أحمد الله إذ ليست شهوة سيدي متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الأخلاط الفاسدة تغري صاحبها بالأكل الزائد ، وتعرض للمزاج الفاسد . إلا أن التغذي لا يجوز إهماله دفعة والتبرم به ضربة . فإن البدن إذا احتاج إليه وجب للعليل أن يتناوله تناول الدواء الذي يصبر عليه . وذلك أن في دقة الحمية وترك الرجوع أول فأول إلى عادة الصحة إماتة للشهوة ، وخيانة للقوة .

وجالينوس يشرط في العلاجات أجمع استحفاظ القوى ، لأن الذي يفعله الضعف لا يتداركه أمر ، إلا أن ذلك بإزاء ما قال الحكيم الأول بقراط في البدن السقيم : إنك متى ما زدته غذاء زدته شرا ، وهو في نفسه يقول : إن الحمية التي في غاية الدقة ليست بمحمودة ، فالطرفان من الإسراف والإجحاف مذمومان ، والواسطة أسلم ، أغنى الله مولاي عن الطب والأطباء بالسلامة والشفاء .

وسمعت عوناً الهمداني يقول : أتى الصاحب بغلام مثاقف[٢] ، فلعب بين يديه ، فاستحسن صورته . وأعجب بمثاقفته ، فقال لأصحابه : قولوا في وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً ، فقال الصاحب [ من السريع ] :

مثـاقفٌ في غاية الحذق فاق حسـان الغـرب والشرقِ
شبّهتـه والسيف في كفّه بالبـدر إذْ يلعب بالبرق

وأنشدني أبو سعيد بن دوست الفقيه ، قال : أنشدني أبـو علـي العراقـي العوامي الرازي ، قال : أنشدني الصاحب لنفسه [ من السريع ] :

كم نعمـةٍ عنـدك موفورةٌ لله فاشـكرْ يا ابـن عباد
قـمْ فالتمس زادك وهـو التقى لن تسـلكَ الطـرق بلا زاد

* * *

## جرى الشعراء بحضرة الصاحب
## في ميدان اقتراحه الديارات

أقرأني أبو بكر الخوارزمي كتاباً لأبي محمد الخازن ورد عليه في ذكر الدار التي بناها الصاحب بإصبهان وانتقل إليها ، واقترح على أصحابه وصفها ، وهذه نسخته بعد الصدر .

نعـم الله عنـد مولانـا الصاحـب أدام الله تأييده مترادفـة ، وأياديه لديه متضاعفة ، وأرى أولياء النعم كبت الله أعداءهم تتظاهر كل يوم حسناً في إعظامه وبصائرهم تترامى قوة في إكرامه ، والوفود على بابه المعمور ، كرجل الجـراد ، وانتقل إلى البناء المعمور بالفأل المسعود فرأينا يوماً مشهوداً ، وعيداً يجنب عيداً ، واجتمع المادحون ، وقال القائلون ، ولو حضرتني القصائد لأنفذتها إلا أني علقت

---

(١) المثاقف : الذي يحسن استعمال الرمح والسيف .

من كل واحدة ما علق بحفظي . والشيخ مولاي يعرف ملك النسيان لرقي ، فقصيدة الأستاذ أبي العباس الضبّي أولها [ من البسيط ] :

دار الوزارة ممدودٌ سرادقها ... ولا حقٌّ بذرى الجوزاء لاحقها
والأرض قد واصلت غيظ السماء بها ... فقطرها أدمعٌ تجري سوابقها
بودّها أنها من أرض عرصتها ... وأنّ أنجمها فيها طوابقها[1]
فمن مجالس يخلفن الطواوس قد ... أبرزن في حللٍ شاقت شقائقها
ومن كنائس يحكين العرائس قد ... ألبسن مجسدةً راقت طرائقها[2]
تفرّعت شرفاتٌ في مناكبها ... يرتدّ عنها كليل العين رامقها[3]
مثل العذارى وقد شدّت مناطقها ... وتوّجت بأكاليلٍ مفارقها
كلّ امرىءٍ سوّغته الحجب رؤيتها ... وأشرقت في محيّاه مشارقها
مخلّفٌ قلبه فيها وناظره ... إذا تجلّت لعينيه حقائقها
والدهر حاجبها يحمي مواردها ... عن الخطوب إذا صالت طوارقها[4]
مواردٌ كلما همَّ العفاة بها ... عادت مفاتح للنعمى مغالقها
دار الأمير التي هذي وزارتها ... أهدت لها وشحاً راقت نمارقها
هذي المعالي التي اغتصّ الزمان بها ... وافتك منسوقةً والله ناسقها
إنّ الغنائم قد آلت معاهدةً ... لا زايلتها ولا زالت تعانقها[5]
لأرضها كلّما جادت مواهبها ... وفي ديار معاديها صواعقها

ومن قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمة الصاحب [ من البسيط ] :

---

(١) العرصة : الساحة .
(٢) الكنائس : الظبّاء .
(٣) الرامق : المتطلع ، وكليل العين : حسيرها .
(٤) الطوارق : الأحداث .
(٥) آلت : أقسمت ، وزايل : فارق .

دارٌ علـى العـزّ والتـأييد مبناها ... وللمـكارم والعليـاء مغناهـا
دارٌ، تباهـى بهـا الـدنيا وساكنها ... طرّاً ، وكم كانـت الـدنيا تمنّاها
فاليمـن أصبـح مقرونـاً بيمناها ... واليسـر أصبـح مقرونـاً بيسراها
من فوقهـا شرفـاتٍ طال أدناها ... يد الثـريا فقـلْ لي كيف أقصاها
كأنّهـا غلمـةٌ مصطفَّـةٌ لبستْ ... بيض الغلائـل أمثـالاً وأشباها
انظـر إلـى القبّـة الخضـراء مذهبةً ... كأنّمـا الشـمس أعطتهـا محيّاها
تلك الكنـائس قد أصبحـن رائقةً ... مثـل الأوانس تلقـانا وتلقاها
فالربـع بالمجـد لا بالصحـن متسعٌ ... والبهـو لا بالحلـى بل بالعـلا باهى
لمـا بنـى النـاس في دنياك دورهمُ ... بنيت في دارك الغـرّاء دنياها
فلـو رضيت مكان البُسْـط أعيننا ... لم تبـق عينٌ لنـا إلاّ فرشناها
وهـذه وزراء الملك قاطبةً ... بيادق ، لم تزل ما بيننـا شاها[1]
فأنـت أرفعهـا مجـداً وأسعدها ... جدّاً وأجودهـا كفّـاً وأكفاها
وأنـت آدبهـا بل أنـت أكتبها ... وأنـت سيّدهـا بل أنـت مولاها
كسوتنـي من لبـاس العـزّ أشرفه ... المـال والعـز والسلطـان والجاها
ولسـت أقـرب إلاّ بالـولاء وإنْ ... كانـت لنفسـي من علياك قرباها

ومن قصيدة مولاي أبي الطيب الكاتب [ من الطويل ] :

ودارٍ ترى الـدنيا عليهـا مدارها ... تحـوز السمـاء أرضـها وديارها
بناهـا ابـن عبـادٍ ليعـرض همّةً ... علـى همـمٍ إسرافهـنّ آقتصارها
يردُّ علـى الـدنيا بهـا كلّ غدرةٍ ... إذا ما تبـارت داره وديارها
وإن قيل بهتـاً قد حكت تلك هذه ... فقـد يتـوارى ليلهـا ونهارهـا[2]

---

(١) البيدق والشاه : من حجارة الشطرنج .
(٢) بهتاً : زوراً .

فإن لم يكن في صحن دارك بعض ما أصدِّر فالدنيا يصحُّ اعتذارها

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [ من الطويل ] :

نصبن لحبّات القلوب حبائلا عشيّة حلّ الحاجبات حبائلا
نشدن عقولاً يوم برقة منشدٍ ضللن فطالبنا بهنّ العقائلا[١]
عقائل من أحياء بكرٍ ووائلٍ يحببن للعشّاق بكراً ووائلا
عيونٌ ثكلن الحسن منذ فقدنها ومن ذا رأى قبلي عيوناً ثواكلا
جعلت ضنى جسمي لديها ذرائعاً وسائل دمعي عندهنّ وسائلا
وركبٍ سرَوا حتّى حسبت بأنّهمْ لسرعتهم عدّوا إليك المراحلا
إذا نزلوا أرضاً رأونيَ نازلاً وإنْ رحلوا عنها رأوني راحلا
وإنْ أخذوا في جانبٍ ملت آخذاً وإنْ عدلوا عن جانبٍ ملت عادلا
وإنْ وردوا ماءً وردت وإن طووا طويت وإن قالوا تحوّلت قائلا
وإنْ نصبوا للحرّ حرَّ وجوههم تمثّلت حرباءً على الجِذل مائلا[٢]
وإن عرفوا أعلام أرضٍ عرفتها وإن أنكروا أنكرت منها المجاهلا
وإن عزموا سيراً شددت رحالهم وإن عزموا حلاً حللت الرحائلا
وإن وردوا ماءً حملت سقاءهم أو انتجعوا غيثاً حدوت الزواملا[٣]
أو استنفدت خوص الركائب منهلاً أعدت لهم من فيض دمعي مناهلا[٤]
يظنّون أنّي سائلٌ فضلَ زادهمْ ولولا الهوى ما ظنّني الركب سائلا
وأقسمت بالبيت الجديد بناؤه يحيّي ومن يحفي إليه المراقلا[٥]
هي الدار أبناء الندى من حجيجها نوازل في ساحاتها وقوافلا

(١) العقائل : النساء المصونات الشريفات .
(٢) الجذل : أصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفرع أو عددٌ ينصب لتحتك به الجمال الجربى .
(٣) الزوامل : النوق .
(٤) الخوص : النوق .
(٥) المراقل : النوق السريعة .

يزرنـك بالآمـال مثنـىً وموحداً ويصـدرن بالأمـوال دثـراً وجاملا[1]

قواعـد إسـمعيل يرفـع سمكها لنـا كيف لا نعتدّهـنّ معاقلا

فكم أنفسٍ تأوي إليهـا مغذّةً وأفئـدة تهـوي إليهـا حوافلا[2]

وسـامية الأعـلام تلحـظ دونها سنـا النجـم في آفاقهـا متضائلا

نسخت بهـا إيوان كسـرى بن هرمزٍ فأصبـح في أرض المدائـن عاطلا

فلـو أبصـرت دار العمـاد عمادها لأمسـت أعاليهـا حياءً أسافلا

ولـو لحظـت جنّـات تدمـر حسنها درت كيف تبنى بعدهـنّ المجادلا[3]

يناطـح قرن الشـمس من شرفاتها صفـوف ظبـاءٍ فوقهـنّ مواثلا

وعـولٌ بأطـراف الجبـال تقابلتْ ومـدّت قرونـاً للنّطـاح مواثلا

كأشـكال طيرِ المـاء مدّت جناحها وأشخصـن أعناقـاً لهـا وحواصلا

وردّت شعـاع الشـمس فارتـدّ راجعاً وسدّت هبـوب الـريح فارتـدّ ناكلا[4]

إذا ما ابـن عبـادٍ مشـى فوق أرضها مشـى الزّهـو في أكنافهـا متمايلا

كنـائس ناطـت بالنجـوم كواهلاً وعـادت فألقـت بالنجـوم كلاكلا

وفيحـاء لو مرّت صبـا الـريح بينها لضلّـت فظلّـت تستنير الدلائلا

متـى ترهـا خلـت السمـاء سرادقاً عليهـا وأعـلام النجـوم تماثلا

ومنها في وصف الماء الجاري ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته :

هواءٌ كأيام الهـوى فرط رقةٍ وقـد فقـد العشّـاق فيهـا العواذلا

ومـاءٍ على الرضـراض يجـري كأنّه صفائـح تبـرٍ قد سبكـن جداولا[5]

كأنّ بهـا من شدّة الجـري جنّةً فقـد ألبستهـنّ الـرياح سلاسلا

---

(١) الدثر : الكثير من كلّ شيء كالمال وغيره .

(٢) مغذّة : طلباً للغذاء .

(٣) المجادل : الأبنية المحكمة والمتقنة .

(٤) الناكل : الضعيف الجبان .

(٥) الرضراض : الحصى الرقاق في مجاري الماء .

ولـو أصبحـت داراً لك الأرض كلّها ... لضاقـت بمـن ينتـاب دارك آملا

ولـو كنـت تبنيهـا علـى قدر همّةٍ ... سمـت بك واستسـرت إليك المراسلا

عقـدت علـى الـدنيا جداراً فحزتها ... جميعـاً ، ولـم تتـرك لغيرك طائلا

وأغنى الـورى عن منـزلٍ من بَنَتْ له ... معـاليه فوق الشعـريين منازلا[١]

ولا غرو أن يستحـدث الليث بالسّرى ... عرينـاً ، وأن يستطـرف البحـر ساحلا

ولـم يعتمـد داراً سوى حومـة الوغى ... ولا خدمـاً إلاّ القنـا والقنابلا[٢]

ولا حاجبـاً إلاّ حسامـاً مهنّداً ... ولا عامـلاً إلاّ سنانـاً وعاملا

ووالله ما أرضـى لك الدهـر خادماً ... ولا البـدر منتابـاً ولا البحـر نائلا

ولا الفلك الـدوار داراً ولا الورى ... عبيداً ولا زهـر النجـوم قبائلا

أخـذت بضبـع الأرض حتـى رفعتها ... إلى غايةٍ أمسـى بهـا النجـم جاهلا[٣]

فإنّ الـذي يبنيه مثلك خالدٌ ... وسائـر ما يبنـى الأنـام إلـى بلى

ومن قصيدة أبي الحسن الجرجاني [ من الطويل ] :

ليهـنَ ويسعـدْ من به سعُـدَ الفضلُ ... بدارٍ هي الـدنيا ، وسائرهـا فضل[٤]

تولّـى له تقديرهـا رحـب صدره ... على قدره ، والشّكل يعجبه الشكل

بنيّة مجـدٍ تشهـد الأرض أنّها ... ستطـوى ومـا حاذى السمـاء لهـا مثل

تكلّف أحـداق العيون تخاوصاً ... إليه كأنّ النـاس كلّهـم قبل[٥]

منـارٌ لأبصـار الـرواة ، وربُّها ... منـارٌ لآمـال العفـاة إذا ضلّوا

سحـابٌ علا فوق السّحـاب مصاعداً ... وأحـرى بأن يعلـو وأنـت له وبل

وقـد أسبـل الخيري كمـي مفاخرٍ ... بصحـنٍ به للملك يجتمـع الشّمل

---

(١) الشّعرى : نجم في السماء .

(٢) القنابلا : الجماعة من الناس والخيل .

(٣) ضبع الأرض : ابطيها .

(٤) وسائرها فضل : أي كلّها بقيةً له .

(٥) التخاوص : من الخوص وهو صغر العين يريد أن المتطلّع إليها يخفض بصره .

كمـا طلـع النسـر المنير مصفّقاً جنـاحيه لولا أنّ مطلعـه عقل
بنيت علـى هام العـداة بنيّةً تمـكّن منهـا في قلوبهـم الغلُّ
ولـو كنـت ترضـى هامهـم شرفـاً لها أتـوك بهـا جهـد المقـلّ ولـم يألوا[1]
ولـكن أراهـا لو هممـت برفعها أبـى الله أن تعلـو عليك فلـم تعلو
تحـجُّ لهـا الآمـال من كلِّ وجهةٍ وينحـر في حافاتهـا البخـل والمحل
ومـا ضرَّهـا ألاَّ تقابـلُ دجلةً وفـي حافتيهـا يلتقـي الفيض والهطل
تجلّـى لأطـراف العـراق سعودها فعـاد إليهـا الملك والأمـن والعدل
كذا السعـد قد ألقـى عليهـا شعاعه فليس لنحسٍ في مطارحهـا فعل
وقالـوا تعـدّى خلقـه في بنائها وكان ومـا غير النّـوال به شغل
فقلـت إذا لم يلهـه ذاك عن ندىً فمـاذا علـى العلياء إنْ كان لا يخلو
إذا النصـل لم يذمـمْ نجـاراً وشيمةً تأنّـق في غمـدٍ يصـان به النّصل[2]
تمـلّ علـى رغـم الحواسـد والعدى علاك ، وعش للجود ما قبح البخل

ومن قصيدة أبي القاسم الزعفراني [ من الخفيف ] :

سـرّك الله بالبنـاء الجديد تلك حال الشـكور لا المستزيد
هـذه الدار جنّـة الخلد في الدنـيـا فصلهـا وأختهـا بـالخلود
أمـةٌ زيّنـت لسيدهـا المالك لا زينـة الفتـاة الرود[3]
حليهـا حسنهـا فقـد غنيت عن كل مستطـرفٍ بلبس التليد
إرم المسـلمين لا ذكر شدّاد بن عادٍ فيهـا ولا اسـم شديد
مـا تشـكّكت أن رضـوانَ قد خان وإلاّ لم مثلهـا في الصعيد ؟
كلّ مستخـدمٍ فداء وزيرٍ خدمتـه الرجـال بعـد الأسود

---

(١) يألوا : يقصّروا .
(٢) النجار : الأصل .
(٣) الفتاة الرود : الفتاة الحسناء الفتيّة .

ألـزم الإنس كلّ جافٍ شديدٍ   عمـل الجـن كلّ جافٍ مريد
فابتنـوا ما لو ان هامـان يدنو   منـه لم يرض صرحـه للصعود
قـد تـولى الإقبال خـدمتـه فيـــه على رسمـه كبعض الجنـود
ودرى أنّـه يزيد معيناً   مثلـه فاستعـان بالتسميد[1]
قـال للجصّ كن رصاصـاً وللآ   جر لمـا علاه كن من حديد
فتنـاهـى البنيـان وارتفـع الإيـوان حتـى أنـاف بالتشـديـد
وتبـدّت من فوقـه شرفاتٌ   كنسـاءٍ أشرفـن في يوم عيد
قسمـاً لا مدحـت بعـد ابـن عبا   د منيل الشبـاب والتخليد
لا لقيت الزمـان إلاّ بوجهٍ   ماؤه لا يجـول في جلمود
ويدٍ ما حسـرت ردّنـي عنها   فهـي سيفٌ يصـان عَن تجريد
أجمـع النـاس أنّـه أفضـل النا   س اضطـراراً أغنـى عن التقليد
فلهـذا أعـدّ قربـي منه   نعمـةً ليس فوقهـا من مزيد
لا ذكرت العـراق ما عشـت إلاّ   أن أراه يؤمـه في الجنود

ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [ من الكامل ] :

دارٌ تمكّنـت المناهـج فيها   نطقـت سعـود العـالميـن بفيها

ومن قصيدة أبي محمد بن المنجم [ من الطويل ] :

هجرت ولـم أنـو الصـدود ولا الهجرا   ولا أضمرت نفسي الصروف ولا الغدرا
وكيف وفـى الأحشـاء نار صبابةٍ   تشبّـب لي في كلّ جارحـةٍ جمرا[2]
تقـول لي الأفـكار لمـا دعوتها   لتنظـم في معمـور بنيانـه شعرا
بنـى مسكنـاً بانـي المفاخـر أم فخرا   وجنّتنا الأولـى بدت أم هي الأخرى ؟

---

(١) التسميد : أي جعل فيها السّماد .
(٢) تشبّب : توقد .

أم الـدار قد أجـرى الـوزير سعودها ... فلم تجر دارٌ في الثرى ذلك المجرى
وتبـدو صحـونٌ كالظنـون فسيحةٌ ... تقدّرهـا حلمـاً فتنعتهـا حزرا[1]
وفـي القبـة العلياء زهـر كواكبٍ ... من الضرب المضروب والذهب المجرى[2]
إذا ما سما الطرف المحلّق نحوها ... رآهـا سمـاءً صحف أنجمهـا تقرا

ومن قصيدة أبي عيسى بن المنجم [ من الطويل ] :

هي الـدار قد عمّ الأقـاليم نورها ... ولـو قدرت بغـداد كانـت تزورها
ولـو خبّـرت دار الخلافـة بادرت ... إليهـا وفيهـا تاجهـا وسريرها
ولـو قد تبقّـت سر من را بحالها ... لسـار إليهـا دورهـا وقصورها
لتسعـد فيهـا يوم حان حضورها ... وتشهـد دنياً لا يخـاف غرورها
فمـا حلمـت عين الزمـان بمثلها ... وحاشـا لهـا من أن يحسّ نظيرها
يقـول الأولـى قد فوجئـوا بدخولها ... وحيَّرهـم تحبيرهـا وحبيرهـا[3]
أفـي كلّ قطـرٍ غادةٌ وحليُّها ... وفـي كلّ بيتٍ روضـةٌ وغديرها
وأبوابهـا أثوابهـا من نفوسها ... فلا ظلـم إلاّ حين ترخـي ستورها
معظّمـةٌ إلاّ إذا قيس سمكها ... بهمّـة بانيهـا فتلك نظيرها
هي الهمّـة الطولـى أجالـت بفكرها ... مبانـيَ تكسوهـا العـلا ويعيرها
فجـاء بدارٍ دار بالسعـد نجمُها ... وجنِّبـت المحـذور ليس يطورهـا[4]
وقـال لهـا الله الوفـيّ ضمانُهُ ... سأحميك ما ضمّ الليالـي كرورها
أهنيك بالعمـران والعمـر دائمٌ ... لبـانيك ما أفنـى الدهـور مرورها
وقـد أسجـل الإقبـال عهـدة ملكها ... وخطّـت بأقـلام السعـود سطورها

---

(١) حزرا : تقديراً وتخميناً .
(٢) الضرب : الدراهم .
(٣) التحبير : التوشية والتزيين ، والحبير : من الثياب : الناعم الجديد الملوّن .
(٤) يطورها : يقربها .

ودارت لهـا الأفـلاك كيف أدرتها ... ودانـت إلـى أن قيل أنـت مديرها
وهـاك ابنة الفـكر التـي قد خطبتها ... وقـدّم من قبـل الزفـاف مهورها
فإن كان للـدار التـي قد بنيتها ... نظيرٌ ففـي عرض القـريض نظيرها
وإلاّ جررت الـذيل في ساحـة العلا ... وقلـت القوافـي قد أعيد جريرها

ومن قصيدة أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن المعلى ، أبوه يكتب لأبي دلف سهلان بن مسافر ، وقد ورد الباب منذ أشهر ، وهو ممن يفهم ويدري ، وله بديهة ومعرفة حسنة [ من البسيط ] :

بي من هواهـا وإن أظهـرت لي جلدا ... وجـدٌ يذيب وشـوقٌ يصـدع الكبدا
رَمَـتْ بأسهـم هجـرٍ لا تقـوم لها ... خيل العـزاء وإن ألبستهـا زردا
من مبلـغٍ عنّـيَ الماهـات مألكةً ... تحيي الصديق وتردي كلّ من حسدا[1]
أنّـي ترحّلـت عن قومـي بهـا قنصاً ... فإنْ رجعـتُ إليهـم أبصـروا أسدا
قل للـوزير ابـن عبـادٍ بنيت علاً ... أم منـزلاً أم كلا هذين أم بلدا
فمـن رأى دار مولانـا وزينتها ... رأى بهـا كوكبـاً في أفقـه فردا
رأى الربيع رأى الروض المريع رأى الـ ... ـطود المنيع رأى ثهلان قـد ركد[2]

ومن قصيدة أبي العلاء الأسدي [ من الكامل ] :

أسعـد بدارك إنّهـا الخلد ... والعيش فيهـا ناعـمٌ رغدُ
دارٌ ولـكن أرضهـا شرفٌ ... ربـعٌ ولـكن سقفـه مجدُ
قـد أثمرتـه همّـةٌ صعدٌ ... هي قبـل والـدنيا لهـا بعدُ
هـي للعفـاة وللنـدى قبلٌ ... صلّـى إليهـا الشّـكر والحمد[3]

---

(١) الماهات : جمع مها وهي البقرة الوحشية ويريد بها « الفتيات » ، والمألكة : الرسالة .
(٢) ثهلان : جبل .
(٣) قبلٌ : جمع قبلة أي مقصد .

إيوان كسرى في مدائنه ... منذ ابتنيت دموعه سرد
ولماردٍ همٌّ يعانقه ... وكذاك يشجي الأبلق الفرد
والجعفرية لأقوام لها ... وصفا البديع وولول القرد
أحييت عباداً وأسرته ... فضلاً ولم يشقق لهم لحد
والحي مَنْ حييَتْ مناقبهُ ... بابنٍ يؤرّخ باسمه المجد
هذي العقيلة من بني أسدٍ ... تجلى وتحذر صولها الأسد
بكرٌ فلم يعرض لها بشرٌ ... قبلي ولم يقدح لها زند
زفّت إليك وحليها أدبٌ ... وزكت لديك ومهرها نقد

ومن قصيدة أبي الحسن الغويري [ من مجزوء الكامل ] :

دارٌ غدت للفضل داره ... أفلاك أسعده مداره
منها المحامد مستقا ... ةٌ والمحاسن مستعاره
شرفاتها هيفُ الخصو ... ر لها تحاسينٌ وشاره
فلكلِّ طرفٍ نحوها ... ولكلّ جارحةٍ إشاره
وعلى جميع الدور في الـ ... ـدّنيا تقلّدت الإماره
فترابها مسكٌ سحيـ ... ـقٌ شقّ برد الليل فاره[1]
لا تهتدي لنعوت أد ... ناها الفحول بنو عماره

ومن قصيدة لبعض الشبان من أهل البلد [ من الخفيف ] :

هي دنياً بنيتها أم دارُ ... فجميع الأفلاك فيها تدار

ولبعض الشعراء من الغرباء من قصيدة أولها [ من الهزج ] :

رأينا طلعة الدار ... شموساً مع أقمار

---

(١) الفار : وعاء المسك والطيب .

ولي مسألة بعد فعاجلني بأخبار
بنيت الدار في دنيا ك أم دنياك في الدار

أخذ هذا المعنى من حيث أخذه أبو الحسن بن أبي الحسن البريدي [ من البسيط ] :

* لما بنى الناس في دنياك دورهم *

وهما أخذاه من قول أبي العيناء حين قال له المتوكل : كيف ترى دارنا هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، عهدي بالناس يبنون الدور في هذه الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك هذه .

ولبعضهم قصيدة أولها [ من السريع ] :

إنّ الوزير قد بنى دارا والسعد في أكنافها دارا

ومن قصيدة أخرى [ من الكامل ] :

هنِّئت جنَّتك التي تبنيها وبقيت غضّاً ناضراً تبليها

ومن قصيدة هزلية لابن عطية الشاعر [ من الكامل ] :

الملك ملكٌ والأمير أميرُ والدار دارٌ والوزير وزير

ومنها وقد جد :

تزهى الملوك بدورها ولأنت من تزهى به الدنيا فكيف الدّور
لا يعدم الأمراء منك سياسةً لولا سعادتها وهي التدبير[1]

وكان في جملة الطارئين شيخ أنطاكي في زي الكتاب حسن البيان ظريف

(١) وهى : ضعف .

اللهجة قد أنافت سنوه على الثمانين وخنقت التسعين ، فقال قصيدة أولها [ من المنسرح ] :

ما أنصف الدار واقفٌ فيها يثني على غيرها ويطريها
فقفْ بها ناشراً محاسنها وانح به ما حوت نواحيها
ووفّها النّعت غير مختصرٍ فليس نزر الثناء يكفيها
يكاد يجري السّفين سافلها يكاد يعلو النجوم عاليها
لم يبق في الناس من إذا ذكرت بوحدة الكون لم يقل إيها
فعجْ بها الصّحب واقضِ واجبها وقف بها وقفةَ المهنيها
إنْ أغدُ ذا نعمةٍ فواهبها أنت فداك الورى ومنشيها
وما تراه عليَّ من حللٍ فأنت كاسٍ بها ومعطيها
وكلّ ما ضمَّ منزلي ويدي من نعمةٍ لي فأنت موليها
لا نسي الله حسن فعلك بلْ أسأله في الحياة ينسيها

قال مؤلف الكتاب : وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لنفسه قصيدة في دار الصاحب عارض بها قصيدة الرستمي في الوزن والقافية إذ هي أجود القصائد فمنها [ من الطويل ] :

أكلُّ بناءٍ أنت بانيه معجزٌ بنيت المعالي أم بنيت المنازلا
فلا الإنس تبني مثلهنّ معالماً ولا الجنّ تبني مثلهنّ معاقلا
كنائس أضحت للغمام عمائماً علواً وأمسّت في الظلام قنادلا
رحابٌ كأنْ قد شاكلتْ صدر ربّها وبيضٌ كأنْ قد نازعته الشمائلا
وبهوٌ تباهي الأرض منه سماءها بأوسعَ منها آخراً وأوائلا
وصحنٍ يسير الطرف فيه ولم يكنْ ليقطعه بالسّير إلاّ مراحلا
تلوح نقوش الجصّ في جدرانه كما زيّن الوشم الدقيق الأناملا
وماءٌ إذا أبصرتَ منه صفاءه حسبت نجوم الليل ذابت سوائلا

رأيت سيوفاً قد سللن على الثرى وصارت لها أيدي الرّياح صياقلا
وروضٌ كعيش السائليك نضارةً ووجهك بشراً حين تلحظ آملا
أصائله للنور أضحت هواجراً هواجره للطيب أضحت أصائلا
هي الدار أمست مطرح العلم فاغتدى لها ناهل الآمال ريّان ناهلا
إذا ما انتحاها الركب لم يتطلبوا إليها دليلاً غير من كان قافلا[1]
وأنت امرؤٌ أعطيت ما لو سألته إلّهك قال الناس أسرفت سائلا
وإنّي وإلزاميك بالشعر بعدما تعلّمته منك النّدى والفواضلا
كملزم ربٍّ الدار أُجرةَ داره ومثلك أعطى من طريقين نائلا

وأنشدني أيضاً لنفسه فيها [ من مجزوء الوافر ] :

بنيت الدار عاليةً كمثل بنائك الشرّفا
فلا زالت رءوس عدا ك في حيطانها شرَفا

* * *

## ذكر البرذونيات

لما نفق برذون أبي عيسى بن المنجم بأصبهان وكان أصدا[2] قد حمله الصاحب عليه وطالت صحبته له أوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين في جملته أن يعزوا أبا عيسى ويرثوا أصداه فقال كل منهم قصيدة فريدة ، فمن قصيدة أبي القاسم الزعفراني [ من الخفيف ] :

كنْ مدى الدهر في حمى النعماء مستهيناً بحادث الأرزاء
ينثني الخطب حين يلقاك عن طو د شديد الثّبات للنّكباءِ

(١) انتحى : قصد وتوجه ناحيتها .

(٢) الأصدأ : ما كان لونه الشقرة إلى السواد، أو السواد المشرب بالحمرة .

بك يا أحمد بن موسى التسلّي والتعزّي عن سائر الأشياء
ومعزّيك لا يزيدك خبراً بالذي قد عرفته بالعزاء
قد سخا طرفك المفارق بالنفس وطرفي من بعده بالماء
يا له جمرةً ونجماً وشؤبو باً وبرقاً وطائراً في الرواء[1]
راكب الليل خائض السيل عيّن الـ خيل عانته أعين الأعداء[2]
فقد الوحش منه أوّل قطّا عٍ إليها المدى أمام الضرّاء[3]
واستراحت من نقعه مقلة الشمس ومن لطمه خدود الفضاء
ما بدا والصباح قد لاح إلاّ جاءنا من قتامه بالمساء
وترى الطود حين يمثل مجمو عاً على ضمر القنا في الهواء
كم ركبت البراق منه أبا عيسى وإن لم تكن من الأنبياء
فرسٌ لو علاه ذو الزهد عمرو بـ ـن عبيدٍ لتاه في الخيلاء
عدّة الفارس الذي خانه الصبر فرامى بصدره في اللقاء
قد تملّيته وإن كنت ما شا هدت في ظهره وغى الهيجاء
فترى ما يراه غيرك في الحر ب وتقلى طريقة الندماء[4]
كلُّ بؤسي أتتك من قبل اللـ ـه فسلِّم فيها لجاري القضاء
سوف تعتاض من خصيِّك فحلاً لم يشنه بيطاره بالخصاء
من لهى سيدٍ سخيٍّ سريٍّ يشتري بالغلاء كلّ العلاء[5]
أي رزءٍ وأيّ وزرٍ على من يتقوّى بأنهض الوزراء
أيّها الصاحب الجليل أتمّ اللـ ـه نعماك عندنا بالنّماء

---

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والرواء : حسن المنظر .

(٢) عيّن الخيل : نموذجاً لها ، عانته : حسدته .

(٣) الضرّاء : الشجر الملتف الذي تستتر به .

(٤) تقلى : تكره وتهجر .

(٥) اللهى : العطايا وأوسعها .

كم كرعنا من بحر عرفك في كفّـــــك أصفى ماءٍ بأوفى إناء
سنّةٌ سنها فتى لا يريد الوصل بين البيضاء والصفراء
جمع الله شمل معتصمٍ منــــك بحبلي مودّةٍ وولاء

ومن قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني [ من الخفيف ] :

جلّ والله ما دهاك وعزّا فعزاءً إنَّ الكريم معزى
والحصيف الكريم من إن أصابت نكبةٌ بعد ما يعزُّ يعزّى
هي ما قد علمت أحداث دهرٍ لم تدع عدّةً تصان وكنزا
قصدت دولة الخلافة جهراً فأبادت عمادها والمعزّا
وقديماً أفنت جديساً وطمساً حفزتهم إلى المقابر حفزا[1]
اصغِ والحظْ ديارهم هل ترى منْ أحدٍ منهمُ وتسمع ركزا[2]
ذهب الطرف فاحتسبْ وتصبَّرْ للرزايا فالحرُّ من يتعزّى
فعلى مثله استطير فؤاد الــــحازم الندب حسرةً واستفزّا
لم يكن يسمع القياد على الهون ولا كان نافراً مشمئزّا
ربَّ يومٍ رأيته بين جردٍ تتقفاه وهو يجمز جمزا[3]
وكأنّ الأبصار تعلق منه بحسامٍ يهزّ في الشمس هزّا
وتراه يلاعب العين حتّى تحسب العين أنّه يتهزّا
وسواءٌ عليه هجّر أو أســـرى أو انحطّ أو تسنّم نشزا[4]
وكأنّ المضمار يبرز منه متنُ حسّي ينزّ بالماء نزّا[5]

---

(١) جديساً وطمساً : من القبائل البائدة .
(٢) الركز : البقية ، والحسّ .
(٣) الجرد : الخيل الأصيلة ، وتجمز : تثب وتقفز .
(٤) النَشز : المرتفع .
(٥) الحِسّي : السهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، وينز : يتحلّب ويسيل منه الماء .

استراحــت منــه الوحــوش وقــد كا ن يراهــا فلا ترى منــه حرزا

كم غزالٍ أنحــى عليه وعيرٍ نال منــه وكم تصيَّد فزا[1]

وصــروف الزمــان تقصــد فيما يســتفيد الفتــى الأعــزّ الأعزّا

فإذا مــا وجــدت مــن جــزع النــكبــة فــي القلــب والجــوانــح وخــزا

فتــذكّر سوابقــاً كان ذا الطر ف إليهــنّ حين يمــدحُ يُعزى

أين شقٌّ وداحسٌ وصبيبٌ غمزتهــا حوادث الدهــر غمزا[2]

غلن ذا اللّمــة الجــواد ولزَّت طربــاً واللــزاز والسلــب لزّا[3]

ولقــد بزّت الــوجيه ومكتو ماً بنــي أعصــرٍ وأعــوج بزّا

وتصــدّت لــلاحــقٍ وغــرابٍ وزهــدمٍ فرمتــه فاستفــزّا

فاحمــد الله إن أهــون ما تُر زأ ما كنــت أنــت فيه المعزّى

قــد رثــينــا ولــم نــقصــر وبــالــغــــــنــا وفي البعض مــا كفــاه وأجــزى

ومــن العــدل أن نثــاب أبــا عيســى علــى قــدر مــا فعلنــا ونجــزى

ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [ من الطويل ] :

عزاءً وإن كان المصــاب جليلا وصبــراً وإن لم يغــن عنــك فتيلا

وخفّض أبــا عيســى عليك ولا تفضْ دموعــاً وإن كان البــكاء جميلا

وراجع حجاك الثبت لا يغلــب الأسى أســاك وإن حمّلــت منــه ثقيلا

ولا تستفزنّــك الهمــوم وبرحهــا فحملك قبــل اليوم كــان أصيلا

وإن نفــق الطــرف الــذي لو بكيته دمــاً كان في حكم الوفــاء قليلا

أقــبُّ يروق العين حسنــاً ومنظراً ويرجعهــا يــوم الحضــار كليلا[4]

---

(١) الفزّ : الظبي الفزع .

(٢) شق وداحس وصبيب وغيرها من الأسماء في الأبيات التالية كذي اللمه واللزّاز والسلب والوجيه ومكتوم وأعطر وأعوج ولاحق وغراب وزهدم كلّها أسماء أفراسٍ سوابق للعرب .

(٣) لزّ : التصق .

(٤) أقبّ : ضامر البطن دقيق الخصر .

إذا ما بدا أبدى لعطفك هزّةً ... ونفسك إعجاباً به وقبولا
كلمع الشهاب خفّةً وتوقّداً ... وجذع الحضار هادياً ودليلا[1]
إذا قلت قفْ أبصرته الماء جامداً ... وإن قلت سر ماءٌ أصاب مسيلا
خلت قصبات السبق منه وأيقنتْ ... رياح الصّبا أن لا يجدن رسيلا[2]
بكته جلال الخز وانتحبت له ... مخالي حريرٍ رحن منه عطولا[3]
أقام عليه آل أعوج مأتماً ... وأعلى له آل الوجيه عويلا
ففي كلّ إصطبل أنينٌ وزفرةٌ ... تردّد فيه بكرةً وأصيلا
ولو وفت الجرد الجياد حقوقه ... لما رجعت حتى الممات صهيلا
وقد أنصفته الخيل ما ذقن بعده ... شعيراً ولا تبناً ومتن غليلا[4]
فقدت أبا عيسى بطرفك مركباً ... جليلاً وخلاً ما علمت نبيلا
عتادك في الجلى وكهفك في الوغى ... وعونك يوماً إنْ أردت رحيلا[5]
تفرقتما لا عن تقالٍ وكنتما ... لفرط التّصافي مالكاً وعقيلا
وهبت لعقبان الفلاة لحومه ... وكنت بها لولا القضاء بخيلا
ووزعتها بين النسور غنيمةً ... صفايا ومرباعاً لها وفضولا[6]
وأعززته دهراً فلما سطا به الردى لم تجد بدّاً فصرت مذيلا[7]
على أنها الأيام شتّى صروفها ... تذلُّ عزيزاً أو تعزُّ ذليلا

---

(١) الحضار : العدو والوثب .
(٢) الرسيل : الفرس الذي يرسل مع آخر في السباق .
(٣) الجلال : البرذعة للفرس .
(٤) الغليل : الظمأ .
(٥) الجلّى : الأمر العظيم .
(٦) الصفايا : جمع صفى ، وهو ما كان يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة قبل قسمها ، والمرباع : هو ربع كان يختص به الملك من الغنيمة في الجاهلية وقال شاعرهم :
لك المرباع وحدك والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول
(٧) مذيلا : قلقاً ضجورا .

ومن قصيدة أبي الحسن السلامي [ من الوافر ] :

فدى لك بعد رزئك من ينام ... ومن يصبو إذا سجع الحمامُ
ونفسي بالفداء عنيت لا من ... ينام عن الحقوق ولا يلام
ألا نفق الجواد فلا عجاجٌ ... تقوم به الحروب ولا ضرام
وكان إذا طغت حرب عوانٌ ... جرى ورسيله الموت الزؤام[1]
إذا رميت به الغابات صلّت ... صفوف الخيل وهو لها إمام
تمهّر في الوقائع وهو مهرٌ ... ولا سرجٌ عليه ولا لجام
فلما لم يدع في الأرض قرناً ... تخوّنه فعاجله الحمام
وعوّد عافيات الطير طعماً ... وشُرْب دمٍ إذا حرمٍ المدام
فلمّا لم يطقْ نهضاً أتته ... فقال لها أنا ذاك الطعام
وجاد بنفسه إذا لم يجد ما ... يجود به ، كذا الخيل الكرام
وكنت البدر عارضه كسوفٌ ... بنحسٍ حين تمّ له التّمام
فلا تبعد وإن أبعدت عنّا ... فهذا العيش ليس له انتظام
إذا لم تكشف الأصدا همومي ... فليت الخيل أصداه وهام[2]
طوى الحدثان طرفك يا ابن يحيى ... فطرفي ما يعاوده المنام
ولم أحضره يوم قضى فيشكو ... تحمحمه الذي صنع السقام
ولا خبرت ليلة جرّ جسمٌ ... زكت عندي له نعمٌ جسام
ألم أقسم عليك لتخبرنّي ... أمحمولٌ على النعش الهمام[3]

---

(١) الموت الزؤام : الموت المحتّم .

(٢) الأصداء : جمع صدى ، وهي صوت طائر يصرّ بالليل تزعم الجاهلية أنه يخرج من رأس المقتول ، والهام ومثله الهامة : الطائر الذي يخرج من رأس القتيل ، وقال ذو الاصبع العدواني :

يا عمرو إلاّ تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

أي على رأسه .

(٣) هذا البيت للنابغة الذبياني يخاطب به صاحب النعمان بن المنذر واسمه عصام .

مضوا يتناقلون به خفافاً ... عليه من الضباع له قيام
فبزّوه وما عرّوه درعاً ... نبت عنه الصّوارم والسّهام
أيقتله الحمام أشدّ قرنٍ ... وأكرمه وتسلبه اللّئام
أبا عيسى تعزّ فدتك نفسي ... فإنّ الموت قرنٌ لا يضام
أقمْ في ظلّ إسماعيل تضمنْ ... لك الدّرك السّلامة والدوام[1]
إذا بقي الوزير لنا وفينا ... فقل للدّهر يهلك والأنام
وعظت بها أخاً ورثيت مالاً ... وأدّيت الأمانة والسلام

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [ من المنسرح ] :

لو سامح الدّهر أعصماً صدعا ... أو كاسراً فوق مربأٍ وقعا[2]
أو صاحباً ساقه نواهضه ... أو سبعاً في عرينه شبعا
ابقى لنا ذلك الجواد ولم ... يغدو لصفو الهبات منتزعا
لست أقيل الزمان عثرتهُ ... فليس يدري الزمان ما صنعا
آهٍ على ذلك الجواد فقدْ ... جرّع قلبي من كأسه جرعا
آهٍ عليه من أصدأ جزعٍ ... طاوع دهراً أودى به جزعا
آهٍ عليه وقد سرى لمعاً ... فراح غيضاً كبارق لمعا
لم يكبُ في جريه إذا كنت الـ ... ـخيل ولا قال راكبوه لعا[3]
صفا أديماً وحافراً وقحاً ... والعين والساعدين والسفعا[4]
عريض زورٍ وبلدةٍ وصلاً ... رحيبُ صدرٍ ومنخرٍ ومعا[5]

---

(١) الدّرك : إدراك الحاجة .

(٢) الأعصم : عن الغزلان ونحوها : ما في ذراعيه سواد وسائره أسود أو أحمر . والمربأ : المكان الذي يقف فيه المراقب .

(٣) اللعى : كلمة للدعاء تقال للّذي تعثّر في سيره وتعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٤) السفع ، من الخيل : مواضع الوسم .

(٥) البلدة : الصدر ، والصلا : وسط الظهر، والمعا : هي الأمعاء .

إذا هوى فالعقاب منخفضاً وإنْ رقى فالسحاب مرتفعا
كأنّه بالسّماك منتعلٌ فليس يشكو في وقعه وقعا
أوجعك الله يا زمان فقد رحت حزيناً بفقده وجعا
قد لان للموت أخدعاه ومنْ خادعه الدهر عاد منخدعا
كم قلت للنفس وهي مزعجةٌ أيّتها النفس أجملي جزعا[1]
قد شرّع القائلون باباً إلى الصّبر عليه فأصبحوا شرعا[2]
لا تصحب الهمّ في الجواد أبا عيسى ودعه ولا تكنْ جزعا
فنائل الصاحب الجليل أبي القاسم إسماعيل الحيا همعا
وانظر إليه كأنّه قمرٌ أزهرُ من ثنيٍّ دسته طلعا
ولا تضق بالذي فقدت يداً إنّ لنا في نداه متّسعا
فاسمع قريضاً من موجعٍ جزعٍ ويرحم الله صاحباً سمعا

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [ من المنسرح ] :

لو أعتب الدهر من يعاتبه ولان للعاذلين جانبُهُ
أو كان يصغي إلى شكاة شجٍ صبّت على قلبه مصائبه
أحسنت عنك المناب في حرقٍ تشعلها في الحشى نوائبه
ولم أزل عن شكاته أبداً ولم أزل دائباً أعاتبه
لهفي على ذلك الجواد وهلْ يفكّ رهن المنون نادبه
لو كان غير الممات حاوله لفلّلت دونه مخالبه
أو كان غير المنون يخطبه رمّل أنفٌ أبداه خاطبه[3]

---

(١) العجز صدر مرثية لأوس بن حجر وعجزه « إنّ الذي تحذرين قد وقعا » .
(٢) شرعاً : سواءً .
(٣) أخذ هذا من قول المهلهل وقد أكره على تزويج ابنته .
لو بأبانين جاء يخطبها رمل ما أنف خاطب بدم

أو حارب الدهر مشفقٌ حدبٌ لقمت في وجهه أحاربه
من لجوىً حلّ بي عساكره وحطّ بين الحشى مضاربه
فلست أرجو انقلاعه أبداً أو يجلب الصبّر لي جوالبه
يرتدّ بين الضلوع لي نفسٌ من ذكره ضاق بي مساربه[1]
لهفي على ذلك الجواد مضى في سفرٍ لا يؤوب غائبه
لو عرف الخيل من نعيت لها ضاقت بها في السُّرى مذاهبه
أو علم القفر من نعيت له لانسدّ للسالكين لاحبه[2]
تباشر الوحش في الفلاة له فقد صفت بعده مشاربه
فنام ملء الجفون شارده وسام ملء البطون ساربه[3]
تبكي لتقريبه الرّياح معاً فهنّ في جريها أقاربه
عهدي به والجنوب تجنبه إذا جرى والصّبا تجانبه
والهوج في حضره تحاذره والنّكب في سيره تناكبه
يا حسنه والعيون ترمقه وأنت يوم الرهان راكبُهُ
ترخى عليه العنان في عنقٍ حتى إذا ما التوى تجاذبُهُ
إن سار في السّهل هاج ساكنه أو سار في الحزن صاح صاحبه[4]
يوسعه إن رآه حاسده مدحاً ويثني عليه جاذبه

أخذه من قول أبي تمام :

* عوّذه الحاسد بخلاً به *

رجع :

---

(١) مساربه : ممرّاته .
(٢) اللاحب : الطريق الواضح .
(٣) سام : طلب .
(٤) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

أصدأ يحكي الظلام ، غرّته البدر ، وتحجيله كواكبُهُ[1]

أعاره الروض وشي زهرته فعاد في لونه يناسبه

وطالبٍ لا يفوز هاربه وهاربٍ لا ينال طالبه

كم موكبٍ سار في جوانبه فاهتزّ زهواً به كتائبه

وعسكرٍ زانه تحمحمهُ فارتجّ من صوته مواكبه

ومجهلٍ راح وهو جائبه لولاه لم تطوه نجائبه

صبراً جميلاً وإن سلبت أبا عيسى جليلاً فالموت سالبه

والموت إن جار في الحكومة أو أنصف فالمرء لا يغالبه

في الصاحب المرتجى لنا خلفٌ من كلّ ماضٍ خفت ركائبه

إنْ نَفَقَ الطّرف أو أصبت به ما نفقت عندنا مواهبه[2]

لم يود طرفٌ وإن فقدت به علقاً نفيساً ما عاش واهبه

دام لنا في النعيم ما طلعت شمسٌ وجلّى الظلام ثاقبه

ومن قصيدة أبي العباس الضبي [ من الطويل ] :

دعا ناظري لذيذ اغتماضه وقلبيَ يستسعرْ أليم ارتماضه[3]

فقد جاد سبّاق الجياد بنفسه فلا ظهر منها لم يملْ لانهياضه[4]

أبيد فما للبيد طرفٌ وطرفه صحيحٌ ولم يقرحه حرّ ارفضاضه[5]

نفوسُ عتاق الخيل فيضي لفقده وأعينها فيضي لوشك انقراضه

وأظهرها حطّي السّروج تفجعاً له ورِدِي ماء الرّدى من حياضه

(١) ألتحجيل : الذي في قوائمه بياض .

(٢) الطّرف : الحصان الجيد .

(٣) الإرتماض : الاحتراق من الحرّ أو الحزن .

(٤) الانهياض : الإنكسار .

(٥) ارفضاضه : زواله ، وارفض الجرح : سال قيحه .

لقد كان وفق الجو عند ارتفاعه ... نشاطاً وملء الأرض عند انخفاضه
لو آن خدود الورد أرضٌ لأرضه ... لما مسّها منه أذىً بارتكاضه[1]
يريك نحول السّهم عند اقتباله ... ويبدي مثول الطود عند اعتراضه
وقورٌ إذا خلّيته وطباعه ... وإن هزهز الأرضين فرط انتفاضه
ويخفى اصطفاق الرعد رجع صهيله ... ويخفت صوت الليث بين غياضه
تعزّ أبا عيسى وليّك ثابتٌ ... وجل التسلّي لم يرعْ بانتقاضه
ومن عرف الدنيا استهان بخطبها ... ولا سيّما من طال عهد ارتياضه
ولو قبل الدهر الخؤون ذخائري ... لقدّمتها عنه رضىً باعتياضه
ولكنه يبقى الذي لا نودّه ... ويردي الذي نهوى بصرف غضاضه[2]
وهذا الذي بي لو غدا زادَ مرضعٍ ... لشيّب فوديه اشتعال بياضه
سقا الأصدأ الكدريّ ما نقع الصدا ... غمامٌ حداه الرعد عند ائتماضه[3]
وفي بعض حملان الوزير معوضةٌ ... وسلوان قلبٍ مسلمٍ لانقضاضه
فسرْ كيفما آثرتَ فوق جياده ... ومِسْ كيفما أحببت بين رياضه[4]

ومن أرجوزة أبي دلف الخزرجي [ من الكامل ] :

دهرٌ على أبنائه وثّابُ ... تعجُمهمْ أنيابه الصّلابُ[5]
فما لهم من كيده حجاب ... يا لك دهراً كلّه عقابُ
أصبح لا يردعه العتاب ... إنّ المنايا ولها أسبابُ

---

(١) ارتكاضه : تحرّكه واضطرابه .
(٢) غضاضه : نقصه وعيبه .
(٣) إئتماضه : يريد سماع صوته ، وحدوثه .
(٤) مِسْ : تمايلْ زهواً ونشوة .
(٥) تعجمهم : تختبر صلابتهم وتعضّهم .

تصيدنـــا والصيّد مستطابُ    واهـــاً لنـــاءٍ مـا لـه إيابُ
لـكلٍّ قلـبٍ بعـده اكتئاب    مســوّمٍ تعنـــو له الأسرابُ
أصــدأ بادي الحســن لا يعابُ    قد كملــت في طبعـه الآدابُ
وهذّبــت أخـلاقه العـذابُ    أقــبُّ ممّــا ولّد الأعراب[1]
ذو نســبٍ تحســده الأنسابُ    وميعـةٍ ينــزو بهـا الشباب[2]
كأنّمـــا غرّتـه شهـاب    كأنّمـا لبّــاتـه محـراب
كأنّمـا حجــولـه ســرابُ    كأنّمـا حافــره مجــواب
للصخــر عنــد وقعــه التهاب    إذا تدانــى فهــو الحبــاب
إنّ القــرارات له انصبــاب    وإن عــلا فالصــقــر والعقاب
للــريح فــي مذهبــه ذهاب    فالــوحش مـا يلقــاه والهراب
دماؤهـــا لنحـــره خضـــاب    يا غائبـــاً طال به الإياب
لا خبــرٌ منـك ولا كتـابُ    ما كنـــت إلاّ روضـــة تنتاب
مســتأنساً تألفــك الرحـاب    تعشقــك العيــون والألبــاب
ترتــجّ كالمـوج لـه عبـابُ    تنــاوبتـك للــرّدى أنيـاب
تجــزع من أمثالهـــا الأحباب    وكنــت لو طالــت بك الأوصاب
يخفّ فــي مصرعــك المصاب    ما طاب عن أضرابــك الإضراب
ولا صحــا من حبــك الأصحاب    وأنـــت فـردٌ مـا له أتراب
يا حزنـــاً إذ ضمّــك الخراب    وأغلقـــت من دونـــك الأبواب
كصـــارمٍ أســلمـــه القـــراب    وقـد جرى من فمــك اللعاب
وامتـــار منـه النحـل والذُّباب    واعتورتـــك الفئـة الغضـــاب[3]

(١) أقبُّ : ضامر البطن دقيق الخصر .

(٢) الميعة : أوّل الجري وأنشطه، وينزو : يطمح ويتولّع بها .

(٣) امتار النحل والذباب : جنى الزهر .

وفيك أطـراف المـدى تنساب — حتـى نضى عن جسمك الإهاب

هـل هو إلاّ هكذا العذاب — وقـد غدا الإصطبـل والجناب

يبـكيك والسـائس والبوّاب — والسّـرج واللجمـام والـركـاب

قـل لأبـي عيسـى ومـا الإسهاب — بنافـعٍ تمّ لك الثـواب

والـرأي في دفـع الـرّدى صواب — فاسـكن فهـذا الصاحـب الوهّاب

شيمتـه السـخاء والإيجاب — فـي جوده وفضلـه منـاب

آلاؤه ليس بهـا ارتياب — يضـلّ فـي إحصائهـا الحساب[1]

لا زال والدعـاء يستجاب — يبقـى لنـا ما بقـي التراب

ومن قصيدة أبي محمد محمود [ من الطويل ] :

بكاءً على الطرف الـذي يسبـق الطرفا — علـى ذلك الإلف الـذي فارق الإلفا

وقفٌ مدد الأحـزان وقفـاً مؤبداً — عليه وخـلّ الدمع يجـري له وكفا[2]

علـى أصـدإٍ زان الحلـيّ إذا اغتدت — عليه وزان البيض والبيض والزغفا[3]

علـى أصـدإٍ جاراه ألف مشهّرٍ — عتيقٍ فوافانـا وقـد سبـق الألفا

علـى فرسٍ جارى الـرياح علـى حفاً — فغادرهـا حسـرى وخلّفهـا ضعفى[4]

جواب الـذي ينعـى إليه أيا لهفاً — علـى ذلك الأصـدا وقـلّ له لهفى

أقـام بمثـواه الجيـاد مناحةً — كما عقـدت وحش الفـلاة به قصفا[5]

وآل الغـراب والـوجيه ولاحقٍ — أدامـت عويلاً لا أطيق له وصفا

فكم أقرحـت خداً وكم ألهبـت حشاً — وكم أوجعـت قلبـاً وكم أدمعـت طرفا

---

(١) الآلاء : النعم .

(٢) الوكف : السيلان .

(٣) البيض : السيوف ، والبيض جمع بيضة ، وهي غطاء الراس في الحرب ، والزعف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة .

(٤) الحفا : رقة القدم والخف .

(٥) قصفا : خلاعة ومجوناً ، أي فرحت لموته لأنّه كان أسبق الخيل إليها .

ولو عرفت حسناء داود حقّه لما ضفّرت شعراً ولا خضّبت كفّا
فكم قد حماها يوم حربٍ وغارةٍ وكم نزعت من خوفها القلب والشنفا[1]
يطير على وجه الصعيد إذا جرى فما إن يمسّ الأرض من أرضه حرفا
ويعطيك عفواً من أفانين ركضه إذا سمته التقريب أو سمته القطفا[2]
له ذنبٌ ضافٍ يجرّ على الثّرى طويلٌ كأذيال العرائس بل أضفى[3]
له غرّةٌ مثل السراج ضياؤها وأيُّ سراجٍ بالنوائب لا يطفا
سقى الغيث رهواً مشبهاً ذلك الكتفا وطوداً منيفاً حاكياً ذلك الردفا[4]
يواجه وجه الوحش إن سار خلفها فيجعلها من حيث لم يحتسب خطفا
ويرجع مخضوب البنان كأنّه عروسٌ وقد زفّت إلى خدرها زفّا
وإن خاف من عين النواظر أهله عليه فمدّوا دون مربطه سجفا[5]
إذا ما غزا الغازي عليه قبيلةً فلا حافراً أبقى عليه ولا خفّا
يراه كميتٍ وهو لهفان والهٌ لميتته يطوي الظلام وما أغفى
ولو أنّه قد كان حقّق موته لجزّ عليه للأسى الشعر الوحفا[6]
وما أنا ممّن يظهر الشجو آمناً وإنّ عظيمات المصائب لا تخفى
ولولا وفاءٌ فيه كنت أقوده إليك بلا منٍّ ولكنّه استعفى
كراهيةً من أن يقوم مقامه حفاظاً وبعض الخيل يستعمل الظّرفا
وأعفيته أنّ الوزير معوّضٌ ومن ذا الذي يرجو نداه ولا يكفى
فعوّل أبا عيسى عليه فإنّه سيكفيك خطب الدهر وهو به أكفى

---

(١) القلب بضمّ القاف : سوار المرأة، والشنف : حلية تلبسها في أعلى الأذن .
(٢) التقريب : ضرب من العدو ، أو أن يرفع رجليه معاً ويضعهما معاً .
(٣) الأضفى: السابغ الكثير .
(٤) الرهو : المطر الساكن .
(٥) السجف : الستائر .
(٦) الوحف : الشعر الكثير الأسود .

ولــو لم يرد تعويضــه لك عاجلاً لقــال له رفقــاً وقــال له وقفا

فإنّ صروف الدهــر تحــت يمينه فإن شاءهــا بعثــاً وإن شاءهــا صرفا

هو البحر يغني النــاس من كلّ جانبٍ فغرقــاً من البحــر الــذي زرتــه غرقا

هو الغيث يعطــي كلّ غادٍ ورائحٍ عطــاءً جزيلاً لا بكيئــاً ولا نشفا[1]

كريمٌ إذا ما جاءه ابــن حظيّةٍ ألان له عِطفــاً وأبــدى له عَطفا[2]

أقــام منــاراً للنــدى والهــدى معاً فعــاد لنــا كهفــاً وصــار لنــا لطفا

تعــزّ أبــا عيســى وإنْ أعــوز الأسى وعــاودْ هُديت اللّهــو والـطيب والعرفا

وهــاك كأمثــال الــرياض سوابقاً تسير قوافــي الشعــر من خلفهــا خلفا

ومن قصيدة أبي عيسى [ من الطويل ] :

لقد عظمت عندي المصيبة في الأصدا وأبــدت لي اللّــذاتُ من بعــده صدّاً

وأهــدي إلى قلبــي المصــاب بفقده من الحــز ن ما لو نال يذبـل لانهدّا[3]

وأصبحــت مشغــول المدامــع بالبكا ولي مهجــةٌ تستشعــر الحــز ن والوجدا

ولــو كان يغنينــي الفــداء فديته بنفســي وأهلــي فهــو أهــلٌ لأنْ يفدى

ولكنّــه لبّــى المنــون مبادراً ويا ليتــه لمّــا دعــاه الــردى ردّا

مضى الطرف واستولى على الطرف دمعه وألهب في الأحشــاء من حــرقٍ وقــدا

مضى الفرس السّباق في حلبـة الوغى فعــادت عيون الخيل من بعــده رمدا

يبيد الــرياح كلّهــا في حضاره فتتــركه كرهــاً وقــد بدّلــت جهدا

مواقفــه عنــد الطــراد شهيــرةٌ تجاوز في أعجازهــا الــوصف والحدّا

نسيم الصبــا يحــكيه في هزل سيره وترهبــه ريح الشمــال إذا جدّا

---

(١) البكيء : القليل وكذلك النشف .

(٢) العِطف : الجانب كناية عن التواضع .

(٣) يذبل : إسم جبل .

فقـد صار نهبـي بين وحشٍ وطائرٍ غدا سيّداً فيهـا وراح لهـا عبدا
تسلَّ أبـا عيسـى ولا تقـرب الأسى وكنْ حازمـاً شهمـاً وكن بازلاً جلدا[1]
فقـد كمـد الاخـوان من فرط حزنهمْ وقد شمـت الحسّـاد مذْ فقـد الأصدا
وأصبـح أبنـاء الشّجاعـة حسَّراً فمـن قارعٍ سنّـاً ومـن لاطـمٍ خدّاً
وقـد هاج لي حزنـا عليه تحسّري فهيّمنـي وجـداً وذكّرنـي نجدا
جوادٌ عزيزٌ أن يجـود بمثله جوادٌ ومـن يعـدى عليه إذا استعدى
سوى الصاحب المأمول للجود والنّدى ومن كفّه من صيِّبٍ خضلٍ أنـدى[2]
أتـاح لنـا الإحسـان من كلّ جانبٍ فحصّل منّا الشّكر والنّشر والحمدا
له همّـةٌ فوق السمـاء مقيمةٌ تعلّـم من يرجـوه أن يطلـب الرّفدا

ومن قصيدة لبعض أهل نيسابور قالها على لسان أحد الندماء [ من مخلع البسيط] :

كلٌّ نعيمٍ إلـى نفادِ كلّ قريبٍ إلـى بعادِ
كلٌّ هبـوبٍ إلـى ركود كل نفـاقٍ إلـى كسادِ
وكلٌّ ملكٍ إلـى زوال وكلٌّ كونٍ إلـى فساد
وصـادقٍ من يقـول فاسمع والسمـع بابٌ إلـى الفؤاد
قـد بلـغ الـزرع منتهاه لا بد للـزّرع من حصاد
لهفـي علـى أصـدأ جوادٍ من هبّـة الصالـح الجواد
منقطـع المثـل في البلاد وغـرّة الطـرف والتـلاد
لهفـي علـى أصـدأ مسيحٍ قد كان ماءً وأنـت صادي
وكان ناراً وكلٌّ نارٍ فمنتهـاهـا إلى الـرّمـاد

---

(١) البازل : الرجل المجرَّب الكامل التجربة .

(٢) الصيّب : السحاب ذو المطر .

كان من العين والفؤاد في العين من مركز السّواد

لو شرب الصافنات راحاً لكان ريحانة الجياد[1]

عهدي به شاهقاً منيفاً يمرُّ مرّاً إلى صعاد

أسرع من لحظةٍ وأحلى في العين من طارق الرّقاد

أجرأ من ضيغمٍ وأجرى من سيل ليلٍ بقعر وادي

سليل ريحٍ أخو شهابٍ طود جمالٍ هلال نادي

عدّة سارٍ عتاد غادٍ قعدةُ قارٍ عماد بادي[2]

أسْيَرُ ممّا يقال فيه والشعر جوّابة البلاد

كأنّما خلقه سدادٌ قد صبَّ في قالب السّداد[3]

كأنّه ساحرٌ عليم من راكب الطرف بالمراد

عينٌ أصابته لا رأت من تهوي لقاه إلى التّنادي

نفّذت يا دهر شرّ سهمٍ أتى على خيرٍ مستفاد

لو كان يغنى الدفاع عنه جعلت ترساً له فؤادي

فاصبرْ لحكم الإله وانقدْ للحقِّ يا فاقد الجواد

هوّن عليك الملمّ يا أبا عيسى وكنْ ثابت العماد[4]

أنت من الصاحب المرجّى ما عشت في نائلٍ معاد

* * *

## ذكر الفيليات

لما حصل الصاحب في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر

---

(١) الصافنات: الصافن من الخيل: الفرس القائم على ثلاث قوائم.

(٢) قعدة قارٍ: أي سكن فيها ولم يتحرك.

(٣) السداد: الاستقامة والرشاد.

(٤) الملمّ: المصاب.

خراسان ، أمر من بحضرته من الشعراء أن يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معدي كرب [ من مجزوء الكامل ] :

أعـددت للحدثـان سـا بغـةً وعـدّاءً علندي[1]

فمن قصيدة أبي القاسم عبد الصمد بن بابك [ من مجزوء الكامل ] :

قسمـاً لقـد نشـر الحيا بمناكب العلمين بـردا
وتنفّسـت يمـنيّـةٌ تستضحك الزهـر المندّى
وجـريحـة اللّبات تـنــشر من سقيط الدمع عقدا
نازعتهـا حلـب الشئو ن وقلّمـا استعبـرت وجدا[2]
ومسـاجـلٍ لـي قـد شققـت لدائـه فـي فيٍّ لحـدا
لا ترم بـي فأنـا الذي صيّرت حرّ الشّعـر عبدا
بشـواردٍ شمس القيا د يزدن عنـد القـرب بعدا
وممسّـك البـردين فـي شبـه النّقـا شيـةً وقدّا[3]
فـكـأنّـمـا نـسـجـت علـيـه يد الغمام الجـون جلدا
وإذا لوتـك صفاتـه أعطـاك مسّ الـروع فقـدا
فـكأنّ معصـم غـادةٍ في ماضـغيه إذا تصـدّى
وكأنّ عوداً عاطـلاً في صفحتيـه إذا تبدّى
يحـدو قوائـم أربعـاً يتـركن بالتلعـات وهـدا[4]
جـاب المطـرّف قد تفرّ د بالفـراهـة واستبـدّا[5]

(١) السابغة : الدرع ، والعلندي : الغليظ من كلّ شيء وأراد به الفرس.
(٢) الشئون : مجاري الدمع .
(٣) النقا : الكثيب من الرمل، وشيةً : اللون الذي يخالف سائر لون الشيء .
(٤) التلعات : ما ارتفع من الأرض ، والوهد : الأرض المنخفضة .
(٥) الفراهة : النشاط والخفّة .

وإذا تخلّل هضبةً فكأنّ ظلّ الليل مدّا
وإذا هوى فكأنّ ركناً من عماية قد تردّى
وإذا استقلّ رأيت في أعطافه هزلاً وجدّا
متقرّطٌ أذناً تعي زجر العسوف إذا تعدّى
خرقاء لا يجد السّرا ر إذا تولّجها مردّا[1]
أوطأته مرعى نسيبي واجتنبت وصال سعدي
ملكٌ رأى الإحسان من عدد العواقب فاستعدّا
كافي الكفاة إذا انثنت مقل القنا الخطّي رمدا
تكسوه نشر العرف كفّ من جفون الطلّ أندى
لا زلت يا أمل العفاة لفارط الآمال وردا
والق الليالي لابساً عيشاً برود الظلّ رغدا

ومن قصيدة أبي الحسن الجوهري [ من مجزوء الكامل ] :

قل للوزير وقد تبدّى يستعرض الكرم المعدّا
أفنيت أسباب العلا حتى أبتْ أن تستجدّا
لو مسّ راحتك السحا ب لأمطرتْ كرماً ومجدا
لم ترض بالخيل التي شدّت إلى العلياء شدّا
وصرائم الرأي التي كانت على الأعداء جندا[2]
حتى دعوت إلى العدى من لا يلام إذا تعدّى
متقصّياً تيه العلو ج وفطنةً أعيت معدّا[3]
فيلاً كرضوى حين يلبس من رقاق الغيم بردا

(١) خرقاء : الأرض الواسعة التي يشتدُّ فيها هبوب الريح . والسرار : من الأرض : أوسطها .
(٢) صرائم الرأي : الحزم والقطع في الأمور .
(٣) العلوج : حمار الوحش القويّ السمين.

مثل الغمامة ملّئت أكنافها برقاً ورعدا
رأسٌ كقلّة شاهقٍ كسيت من الخيلاء جلدا
فتراه من فرط الدلا ل مصعّرا للناس خدا[1]
يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يردُّ ردّا
متمرّدٌ كالأفعوا ن تمدّه الرمضاء مدّا
أو كمّ راقصةٍ تشير به إلى الندمان وجدا
وكأنّه بوقٌ تحرّ كه لتنفخ فيه جدّا
يسطو بساريتي لجين يحطمان الصخر هدّا
أذناه مروحتان أسندتا إلى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيّقتا لجمع الضوء عمدا
قاسوه باسطرلاب يجمع ثقبه ما لن يحدّا
تلقاه من بعدٍ فتحسبه غماماً قد تبدّى
متناً كبنيان الخور نق ما يلاقي الدهر كدّا
ردفاً كدكّة عنبرٍ متمايلِ الأوراك نهدا
ذنباً كمثل السوط يضرب حوله ساقاً وزندا
يخطو على أمثال أعمدة الخباء إذا تصدّى
أو مثل أميالٍ نضد ن من الصخور الصمّ نضدا
متورّدٌ حوض المنية حيث لا يشتاق وردا
متلفّعاً بالكبريا ء كأنّه ملكٌ مفدّى
أدنى إلى الشيء البعيد يراد من وهمٍ وأهدى
أذكى من الإنسان حتّى لو رأى خللاً لسدّا
لو أنّه ذو لهجةٍ وفّى كتاب الله سردا

---

(١) مصعراً : تائهاً متكبراً .

قلْ للوزير عبدت حتى قد أتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحا سن عنده قرناً وبعدا
لو مسّ أعطاف النجو م جرين في التربيع سعدا
أو سار في أفق السما ء لأنبتَتْ زهراً ووردا

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [ من مجزوء الكامل ] :

حازوا سعود ديار سعدى ورعوا جناب العيش رغدا
وقضوا مآرب للصبا مذْ أبدلوا بالغور نجدا
سكنوا محلاً بالدّمى أضحى محلاً مستجدّاً
عطفتْ عليَّ ظباؤه ما شئت سالفةً وقدّاً
وشفيت حرّ الوجد من بردٍ سقى الأكباد بردا
عجباً أشيم لثغرها برقاً ولست أحسّ رعدا
وغدوت أجني من غصو ن البان تفّاحاً وورداً
وبنفسيَ القمر الذي لمعاً تصدّى ثم صدّاً
يا هذه أهدي الوصا ل تكرُّماً إنْ كان يهدى
وتذكّري عهد الصبا في بيت عاتكة المفدّى[1]
لا تنكري شيباً ألمّ بفوده وفداً فوفدا
وتعلّمي أنّ الشّبا ب وإن وفى قرضٌ يؤدّى
وإذا أعير فإنّه لا بدّ من أنْ يستردّاً
كم ليلةٍ ساورتها وقضيتها حسناً وجدّاً
وأرى النجوم لآلئاً في الجوّ تجلو اللازوردا
حتى تحوّل أدهم الـ ظلماء في الأفقين وردا

---

(١) العاتكة : المرأة المحمرّة من الطيب .

وبــدا الصبــاح يحــلُّ من جيب الدجــى ما كان شُدّا
وقــريــت همّي أعنســاً تذر الربــى بالوخــد وهــدا[1]
فــوردن أفنيــة العــلا معمــورةً فحمـدن وردا
حيث الفضــائل والفـوا ضل فتــن إحصــاءً وعدّا
حيــث الــوغى مشبوبــةً نيرانهــا وهجــاً ووقــدا
ومهــابــةً كــادت لهــا صــمُّ الجبــال تخــرُّ هــدّا
أفيالـه يقــدحــن فــي ظلــم الوغــى زنــداً فزندا
تســري كسُحــم سحائب بجانــبٍ تُزجــى وتحدى[2]
ولبســن دكن ملابسٍ غبــراً معــاطفهــن ربدا[3]
ورمقــن عــن أجفــان مضــمــرةٍ على الأعـداء حقـدا
وفــغــرن أفــواهــاً كــأفــــــواه الــمــزاد تــروغ دردا[4]
وكشــرن عــن أنيابها مثــل الحــراب شبــاً وحدّا[5]
مــن كلّ جهــمٍ خلته يوم الوغــى غولاً تصدّى
كبنيّــةٍ مــن عنبــرٍ دعمت سواري السّاج نضدا[6]
وعليــه طارونيــةٌ يزهــى بهــا حرّا وبردا
لــولا انقـلاب لسانـه لرأيتـه خصــمـاً ألـدّا
مــتــولّــيــاً أمــراً ونــهـــــيــاً مــالكــاً حــلّاً وعقــدا
وكأنّمــا خرطومــه راووق خمــرٍ مدَّ مدّا

---

(1) الأعنُسْ : النوق الصلبة القوية، والوخد : ضربٌ من السير .

(2) السحم : السواد ، والجنائب : النوق .

(3) الدكن : جمع الأدكن ، وهو المائل إلى السواد ، والربد : جمع أربد ، وهو الذي لونه إلى الغبرة .

(4) فغرفاه: فتحه، وتروغ: تطلب، والدرد : جمع أدرد ، وهو الذاهب الأسنان .

(5) شباً : حداً ، وشبا السيف : المكان القاطع فيه .

(6) السّاج : شجرٌ عظيم طويل عريض صلب الخشب أسوده .

أو مثل كمٍّ مسبلٍ أرختـه للتـوديع سعـدى
وإذا التـوى فكأنّـه الثعبـان مـن جبـلٍ تـردّى
وكأنّمـا انقلبـت عصـا موسـى غداة بهـا تحدّى
متعـطّفـاً كالصـولجا ن بساحـة الميـدان يحـدى
يُكسـى الحـداد وتـارةً يكسـى نسيج الـدرع سردا
وكأنّمـا هـو خاضـبٌ بالإثمـد الجـاريٍّ جلـدا[1]
لـونٌ حكـى إظلامـه لـون المشبـه ليس يهدى
مـسـتـيـقـظٌ أبـداً ويـكـــــبـر أن يعيـر العيـن رقـدا
كـفـلٌ تـمـوج كـالـكـثـيــــب تهيله صـوبـاً وصعـدا[2]
قـد ساد كلّ بهيمة كيسـاً ومعـرفـةً وجـدّا
فكأنّـه يـوم الوغـى يكسـى من الخيلاء بردا
وإذا انثنـى من حربه يسعـى فيرقـص دستبنـدا[3]
أردى بـمـن عـادى الـوزيــــر وعمّهم حصـراً وحصـدا
مـن عزمـه كالعضـب قـدّاً وعلمـه كالبحر مـدّاً[4]
مستـوحـشٌ بالسلـم لـم تألف ظبـاه قطّ غمدا[5]
كالغيث يهطـل سائحا والليـث يبـرز مستبـدّاً
وزر الملـوك ونابهـا الـ أعلـى وساعـدهـا الأشـدّا
أيُّ اسـم فخـرٍ لم يحز ه؟ وأيّ مجـدٍ لم يعدّا؟

---

(١) الخضاب : الصباغ ، والإثمد : الكحل.
(٢) صوبا وصعدا : انخفاضاً وعلوّاً .
(٣) دستبندا : فارسية الأصل .
(٤) العضب : السيف القاطع .
(٥) الظُبى : الحدّ من السيف والسهم والسنان .

أم أيُّ ثغر لم يفتـ ـه ولـم يشـده ولـم يسدّا ؟
كـافي الكفـاة المرتجى والسّيـد الهـادي المفـدّى
مـا الحـرّ إلاّ من غدا للصاحب المـأمول عبدا
ولئـن أجدت مديحه فلطـالمـا أغنـى وأجدى
وقـربـت منـه فـالـتـفـت إلى الزمـان وقلت بعـدا
واعتضـت غيـر مخيـب من مستمـرّ النحس سعدا
وكفيت ثمـداً ناضبـاً وسـقيت ماء العيش رغدا[1]
ومنحـت إنصافـاً بعو ن الله مـن دهـرٍ تعدّى
خذهـا إليـك شواهـداً في ألسـن الـراويـن شهدا
هـذّبتهـا وجـلوتهـا في الحسـن خاتمـةً ومبدا
قـد كان يكدي خاطري لكنْ بمدحـك قد أمدّا[2]
أعـددت للحدثـان جو دك دون عدّاء علندى[3]
وعلِمـت أنّـك واحـدٌ في العـالمين خلقت فردا
تـذر الـوعيـد نسيئـة كرمـاً وتحبـو الوعـد نقدا[4]
ويـفـوح خلقـك عن عبيـرٍ حـولـه زهـر منـدّى
أنـا غـرسـك الزاكي بكفّـك مـثـمـراً أدبـاً وودّا
فسـأمـلأ الـدّنيـا بمـا اسـتمليـت مـن جدواك حمـدا
هـي طاعتـي حتـى أرى متبوّئـاً في التـرب لحدا
تفـديك نفسـي من عوا دي كلّ مكروهٍ ومردى

ولم يحضرني الآن من الفيليات أكثر من هذه الثلاث ، وإذا وجدت من

---

(١) الثمد : الماء القليل .

(٢) يكدي : يقصرَ ويمنع .

(٣) للحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ، والعلندي : الغليظ من الأفراس .

(٤) النسيئة : التأخير في دفع الثمن .

أخواتها ما يصلح للإلحاق بها ألحقته بمشيئة الله تعالى وإذنه ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً .

* * *

## خبر سبطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسني

لما أتت الصاحب البشارة بسبطه أبي الحسن عباد أنشأ يقول [ من مجزوء الرمل ] :

أحمد اللهَ لبشرى أقبلتْ عند العشي
إذ حباني الله سبطاً هو سبطٌ للنبي
مرحباً ثمّة أهلاً بغلامٍ هاشمي
نبويٍّ علويٍّ حسنيٍّ صاحبيّ

ثم قال [ من البسيط ] :

الحمد لله حمداً دائماً أبدا إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فقال أبو محمد الخازن على وزنه ورويه قصيدة أولها [ من البسيط ] :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا
وقد تفرّع في أرض الوزارة عن دوح الرسالة غصنٌ مورقٌ رشدا
لله آية شمسٍ للعلا ولدت نجماً وغابةُ عزٍّ أطلعت أسدا
وعنصرٌ من رسول الله واشجةٌ كريم عنصر إسماعيل فاتحدا[1]
وبضعةٌ من أمير المؤمنين زكت أصلاً وفرعاً وصحّت لحمةً وسدى
ومثل هذي السعادات القويّة لا يحوزها غيره دامت له أبدا

---

(١) واشجة : متشابكة ومتصلة .

يا دهــره حقّ أن تزهــى بمولده ... فمثلــه منــذ كان الدّهــر ما ولدا
تعجّبــوا من هلال العيد يطلــع في ... شعبــان ، أمــرٌ عجيب قطّ ما عهدا
فمــن موالٍ يوالــي الحمــد مبتهلاً ... ومخلصٍ يستــديم الشــكر مجتهدا
وكادت الغــادة الهيفــاء من طربٍ ... تعطي مبشّرهــا الإرهــاف والغيدا[1]
فلا رعــى الله نفســاً لم تســرَّ به ... ولا وقاهــا وغشّاهــا رداء ردى
وذي ضغائــن طارت روحــه شفقاً ... منه وطاحــت شظــايا نفســه قددا[2]
علمــاً بأنّ الحســام الصاحبــي غدا ... مجــرّداً والشهــاب الفاطمــي بدا
وأنــه آنســد شعــبٌ كان منصدعاً ... به وأمــرع شعــبٌ كان محتصدا
فأرفــعُ المجــد أعيانــاً وأسمقُهُ ... مجــدٌ يناســب فيه الوالــد الولدا[3]
فليهنـأ الصاحب المولـود ولتـرد الـــــــــسعود تجلو عليه الفـارس النجـدا
لم يتخــذ ولــداً إلاّ مبالغةً ... في صدق توحيد من لم يتخــذ ولدا

ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه !

ومنها :

وخــذ إليك عروســاً بنــت ليلتها ... من خادمٍ مخلصٍ ودّاً ومعتقدا
أهديتهــا عفــو طبعــي وانتحيت بها ... سحــراً وإنْ كنـت لم أنفــث له عقدا
وازنــت ما قلتــه شكراً لربّــك إذ ... جاء المبشّــر بيتــاً سار واطّردا
الحمــد لله شكراً دائمــاً أبداً ... إذ صار سبــط رســول الله لي ولدا

وقال أبو الحسن الجوهري في التهنئة قصيدته التي منها [ من البسيط] :

كافــي الكفــاة بقصــدٍ من صرائمه ... حامـي الحمـاة بحصـدٍ من مناصلِهِ[4]

---

(١) الإرهاف : الرِّقة والبداهة .

(٢) قدداً : قطعا .

(٣) أسمقه : أعلاه .

(٤) الصرائم : العزائم ، والمفاصل : السيوف والرماح وغيرها .

ما زال يخطب منه الدين مجتهداً    قربى توطّد من عليا وسائله
وكان بعد رسول الله كافله    فصار جدّ بنيه بعد كافله
هلّم للخبر المأثور مسنده    في الطالقان فقرّت عين ناقلِهِ
فذلك الكنز عبّادٌ وقد وضحت    عنه الإمامة في أولى مخايله

لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزاً من ولد فاطمة يملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، والصاحب من قرية الطالقان من قرى أصبهان ، ورزق سبطاً فاطمياً ، تأوّلوا له هذا الخبر ، وأنا بريء من عهدته .

الصاحبيّ نجاراً في مطالعه    والطالبيُّ غراراً في مقاتله
يهني الوزير ظباً في وجه صارمه    من صارمٍ وشباً في حدّ عامله

وقال عبد الصمد بن بابك قصيدة منها [ من الوافر ] :

كساك الصوم أعمارُ الليالي    وأعقبك الغنيمة في المآب
فلا زالت سعودك في خلودٍ    تبارى بالمدى يوم الحساب
أتاك العز يسحب بردتيه    على ميثاء حالية التّراب[1]
ببدرٍ من بني الزهراء سارٍ    تعرّى عنه جلباب السّحاب
تفرَّع في النبوة ثمَّ ألقى    بضبعيه إلى خير الصحاب[2]
تلاقتْ لابن عبادٍ فروع الـ    ـنّبوة والوزارة في نصاب
فلا تغررْ برقدته الليالي    ولا تشحذْ له الهمم النوابي
فمن خضعت له الأسد الضواري    ترفّع عن مراوغة الذئاب

وكان الصاحب إذا ذكر عباداً أنشد وقال [ من البسيط ] :

يا ربّ لا تخلني من صنعك الحسنِ    يا ربّ حِطْني في عبّادٍ الحسني

---

(١) الميثاء : الأرض السهلة ، وتجمع على ميَث كهَيف .
(٢) تفرّع : أي هو فرعٌ منها ، وضبعيه : إبطيه وعضديه .

ولما فطم قال [ من الطويل ] :

فطمت أبا عبّاد يا ابن الفواطم ... فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه ... لما فطموه عن رضاع المكارم

ولما أملك عباد بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة أبي الحسن قال أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي قصيدة منها [ من البسيط ] :

المجد ما حرست أولاه أخراه ... والفخر ما التفّ أقصاه بأدناهُ
والسعي أجلبه للحمد أصعبُه ... والذِّكر أعلاه في الأسماع أغلاه
والفرع أذهبه في الجوِّ أنضره ... والأصل أرسخه في الأرض أنقاه
اليوم أنجزتِ الآمال ما وعدتْ ... وأدرك المجد أقصى ما تمنّاهُ
اليوم أسفر وجه الملك مبتسماً ... وأقبلت ببريد السعد بشراه
اليوم ردّت على الدنيا بشاشتها ... وأرضيَ الملك والإسلام واللهُ
والملك شدّت عراه بالنبوة فار ... تزّت دعائمه واشتدّ ركناه[1]
وصار يعزى بنو ساسان في مضرٍ ... صنعاً من الله أسداه فأسناه
قد زفّ من جده كافي الكفاة إلى ... من خاله ملك الدنيا شهنشاه[2]
سبطان سدّى رسول الله سلكهما ... فألحم الله ما قد كان سداه[3]
أولاد أحمدَ ريحان الزمان ومو ... لانا الوزير من الريحان ريّاه
أولاد أحمد منه لا يميّزهمْ ... عنه ولاءٌ ولا مالٌ ولا جاه
متى ابتنى واحدٌ منهم بواحدةٍ ... فإنّما صافحت يمناه يسراه

قال مؤلف الكتاب : كنت عزمت على إيراد غرر مما مدح به الصاحب في هذا المكان ، فاقتصرت على ما سيمر منها عند ذكر شعرائه ، وسياقة البدائع من

(١) ارتز : ثبت .
(٢) شهنشاه : لقب فارسي معناه ملك الملوك وروي عن سفيان الثوري تحريمه .
(٣) سدّى : أصلح وقوّم .

محاسنهم ، والوسائط من قلائدهم ، بإذن الله سبحانه وتعالى ومشيئته وإرادته .

* * *

## وهذه غرر من فقر ألفاظ الصاحب تجري مجرى الأمثال

وقد جمعت فيها بين ما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد منها في كتابه « ملح الخواطر ، وسبح الجواهر » ، وبين ما أخرجته أنا ساكلاً سبيله ، ومحتذياً تمثيله .

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب * من طالت يده بالمواهب ، امتدت إليه ألسنة المطالب * من كفر النعمة ، استوجب النقمة * من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام * من غرّته أيام السلامة ، حدثته ألسن الندامة .

* من لم يهزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة * رب لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال * الصدر يطفح بما جمعه ، وكل إناء مؤد ما أودعه * اللبيب تكفيه اللمحة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة ، * الشمس قد تغيب ثم تشرق والروض قد يذبل ثم يورق ، والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع * العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر * إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب * الضمائر الصحاح ، أبلغ من الألسنة الفصاح * الشيء يحسن في إبانه كما أن الثمر يستطاب في أوانه * الآمال ممدودة ، والعواري مردودة[1] * الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعة * متن السيف لين ، ولكن حده خشن ، ومتن الحية ألين ، ونابها أخشن * عقد المنن في الرقاب ، لا يبلغ إلا بركوب الصعاب * بعض الحلم

---

(١) العواري : الأمانات والقروض .

مذلّة ، وبعض الاستقامة مزلّة * كتاب المرء عنوان عقله ، بل عيار قدره ولسان فضله ، بل ميزان علمه * إنجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من امارات البخل ، وتأخير الإسعاف ، من قرائن الإخلاف[1] * خير البر ما صفا وضفا ، وشره ما تأخر وتكدر * فراسة الكريم لا تبطي ، وقيافة الشر لا تخطي[2] * قد ينبح الكلب القمر ، فليلقم النابح الحجر * كم متورط في عثار ، رجاء أن يدرك بثار * بعض الوعد كنقع الشراب ، وبعضه كلمع السراب * قد يبلغ الكلام ، حيث تقصر السهام * ربما كان الإقرار بالقصور ، أنطق من لسان الشكور * ربما كان الإمساك عن الإطالة ، أوضح في الإبانة والدلالة * لكلّ امرىء أمل ، ولكل وقت عمل * إن نفع القول الجميل ، وإلا نفع السيف الصقيل * شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر * لا يذهبن عليك تفاوت ما بين الشيوخ ، والأحداث ، والنسور والبغاث[3] * كفران النعم ، عنوان النقم * جحد الصنائع ، داعية القوارع * تلقى الإحسان بالجحود ، تعريض النعم للشرود * قد يقوى الضعيف ، ويصحو النزيف ويستقيم المائد ، ويستيقظ الهاجد * للصدر نفثة إذا أحرج ، وللمرء بثة إذا أحوج * ما كل امرىء يستجيب للمراد ، ويطيع يد الارتياد * قد يصلى البريء بالسقيم ، ويؤخذ البرّ بالأثيم * ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه[4] * إن الأحداث لا رياضة لهم بتدبير الحوادث * إن السنين تغير السِّنن[5] * من ثقلت عليه النعمة، خف وزنه . ومن استمرت به الغرة طال حزنه[6] * أطع سلطان النهي ، دون شيطان الهوى .

* * *

---

(١) الإخلاف : عدم الوفاء .

(٢) القيافة : تتبُّع الأثر .

(٣) البغاث : طائر أغبر طويل العنق بطيء الطيران .

(٤) شائم : مترقّب ومتطلّع وناظر .

(٥) السِّنن : الأعراف والتقاليد .

(٦) الغرّة : الجهل .

## ملح وظرف من ألفاظه

أخبرني عن سفرتك ، وعما حصل بها في سفرتك * وجدت حرّاً يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الضب * أنوب فيه نيابة الوكيل المكتري ، بل المملوك المشتري * قد تحملت مع يسير الفرقة ، عظيم الحرقة . ومع قليل البعد ، كثير الوجد * عليّ أن أقول ، وما عليّ القبول * لا أعترض بين الشمس والقمر ، والروض والمطر * أكره أن أمل ، وقد قصدت أن أجل ، وأن أعق ، وقد قصدت أن أقضي بالحق * مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير * زائر وجهه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم * بستان رق نزره النظير ، وراق ورقه النضير * فلان بين سكرى الشباب والشراب * غصن طلعه نضير ، وليس له نظير * خط أحسن من عطفات الأصداغ ، وبلاغة كالأمل آذن بالبلاغ * فقر كما جيدت الرياض ، وفصول كما تغازلت المقل المراض * ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعان كما تنفست الأسحار * نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد * كتابك رقية القلب السليم ، وغرة العيش البهيم * كلام يدخل على الأذن ، بلا إذن * فلان كريم ملء لباسه موفق مدّ أنفاسه ، ذو جدّ كعلو الجَدّ ، وهز كحديقة الورد ، عشرته ألطف من نسيم الشمال ، على أديم الماء الزلال ، وألصق بالقلب ، من علائق الحب * شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه * أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد * قلب نغل ، وصدر دغل[1] * وعده برق خلب ، وروغان ثعلب * فلان يتعلق بأذيال المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير .

* * *

---

(١) النغل : الفاسد : والدغل : الحاقد .

# فصول له ورقاع في الملاطفة والمداعبة

## فصل من كتاب له إلى أبي العلاء الأسدي

ذكرت أن أدهمك قطع الدهر رباطه ، أو قطع الموت نياطه[1] . ووصفت الحمار الذي استعضته ، فلا أدري أقرطته ، أم عضدته ؟ وقد كتبت بابتياع مركوب لك يعبوب ، أو يعسوب ، أو مرجوب[2] بل رمست أن يقاد إليك في كيس أعجر[3] ، فإن شئت فاتركه عندك أشهب ، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر ، والتوقيع درج كتابي فليوصل ، والنقد عند الحافر ، وبه يملك الخف والحافر ، ويجنب الأعز السائل ، والأقرح النادر .

* * *

## فصل من كتاب في الغضائري

الغضائري ، وما أدراك ما الغضائري . استزاد إلى الجمال جمالاً ، وعاد بدراً وكان هلالاً ، فإن شئت فالغصن ميالاً ، وإن شئت فالدعص منهالا [ من الطويل ] :

كأنّ جميع الناس يلقون وجههُ بناظرك المفتون ، والحبُّ شامل
رويدك إن أحببت فالغصن مائلٌ وإنْ تصْبُ بعد الدعص فالدعص هائلُ[4]

وهو يهدي إليك سلاماً كرقة خده ، ونسيم عرفه ، وغزارة دمعك من بعده [ من الطويل ] :

---

(١) نياطه : عروقه .

(٢) اليعبوب : الفرس السريع الطويل ، أو الجواد السهل في عدوه ، والبعيد القدر في الجري ، واليعسوب : النحل وفرس للنبيّ ﷺ ، والمرجوب : المهاب والمعظّم .

(٣) الأعجر : الممتلىء .

(٤) الدّعص : الكثيب من الرمل .

سلاماً كما رقّ النسيم على الصّبا ... وجاء رسول الورد في زمن الورد

تأبى أيها العبد الصالح ، إلا أن تغمسنا معك في مزح المازح [ من الطويل ] :

ألا ربّ ذي مزحٍ يحرّك حبلَهُ ... وحبل التُّقى من قلبه محصدٌ شزر[1]

* فصل ـ وما الشأن إلا في أنك تنتقل في الهوى تنقّل الأفياء ، وتتميّل في الحب كشارب الصهباء . فمرة الغضائري ، حتى إذا حسبناك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك أمله وأملك . بعت قديماً بحديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حبائل القمى[2] فقمت تفتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع أن تضم ضدّا إلى ضد ، وتجمع سيفين في غمد . وهيهات ! إن الغضائري قد أبلغه ذلك فازورّ وتنمّر ، وغار وتنكّر ، وقد كان له عزم في المسير إلى أصبهان ، ففتر بفتور صبوتك ، وخف بظهور نبوتك [ من الكامل ] :

نقِّلْ فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأول

وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر ، وأمّا نحن فننشد لكثيِّر [ من الطويل ] :

إذا ما أرادت خلّةٌ أن تزيلنا ... أبينا وقلنا الحاجبيّة أوّلُ

والله يسقي عهدك صوب العهاد ، ويعدينا وإياك على البعاد .

* * *

(1) الشزر : المفتّل ، أو على غير استواء .

(2) القمي : الموافقة .

## رقعـة استزارة

هذا اليوم يا سيدي طاروني[1] يعجبني نوؤه الفاختي[2] ، وإذ قد غابت شمس السماء عنا . فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا . فإن نشطت للحضور ، شاركتنا في السرور. وإلا فلا إكراه ولا إجبار ، ولك متى شئت الاختيار .

* * *

## وفي مثلهـا

غداً يا سيدي ينحسر الصيام ، وتطيب المدام . فلا بد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة[3] ، وننشر أعلام السرور خافقة ، فبالفتوة فإنها قسم للظراف ، يفرض حسن الإسعاف ، لما بادرتها ولو على جناح الرياح ، إن شاء الله تعالى .

أخرى ـ نحن يا سيدي في مجلسٍ غنيٍّ إلاّ عنـك ، شاكر إلاّ منـك . قد تفتحـت فيه عيون النـرجس ، وتـوردت فيه خدود البنفسـج ، وفاحـت مجامـر الأترج[4] ، وفتقـت فارات النارنـج[5] ، وأنطقـت ألسنـة العيدان ، وقـام خطبـاء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقـت سوق الأنس ، وقـام منـادي الطـرب ، وطلعت كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتي لما حضرت ، لنحصـل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

في مثلها ـ نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ، ونـوره در ، ونارنجـه

---

(١) الطاروني : ضرب من الخز ونسبة اليوم إليه من باب المجاز ، كأنما كان لباسهم شتاء .

(٢) والفاختي : نسبة إلى الفاختة ، وهي طائر أسود .

(٣) النافق : الرائج ، الذي يرغب فيه الناس .

(٤) مجامر الأترج : الأترج شجرٌ من جنس الليمون تسميه العامة « الكباد » والمجامر حيث يوضع البخور أو الطيب ليحرق .

(٥) فارات النارنج : ظروفها الموضوعة فيها .

ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، ويحملها زبرجد ، وألسنة العيدان تخاطب الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكنا بغيبتك كعقد غيّبت واسطته ، وشباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء في انحداره ، والقمر في مداره .

في مثلها ـ مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك ، معول في إغنائه عليك ، وقد أبت راحه أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك ، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذناك ، فأما خدود نارنجه فقد احمرت خجلاً لإبطائك ، وعيون نرجسه فقد حذفت تأميلاً للقائك ، فبحياتي عليك لما تعجلت ، لئلا يخبث من يومي ما طاب ، ويعود من همي ما طار .

في مثلها ـ صرنا أيّد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق ، ومن خلقه سرق ، فرأينا أشجاراً تميل فتذكر تبريح الأحباب ، وقد تداولتهم أيدي الشراب ، وأنهاراً كأنّها من يد مولانا تسيل ، أو من راحته تفيض ، وحضرنا فلان فعلاً نجمنا ، وحمد أمرنا ، وتسهل طريق الخير لنا ، فلما دبت الكؤوس فيهم دبيب البرء في السقم ، والنار في الفحم . رأى أن نجعل أنسنا غداً عنده فقلت سمعا ، ولم أستجز لأمره دفعا ، والتمس أن أخلفه في تجشيم مولاي إلى المجمع ، ليقرب علينا متناول البدر بمشاهدته ، ولمس الشمس بمطالعته ، فإن رأى أن يشفعني أسعفني إن شاء الله تعالى .

فصل ـ أنا على طرف بستان أذكرني ورده المتفتح بخلقك ، وجدوله السابح بطبعك ، وزهره الجنيّ بقربك .

* * *

## فصل من كتاب آخر

علقت هذه الأحرف ، وأنا على حافة حوض ذي ماء أزرق كصفاء ودّي

لك ، ورقة قولي في عتابك ، ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب ومشارب أم غالب ، وقد قابلتني شقائق كالزنوج تجارحت فسالت دماؤها وضعفت فبقي ذماؤها[1] ، وسامتني أشجار كأن الحور أعارتها أثوابها ، وكستها أبرادها ، وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهبت ، أو ثدي أبكار خلقت ، وقد تبرم بي الحاضرون لطول الكتاب فوقفت وكففت ، وصدفت عن كثير مما له تشوفت[2] .

ومن رقعة ـ مضيت وشاهدت أحسن منظر : فالأرض زمردة ، والأشجار وشي، والماء سيوف ، والطير قيان .

* * *

## رقعة في الاعتذار من هفوة الكأس

سيدي أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها ، وأحرص على عمارة سبل الفتوة من أن يحض عليها ، وقديماً حملت أوزار السكر على ظهور الخمر ، وطوي بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ وصواب ، وكنت البارحة بعقب شكاة أضعفتني ونقلتني عن عادتي ، واستعفيت السقاة غير دفعة فأبوا إلاّ إلحاحاً عليّ وإتراعاً إلي[3] ، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس وتفاديا من أن يعقد على خنصر الثقيل ، فلما بلغت الحد ، الذي يوجب الحد[4] بدر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لبّه ، ولا يساعده عقله وقلبه . ولا غرو فموالاة الأرطال ، تدع الشيوخ كالأطفال . فإن رأى أن يقبل عذري ، فيما جناه سكري، ويهب جرمي

---

(١) الذماء : بقية النفس والقلب .

(٢) تشوّفت : تطلعت ورغبت .

(٣) أتراعاً : إغداقاً .

(٤) الحدّ الأولى : المقدار ، والحدّ الثانية : إقامة وتطبيق الشريعة .

لمعرفته نيتي في صحوي ، وإن أبى إلا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبيني ، فعل إن شاء الله تعالى .

* * *

## في تنوير باكورة خلاف قد نور

لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى ، ومحاسن تطول أن تستقصى ، منها أنه أول ثغر يبسم عنه الربيع ويضحك ، ودر يعقد على القضبان ويسبك ، ولتمايله آدكار بقدود الأحباب ، وتهييج لسواكن الأطراب ، وحمل إلى قضيب منه ورداته متعادلة ، ولذاته متقابلة . فأنفذته مع رقعتي هذه إليك ، وسألت الله أن يعيده ألف حول عليك ، وقلت [ من الخفيف ] :

وقضيبٍ من الخلاف بديعٍ    مستخصٍّ بأحسن الترصيع
قد نعى شدّة الشتاء علينا    وسعى في جلاء وجه الربيع
وحكى من أحبّ عرفاً وظرفاً    واهتزازاً يثير ماء ضلوعي
رقّةً ما نظمت نحو بديع الـ    ـمجد حاكى الربيع حسن صنيعي

## في إهداء أترجة

ما زلت يا سيدي أفكر في تحفة تجمع أوصاف معشوق وعاشق ، وتنظم نعوت مشوق وشائق . حتى ظفرت بأترجة كأن لونها لوني ، وقد منيت ببعدك ، وبليت بصدّك . وكأن عرفها مستعار من عرفك ، وظرفها مشتق من ظرفك ، فكأنها بعض من لا أسميه ، وأنا أفديه ، فأنفذتها وقلت [ من السريع ] :

مولاي قد جاءتك أترجةً    من بعض أخلاقك مخلوقه

ألبسـها صانعها حلّةً مـن سرق أصفـر مسروقه[1]

## فـي إهـداء أقـلام

قد خدمت دواة مولاي بأقلام تتخفف بأنامله ، وتتحمل نفحات فواضله ، وتأنّقت في بريها فأتت كمناقير الحمام ، واعتدال السهام ، خمسة منها مصرية مقومة . عليها حلل مسهمة ، وعشرة منها بيض كأياديه ، وأيام مؤمليه ، والله يديم له مواد نعمته ، ويوفقني لشرائط خدمته .

## تهنئـة ببنـت

أهـلاً وسهـلاً بعقيلـة النسـاء ، وأم الأبنـاء ، وجالبـة الأصهـار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، نجباء يتلاحقون [ من الوافر ] :

فلـو كان النّسـاء كمثـل هذي لفضِّلـت النّسـاء علـى الرجال[2]
وما التـأنيث لاسـم الشـمس عيبٌ ولا التـذكير فخـرٌ للهلال

فـادّرع يا سيدي اغتباطـاً ، واستـأنف نشاطـاً ، فالـدنيا مؤنثـة والرجـال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة وبها قوام الأبـدان ، ومـلاك الحيوان . والحياة مؤنثـة ولولاهـا لم تتصـرف الأجسام ، ولا عرف الأنـام . والجنـة مؤنثـة وبهـا وعـد المتقـون ، ولهـا بعـث المرسلون . فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد ، وما بقي الأمد ، وكما عمّر لبد[3] .

---

(١) السرق : هو الحرير .

(٢) البيتان لأبي الطيّب المتنبي في رثـاء، شقيقة سيف الدولة الحمداني .

(٣) لبد : أي النسر .

## رقعة مداعبة

خبر سيدي عندي وإن كتمه عني ، واستأثر به دوني ، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وأنسه . وغناء الضيف الطارق وعرسه * وكان ما كان مما لست أذكره *[1] وجرى ما جرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاي امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره ؟ وركب الطيار فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف أفي سعة أم ضيق ؟ وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال في الحملة بالكرة . ليتفضل بتعريفي الخبر فما ينفعه الإنكار ، ولا يغني عنه إلا الإقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة[2]. كما ساعده مره ، فنصلي للقبلة التي صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التي خطب عليها ، هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان ، لكثير الفرسان .

## ومن أخرى

انفردت يا سيدي بتلك انفراد من يحسب مطلع الشمس من وجهها ، ومنبت الدر من فمها . وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، وحقاق العاج من ثديها ، ومبادىء الليل من شعرها ، ومغرس الغصن في قدها ، ومهيل الرمل في ردفها ، وكلا فإنها شوهاء . ورهاء خرقاء خلقاء[3] ، كأنّما محياها أيام المصائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قربها فقد الحبائب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصلها عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما هجرها قوّة المنّة . وكأنما فقدها ريح الجنة .

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه : « فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر » .

(٢) أبو مرّة : من كنى إبليس اللعين .

(٣) الورهاء : الكثيرة الشحم ، والخلقاء : البالية الرثّة ، والخرقاء : الحمقاء .

## ومن كتاب مداعبة

الله الله في أخيك ، لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالماليخوليا[1] وبالتخاييل الفاسدة ، فقد ذكر جالينوس أن قوماً يبلغ بهم سوء التخيل ، أن يقدروا أجسامهم زجاجاً فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن يتكسروا . وحكى أن قوماً يظنون أنفسهم طيوراً فلا يغتذون إلا القرطم[2] ، والحظ كتابي دفعة ثم مزقه ، فلا طائل فيه ولا عائد له ولا فرج عنده ، وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمذان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية وخطبها أبو علي كاتب بكر ، فما ألح عليها وألحف كتبت إليه [ من مجزوء الرجز ] :

أيرك أيرٌ ما له عند حرّي هذا فرج[3]
فاصرفه عن باب حرّي وآدخله من حيث خرج

هذه والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أم عمرو ، والخنساء أخت صخر ، ومن كعوب الهذلية، وليلى الأخيلية[4] .

## ومن فقر رسائله من سائر الفنون

رسالة كتبها إلى أبي علي الحسن بن أحمد في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد ، وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد يسردها ، فزادني جريها على لسانه وصدورها عن فمه إعجاباً بها ، وهي :

كتابي هذا وقد أرخى الليل سدوله ، وسحب الظلام ذيوله ، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله إذا مد الصباح غرره ، قبل أن يسبغ حجوله . ولولا ذاك

---

(١) الماليخوليا : أحد الأمراض العصبية .
(٢) القرطم : نبات يتخذ منه صبغ أحمر .
(٣) الحرّ : بضع المرأة .
(٤) كعوب الهذلية وليلى الأخيلية : من النساء الشاعرات .

لأطلته كوقوف الحجيج على المشاعر . ولم أقتصر منه على زاد المسافر . فإن المتحمل له وسيع الحقوق لدي ، حقيق أن أتعب له خاطري ويدي ، وهو أبو عبد الله الحامدي أعزه الله تعالى ، كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد، أبي سعيد الشبيبي السعيد ، رفع الله منازله . وقتل قاتله، يكتب له فآنسنا بفضله ، وأنسنا الخير من عقله ، فلما فجع بتلك الصحبة ، وبما كان له فيها من القربة ، لم يرض غير بابي مشرعاً ، وغير جنابي مرتعاً ، وقطع إليَّ الطريق الشاق مؤكداً حقاً لا يشق غباره ، ولا ينسى على الزمان ذماره[1] . وكنت على جناح النهضة التي لم يستقر نواها ، ولم تبن حصباها ، ولم تلق عصاها ، فأمرج الحر المبتدأ الأمر ، القريب العهد بوطأة الدهر ، حامل عليه بالمركب الوعر ، فرددته إليك يا سيدي لتسهل عليه حجابك ، وتمهد له جنابك ، وتترصد له عملاً خفيف الثقل ، ندى الظل ، فإذا اتفق عرضته عليه، ثم فوضته إليه ، وهو إلى أن يتفق ذاك ضيفي وعليك قراه ، وعندك مربعه ومشتاه ، ويريد اشتغالاً بالعلم ليزيده في الاستقلال ، إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا في الاستقرار ثم له الخيار إن شاء أقام على ما وليته ، وإن شاء لحق بنا ناشراً ما أوليته ، وقد وقعت له إلى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، إلى أن تختار له أيدك الله كل الاختيار ، فأوعز إلي بتعجيله ، واكفني شغل القلب بهذا الحر الذي أفردني بتأميله ، إن شاء الله تعالى .

* * *

رقعة له إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدّثت الركاب بسير أروى إلى بلدٍ حططتُ به خيامي[2]

---

(١) الذمّار : ما يحمى ويدافع عنه كالشرف والحرم والملك .

(٢) البيتان من الوافر .

فكدتُ أطير من شوقــي إليها بقادمــةٍ كقــادمــة الحمــام[1]

أفحق ما قيل أمر القادم ؟ أم ظن كأماني الحالم ؟ لا والله بل هو درك العيان، وإنه ونيل المنى سيان ، فمرحباً أيها القاضـي براحلتـك ورحلك . بل أهـلاً بك وبكافة أهلك . ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من ريّاك ، فحثَّ المطى تزل غلتي بسقياك ، وتزح علتي بلقياك ، ونص على يوم الوصـول لنجعله عيداً مشرفاً . ونتخذه موسماً ومعرفاً . ورد الغلام أسرع من رجع الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا في عقال وأسر .

سقــى الله دارات مررت بأرضها فأدّتــك نحــوي يا زياد بن عامر[2]
أصائــل قربٍ أرتجــي أن أنالها بلقياك قد زحزحــن حرُّ الهواجرِ

## رقعة في ذكر مصحف أهدي إليه

البرُّ أدام الله الشيخ أنواع ، تطول به أبواع[3] ، وتقصر عنه أبواع ، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسبـاً . فتحفـة الشيخ إذ أهـدي ما لا تشاكلـه النعم ، ولا تعادله القيم ، كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ، وهداه وسبيله . ومعجز رسول الله ﷺ ودليله ، طبع دون معارضته على الشفاه ، وختم على الخواطر والأفواه . فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقي الملوان[4] ، لائحٌ سراجه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ، ويذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن ، لا تحصى في ألف قران ، فأصِفُ الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخوة الأقلام ،

---

(1) القادمة : ريش مقدّمة الجناح جمعها القوادم .
(2) البيتان من الطويل .
(3) أبواع : جمع باع أي الذراع أو عظم يلي إبهام الرِّجل .
(4) الملوان : من الملأ ، وهما الجن والإنس .

بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه فراره[1] ، وحقاً أقول إني لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد على جميعها زيادة القرعة على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .

لقد أهديته علقاً نفيساً وما يهدي النّفيس سوى النّفيسِ[2]

فصل من كتاب له إلى ابن العميد صدر جواباً عن كتابه إليه في وصف البحر ، وكان أبو بكر الخوارزمي يحفظه ، وكثيراً ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته ، ولم أره يحفظ من الرسائل غيره :

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاين من مراكبه ، ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف أرادتها ، واستجابة أدواتها لها متى نادتها . وركوب الناس أشباحها والخوف بمرأى ومسمع ، والمنون بمرقب ومطلع ، والدهر بين أخذ وترك ، والأرواح بين نجاة وهلك ، إذا أفكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة ، حبب إليهم الغرر[3] ، وعرفت ما قاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرته وحصولي على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل وتتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم لم يعتب على الدهر فيما يفتيه من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندي أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شيء أبلغ في مفاخره وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له فإني قرأت منه الماء السلسال . لا الزلال ، والسحر الحرام ، لا الحلال ، وقد علم أنه كتب ولما أخطر بفكره سعة

---

(١) هذه الفقرة من قولهم في مثل « إن الجواد عينه فراره » .

(٢) البيت من الوافر ، والعلق : النفيس الثمين .

(٣) الغَرر : الخطر والمهالك .

صدره ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلالاً يفضل عن التبرض[1] ، وثمداً لا يكثر عن الترشف[2] .

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنَّك الـ ـجبال وبحرٍ شاهدٍ أنّك البحر[3]

* * *

ومحاسن فقر الصاحب تستغرق الدفاتر ، وتستنزف في الانتخاب منها الخواطر ، وليس يتسع هذا الكتاب لغيض من فيضها وقطرة من سيحها[4] .

* * *

## هذا ما اخترته من ملح شعره
## في الغزل ، وما يتعلق به

قال [ من الوافر ] :

تسحَّبْ ما أردت على الصباح فهمْ ليلٌ وأنت أخو الصباح[5]
لقد أولاك ربُّك كلَّ حسنٍ وقد ولاّك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرني شرابٌ فأنعمْ من رضابك لي براح
وليس لديَّ نقلٌ فارتهنّي بنقلٍ من ثناياك الوضاح[6]

وقال [ من الخفيف ] :

لا ترجو إصلاح قلبي بلومٍ حلف الجفن لا استقلَّ بنومِ

---

(١) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : التبلّغ بالقليل .
(٢) الترشف : من رشف الماء أي شربه .
(٣) البيت من الطويل .
(٤) السيح : المطر .
(٥) تسحّب : أي تفاخر زهواً .
(٦) النقل : ما يؤكل من فاكهة وفستق وغيره مع الشراب .

وهـواه لئـن تأخـر عنّي طول يومـي إنّـي سيحضـر يومي

وقال [ من الوافر ] :

علـيٌّ كالغـزال وكالغزاله رأيت به هلالاً في غلاله[1]
كأنّ بياض غرّتـه رشادٌ كأنّ سواد طرّتـه ضلاله
كأنّ الله أرسـلـه نبياً وصيّر حسنـه أقـوى دلالـه
إذا ما زدت وصـلاً زدت خبلاً كأن حبـال وصـلك لي خباله[2]

وقال [ من البسيط ] :

هذا علـيٌّ علـيٌّ في محاسنه كأنّمـا وصفـه أن يبلـغ الأملا
وكم أقـول وقـد أبصـرت طلعته هذا الـذي في طراز الله قد عملا

وقال [ من السريع ] :

وشـادنٍ أصبـح فوق الصّفه قد ظلـم الصّـبَّ ومـا أنصفه
كم قلـت إذ قبَّـل كفِّـي وقد تيّمنـي : يا ليت كفّـي شفه

وقال في معناه [ من السريع ] :

أبـا شجـاعٍ يا شجـاع الورى ومـن غدا فـي حسنـه قبله
قبِّـل فمـي إنْ كنـت لي مؤثراً فاليدُّ لا تعـرف القبلة[3]

وقال في معناه [ من مجزوء الرجز ] :

وشـادنٍ جمـالـه تقصـر عنـه صفتي

---

(١) الغلالة : الثوب الرقيق .
(٢) الخبل : الفساد والعناء .
(٣) كذا ، ولعلّه : « فاليدّ ليست تعرف القبلة » ليستقيم الوزن .

أهوى لتقبيل يدي فقلت : لا ، بل شفتي[1]

وقال [ من السريع ] :

قلْ لأبي القاسم إنْ جئته هنِّيت ما أعطيتَ هنِّيتَهُ
كلُّ جمالٍ فائقٍ رائقٍ أنت برغم البدر أوتيتَهُ

وقال [ من مخلع البسيط ] :

قل لأبي القاسم الحسيني يا نار قلبي ونور عيني
البدر زين السماء حسناً وأنت زينٌ لكلِّ زين

وقال من باب الاقتباس من الحديث [ من الكامل ] :

ومهفهفٍ يغني عن القمر قَمَرَ الفؤاد بفاتن النظر[2]
خالسته تفّاح وجنته من غير إبقاءٍ ولا حذر
فأخافني قومٌ فقلت لهمْ لا قطع في ثمرٍ ولا كثر[3]

وقال في مثله [ من مجزوء الرمل ] :

قال لي إنّ رقيبي سيِّءُ الخلق فدارِهْ
قلت دعني وجهك الجنّة حُفَّت بالمكاره

وقال في مثله [ من الوافر ] :

أقول وقد رأيت له سحاباً من الهجران مقبلةً إلينا
وقد سحّت غزالتها بهطلٍ حوالينا الصّدود ولا علينا

---

(١) أهوى : انحنى .
(٢) قمر الفؤاد : أسره .
(٣) الكثر : المال ، وجمّارُ النخل أو طلعها .

وقال [ من المنسرح ] :

الحبُّ سكرٌ خماره التلف يحسن فيه الذبول والدنف[1]
عابوه إذ لجَّ في تصلُّفِهِ والحسن ثوبٌ طرازه الصَّلف[2]

وقال [ من السريع ] :

وشادنٍ يكثر من قول لا أوقع قلبي في ضروب البلا
قلت وقد تيّمني طرفه هذا هو السحر وإلاّ فلا

وقال رحمه الله [ من مجزوء الرجز ] :

وشادنٍ ذي غنجٍ طاوي الحشى معتدل[3]
أنشدته شعراً بديعاً حسناً من عملي
فقال فيمنْ ولمنْ فقلت هذا فيك لي
فطار في وجنته شعاع نار الخجل

وقال [ من الكامل ] :

قد قلت لما مرّ يخطر ماشياً والناس بين معوّذٍ أو عاشق[4]
لم يكفِ ما صنعت شقائق خدّه حتى تلبّس حلَّةً بشقائق

وقال [ من المتقارب ] :

دعتني عيناك نحو الصِّبا دعاءً يكرَّر في كلِّ ساعه
ولولا تقادم عهد الصِّبا لقلت لعينيك سمعاً وطاعه

---

(١) الخمار : أثر السكر ومفعوله ، والدنف : المرض والهلاك .
(٢) الصّلف : التكبّر .
(٣) طاوي الحشى : أي ضامر الخصر .
(٤) يخطر : يمشي بزهوٍ ودلال ومعوّذٍ : أي يقول أعوذ بالله .

وقال [ من الرجز ] :

شتمتُ من تيمّني مغالطاً ... لأصرف العاذل عن لجاجتهْ[1]
فقال لمّا وقع البزاز في الـ ... ـشوب علمنا أنّه من حاجتهْ[2]

وقال [ من المنسرح ] :

أتانيَ البدر باكياً خجلاً ... فقلت ماذا دهاك يا قمرُ
قال غزالٌ أتى ليعزلني ... بحسنه فالفؤاد منفطر
فقلتُ قبِّلْ ترابه عجلاً ... واسجدْ له قال كلُّ ذا غرر[3]
قد بايعت أنجم السماء له ... فليس لي مفزعٌ ولا وزرُ

وقال [ من الرجز ] :

يا قمراً عارضني على وجلْ ... وصاله يشبه تأخير الأجلْ
وقال : تبغي قبلةً على عجل ؟ ... قلت : أجلْ ، ثم أجلْ ، ثم أجلْ

وقال [ من الرجز ] :

وشادنٍ في الحسن كالطاووس ... أخلاقه كليلة العروسِ
قد نال باللحظ من النفوس ... ما لم تنله الروم من طرسوس

وقال [ من الرجز ] :

بدا لنا كالبدر في شروقه ... يشكو غزالاً لجّ في عقوقه
يا عجباً والدهر في طروقه ... من عاشقٍ أحسن من معشوقه

سمعت أبا بكر الخوارزمي ، يقول : أنشدني الصاحب هذه القوافي ليلة ،

---

(١) اللجاجة : الإلحاف .
(٢) البزاز : النزاع .
(٣) غرر : جهل .

وقال : هل تعرفون نظيراً لمعناها في شعر المحدثين ؟ فقلت : لا أعرف إلا قول البحتري [ من المتقارب ] :

ومــن عجــب الــدّهــر أنّ الأميــر أصــبــح أكتــبُ مــن كاتبــه

فقال : جودت وأحسنت ، وهكذا فليكن الحفظ ، وقال [ من المتقارب ] :

عزمــت علــى الفصــد يا سيدي لفضــل دمٍ كظّنــي مؤلمٍ[1]
فلمّـــا تأخّــرت عن مجلسي أرقــت لغير افتصــادٍ دمي

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

ومهفهفٍ شكـل المجونْ أضـــنــى فؤادي بالفتــون
فنسيمــه مـلء الأنــو ف ، وحسنــه مـلء العيون

وقال [ من المتقارب ] :

فمــن كان يقــطف ورد الجنان فقطفــيَ مذْ كنـــتُ ورد الخدود
وهمِّـــي مذ كنـــت درّ الثغور إذا اهتـــمّ غيري بدرِّ العقود

وقال [ من الرجز ] :

كنّـــا وأسبـــاب الهـــوى متّفقه نبتـــاً من الـــورد معـــاً في ورقهْ
فالآن إذ أسبابــــه مفترقه قد صارت الأرض علينـــا حلقهْ

وقال [ من السريع ] :

يا خاطـــراً يخطـــر فــي تيههِ ذكرك موقـــوفٌ علـــى خاطري
إنْ لم تكنْ آثـــرُ من ناظري عنـدي فــلا متّعـــت بالنّاظر

---

(١) الفصد : إخراج الدم بالحجامة ، وكظّ : ضاق بالشيء من كثرته أو أثقله واشتد عليه .

وقال [ من الطويل ] :

تأخّـرت عنّـي والغـرام غريم ... وما ملّ قربُ الأكرمين كريمُ
وأوهمتنـي سقمـاً وأنـت مصحّحٌ ... بلـى لك عهـدٌ كيف شئـت سقيم
ولـو شئت لم تخلـط وصـالاً بهجرةٍ ... كمـا شيب بالمـاء الـزلال حميم[1]
ففـي الدّهـر كافٍ أن يفـرّق إنّه ... وصـيٌّ ظلـومٌ والـكريم يتيم

وقال ، ويروي لغيره [ من الكامل ] :

رشـأٌ غدا وجـدي عليه كرِدفه ... وغـدا اصطبـاري في هواه كخصره
وكـأنّ يـوم وصـالـه مـن وجـهـه ... وكـأنّ لـيـلـة هـجـره مـن شعـره
إنْ ذقـت خمـراً خلتهـا من ريقه ... أو رمـتُ مسـكاً نلتـه من نشره
وإذا تكبّـر واستطـال بحسنه ... فعـذار عارضـه يقـوم بعذره

* * *

## ملح من شعره في الصدغ والخط والعذار

قال [ من السريع ] :

يا شادنـاً في صدغـه عقربُ ... ما يسـتجيب الدّهـر للراقي
يسلـم خدّاه علـى لدغها ... ولدغهـا في كبـدي باقي[2]

وقال [ من الوافر] :

وعهـدي بالعقـاربِ حين تشتو ... تخفِّفُ لدغهـا وتقـلُّ ضرّا
فمـا بال الشتـاء أتـي وهذي ... عقـارب صدغـه تزداد شرّا

---

(١) الحميم : الحار .

(٢) اللدغ : اللسع .

وقال [ من الطويل ] :

رأيت علياً في لباس جماله　　فشاهدت منه الروض ثانيَ مزنه
ولمّا تبدّى لي امتداد عذاره　　رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وقال [ من البسيط ] :

إنْ كنت تنكره فالشمس تعرفُهُ　　أو كنت تظلمه فالحسن ينصفُهُ
ما جاءه الشعر كي يمحو محاسنه　　وإنّما جاءه عمداً يغلّفُهُ

وقال [ من السريع ] :

لما بدا العارض في الخدّ　　زاد الذي ألقى من الوجد
وقلت للعذّال يا من رأى　　بنفسجاً يطلع من ورد

وقال [ من البسيط ] :

دبَّ العذار على ميدان وجنتِهِ　　حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا
كأنّه كاتبٌ عزَّ المداد له　　أراد يكتب لاماً فابتدا ألفا

وقال [ من الوافر ] :

عذارٌ كالطّراز على الطّراز　　وشمسٌ في الحقيقة لا المجاز
تبدّى عارضاه فعارضاني　　وقالا لا تمرَّ بلا جواز
فقلت القلب عندكُمُ مقيمٌ　　وما حسن الثياب بلا طراز

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

أنظرْ إليه كأنّه　　شمسٌ وبدرٌ حين أشرفْ
وَالْحَظْ محاسن خدِّه　　تعذرْ دموعي حين تذرفْ
فكأنّها الواوات حين يخطُّها قلمٌ محرّف

وقال [ من الهزج ] :

أبو نصر بن بكران مليح الحظِّ والخطِّ
فهذا النمل في العاج وذاك الدرُّ في السّمط[1]

وقال [ من الخفيف ] :

إنّ لبس السواد أقوى دليلٌ لأميرٍ يلي أمور العبادِ
وأمير الملاح يأتيه عزلٌ حين تلقاه لابساً للسّواد

وقال [ من الطويل ] :

وخطٍّ كأنّ الله قال لحسنه تشبّه بمن قد خطّك اليوم فأتمرْ
وهيهات أين الخطّ من حسن وجهه وأين ظلام الليل من صفحة القمرْ

وقال في صباح الحاجب [ من المنسرح ] :

خدّاه وردٌ وصدغه سبجٌ ومقلتاه الغناء والرّاح[2]
إن هزَّ أطرافه على نغمٍ شُقَّت جيوبٌ وطاح أرواح
وجملة القول في محاسنهِ أنّ أمير الصّباح صباح

وقال [ من الكامل ] :

رقّ الزجاج ورقَّت الخمر فتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنّما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنّما قدحٌ ولا خمرُ[3]

وقال [ من الرجز ] :

وقهوةٍ قد حضِّرت بختمها فقلت للندمان عند شمِّها

---

(١) السمط : السلك والعقد .

(٢) السّبج : الأسود .

(٣) هذان البيتان ينسبان لأبي نواس .

لا تقبضــنْ بالمــاء روح جسمها		فحسبهــا ما شربــت من كرمها

وقال [ من المتكامل ] :

متغــايراتٌ قد جُمعــن وكلّها		متشــاكلٌ أشباحهــا أرواحُ
وإذا أردت مصرّحــاً تفسيرها		فالــرّاح والمصــباح والتّفاحُ
لو يعلـم الساقـي وقـد جُمِّعـن لي		من أيّ هذي تمــلأ الأقداح

وقال [ من الطويل ] :

ولمــا بدا التفــاح أحمــرَ مشرقاً		دعوت بكأسي وهـي ملأى من الشفقْ
وقلـت لساقيهــا أدرهــا فإنّها		خدود عذارى قد جُعلن علــى طبقْ

وقال من قصيدة [ من الطويل ] :

وكأسٍ تقــول العين عنــد جلائها		أهــلْ لخــدود الغــانيات عصيرُ ؟
تحاميتهــا إلاّ تعلّل واصفٍ		وقــد يطــرب الإنســان وهــو كبيرُ

ومن قصيدة [ من الطويل ] :

وصفــراءَ أو حمــراءَ فهــي نحيلةٌ		لرقّتهــا إلاّ على المتوهِّمِ
تشكّكنــا في الــكرم أنّ انتماءه		إلى الـكرم أم هاتـا إلـى الـكرم ينتمي

ومنها [ من الطويل ] :

تمتّــع ندمــانٌ بهــا وأحبّةٌ		وحظِّــيَ منهــا أنْ أقــولَ ألا انعمي
لك الوصف دون القصف منّي فخيّمي		بغير يدي وارضـي بمــا قالــه فمي[1]

أراد أنه جلس مع الشرب من غير شرب .

---

(١) القصف : أي الاحتساء والخلاعة .

وقال [ من السريع ] :

وشادنٍ قلت له ما اسمكا فقال لي بالغنج عبّاثُ
فصرت من لثغته ألثغاً فقلت أين الكاث والطاث[1]

* * *

## ملح في الأوصاف والتشبيهات

قال [ من الخفيف ] :

أقبل الثلج فانبسطْ للسرورِ ولشرب الكبير بعد الصغيرِ
أقبل الجوّ في غلائل نورٍ وتهادى بلؤلؤٍ منثور
فكأنّ السّماء صاهرت الأر ض فصار النثار من كافور[2]

أخذه من قول ابن المعتز [ من الخفيف ] :

وكأنّ الربيع يجلو عروساً وكأنّا من قطره في نثار

وقال فيه [ من الكامل ] :

هات المدامة يا غلام معجّلاً فالنفس في قيد الهوى مأسوره
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنّما الدّنيا به كافوره

وقال فيه [ من الكامل ] :

هات المدامة يا غلام مصيّراً نقلي عليها قبلة أو عضّه
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنّما الدّنيا سبيكة فضّه

---

(١) الألثغ : الذي يلفظ السين ثاء .
(٢) النثار : ما ينثر في العرس من ذهب وغيره .

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول عند إنشاد هذه الثلجيات : كل هذه الثلجيات عيال على قول الصنوبري [ من مجزوء الكامل ] :

ذَهَبٌ كؤوسك يا غلا م فإنّه يوم مفضَّض

فقلت : قد أخذه منه من لم يزد على معناه ، فقال [ من البسيط ] :

جاد الغمام بدمعٍ كاللُّجين جرى فجدْ لنا بالتي في اللون كالذهب

وقال الصاحب في النارنج [ من الطويل ] :

بعثنا من النارنج ما طاب عُرفُهُ فقيل على الأغصان منه نوافج[1]
كراتٌ من العقيان أحكم خرطها وأيدي الندامى حولهنَّ صوالج

وقال في الند [ من الكامل ] :

ندٌّ لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفاً من نسيم يديه[2]
فكأنّما عجنوه من أخلاقه وكأنّه طيب الثناء عليهِ

وقال في حبة عنب [ من مجزوء الرجز ] :

وحبّةٍ من عنبٍ من المنى متَّخذَهْ
كأنّها لؤلؤةٌ في وسطها زمرُّذه

وقال فيه [ من الرجز ] :

وحبّةٍ من عنبٍ قطفتها تحسدها العقود في الترائبِ[3]
كأنّها من بعد تمييزي لها لؤلؤةٌ قد ثقبت من جانبِ

---

(١) النوافج : أوعية المسك ، أو رذاد المطر العالق لأن النافجة تعني : السحابة الممطرة .
(٢) الندّ : عودٌ طيب الرائحة .
(٣) الترائب : موضع العقد في العنق والصدر .

وقال في الشمع [ من مخلع البسيط ] :

ورائق القدّ مستحبٌ يجمع أوصاف كلِّ صبٍّ
صفرة لونٍ وسكب دمعٍ وذوب جسمٍ وحرّ قلبِ

وقال في التين [ من الكامل ] :

تينٌ يزينُ رواؤه مخبورُهُ متخيّرٌ في وصفه يتحيَّرُ
عسل اللعاب لديه ممّا يجتوي وجنى النحيل لديه مرٌّ ممقر[1]
وكأنّما هو في ذرى أغصانه قطع النضار أدارهنَّ مدوِّر
ويقول ذائقه لطيب مذاقه الله أكبر والخليفة جعفر

وقال في الخط واللفظ [ من البسيط ] :

بالله قل لي أقرطاسٌ تخطُّ به من حلَّةٍ هو أمْ ألبسته حللا
بالله لفظك هذا سال من عسل أمْ قد صببت على أفواهنا عسلا

وقال في الوحل [ من البسيط ] :

إنّي ركبت وكفُّ الأرض كاتبةٌ على ثيابي سطوراً ليس تنكتمُ
والأرض محبرةٌ والحبر من لثقٍ والطّرس ثوبي ويمني الأشهب القلمُ[2]

* * *

## من ملح إخوانياته

كتب إلى أبي الفضل بن شعيب [ من الخفيف ] :

يا أبا الفضل لم تأخّرت عنّا فأسأنا بحسن عهدك ظنّا

---

(١) ممقر : أي صار مرّاً أو حامضاً .

(٢) اللّثق : اللزج من الطين ، أو النّدى .

كم تمنّتْ نفسي صديقاً صدوقاً فإذا أنت ذلك المتمنّى
فبغصن الشباب لما تثنَّى وبعهد الصّبا وإن بان منّا[1]
كن جوابي إذا قرأت كتابي لا تقل للرسول كان وكنّا

وكتب إلى أبي الحسين الطبيب [ من الرجز ] :

إنا دعوناك على انبساطٍ والجوع قد أثّر في الأخلاط
فإن عسى مِلْتَ إلى التباطي صفعت بالنعل قفا بقراط

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي [ من الرجز ] :

أسعدك الله بيوم الفصحِ وعشتَ ما شئتَ بيومٍ سمحِ
يا رأس مالي في الورى وربحي وظَفَري ونصرتي ونجحي
شرباً ولا تصغ لأهل النّصح فالحزم أن تسكر قبل تصحي

* سكر النّصارى في غداة الفصحِ *

وكتب إلى أبي القاسم القاشاني [ من مجزوء الرمل ] :

يا أبا القاسم قلْ لي قل لماذا لا تزورُ
كنت قد قدمت وعداً فإذا وعدك زورُ
وبذرت الورد بالقو ل فلم تزكُ البذور
ونحرت الوِدَّ بالهجـر كما يهدى الجزور
إنّ أمّ الصِّدق في الـودِّ لمقلاةٍ نزور[2]

وكتب إليه أيضاً [ من مجزوء الكامل ] :

مولاي لِمْ لَمْ تدعُ عبدك عند إحضار المدامْ

---

(١) بان منّا : أي فقدناه وابتعد عنّا .
(٢) لمقلاة : من القلى ، وهو البغض، والنزور : من النزر ، وهو القليل .

أعرفته من بينهم متبسّطاً وقت الطّعام
أم قيل عربد ذات يو مٍ حين صار إلى المدام
أم لم يساعد حين ملت إلى الغلامة والغلام
إن كنت تبخل بالطّعا م فكيف تبخل بالكلام
لسنا نحاول دعوةً فاسمح علينا بالسلامْ

وقال رحمه الله [ من السريع ] :

نْو فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطَّا بلا كاتبِ
حبٌّ عليّ بن أبي طالبٍ وحبٌّ مولاي أبي طالبِ

وقال [ من الخفيف ] :

يا ابن يعقوبَ يا نقيب البدور كن شفيعي إلى فتىً مسرورِ
قل له إنّ للجمال زكاةً فتصدّق بها على المهجور

وكتب إلى أبي العلاء الأسدي [ من البسيط ] :

أبا العلا يا هلال الهزل والجدِّ كيف النجوم التي تطلعن في الجلد
وباطنُ الجسم غرٌّ مثل ظاهره وأنت تعلم ممّا قلته قصدي

سمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي يقول : لم أسمع في إنفاذ الحلواء إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [ من المتقارب ] :

حلاوة حبّك يا سيدي تسوغ بعثي إليك الحلاوة

فقلت له : وأنا لم أسمع في النثار للرؤساء أحسن من قولك [ من المتقارب ] :

ولو كنت أنثر ما تستحقُّ نثرت عليكَ سعود الفلكْ

ثم تذاكرنا في أحسن ما نحفظه في كل باب ، فجرت نكت كثيرة فسألني أن

أؤلف كتاباً في الأحاسن ، وأورد فيه أحسن ما سمعته في كل فن ، فأجبته إلى ذلك ، وحين ابتدأته عرضت موانع وقواطع عن استتمامه ، أقواها غيبته عن خراسان ، ثم وفاته رحمه الله تعالى .

وقال الصاحب [ من مخلع البسيط ] :

قولوا لإخواننا جميعاً ... من كلّهمْ سيّدٌ مرزًّا[1]
من لم يعدنا إذا مرضنا ... إن مات لم نشهد المعزّى

وقال لمحمود التاجر [ من السريع ] :

طويت محموداً على جفوته ... مخلِّصاً نفسي من خلَّتِهِ
قدَّرتُهُ يقلق من علّتي ... مثل انزعاجي كان من علّته
لم يطرِ ما بي لا ولا مرَّ بي ... كأنّ سقمي كان من شهوته[2]
من لم يطالعني على علَّةٍ ... إن مات لم أمضِ إلى تربته

وقال للقاضي أبي بشر الجرجاني [ من الوافر ] :

يصدُّ الفضل عنّا أيّ صدٍّ ... وقال تأخُّري عن ضعف معْدَهْ
فقلت له جعلت العين واواً ... فإنّ الضعف أجمع في المودّه

وقال [ من الطويل ] :

بَعُدْتَ فطعم العيش عنديَ علقمُ ... ووجه حياتي مذ تغيَّبتَ أرقمُ
فما لك قد أدغمت قربك في النّوى ... وودّك في غير النداء مرخَّمُ

* * *

---

(1) مزرا : من الرزء ، وهو المصاب .

(2) لم يطرِ : لم يستفسر ، ولم يزر اطمئناناً عليه ، وأطراه : أثنى عليه .

## ملح من مدائحه

قال من قصيدة في عضد الدولة [ من الطويل ] :

هـمـامٌ رأى الـدنيا سوامـاً فحاطها ... ليالـيَ في غير الزمـان وقور[1]
ولـم يخطـب الـدّنيا احتفـالا بقدرها ... فمـوقعهـا مـن راحتيه يسير
ولـكن له طبـعٌ إلـى الخير سابقٌ ... ورأيٌ بأبنـاء الرِّجـال بصيرُ
وإنْ لم يلاحظهـم بعينٍ حميّةٍ ... فتلك أمـورٌ لا تزال تمور

ومن أخرى [ من الطويل ] :

سعـودٌ يحـار المشتـري في طريقها ... ولا تتأتّـى في حسـابِ المنجِّمِ
وكم عالـمٍ أحييت من بعـد عالمٍ ... علـى حين صاروا كالهشيم المحطّم
فوالله لولا الله قال لك الورى ... مقال النصارى في المسيح ابـن مريم
محامد لو فضّت ففاضتْ على الورى ... لمـا أبصـرتْ عينـاك وجـهَ مذمّمِ
وكلاّ ولـكنْ لو حظـوا بزكاتها ... لما سمعتْ أذنـاك ذكر ملوّم[3]
ولـو قلـت إن الله لم يخلـق الورى ... لغيرك لم أحـرجْ ولـم أتأثّم

ومن أخرى [ من الكامل ] :

يا أيُّهـا الملك الـذي كلُّ الورى ... قسمـان بيـن رجائـه وحذاره
فمناصـحٌ قد فاز سهـم طلابِهِ ... ومداهـنٌ قد جال قدح بواره[4]
هذي بخـارى تشتـكي ألـم الصّدى ... وتقـول قولاً نِبْـتُ في أخباره[5]
ماذا عليه لو يهـمُّ بعرصتي ... فأكون بعض بلاده ودياره

(١) السّوام : الماشية التي ترسل لتُرعى .

(٢) تمور : تموج وتضطرب .

(٣) الملوّم : اللائم والعاتب .

(٤) المداهن : المتزلف والمحابي ، وبواره : هلاكه .

(٥) الصّدى : العطش والـظمـأ ، ونِبت : كلّفت عنهم من « ناب ينوب » .

ومن عميدية ذكر فيها نقرسا نال يمناه [ من الطويل ] :

أبو الفضل من أجرى إلى الفضل يافعاً فظــلّ به يدعــى وصــار به يكنى
سلامتــه شمسُ المعالــي وسقمُهُ كســوفُ المعالــي لا كسفــن ولا بنَّا
ولــم يأتِــهِ ورد السّقــام لغير ما عرفنــا فخــذ معنــى تألُّمــهِ منّا
ومــا راده إلاّ ليشغــلَ عن ندىً وإلاّ فلِــمْ قد خصَّ بالألــم اليمنى
وما يُحجز البحــر الخضــمّ عن النّدى ولا السّيد الأستــاذ عن جوده يُثنى

وكتب إلى مؤيد الدولة أبي منصور [ من الرجز ] :

سعــادةٌ ما نالهــا قطُّ أحدْ يحوزهــا المولــى الهمــام المعتمدْ
مؤيد الدولــة وابــن ركنها وابــن أخــي معزِّهــا أخــو العضدْ

وقال في فخر الدولة وقد افتصد [ من البسيط ] :

يا أيّهــا الشــمس إلاّ أن طلعتها فوق السمــاء وهــذا حين يقتصدُ
لمــا افتصــدت قضينــا للعــلا عجباً ومــا حسبــت ذراع الشــمس يفتصد

وقال فيه لما بنى قصره بجرجان [ من السريع ] :

يا بانياً للقصــر بل للعلا همُّــك والفــرقــد سيَّانِ
لــم تبــن هذا القصــر بل صغته تاجــاً علــى مفــرق جرجان[1]
وقصــرك المبنــيُّ من قبله ملــكك ، والله هو الباني
فاقبــل نثــار العبــد بل نظمهُ فإنّــه والــدُّرّ مثلان
واسمــع مقــالاً لم يُقــلْ مثله مذْ كانــت الــدنيا لإنسان
لــو كان للخلــق إلّهان لكــان فخــر الدولــة الثاني

* * *

(١) المفرق : مكان الفرق في الرأس .

## ملح من شعره في الهجاء والمجون

قال في ابن متويه [ من مجزوء الرمل ] :

يا فتـى متـويٍّ رفقاً لستَ من ينـكر أصلَهُ
إنّما ينـكـر منهُ مـن جنـونٍ فيه ثقله
أنـت نذلٌ من كرامٍ أنـت في الطـاووس رِجله

كأنه مقلوب بيت المتنبي [ من الوافر ] :

فإن تفـق الأنـام وأنـت منهم فإن المسـك بعض دم الغزال

وقال في معناه [ من الوافر ] :

أبـوك أبـو علـيٍّ ذو علاءٍ إذا عُدَّ الـكرام وأنـت نجلُهْ
وإنّ أبـاك إذ تُعـزى إليهِ لكالطـاووس يقبـح من رجلُهْ[1]

وقال فيه [ من السريع ] :

أحمـد هذا سبـطُ متويَهْ في موتـه بعـد غدٍ تهنيَهْ
والشـأن في أنّـي علـى بغضه أحتـاج أنْ أقعـدَ للتعزيه

وقال فيه [ من السريع ] :

قـال ابـن متـويهٍ لأصحابه وقـد حشـوه بأيور العبيدْ
لئـن شكرتـم لأزيدنكم وإن كفرتـم فعذابـي شديدْ

وقال فيه [ من الكامل ] :

أبصـرت في كفـٍّ ابـن متـوي عصاً فسألتـه عنهـا ليوضـح عذرا

---

(١) تعزى : تنسب .

فأجابني إنّي بها متشايخٌ هذا ، ولي فيها مآرب أخرى

وقال فيه [ من الخفيف ] :

سبط متويٍّ إنّ دارك دار قد عرفْتَ الإدبار إذ تبنيها
لا تكثِّر تزويقها وترفّقْ عن قليلٍ يكون قبرك فيها

وقال فيه [ من مجزوء الرمل ] :

كلّما زدتَ عتاباً زدتُ في هجوك بيتا
أو ترى طبعيَ غيضاً أو أرى جسمك ميتا

وقال فيه [ من الرمل ] :

سبط متويّ رقيعٌ سفلُهُ أبداً يبذل فينا أسفلَهْ
اعتزلنا نيكه في دبره فلهذا يلعن المعتزلَهْ

وقال فيه [ من المجتث ] :

رام ابن متويّ أيري وبرجه فيه طيرُ
فقلت تطلب أيري هذا وفي استك أير
فقال لي لا تحمّقْ زيادة الخير خير

وقال فيه [ من السريع ] :

عنديَ سرٌّ لابن متويَّه وعزمي السّاعة أنْ أفشي
أخبرني بعضيَ عن بعضِهِ بأنّه أوسع من يمشي

وقال في الغويري [ من السريع ] :

إنّ الغويري له نكهةٌ نتنتها أربتْ على الكنف[1]

---

(١) أربت : زادت،والكُنف : جمع كنيف وهو المرحاض .

يا ليتــه كان بلا نكهةٍ أو ليتنــي كنــت بلا أنف

وقال في رجل يتعصب للعجم على العـرب ويعيب العـرب بأكل الحيات [ مـن السريع ] :

يا عائــب الأعــراب من جهلِهِ لأكلهــا الحيّات في الطعم
فالعجــم طول الليل حيّاتهم تنســاب في الأخــت وفــي الأمّ

وقال فيمن زوج أمه [ من مجزوء الكامل ] :

زوّجــتَ أمَّــك يا فتى وكسوتنــي ثوب القلـقْ
والحــرُّ لا يهــدي الحرا م إلــى الرجــال علــى طبقْ

وقال [ من الرجز ] :

لــم أر مثــل جعفــر مخلوقا يشبــه طبــلاً ويحــب بوقا

وقال [ من الرجز ] :

يا بركةً ملأى من الشّبوط قفــاك بغــاءٌ وكفّــيَ لوطي[1]

وقال [ من الهزج ] :

لــنــا قــاضٍ لــه رأسٌ مـن الــخــفّــة مــمــلوءُ
وفــي أســفــلــه داءٌ بــعــيــدٌ مــنــكــمُ الــسّــوءُ

وقال [ من مجزوء الرمل ] :

إنّ قاضينــا لأعمــى أم علــى عمــدٍ تعامى
ســرق الـعـبــد كــأنّ الــــعبــد من مــال اليتــامى

(١) الشبوط : بضم الشين وفتحها ، نوع من السمك دقيق الذنب عريض الوسط، ليّن المسّ ، صغير الرأس كأنّه يربط أي عود .

وقال [ من المجتث ] :

يا قاضياً بات أعمى عن الهلال السّعيدِ
أفطرت في رمضانٍ وصمت في يوم عيدِ

وقال [ من الهزج ] :

إذا ما لاح للعين أبو بكرٍ فتى القاضي
وقد زاد من التيه على القاهر والراضي
فواجهه بإمضاضٍ وقابله بإغضاض
وقالوا في حرّ أمّكْ قمدٌ الحاكم الماضي[1]

وقال [ من الطويل ] :

رأيت لبعض الناس فضلاً إذا انتمى يقصّر عنه فضل عيسى ابن مريمِ
عزوه إلى تسع وتسعين والداً وليس لعيسى والدٌ حين ينتمي

وقال [ من الطويل ] :

سيأتيك برقٌ من هجائي خلّبٌ إذا كنت ذا برق من الودّ خلّبِ[2]
وأنشد إذ أصبحت تغلب قدرتي بعجزك لم يغلبْكَ مثل مغلّب[3]

وقال [ من السريع ] :

مطفلٌ أطفلَ من أشعبِ ما زال محروماً ومذموما
لو أنّه جاء إلى مالكٍ لقال أطعمني زقّوما[4]

---

(١) القمد : الغليظ يعني به عضو الحاكم .

(٢) الخلّب : السحاب الذي يلمع برقه ولا مطر فيه .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل المغلّب

(٤) الزقّوم : شجرة مرّة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنّم ثمرها .

وقال [ من السريع ] :

انظــرْ إلــى وجــه أبــي زيد أوحش من حبسٍ ومــن قيد
وحوشــه ترتــع في ثوبه وظفــره يركــب للصيّـد

وقال في رجل كثير الشرب بطيء السكر [ من الطويل ] :

يقــال لمــاذا ليس يســكر بعدما توالــت عليه من ندامــاه قرقَفُ
فقلت سبيل الخمر أن تنقصَ الحجى فإنْ لم تجـد عقــلاً فمــاذا تحيفُ[1]

وقال [ من السريع ] :

هــذا ابــن متــويٍّ له آية يبتلــع الأير وأقصــى الخصى
يكفــر بالرســل جميعــاً سوى موسى بن عمــران لأجـل العصا

وقال [ من الخفيف ] :

أنـت تيسٌ لا كــالتّيــوس لأنَّ الــتّيس ينــزو وأنت يُنزى عليكــا[2]

وقال [ من الوافر ] :

أبــو العبــاس تحضــره جموعٌ من الفقهــاء لجّــوا في العواء
كأنّهُــمُ إذا اجتمعــوا عليه ذبــابٌ يجتمعــن علــى جراء

وقال [ من الوافر ] :

أبــو العبــاس قد أضحــى فقيهاً يتيهُ بفقهِــهِ في النّــاس تيها
وذلك أنَّ لحيتــه أتتني تناظــر فقحتــي فخــريت فيها[3]

---

(١) الحجى : العقل : وتحيف : تنقص.
(٢) ينزو : أي يمارس الشهوة .
(٣) الفقحة : فتحة المؤخّرة .

وقال [ من الهزج ] :

أبــو الـعـبــاس فـيـ الأيـــــــــــر ينساب انسياب الأيم[١]
فـتـىً يــأذن بـالـفـقـحـــــــــــة لـلأسيـاف بـالشيم[٢]

وقال [ من البسيط] :

هذا الأديب الــذي وافــى يفاخرنا أضحى إلى كمــر الســودان مشتاقا
فمــا يفــارق طومــاراً يعالجه إلاًّ بآخــرَ يمضــي فيه إعناقا[٣]
كأنّمــا هــو حربــاءٌ ببيضته لا يرســل السّــاق إلاًّ ممســكاً ساقا

وأنشدني له الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي [ من الكامل ] :

نُبِّئْــتُ أنّــكَ منشــدٌ ما قلته في سبِّ عرضــك لا تخــاف وعيدي
والكلــب لا يخــزى إذا أخسأته والقــار لا يخشــى من التسويد[٤]

وأنشدني له أيضاً [ من السريع ] :

شــرط الشّروطــي فِتــيٍّ أيرِ ومــا سواه غيــر مشروط
أَبغــى من الإِبــرة لكنّهُ يوهــم قومــاً أنّــه لوطي

وأنشدني له غيره [ من المتقارب ] :

تزلزلــت الأرض زلزالها فقالــوا بأجمعهــم مالهــا
مشــى ذا الثقيل علــى ظهرها فأخرجــتِ الأرض أثقالهــا

---

(١) الأيم : الحيَّة الذكر .
(٢) بالشيم : بالدخول والنظر .
(٣) الطومار : الصحيفة ويعني به « عضو الرجل » .
(٤) القار : القطران .

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

قــد طال قرنــك يا أخي فكأنّـه شعـر الكميـتْ

* * *

## ما أخرج له رحمه الله في سائر الفنون

قال [ من المتقارب ] :

تصـدُّ أميمــةُ لمَّــا رأتْ مشيبــاً علــى عارضــي قد فرشْ
فقلــت لهــا الشيب نقش الشبابِ فقالــت ألا ليتـه ما نقشْ

وقال [ من الطويل ] :

ولمــا تنــاءتْ بالأحبّــة دارهُمْ وصرنــا جميعــاً من عيانٍ إلــى وهم
تمــكّن منِّــي الشــوق غير مسامحٍ كمعتزلــيٍّ قد تمــكن من خصم

وقال [ من الخفيف ] :

كنــت دهــراً أقــول بالاستطاعهْ وأرى الجبــر ضلَّــةً وشناعهْ
ففقــدت استطــاعتــي فــي هــوى ظبــيٍ فســمعــاً للمجبــريــن وطــاعـهْ

وقال [ من المتقارب ] :

لقــد قلــتُ لمــا أتــوا بالطبيبِ وصادفنــي فــي أحــرِّ اللهيبِ
وداوي فلــمْ أنتفــع بالدواء دعونــي فإنّ طبيبــي حبيبي
ولســت أريد طبيب الجسوم ولــكــنْ أريد طبيب القلوب
وليس يزيل سقامي سوى حضــور الحبيب وبعــد الرقيب

وقال [ من الخفيف ] :

ناصبٌ قال لي معاويةٌ خا — لك خير الأعمام والأخوال[1]
فهو خالٌ للمؤمنين جميعاً — قلت خالي لكنْ من الخير خال

وقال [ من السريع ] :

حبُّ عليّ بن أبي طالبٍ — هو الذي يهدي إلى الجنَّهْ
إنْ كان تفضيلي له بدعةٍ — فلعنة الله على السُّنه

وقال في شهر رمضان [ من الخفيف ] :

قد تعدّوا على الصيام وقالوا — حُرِمَ الصَّبُّ فيه حسنَ العوائدْ
كذبوا في الصيام للمرء مهما — كان مستيقظاً أتمّ الفوائدْ
موقفٌ بالنهار غير مريبٍ — واجتماعٌ بالليل عند المساجدْ

وقال [ من الكامل ] :

راسلت من أهواه أطلب زورةً — فأجابني أو لست في رمضانِ ؟
فأجبته والقلب يخفق صبوةً — أتصوم عن برٍّ وعن إحسان[2]
صمْ إن أردت تحرُّجاً وتعفُّفاً — عن أن تكدّ الصبَّ بالهجران
أولاً فزرني والظلام مجللٌ — واحسبه يوماً مرّ في شعبان

وقال في مرض علوي [ من الكامل ] :

يا سيداً أفديه عند شكاتِهِ — بالنفس والولد الأعزّ وبالأبِ
لم لا أبيت على الفراش مسهّداً — وقد اشتكى عضوٌ من اعضاءِ النّبيِّ

---

(١) الناصب : الذي يضمر العداء لآلِ البيت .
(٢) الصبوة : الميل والحنان والشوق .

وقال يرثي أبا الحسن السلمي [ من الطويل ] :

إذا ما نعى الناعون أهل مودّتي ... بكيت عليهمْ بل بكيت على نفسي
نعوا مهجة السلمي وهي سلامةٌ ... غلبت عليها فالسلام على الأنس

وقال يرثي أبا منصور كثير بن أحمد [ من الطويل ] :

يقولون لي أودي كثيرُ بن أحمدٍ ... وذلك رزءٌ في الأنام جليلُ
فقلت دعوني والعلا نبكه معاً ... فمثل كثير في الرجال قليلُ

وقال [ من الكامل ] :

يا أهل سارية السلام عليكُمُ ... قد قلَّ في أرضيكم الخطباءُ
حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ... ومن العجائب خاطبٌ فأفاء[1]

وقال في أخوين صبيح وقبيح [ من السريع ] :

يحيا حكى المحيا ولكنْ له ... أخٌ حكى وجه أبي يحيى

وقال [ من الطويل ] :

لقد صدقوا والراقصاتُ إلى منى ... بأنّ مودّات العدى ليس تنفعُ
ولو أنّني داريتُ عمريَ حيَّةً ... إذا مكّنت يوماً من اللسع تلسع

وقال [ من الوافر ] :

إذا أدناك سلطانٌ فزدهُ ... من التعظيم واحذره وراقبْ
فما السلطان إلاّ البحر عُظْماً ... وقرب البحر محذور العواقبْ

وقال [ من المتقارب ] :

وقائلةٍ لمْ عرتكَ الهموم ... وأمرك ممتثلٌ في الأممْ ؟

---

(١) الفأفاء : التي يكثر من حرف الفاء في كلامه .

فقلت دعيني على غصّتي     فإن الهموم بقدر الهِمم

* * *

## نبذ من ذكر سرقاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : قال بعض ندماء الصاحب له يوماً : أرى مولانا قد أغار في قوله [ من الطويل ] :

لبسن برود الوشي لا لتجمّلٍ     ولكن لصون الحسن بين برود

على قول المتنبي [ من الوافر ] :

لبسن الوشى لا متجمّلاتٍ     ولكنْ كي يصنَّ به الجمالا

فقال : كما أغار هو بقوله [ من المنسرح ] :

ما بال هذي النجوم حائرةٌ     كأنّها العمى ما لها قائدُ

على العباس بن الأحنف في قوله [ من الكامل ] :

والنجم في كبد السماء كأنّه     أعمى تحيّر ما لديه قائدُ

وسمعت أيضاً أبا بكر يقول : أنشدني الصاحب نتفة له منها هذا البيت [ من الطويل ] :

لئن هو لم يكففْ عقارب صدغِهِ     فقولوا له يسمح بترياق ريقه

فاستحسنته جداً حتى حممت من حسدي له عليه ، ووددت لو أنه لي بألف بيت من شعري .

قال مؤلف الكتاب : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية في المذاكرة ، فقال لي : أتعرف من أين

سرق الصاحب معنى هذا البيت ؟ فقلت : لا والله ، قال : إنما سرقه من قول القائل ، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [ من مجزوء الرمل ] :

لـدغـت عينـك قلبي إنّمـا عينك عقربْ
لـكـنِ الـمـصَّةُ مـن ريـــــــقـك تـريـاقٌ مـجـرّبْ

فقلت : لله در مولانا الأمير ! فقد أوتي حظاً كثيراً من التخصص ، بمعرفة التلصُّص .

قلت : ومعنى قول الصاحب في الثلج [ من الخفيف ] :

وكأنّ السمـاء صاهـرت الأر ض فكـان النثـار من كافور

ينظر إلى قول ابن المعتز [ من الخفيف ] :

وكأن الـربيع يجلـو عروساً وكأنّـا مـن قطـره في نثار

وقول الصاحب [ من الطويل ] :

يقولـون لي كم عهـد عينـك بالكرى فقلـت لهـم مذْ غاب بدر دجاها
ولـو تلتقـي عينٌ علـى غير دمعةٍ لصارمتهـا حتـى يقـال نفاهـا[1]

مأخوذ لفظ البيت الثاني من قول المهلبي الوزير [ من الطويل ] :

تصارمـت الأجفـان منـذ صرمتني فمـا تلتقـي إلاّ علـى عبـرةٍ تجري

وقول الصاحب [ من الخفيف ] :

هـات مشطـاً إلـى وليّك عاجاً فهـو أدنـى إلـى مشيب الرءوسِ
وإذا ما مشطـت عاجـاً بعاجٍ فامشـط الآبنـوس بالآبنوسِ

---

(١) صارمتها : جفتها وقاطعتها .

مأخوذ من قول أبي عثمان الخالدي [ من الخفيف ] :

ورأتني مشطت عاجاً بعاجٍ     فامشط الآبنوس بالآبنوس

وأخذ قوله [ من مجزوء الرجز ] :

فمُ الغويري إذا     فتَّشته أنتن فمْ
كم قلت إذْ كلّمني     وأسفى على الخشمْ[1]

من قول المهلبي الوزير [ من مجزوء الوافر ] :

وإن أبصرت طلعته     فوالهفي على العمش[2]

وأخذ قوله في ابن العميد [ من الطويل ] :

إلى سيدٍ لولاه كان زماننا     وأبناؤه لفظاً عريّاً عن المعنى

من قول المتنبي [ من المنسرح ] :

* والدهر لفظٌ وأنت معناه *

وقوله في القافية الأخيرة [ من الرجز ] :

وناصحٍ أسرف في النكيرِ     يقول لي سدت بلا نظيرِ
فكيف صغت الهجو في حقيرِ     مقداره أقل من نقيرِ[3]
فقلت لا تنكر وكن عذيري     كم صارمٍ جرِّب في خنزيرِ

من قول الحمدوني [ من الطويل ] :

* هبوني امرأً جرّبت سيفي على كلب *

---

(١) الخشم : الأنف تغيّرت رائحته من داء فيه فهو أخشم ، وخشم أنفه : اتسع .
(٢) العمش : ضعف البصر مع سيلان دمع العين .
(٣) النقير : القليل ، والنكتة في ظهر النُّواة .

وقوله في البيت الأخير من هذه الأبيات [ من الكامل ] :

ومهفهفٍ حسن الشمائل أهيفٍ ... تردى النفوس بفترتي عينيهِ[1]
ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي ... فجذبت قلبي من إسار يديهِ
قالوا تراجعه فقلت بديهةً ... قولاً أقيم مع الرويّ عليهِ
والله لا راجعته ولو آنه ... كالشّمس أو كالبّدر أو كبويهِ

مأخوذ من قول ابن المعتز [ من الكامل ] :

والله لا كلَّمتُه ولو أنه ... كالشمس أو كالبدرِ أو كالمكتفي

* * *

## نبذ مما هجي به الصاحب

### *ما زالت الأملاك تُهجى وتُمَدحُ*

قال أبو العلاء الأسدي [ من البسيط] :

إذا رأيت مسجىً في مرقّعةٍ ... يأوي المساجد حرّاً ضرُّه بادي[2]
فاعلمْ بأن الفتى المسكين قد قذفتْ ... به الخطوب إلى لؤم ابن عبادِ

وقال أبو الحسن الغويري [ من السريع ] :

إنْ كانَ إسماعيل لم يدعني ... لأنّ أكل الخبز صعبٌ لديه
فإنّني آكل في منزلي ... إذا دعاني ثم أمضي إليه

(١) فترتي عينيه : ذبول أطرافهما .
(٢) مسجّى : ممدّد .

وقال السّلامي [ من مجزوء الرمل ] :

يا ابـن عبّـادَ بن عبا    سَ بن عبـد الله حرها[1]
تـنـكـر الـخـيـر وأخـرجـــــت إلى الـعـالـم كـرهـا

وقال أبو بكر الخوارزمي [ من السريع ] :

صاحبنـا أحوالـه عاليـه    لكنّمـا غرفته خاليـهْ
وإِنْ عرفـت السـرّ من دائِه    لم تسـأل الله سوى العافيهْ

* * *

## ذكر آخر أمره

لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وانتابته أمراض الكبر ، جعـل ينشد قوله [ من الوافر ] :

أنـاخ الشيب ضيفـاً لم أردهُ    ولـكن لا أطيق له مردّا
رداءٌ للـردى فيه دليلٌ    تردّى من به يومـاً تردّى[2]

ولما كنى المنجمون عما يعرض له في سنة موته قال [ من الرجز ] :

يا مالك الأرواح والأجسامِ    وخالـق النجـوم والأحكـامِ
مـدبّـر الضياء والظلام    لا المشتـري أرجـوه للإِنعام
ولا أخـاف الضـرَّ من بهرام    وإنّمـا النجـوم كالأعـلام
والعلـم عنـد الملك العلاّم    يا رب فاحفظنـي من الأسقام
ووقّنـي حوادث الأيّـام    وهجنـة الأوزار والآثـام

---

(1) حرها : أحراه الزمان أنقصه ،وتحرّاه : تعمّده وطلبه .

(2) الردى : الموت ، وتردّى الأولى بمعنى مات وتردّى الثانية بمعنى ارتدى أي لبس .

هبني لحبٍّ المصطفى المعتام وصنوه وآله الكرام[1]

وكتب بخطه على تحويل السنة التي دلت على انقضاء عمره [ من الطويل ] :

أرى سنتي قد ضمِّنت بعجائب وربّيَ يكفيني جميع النوائب
ويدفع عنّي ما أخاف بمنّةٍ ويؤمن ما قد خوّفوا من عواقبِ
إذا كان من أجرى الكواب أمرُهُ معيني فما أخشى صروف الكواكب
عليك أيا ربّ السماء توكّلي فحطنيَ من شرِّ الخطوب الحوارب
وكم سنةٍ حذّرتها فتزحزحتْ بخيرٍ وإقبالٍ وجدٍّ مصاحب
ومَنْ أضمرَ اللهم سوءاً لمهجتي فردّ عليه الكيد أخيب خائب
فلست أريد السوء بالناس إنّما أريد بهم خيراً مريع الجوانب[2]
وأدفع عن أموالهم ونفوسهمْ بجدّي وجهدي باذلاً للمواهب
ومن لم يسعه ذاك منّي فإنّني سأكفاه إنّ الله أغلبُ غالب

وبلغته عن بعض أصحابه شماتة فقال [ من الطويل ] :

وكم شامتٍ بي بعد موتي جاهلاً بظلمي يسلُّ السّيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله من الظُّلم بعدي مات قبل مماتي

ووجد في بعض أيام مرضته التي توفي فيها خفة ، فأذن للناس ، وحل وعقد وأمر ونهى ، وأملى كتباً تعجب الحاضرون من حسنها ، وفرط بلاغتها ، وقال [ من مجزوء الرجز ] :

كلامنا من غررٍ وعيشنا من غررِ
إنّي وحقٍّ خالقي على جناح السفرِ

---

(١) المعتام : أفضل الخلق .
(٢) المريع : الهنيء الناعم الخصب .

ثم لما كانت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة انتقل إلى جوار ربه ومحل عفوه وكرامته ، ومضى من الدنيا بمضيه رونق حسنها وتاريخ فضلها ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه بمنه وكرمه !! .

* * *

## أنموذج من مراثيه

من قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني تغمّده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ! [ من البسيط ] :

يا كافيَ الملك ما وفّيتُ حظّك مِنْ ... وصفٍ وإن طال تمجيدٌ وتأبينُ
فتّ الصفات فما يرثيك من أحدٍ ... إلاّ وتزيينه إيّاك تهجينُ
ما متّ وحدك لكنْ مات من ولدتْ ... حواءُ طرّاً، بل الدنيا ، بل الدّينُ
هذي نواعي العلا مذْ متّ نادبةً ... من بعد ما ندبتك الخرَّد العين[1]
تبكي عليك العطايا والصّلات كما ... تبكي عليك الرعايا والسّلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقعدهم ... فاستيقظوا بعد ما متّ الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن همُ انتشروا ... مضى سليمان وانحلّ الشياطين

ما أحسن هذا المثل ، وأمكن موقعه !!

ومن قصيدة أبي الفرح بن ميسرة [ من الوافر ] :

ولو قُبلَ الفداءُ لكان يفدى ... وإن جلّ المصاب على التّفادي
ولكنَّ المنون لها عيونٌ ... تكدُّ لحاظها في الانتقاد
فقلْ للدّهر أنت أصبت فالبسْ ... برغمك دوننا ثوبي حِداد
إذا قدّمتَ خاتمة الرزايا ... فقد عرّضتَ سوقك للكساد

---

(١) الخرّد : العذراوات .

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [ من الطويل ] :

أبعد ابن عباس يهش إلى السّرى أخو أمل أو يستماح جوادُ[1]
أبى الله إلاّ أن يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معادُ

ومن قصيدة أبي الفياض سعيد بن أحمد الطبري [ من الوافر ] :

خليليْ كيف يقبلك المقيل ودهرك لا يُقيل ولا يَقيل[2]
ينادي كلّ يوم في بنيه ألا هبّوا فقد جدَّ الرحيلُ
وهم رجلان منتظرٌ غفولٌ ومبتدرٌ إذا يدعى عجول
كأنّ مثال من يفنى ويبقى رعيلٌ سوف يتلوه رعيل
فهمْ ركبٌ وليس لهم ركابٌ وهمْ سفرٌ وليس لهمْ قفول
تدور عليهمُ كأس المنايا كما دارت على الشَّرب الشمول[3]
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ولكن ليس يقدمهم دليل
ألم تر من مضى من أولّينا وغالتهم من الأيام غول
قد احتالوا فما دفع الحويلُ وأعولنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أعمارٌ تزول وأحوالٌ تحول ولا تؤول
لنا منه وإن عفنا وخفنا رسولٌ لا يصاب لديه سول
وقد وضح السبيل فما لخلقٍ إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنّه أمدٌ قصيرٌ ولكنْ دونه أمدٌ طويل
أرى الإسلام أسلمه بنوه وأسلمهم إلى ولهٍ يهول
أرى شمس النهار تكاد تخبو كأنّ شعاعها طرْفٌ كليل

(١) السُّرى : المسير ليلاً ، ويستماح : يطلب جوده وسماحه .
(٢) يقيل : يريح ، ويَقيل : يُقيل ويميل .
(٣) المنايا : الموت ، والشمول : الخمرة .

أرى القمـر المنير بدا ضئيلاً    بلا نورٍ فأضناه النّحول
أرى زهـر النجـوم محدّقاتٍ    كأنّ سراتها عورٌ وحول[1]
أرى وجـه الزمـان وكلّ وجهٍ    بـه ممّا يكابـده فلول
أرى شمّ الجبـال لهـا وجيبٌ    تكاد تذوب منـه أو تزول[2]
وهـذا الجـوّ أكلفُ مقشعرٌ    كأنّ الجـوّ من كمـدٍ عليل[3]
وهـذي الـريح أطيبهـا سمومٌ    إذا هبّـت وأعذبهـا بليل
وللسحـب الغـزار بكلّ فجٍ    دمـوعٌ لا يذاد بهـا المحول
نعـى الناعـي إلـى الـدنيا فتاها    أميـن الله فالـدنيا ثكـول
نعـى كافـي الكفـاة فكلّ حرٍّ    عزيزٌ بعـد مصرعـه ذليلُ
نعـي كهف العفـاة فكلّ عينٍ    بمـا تقـذى العيون به كحيل[4]
كأنّ نسيم تربتـه سحيراً    نسيم الـروض تقبلـه القبول
إذا وافـى أنـوف الـركب قالوا    سحيق المسـك أم تربٌ مهيل
أيا قمـر المـكارم والمعالي    أبِـنْ لي كيف عاجلك الأفول
أبِـنْ لي كيف هالك ما يهول    وغـالك بعـد عزّك ما يغول
ويا من ساسَ أشتـات البرايا    وألجـم من يقـول ومـن يصولُ
أدلـتَ علـى اللّيالـي من شكاها    وقد جارت عليك فمن يـديـل[5]
بكاك الـدّين والـدّنيـا جميعاً    وأهلهمـا كمـا يُبـكى الحمول[6]
بكتـك البيض والسمـر المواضي    وكنـت تعولهـا فيمـن تعول

---

(١) زهر النجوم : بيضهنّ ، ومحدّقات : ناظرات .
(٢) الوجيب : الخفقان والاضطراب .
(٣) أكلفُ : تغيَّر لونه وتكدّر .
(٤) القذى : ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .
(٥) أدلت : أظفرت ، ويديل يعين .
(٦) الحمول : الميت الذي يحمل .

بكتـك الخيل معولـةً ولكنْ بكاهـا حين تندبـك الصهيل
قلـوب العـالمين عليك قلبٌ وحظّـك مـن بكائهـم قليل
ولـي قلـبٌ لصاحبـه وفيٌّ يسيل وتحتـه روحٌ تسيل
إذا نظمـت يدي في الطّـرس بيتاً مجـاه منـه منتظـمٌ هطول
فإن يك ركٌّ شعـري من ذهولي فذلك بعض ما يجنـي الذهول[1]
كتبـت بمـا بكيت لأن دمعي عليك الدهـر فياضٌ همول[2]
وكنـت أعـدّ من روحـي فداءً لروحـك إن أريد لهـا بديل
أأحيا بعـده وأقـرُّ عيناً حياتـي بعـده هدرٌ غلول
حياتـي بعـده موتٌ وحيٌّ وعيشـي بعـده سمٌّ قتول[3]
عليك صلاة ربّـك كلَّ حينٍ تهـبُّ بهـا من الخلـد القبول

ومن قصيدة الشريف أبي الحسن الرضي الموسوي النقيب [ من الكامل ] :

أكذا المنـون يقطـر الأبطالا أكذا الزمـان يضعضـع الأجبالا
أكذا تصـاب الأسـد وهـي مدلّةٌ تحمـي الشبّـول وتمنع الأغيالا
أكذا تقـام عن الفـرائس بعدما ملأت هماهمهـا الـورى أوجـالا[4]
أكذا تحـطّ الزاهـرات عن العلا من بعـد ما شاق العيون منالا
أكذا تكبّ البـزل وهـي مصاعبٌ تطـوي البعيد وتحمـل الأثقالا
أكذا تغـاض الزاخـرات وقـد طغتْ لججـاً وأوردت الظمـاءَ زلالا[5]
يا طالـب المعـروف حلّـقَ نجمه حـطَّ الحمـول وعطِّـلَ الأجمالا

---

(١) ركّ : من الركاكة أي ضعف .
(٢) همول : ممطر .
(٣) موت وحيٌّ : بفتح الواو وتشديد الياء أي سريع .
(٤) هماهما : زئيرها وأصواتها ، وأوجالاً : خوفاً .
(٥) الزلال : الماء البارد المنعش .

وأقم على يأسٍ فقد ذهب الذي كان الأنام على نداه عيالا
من كان يقري الجهل علماً ثاقباً والنقص فضلاً والرجاء نوالا
ويجبِّنُ الشجعان دون لقائه يوم الوغى ويشجّع السؤآلا
خلع الردى ذاك الرداء نفاسةً عنّا وقلّص ذلك السربالا
خبرٌ تمخّض بالأجنة ذكره قبل اليقين وأسلف البلبالا
حتى إذا جلّى الظنون يقينه صدع القلوب وأسقط الأحمالا
الشكُّ أبرد للحشى في مثله يا ليت شكّي فيه دام وطالا
جبلٌ تسنَّمتِ البلاد هضابه حتّى إذا ملأ الأقالم زالا
يا طودُ كيف وأنت عاديّ الذّرى ألقى بجانبك الردّى زلزالا[1]
ما كنت أوّل كوكبٍ ترك الدّنا وسما إلى نظرائه فتعالى[2]
أنفاً من الدنيا تبتُّ حبالها ونزعت عنك قميصها الأسمالا[3]
لا رزء أعظم من مصابك إنّه وَصَلَ الدّموع وقطَّع الأوصالا
إنْ قطّع الآمال منك فإنّهُ من بعد يومك قطَّع الآمالا
يا آمر الأقدار كيف أطعتها أو ما وقاك جلالك الآجالا
هلاً أقالتك الليالي عثرةً يا منْ إذا عثر الزّمان أقالا[4]
وأرى الليالي طارحاتُ حبالها تستوهقُ الأعيان والأرذالا[5]
يبرين عود النّبع غير فوارقٍ بين النّبات كما برين الضالا[6]
لا تأمن الدنيا عليك فإنّها ذات البعول تبدّل الأبدالا

(١) الطود : الجبل : وعاديّ الذرى : قديمها ومنيعها .
(٢) نظرائه : أشباهه .
(٣) تبتّ : تقطع ، والأسمال : الثياب البالية .
(٤) أقال : حمى ومنع .
(٥) الوهق : محركة وبسكن : الحبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان، واستوهق: صنع الوهق ، وأراد هنا معنى اصطاد .
(٦) النبع شجر ، والضالا : الضّلل : الماء الجاري تحت الشجر .

كم حجةٍ في الدين خضت غمارها ... هدر الفنيق تخمّطا وصيالا[1]
بسنان رمحك أو لسانك موسعاً ... طعناً يشقُّ على العدى وجدالا
إن نكّس الإسلام بعدك رأسه ... فلقد رزى بك موئلاً ومآلا
واهاً على الأقلام بعدك إنّها ... لم ترضَ بعد بنان كفّك آلا
أفقدن منك شجاع كلّ بلاغةٍ ... إنْ قال جلّى في المقال وجالا
من لو يشا طعن العدى برءوسها ... وأثار من جريانها قسطالا[2]
سلطان ملكٍ كنت أنت تعزُّهُ ... ولربَّ سلطانٍ أعزُّ رجالا
إنّ المشمِّر ذيله لك خيفةً ... أرخى وجرّر بعدك الأذيالا[3]
طلبوا التراث فلم يروا من بعده ... إلاّ علاً وفضائلاً وجلالا
هيهاتَ فاتهُمُ تراثُ مخاطرٍ ... جمع الثّناء وضيّع الأموالا
قد كان أعرف بالزمان وصرفِهِ ... من أن يثمِّرَ أو يجمِّع مالا
مفتاحُ كلِّ ندىً ، وربّ معاشرٍ ... كانوا على أموالهِمْ أقفالا
كان الغريبة في الزّمان فأصبحوا ... من بعد غارب نجمه أمثالا
من فاعلٌ من بعده كفعاله ... أو قائلٌ من بعده ما قالا
سمِعٌ يرفّع للسؤال سجوفَهُ ... ويحجّب الأهزاج والأرمالا[4]
يا طالباً من ذا الزمان شبيهه ... هيهات كلّفت الزّمان محالا
إنّ الزمان أضنُّ بعد وفاته ... من أن يعيد لمثله أشكالا
وأرى الكمال جنى عليه لأنّه ... غرضُ النوائب من أُعيرَ كمالا
صلى الإلّه عليك من متوسدٍ ... بعد المهاد جنادلاً ورمالا
كسف البلى ذاك الهلال المجتلى ... وأجرّ ، ذاك المقول الجوالا

---

(١) التخمّط : الهدير، والصيال : المصاولة .

(٢) القسطل : غبار الجيش الكثيف .

(٣) جرّر الأذيال : تاه زهواً وعجباً .

(٤) السجوف : الستائر ، والأهزاج والأرمال من الهزج والرمل ـ وهما وزنان من أوزان الشعر .

ورأيت كلّ مطيةٍ قد بُدِّلتْ ... من بعد يومك بالزّمام عقالا
لمن الضوامر عرّيت أمطاؤها ... حول الخيام تنازع الأطوالا[1]
بدِّلن من لبس الشكيم مقاوداً ... مربوطةً ومن السروج جلالا[2]
فجعت بمنصلتٍ يعرِّض للقنا ... أعناقها ويحصن الأكفالا
طرح الرجال لك العمائم حسرةً ... لما رأوك تسير أو إجلالا
قالوا وقد فجئوا بنعشك سائراً ... من ميِّل الجبل العظيم فمالا
وتبادروا عطَّ الجيوب وعاجلوا ... عضَّ الأنامل يمنة وشمالا[3]
ما شقّقوا إلاَّ كساك وآلموا ... إلاّ أنامل نلن منك سجالا[4]
من ذا يكون معوّضاً ما مزقوا ... ومعوّلاً لمؤمّلٍ وثمالا
فرغت أكفٌّ من نوالك بعدها ... وأطال عظمُ مصابك الأشغالا
أعزز عليَّ بأنْ يبدّل زائرٌ ... بعد التهلّل عندك استهلالا
أو أن يناديك الصريخ لكربةٍ ... حشدت عليه فلا تحير مقالا[5]
قد كنت آمل أن أراك فأجتني ... فضلاً إذا غيري جنى أفضالا
وأفيد سمعك منطقي وفضائلي ... وتفيدني أيّامُك الإقبالا
وأعدُّ منك لريب دهري جنَّةً ... تثني جنود خطوبه فلاّلا[6]
فطواك دهرك طيَّ غير صيانةٍ ... وأعاد أعلام العلا أغفالا
قبرٌ بأعلى الريِّ شُقَّ ضريحه ... لأغرَّ حفّزه الرّدى إعجالا
فرعاه من أرعى البرية سيبه ... وسقاه من أسقى به الآمالا
إنْ يمسِ موعظة الأنام فطالما ... أمسى مهاباً للورى ومهالا

---

(١) الأطوال : أي الحبال المربوطة بها .
(٢) الشكيم : جمع شكيمة ، وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .
(٣) عطّ الثوب : شقّه .
(٤) سجالا : عطاءً وكرماً .
(٥) الصريخ : المستغيث .
(٦) الجنّة : الدرع ، وفلاّلا : منهزمين ، وفلّ السيف : تصدع وتشقق .

لنسلّي الدنيا عليه فإنّها نزعت به الإحسان والإجمالا

ولأبي العباس الضبي وقد مر بباب الصاحب [ من الخفيف ] :

أيها الباب لم علاك اكتئابُ أين ذاك الحجابُ والحجّابُ ؟

أين من كان يفزع الدهر منه فهو اليوم في التراب تراب ؟!

ولبعض بني المنجم لما استوزر أبو العباس الضبيّ ولقب بالرئيس وضم إليه أبو علي ولقب بالجليل بعد موت الصاحب تغمده الله برحمته آمين [ من البسيط ] :

والله والله لا أفلحتُمُ أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس

إن جاء منكُمْ جليلٌ فاجلبوا أجلي أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسي

وأنشدني أبو العباس العلوي الهمذاني الوصي لنفسه في مرثية الصاحب [ من مجزوء الكامل ] :

مات الموالي والمحبّ لأهل بيت أبي ترابِ

قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع الترابِ

وأنشدني أيضاً فيه لنفسه [ من الكامل ] :

نومُ العيون على الجفون حرام ودموعهنّ مع الدماء سجام[1]

تبكي الوزير سليل عبّاد العُلا والدّين والقرآن والإسلام[2]

تبكيه مكّة والمشاعرُ كلّها وحجيجها والنُّسك والإحرام

تبكيه طيبة والرسول ومن بها وعقيقها والسهل والأعلام[3]

كافي الكفاة قضى حميداً نحبه ذاك الإمام السيد الضرغام

(١) سجام : من سجم الدمع أي ذرفه .

(٢) العلا : فاعل تبكي ، وحذف التنوين من « عباد » لإقامة الوزن .

(٣) طيبة : المدينة المنورة .

مات المعالـي والعلـوم بموته فعلى المعالـي والعلـوم سلام

ولبعض أهل نيسابور من قصيدة [ من الهزج ] :

ألا يـا غـرّة العليـا ألا يـا نكبـة الدّنيـا

وشـمـس الأرض فـرد الـدهـر عيـن السـؤدد اليمنـى

أمـا اسـتحيا أبـو يحيى لفضّ المهجـة الكبرى

لئِـنْ ختمـتْ بك الدنيا لقـد فتحـت بك الأخرى

* * *



# الباب الرابع

## ١٧ - في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبّي
## وملح من نثره ونظمه

هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم ، ونهر من بحره ، وخليفته النائب منابه في حياته ، القائم مقامه بعد وفاته ، وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا ، واجتمع له الرأي والهوى ، فاصطنعه لنفسه ، وأدّبه بآدابه ، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه ، وخرج به صدراً يملأ الصدور كمالا ، ويجري في طريقه ترسّماً وترسلاً ، وفي ذرى المعالي توقلا ، وتحقق قول أبي محمد الخازن فيه من قصيدة [ من المنسرح ] :

تزهى بأترابها كما زهيتْ ضبّة بالماجدين ماجدها
سماؤها شمسها غمامتها هلالها بدرها عطاردها
يروى كتاب الفخار أجمع عن كافي كفاة الورى وواحدها

وقوله فيه من أخرى [ من البسيط ] :

نماه ضبّة في أزكى مناصبه فخراً وأوطاه الشعرى وأمطاه[1]
يعطي ويخفي ولا يبغي الثناء به حتى كأنّ الذي أعطاه غطّاه
يسير يوم الوغى والدّهر يقدمه كأنّما الدّهر أيضاً من سراياه

---

(١) نماه : أي أنّه ينتمي إلى أعرق بيت في ضبّة، وأوطأه :أي جعله يطأ ، وأمطاه جعله يمتطي صهوة الشرف فيها .

وإن بدا أحيت الآمال طلعته ... حتّى تقدَّر محياها محيَّاه
ومَنْ يوالي ابن عبّادٍ مخالصةً ... يحزْ سعادة دنياه وأخراه
فما الصّنائع إلاَّ ما تخيَّره ... وما الودائع إلاّ ما تولاّه
فاسلمْ ودمْ أيّها الأستاذ مبتهجاً ... وخذْ من العيش أصفاه وأضفاه
فقد تقيّلت في الجدوى معالمه ... كما توخّيت في الجلّى قضاياه[1]

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابي ، بقيت متماسكة بأبي العباس وأشرفت على التهافت بموته ، وكادت تشيب بعده لمم الأقلام ، وتجف غدر محاسن الكلام[2] ، لولا أن الله تعالى سد ببقاء الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد ثلم الأدب والكتابة[3] ، وداوى بالدفاع عن نفسه كلم البلاغة والبراعة . وجعله فرد الزمان ، ولسان خراسان، وكافل يتم الفضل ، ومنفق سوق النثر والنظم . وسيمر بك في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله من نثره الذي هو نثر الورد ، ونظمه الذي هو نظم العقد ، ما ينير به الليل المظلم ، وينصف به الدهر الظالم .

* * *

## لمع من نثر أبي العباس

## فصل من كتاب له في الصاحب في ذكر أحمد بن عضد الدولة

وكنت أستحضر كاتبه ، بل كاذبه ، وأحذره سراً ، وأبصره جهراً ، وهو يروغ روغان الثعالب ، ويتفادى تفادي الموارب ، وقد كنت منعت المستأمنة

---

(١) تقيّلت : تتبّعت، والجلّى : العظيم من الأمور .
(٢) غُدُر : جمع غدير حيث يجتمع الماء .
(٣) الثلم : النقص والعيب .

والمنهزمة أول مورده ، من تكثير عدده ، علماً بأنهم مؤن بلا منن ، وعناء بلا غنى .

## فصل له من كتاب إلى أبي سعيد الشيبي

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، في شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وبعد ، فإنّ المنازعين للأمير حسام الدولة نسور ، قد اقتنصتها العصور ودولته حرسها الله في إبان شبابها واعتدالها ، وريعان إقبالها واقتبالها . قد أسست على صلاح وسداد ، وعمارة دنيا ومعاد . فهي مؤذنة بالدوام ، في ظلّ أساورة الإسلام .

( ومنها ) فبينا نحن في تجهيز الخيول ليوصل إلى إيثاره ، ويؤخذ له بثاره إذ جنّ . فقلب لنا المجنّ[1] ، ثم لم يقنعه العصيان والكفران حتى أراد الاستيلاء على البلد ، والجناية على النفوس والأهل والولد ، ونظر إليّ فقال : كاتب ، لا منازع ومحارب ، نعم وقال من يشجع من الديلم لهز الزانة في صدري[2] وتجريد السيف في وجهي ، ولم يدر أن دولة مولانا لو أنكرت الفلك لكفته عن مجراه ، وأن تدبير الصاحب لو رصد النجم لصده عن مسراه ، وأنه مصطنعي ، فلم يعتمدني لأعظم الأمور ، وأهم الثغور ، إلا وقد زرع في أرض تريع ، ووكل السرح إلى من لا يضيع .

---

(١) المجن : الترس .

(٢) لهز الزانة : اللهز : الطعن، والزانة : من الزان وهو شجر طويل مستقيم الجذع ، ويقصد بها « الرمح » .

## فصل من كتاب له إلى أبي علي وأبي القاسم العلويين في التعزية عن أبيهما أبي الحسين بن أبي محمد رضي الله تعالى عنهم !

كتابي ـ أطال الله بقاء الشريفين ـ والدهر ينعي مهجته ، والمجد يندب بهجته ، والشرف محصور في قبضة حينه ، والفضل مفجوع بناظر عينه ، والذكر الجميل مجدّل لمصرعه ، والخلق الوسيع موسّد في مضجعه ، ورسم المحاسن داثر عاف ، وشخص المكارم حاسر حاف . ومهابط الوحي والرسالة تحني ظهرها أسفاً ، ومعادن الوصية والإمامة تذري دمعها لهفا ؛ وبقاع الحرمين متسلية على نجمها الآفل ، ولابسة ثوب الحداد لركنها المائل ، ويد المواساة مقبوضة عن معونة العاني الذليل[1] ، ولسان الجود معتذر إلى ابن السبيل ، وطوائف العفاة تبكي العيش الرطيب والربع الرحيب . والمشارع المعصومة من درن الضنٍّ ، والموارد المحروسة من كدر المنٍّ ، وذوو الحاجات في حسرات مجددة ، وزفرات مرددة ، قد أقامت منهم حانية الضلوع ، وأطارت عنهم قلوباً دامية الصدوع . وبنو الآمال عابسة وجوههم ، منكسة رءوسهم « يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم » ذلك لأن حادث قضاء الله ـ جل وجهه ـ استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروة ، وعصرة العدد الجم[2] ، ونجدة أهل العلم والفهم ، فالدموع واكفة[3] ، والصدور راجفة ، والهم وارد ، والأنس شارد ، والناس مأتمهم عليه واحد ، ومعاقد الصبر الجميل بعده منقوضة ، وقواعد البر والخير مخفوضة . فلولا أن الدهر مشحون بطوارق الغِيَرْ ، مشوب صفو أيامه بالكدر ، ممزوج صابها بالعسل[4] ، موصول

---

(١) العاني : المحتاج والمعدم .

(٢) وعصرة العدد الجمّ : أي الزّبد المستخرج من الكثير بعد مخاضٍ واعتمال كناية عن الشرف وعدم المماثلة والشبه .

(٣) واكفة : هاطلة .

(٤) الصاب : المرّ .

حبال الأمل فيها بأسباب الأجل يفطم أمام تكامل الرضاع ، ويفرق قبل الإمتاع بحسن الاجتماع . فمن اعتصم بتوفيق الله عز اسمه ، ورضي بما نفذ به حكمه . لبس في وجوه الحوادث جنة ، لا تنضوها الشدائد ، وأكد في مصابرة النوائب منة ، لا تنقضها الخطوب الأوابد . وأخذ في الصدمة الأولى بالحزم ، وذخيرة العزم ، ففاز بالغنم الأكبر ، والحظ الأشرف الأوفر ، ومن اتبع هواه ، وأرتع دينه لدنياه ، فتهالك في القلق المذموم ، وتقاعس عن الرضى بالقدر المحتوم ، ظهر في شعار المستكبرين على الله ، والمنكرين التأدب بأدب الله فعظم مصابه ، وعدم ثوابه ، وكان إلى الصبر بعد اقتران الوزر مآله ومآبه ، لأريت المحققين برعاية المعهود ، وتأبين الحبيب المفقود ، كيف تتحمل الأرزاء ، ويحرم العزاء ، ويطاع داعي الوله ، ويراع جانب القلب المرفه .

( ومنها ) وعرف كل من ورد وصدر ، وبدأ وحضر ، أن من قبض فاستوحش الأنس بمفارقته ، واستبشرت الملائكة لمرافقته ، وكان مثل الشريفين ريحانة روضه ، والبارد العذب من فيضه ، والثمر الحلو من دوحته ، والورق النضر من نبعته ، والشاهد العدل لمآثره ، والمشيد الندب لمناقبه ومفاخره ، فهو في حكم الخالد وإن أصبح فانياً ، والمقيم في أهله وإن أضحى بالعراء ناوياً ، عزيت الشريفين أدام الله تعالى عزهما ، عما ألم بساحتهما من الخطب ، ولسان جزعي أنطق ، وعرضت لهما بواجب السلو ، وحاجتي إلى من يصرح لي به أصدق ، ولكني جريت على سنة للدين محمودة ، وعادة بين الأحباب معهودة ، تركت أفراد كل من الأشراف سادتي إخوة الشريفين ، حرس الله عليهم ما خولهم من كرم محض ، وخلق غضّ ، وأحسن متاع بعضهم ببعض ، بالمخاطبة فيما اقتضاه حكم الحادثة ، إذ كانت فروعهم بإذن الله متشابكة ، ونفوسهم في السرّاء والضراء متشاركة ، وقلوبهم على الصفاء متعاقدة ، ومهجاتهم ـ لا زالت مصونة ـ مهجة واحدة .

* * *

## ملح من نظمه

قال [ من الوافر ] :

ترفَّـق أيُّهـا المولـى بعبدٍ ... فقـد فتنـت لواحظـك النّفوسا
وأسـكرت العقـول فليس ندري ... أسحـراً ما تسقّـي أم كؤوساً

وقال وهو مما يتغنى به [ من الوافر ] :

ألا يا ليت شعـري ما مرادكْ ... فقلبـي قد أضـرّ به بعادكْ
وأيُّ محاسـنٍ لك قد سباني ... جمـالك أم كمـالك أم ودادكْ
وأيُّ ثلاثـة أوفـى سواداً ... أخـالك أم عذارك أم فؤادكْ

وقال [ من مجزوء الكامل ] :

لا تركنـنَّ إلـى الفـرا ... ق فإنّـه مـرُّ المـذاق
الشـمس عنـد غروبهـا ... تصـفـرُّ من فرق الفراق[1]

وكتب إلى الصاحب [ من الطويل ] :

أكافـي كفـاة الأرض ملـكك خالدٌ ... وعـزُّك موصـولٌ فأعظِـمْ بهـا نُعمى
نثـرت علـى القرطـاس درّاً مبدّداً ... وآخـر نظمـاً قد فرعـت به النجما[2]
جواهـر لو كانـت جواهـر نظّمت ... ولكنّهـا الأعـراض لا تقبـل النظما

وقال في وصف الدجاج وهو المسمى بالفارسية سنكين سر [ من المتقارب ] :

وطيرين قد ألفـا مرقدي ... نديمين لي فيـه حتّـى الصباح

---

(١) الفرق : الخوف .

(٢) فرعت : ثقبت وسلكت النجوم في سلكه .

أرى من وشائع متنهيما نجوماً مرصّعة في وشاح[1]
وسرّي عندهما لا يذيع ولا خوف واشٍ ولا خوف لاح
يسرّانني بصفيريهما خفيفين عند انتشار الجناح
صفيرٌ يعيد شريد الرّقاد وشجو يحثُّ على شرب راح
سقى بلد الهند مغناهما سماءً من المزن غمر السماح
ولا زال وكراهما عامرين بنسلٍ مباحٍ وخيرٍ متاح

ومما قرأته بخطه في الأوصاف والتشبيهات من شعره ، وكان أنفذه إلى أبي سعيد نصر بن يعقوب ، ليضمنه كتابه كتاب « روائع التوجيهات ، في بدائع التشبيهات » ، قوله في الثريا ، وهو مسبوق إليه قديما [ من مجزوء الرجز ] :

خِلْتُ الثريّا إذ بدتْ طالعةً في الحندس[2]
سنبلةً من لؤلؤ أو باقةً من نرجس

وقوله فيها [ من مجزوء الرجز ] :

إذا الثريّا اعترضتْ عند طلوع الفجر
حسبتها لامعةً سنبلةً من درٍّ

وقوله في قصر الليل [ من مجزوء الرجز ] :

وليلةٍ أقصر منْ فكريَ في مقدارها
بدت لعيني وانجلتْ عذراء من قرارها

وقوله في طول الليل [ من مجزوء الخفيف ] :

ربَّ ليلٍ سهرته مفكّراً في امتداده

---

(١) الوشائع : جمع وشيعة ، وهي الأعلام والنقوش .
(٢) الحندس : الظلام .

كلّما زدت رعيه زادني من سواده
فتبيّنت أنّه تائهٌ في رقاده
أو تفانت نجومه فبدا في حداده

وقوله في الأترج [ من الكامل ] :

أو ما ترى الأترج منضوداً لنا     سطراً كأشخاصٍ جثون على الركبْ
وكأنّما أجسادها وجسادها     صور السلاحف قد صنعن من الذهبْ

وقوله في النمام [ من السريع ] :

قلت لمن أحضرني زهرةً     ومجلسي بالأنس بسّامُ
وقرّة العينين نيل المنى     عندي ولا سامٌ ولا حام
تجنّب النمام لا تجنه     فإنما النّمام نمّامُ[1]
أخشى علينا العين من أعينٍ     يبعثها بالسوء أقوام

وقوله في الشيب [ من مجزوء الكامل ] :

قالوا اكتهلت فقلت ليلُ لابسٌ برديّ نهار
هل حسن كافورٍ كمسكٍ في حكومة ذي اعتبار
وشهوبةٌ في عنبرٍ كشبيبة في لون قار[2]
وفضيلةٌ للشّيب أخرى وهي أبّهة الوقار

أين هذا من قول البحتري [ من الخفيف ] :

وبياض البازيِّ أصدق حسناً     إن تأملت من سواد الغراب

---

(١) النمّام : نوع من الزّهر، والنمّام : الواشي .

(٢) الشهوبة : البياض الذي غلب عليه ، والقار : الأسود السواد .

وكتب إلى أبي مسلم محمد بن الحسن [ من الخفيف ] :

يـا أبـا مسلـمٍ سلمت علـى الـدهـر خديـن العـلا أميـن الجليـس[1]
بعـض إخواننـا تشهّـى علينا كرمـاً منـه مستطـاب الهريس
وقـديد السكبـاج بالأكبـر العذ ب ومغمـومـةٌ منّـي للجليس
واتخذنـا الجميع وهـي كمـا تذ كر نعـم الفـراش للخندريس[2]
وإذا شئـت أن تساعـد فيها كنـت فينـا الـرئيس وابـن الرئيس

* * *

(١) الخدين : الصديق .

(٢) الخندريس : الخمر مشتقٌ من الخدرسة ، وحنطةٌ خندريس : أي قديمة .



# الباب الخامس

## في محاسن أشعار أهل العصر من إصبهان

لم تزل إصبهان مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء ، وفحولة الكتاب والشعراء ، فلما أخرجت الصاحب أبا القاسم وكثيراً من أصحابه وصنائعه . وصارت مركز عزه ، ومجمع ندمائه ، ومطرح زواره ، استحقت أن تدعى مثابة الفضل ، وموسم الأدب ، وإذا تصفحت كتاب إصبهان لأبي عبد الله حمزة بن الحسين الإصبهاني وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها وشعراء الكرخ المقطعة عنها ، وسياقة عيون أشعارهم ، وملح أخبارهم ، كمنصور بن باذان ، وأبي دلف العجلي ، وأخيه معقل بن عيسى ، وبكر بن عبد العزيز ، وأحمد بن علويه ، والنضر بن مالك ، وعلي بن المهلب ، وأبي نجدة ، وأحمد ابن القاسم الديمرتي ، وأبي عبد الله تاج الكاتب ، وسهلان بن كوفي ، وصالح ابن أبي صالح ، وأحمد بن واضح ، ومحمد بن عبد الله بن كثير ، وعبد الرحمن ابن مندويه ، وأبي بكر بن بشرويه ، وابن زرويه ، وأبي الهدهد ، وأبي قتيبة ، ومحمد بن غالب ، والحسن بن إسحاق بن محارب ، وأبي بكر الزبيري ، وأبي علي بن رستم ، وأبي مسلم بن بحر ، وأبي الحسين بن طباطبا ، وابن كره ، والنوشجان بن عبد المسيح ، وعلي بن حمزة بن عمارة، وإبراهيم بن سيارة الكادوسي ، وأبي جعفر بن أبي الأسود ، وأبي سعد بن نوفة ، وأبي العباس بن أحمد بن معمر ، وأبي عمرو همام ، وأبي سوادة ، وأبي القاسم بن أبي سعد ،

وغيرهم ، ثم تأملت هذا الباب من كتابي هذا ، وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها العصريين وغرر كلامهم، كعبدان الإصبهاني المعروف بالخوزي ، وأبي سعيد الرستمي ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن ، وأبي العلاء الأسدي ، وأبي الحسن الغويري ـ حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها ، وصحة ترتبها ، وعذوبة مائها ، في طباع أهلها ، وعقول أنشائها ، وأرجع إلى المتن فقد طال الإسناد ، ولا يكاد الكلام ينتهي حتى ينتهي عنه .

* * *

## ١٨ ـ عبدان الإصبهاني ، المعروف بالخوزي

هو على سياقة المولدين[١] ، وفي مقدمة العصريين ، خفيف روح الشعر ، ظريف الجملة والتفصيل ، كثير الملح والظرف ، يقول في الخضاب ما لم أسمع أحسن منه ، ولا أظرف، ولا أعذب منه ، ولا أخف [ من الخفيف ] :

في مشيبي شماتةٌ لعداتي ... وهو ناعٍ منغِّصٌ لحياتي
ويعيب الخضاب قومٌ وفيه ... لي أنسٌ إلى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر منّي ... ما به رمت خلّة الغانيات
إنّما رمت أن أُغيِّبُ عنّي ... ما ترينيه كلَّ يومٍ مراتي[٢]
فهو ناعٍ إليَّ نفسي ومن ذا ... سرَّه أن يرى وجوه النعاة

وكان خفيف الحال ، متخلف المعيشة ، قاعداً تحت قول أبي الشيص [ من الكامل ] :

---

(١) المولّدين : مبتكري المعاني من الشعراء .
(٢) يريد مرآتي .

لا تنكري صدّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزّمان براضي

وهو القائل [ من الخفيف ] :

قلت للدهر من فضولي قولاً وَحَدَاني عليه طيبُ الأماني
أتراني بخلعةٍ أنا أحيا ذات يومٍ وفاخر الحملان
قال هيهات أنت والنحس تربا ن وقد كنتما رضيعيْ لبان[1]
لا تؤمل ركوب متنٍ سوى النعش ولا خلعةٍ سوى الأكفان

وله من أبيات [ من الوافر ] :

تكلّفني التصبُّر والتسلّي وهل يسطاع إلاّ المستطاع
وقالوا قسمةٌ نزلت بعدلٍ فقلنا ليته جورٌ مشاع

وقال أيضاً [ من الوافر ] :

تعيبُ الغانيات عليَّ شيبي وتخفي شيبها عنّي المقانعْ
وقال لي العذول تعزّ عنها وإلاَّ فانظرنْ ما أنت صانعْ
فقلت له متى قدّمت خيراً وأيراً بعده ليست تمانعْ

وله من كلمة [ من السريع ] :

هيهات نجمي آفلٌ شاردُ ولَّى فما يخرق أبراجه
أظلّ أخفي حججاً أدبرت والسبع والسبعون محتاجه
وشرُّ أيّام الفتى آخرٌ فيه يسمّى للشقاء خواجه[2]

وله :

(١) الترب : الرفيق من عمرٍ واحد ، واللبان أي الصدر أو لبن الصدر .
(٢) كذا ، وعجزه غير مستقيم الوزن مع باقي الأبيات .

أللشيب تخشى من ملال خرائدٍ ... وهنّ لعلاّت الفؤاد مراهمُ[1]

إذا كنت ذا مالٍ فأنت محبَّبٌ ... إليهنّ ، صيدُ الغانيات الدّراهمُ

وله في كلمة وصف هنه [ من الطويل ] :

ولي صاحبٌ ما حال عن حسن عهده ... ولم تر عيني منه أوفى وأكرما

يساعدني دون الأخلاّء في الدّجا ... إذا نام من قد كان شوقاً تنجّما[2]

فأهدا ولا يهدي وإن نمت لم ينم ... ويغري بذكراكم إذا الليل أظلما

ينادي على لحفي وصحبيَ نوَّمٌ ... وإن هو لم يفضض بنطقٍ له فما

أشبّهه والقطر بادٍ ولم يبنْ ... بمنقار فرخٍ قد تلقّط قرطما[3]

وله [ من الطويل ] :

تركنا لخوف الخيل والترك دورنا ... فللّه صرف الدّهر كيف تردّدا

دهاليزنا ضاقتْ لخوف نزولهم ... كأنّا يهودٌ ندخل الباب سجَّدا

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لعبدان [ من الكامل ] :

إن كنت تنشط للغبوق فليلنا ... خلف النهار بغرّةٍ غرّاءِ[4]

وإذا صفا لك مثلنا في دهرنا ... فاذكر عواقب ليلةٍ كدراءِ

وكان أبو العلاء الأسدي عرضة لأهاجي عبدان ، فمن ملح قوله فيه [ من السريع ] :

أبا العلاء آسكت ولا تؤذنا ... بشين هذا النسب الباردِ[5]

---

(١) الخرائد : الفتيات العذراوات ، والعلاّت : الأمراض .

(٢) تنجّما : أي حدّق في النجوم متأمّلاً لها علّه يغفو ويرقد .

(٣) القرطم : نبات يتخذ منه صبغ أحمر وحبّه غذاءٌ للطائر .

(٤) الغبوق : شرب الخمرة مساءً .

(٥) الشين : العيب والنقص .

وتدّعـي في أسدٍ نسبةً ... لا تثبُتُ الدّعوى بلا شاهدِ
أقمْ لنا والدةً أولاً ... وأنت في حلٍّ من الوالد

وقوله [ من الكامل ] :

قابل هديت أبا العلاء نصيحتي ... بقبولها وبواجب الشُكر
لا تهجونَّ أسنَّ منك فربَّما ... تهجو أباك وأنت لا تدري

وقوله [ من مجزوء الرجز ] :

أبو العلاء زاعمٌ ... بأنّه من العربْ
ويدّعي في أسدٍ ... أبوّةً بلا سببْ
أقسم أنّي مُفْترٍ ... عليه في هذا النسب
فآثمٌ لكنّني ... ألصقه خوف الغضب

وقوله [ من الكامل ] :

أضحى الملوم أبو العلاء يسبّني ... وأنا أبوه يعقّني ويعادي
والمنتمون إليه من أولاده ... والله يعلم أنّهم أولادي
ولو آنه يسخو عليَّ بواحدٍ ... عند التكاثر زينةً للنّادي
ألصقته بيَ واقتديت بمنْ رأى ... بأبيه إلصاق الدعيِّ زياد(1)

وقوله [ من السريع ] :

حمقٌ بهذا الأسديِّ الّذي ... قد كان منّي آمنُ السّربِ(2)
وإنّما جرّبتُ هجوي بهِ ... تجربة السّيف على الكلب

---

(1) يريد اقتدى بمعاوية الذي ألحق زياد ابن أبيه ، بأبي سفيان .
(2) أمن السرب : أمن الطريق أو الفريق أو القلب .

وقوله في غيره [ من المتقارب ] :

رغيفــك في الأمــن يا سيدي يحــلّ محــلّ حمــام الحرم
فللــه درُّك من سيدٍ حرام الــرغيف حلال الحرم

وقال من أبيات [ من البسيط ] :

يعلــو ويُعلــى وكلٌّ من سجيتُهُ يعلــو الــكنيف ويُعلــى بالغراميل[1]

وقال في رجل ارتفع قدره وكان أبوه حلاّجاً [ من الطويل ] :

أقـول وقـد قالــوا ابــن مأســدةٍ غدا علــى مركبٍ لا من حمير أبيهِ
ولا الصوت محلاجٌ ولا السّرج لوحُهُ ولا حبٌّ قطــنٍ كالشّــعير بفيهِ
مقــال الــوليد البحتــريِّ فإنّه قد أنبأنــا عن مثلــه وذويه[2]
متــى أرت الــدنيا نباهــة خاملٍ فلا ترتقــب إلاّ خمــول نبيه

وقال في قينة [ من الطويل ] :

لنـا قينـةٌ تحمــي من الشّــرب شربنا فقــد أمِنــوا سكراً وخــوف خمار[3]
تكشّــر عن أنيابهــا في غنائها فتحــكي حمــاراً شمّ بول حمار

وقال في شاعر [ من مجزوء الرجز ] :

مــا قال بيتــاً مرّةً ولا يقــول ما بقي
وكلُّ شعــرٍ قالهُ فإثمــه فـي عنقي

---

(١) الغراميل : جمع غرمول وهو الذّكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .
(٢) عجز هذا البيت غير مستقيم الوزن .
(٣) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

وقال في علوي [ من المنسرح ] :

كم غاصبٍ حقّكم ليهزلكمْ وقد تفقّا من شدة السّمن[1]
واحربا إن قضيت لم أر ما آمله فيكم وواحزني[2]

وقال [ من البسيط ] :

أقسمت حقاً بما أوتيت من كرمٍ فإنّه بعد ربّي غاية القسمِ
أنْ لو وليت أمور الناس مقتدراً ما خاف راعٍ على شاءٍ ولا نعم
وظلّت العصم للآساد آلفةً واستأنست طلس الذؤبان بالغنم[3]
مواهبٌ خصّك الله العزيز بها وليس يرضى لك الحسّاد بالقسم
هذا الثناء وهذاك الدعاء وما لي غير ذينِ وما ديني بمتّهم

وقال [ من الطويل ] :

سقيت وفي كفٍّ الحبيبة وردةٌ وأترجةٌ تغري النفوس بصونها
مداماً فلمّا قابلتني بوجهها شربت فحيّتني بلوني ولونها

* * *

## ١٩ ـ أبو سعيد الرستمي

### محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم

من أبناء إصبهان وأهل بيوتاتها ، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا ، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى ، وهو القائل [ من الطويل ] :

---

(١) تفقّا : تشقّق .

(٢) الحَرَب : الأسف والحزن .

(٣) العصم : من الغزلان أو نحوها ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والطلس: أي أنّ لونها أغبر يميل إلى السواد .

إذا نسبوني كنتُ من آل رستمٍ ولكنَّ شعري من لؤيّ بنِ غالب

ومن نظر في شعره المستوفي أقسام الحسن والبراعة ، المستكمل فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، أقبلت عليه الملح تتزاحم ، والفقر تتراكم ، والدرر تتناثر ، والغرر تتكاثر [ من الكامل ] :

كلمٌ هي الأمثال بين الناس إلاّ أنّها أضحتْ بلا أمثال

وكان الصاحب يقول مرة : هو أشعر أهل عصره ، وتارة : هو أشعر أهل عصره، ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائعه ، وينظمه في عقد المختصين به ، وفيه يقول مداعباً [ من مخلع البسيط ] :

أبو سعيدٍ فتىً ظريفٌ يبذل في الظّرف فوق وسعه
ينيك بالشعر كلَّ ظبيٍ فأيره في عيال طبعه

وكان يسد ثلمة حاله ، ويدره حلوبة ماله[1] ، ويسوغه خراج ضياعه ، ولا يخليه من مواد إنعامه وإفضاله ، وبلغني أن أبا سعيد لما أسفر له صبح المشيب وعلته أبهة الكبر ، أقلّ من قول الشعر : إما لترفع نفسه ، وإما لتراجع طبعه .

فقرأت فصلاً للصاحب أظنه إلى أبي العباس الضبي في ذكره ، واستزادة شعره ، وهذه نسخته :

كان يعد في جمع أصدقائنا بإصبهان رجل ليس بشديد الاعتدال في خلقه ، ولا ببارع الجمال في وجهه ، بل كان يروع بمحاسن شعره ، وسلامة وده ، أما الشعر فقد غاض حتى غاظ ، وأما الود ففاض أو فاظ[2] ، فإن تذكره مولاي بوصفه وإلا فليسأل عن خاله وعمه ، أما العمومة ففي آل رستم ، وثم الذروة والغارب[3] ،

---

(١) يدره : يدفع .
(٢) فاظ : مات .
(٣) الغارب : السنام وأعلا كلّ شيء .

ولواء العجم وغالب ، وأما الخؤولة ففي آل جنيد ، كما قال شاعرهم في سعد وسعيد ، وقد سألت عن خبره وفد نجران ،والركب بجبلى نعمان،فلم يذكروا إلا أنه مشغول بخطبة سبطه أبي القاسم بن بحر رحمه الله تعالى لفتاه أعزه الله ، وليس في ذلك ما يوجب أن يطوينا طي الرداء ، ويلقى عهدنا إلقاء الحذاء ، وقد يعود الصلاح فساداً ، ويرجع النفاق كساداً [ من الكامل ] :

فلعلَّ تيماً أن تلاقي خطةً فتروم نصراً من بني العوام

* * *

## وهذا ما أخرجته من محاسن شعره

وما محاسن شيء كله حسن !!

من قصيدة له فريدة في مؤيد الدولة [ من الطويل ] :

بدتْ يوم حزوى من كواها المحاجرُ فعاد عذولي في الهوى وهو عاذرُ
فكيف وقد أبدين ما في قناعها وأبرزن ما التفَّت عليه المعاجرُ[1]
مررنَ بحزوى والجآذر ترتعي فلم تدرِ حزوى أيُّهنَّ الجآذر
ومالتْ على الأنقاء فاشتبهت بها أهنّ النقا أم ما تضمُّ المآزر[2]
وأرستْ على الأعجاز سود فروعها فأزرت بحيّات الغدير الغدائر[3]
بدورٌ زهتهنَّ الملاحة أن يرى لهنَّ نقابٌ فالوجوه سوافرُ

سرقه من قول القائل [ من الطويل ] :

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّعا

---

(١) المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تشدّه المرأة على رأسها .

(٢) النقا : الكثيب من الرمل، والمآزر : جمع مئزر وهو ما تضعه المرأة في وسطها مؤتزرة به .

(٣) الفروع : جمع فرع وهو الشعر الأسود .

رجع :

ووَدّعنــي من نرجسٍ بجفونها ... على ورد خدٍّ لؤلـؤٌ متناثر
وسائلــةٍ عبــري متــى أنــت آيبٌ ... إلينــا وهــل يقضــي الإِياب المسافر
حططـت لهـا رحلــي وسيّبــت ناقتي ... وأمّنتهــا والعيس ممّــا تحاذر[1]
نصيبــي من الــدنيا رضــى أمّ معمرٍ ... وسائــرُ ما تحــويه في الــرّيح سائر
وقلــت اربطــي جأشــاً عليك فإنّه ... سيغنيك عن سيري القوافــي السوائر
سيكفيك سيري في الدّجــى إن كرهته ... صباحٌ كضــوء البــدر والنجــم باهر
أميرٌ كأنَّ الغيث من نفحاته ... يصــوب ومــن أخلاقـه الــروض زاهر
إذا ما علا صدر الســرير جرى لنا ... به فلكٌ بالخير والشرُّ دائر
يدٌ لأمير المــؤمنين طويلةٌ ... ونــابٌ إذا ما نابــه الخطــب كاشر
ينافـي الـكرى من حزمـه وهــو دارعٌ ... ويغشى الوغى من بأسه وهـو حاسر[2]
إلـى أيّ أرضٍ أرحــل العيس صادياً ... وبحــرك موردٌ وروضــك ناضر

ومنها :

فأقسمــت ما في الأرض غيرك ماجدٌ ... يُزارُ ولا في الأرض غيريَ شاعرُ
بقيت مدى الــدّنيا وملــكك راسخٌ ... وظلُّك ممــدودٌ وبابــك عامر
يردّ سنــاك البــدر والبــدر زاهرٌ ... ويقفــو نداك البحــر والبحــر زاخر
وهنِّئــتَ أعياداً توالــت سعودها ... كمــا يتوالــى فـي العقــود جواهر

وله من أخرى فيه أيضاً [ من الطويل ] :

مررنــا بأكنــاف العقيق فأعشبت ... أباطــحُ من أجفاننــا ومسايلُ

---

(١) سيّبت : تركتها تمشي حيث شاءت ، أطلقها .

(٢) دارع : أي يلبس درعه ، وحاسر : أي كاشف الرأس .

وكادت تناجينا الذيار صبابةً ... وتبكي كما نبكي عليها المنازلُ
فمن واقفٍ في جفنه الدمع واقفٌ ... ومن سائلٍ في خدِّه الدمع سائل
تأسٍّ بيأسٍ أو تعزٍّ بسلوةٍ ... فمالك في أطلال عزَّة طائل
ألم تر أيام الربيع تبسَّمتْ ... أجارع من أنوارها وخمائل[1]
كأنَّ غصون النرجس الغضِّ بينها ... نشاوى كرىً أعناقهنّ موائل
كأنّ شقيق الأبرين كواعبٌ ... عليهنَّ من صبغ الجساد غلائل[2]
وقد حملت سوسانها في حجورها ... رواضع إلاّ أنَّهنَّ حوامل
وضمَّر خيل الضيمران كأنّها ... مرازب فوق الهام منها أكالل[3]
ونوَّرَ قضبان الخلاف فأبرزتْ ... أصابع لم تخلق لهنَّ أنامل
تخال أزاهير الرياض خلالها ... مصابيح ليلٍ ما لهنَّ فتائل
وقد شربت ماء الغمامة فانثنتْ ... كما يتثنَّى الشّارب المتمايل
فمن أقحوانٍ ثغره متبسِّمٌ ... وورد على أكنافه الطلُّ جائل
وقد ماج وادي الزندروز بفيضه ... كما ماج للريح النقا المتهايل
كأنَّ نعاج الرمل في جنباته ... يناطح بعضٌ بعضها ويقاتل
كأنَّ هدير الموج فوق متونه ... هدير قرومٍ هاجهنّ الشوائل[4]
سرى بين أحشاء السّرى فتشابهتْ ... أحيّاته تسري بها أم جداول
إذا ماج فوق الأرض أوهاج خلته ... خيولك في الهيجا وهنّ صواهل
أيا ملكاً فاق الملوك وبذّهم ... فراح سناناً والملوك عوامل[5]

---

(١) الأجارع : رمل يرتفع وسطه وترِقُّ نواحيه .

(٢) الأبرقين : نوعٌ من الورد ، وكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة في أول صباها .

(٣) المرازب : جمع مرزبة وهي عصاً صغيرة من حديد .

(٤) الهدير : صوت البعير ، والقروم : جمع قرم وهو الفحل من النوق : والشوائل : النوق التي آن وقت لقاحها .

(٥) بذّهم : تجاوزهم ، والعوامل : جمع عامل : وهو من الرمح أعلاه الذي يلي السنان .

إذا نحن أثنينا عليه تبادرت ... فأثنت كما تثني القنا والقنابل
ينير الدجى من وجهه وهو حالكٌ ... ويندى الثرى من كفّه وهو ماحل
وذو لحظات كلُّهنَّ فواضلٌ ... وذو حركاتٍ كلُّهنَّ فضائل
دهاءٌ لديه رأيُ أكثم فائلٌ ... وجودٌ لديه حاتم الجود باخل[1]
وحلمٌ لديه ركن يذبل ذابلٌ ... وعزمٌ لديه فارس الخطب راجل[2]

ومنها في مسألة إخراج ضيعة له من الإقطاع [ من الطويل ] :

ضياعيَ نهبي قد تفرّق شملها ... فما في يدي منهنَّ إلاّ الأنامل
فكم ضيعةٍ مالت لأبواب مالها ... قناتي وغيري منه نشوان مائل
فحظّي من الحظين همٌّ وحسرةٌ ... وحاصلها أنّي على الهمِّ حاصل
ألا ليت شعري هل أرى لي جماعةً ... تمدّ بها فوق الشطور الحواصل
تقاربها الأنموذجات كأنّها ... إذا هي صرّوها الشديُّ الحوافل[3]
وهل أرني يوماً وكيلي حاضري ... أناقشه طوراً وطوراً أساهل
ويخرج باسمي في الأدراج كاتبٌ ... حساباً ويستأدي خراجيَ عامل
على عدل مولانا الأمير توكّلي ... فإحسانه في الشرق والغرب شامل

ومن أخرى فيه أيضاً ، أولها [ من الطويل ] :

عذيري لدى الواشين حسن عذاره ... وعذري لدى اللاحين حسن اعتذاره
بنفسي حبيبٌ زار بعد ازوراره ... وعاودني بالأنس بعد نفاره
وأشنبُ معشوقُ الدلال منعّمٌ ... معقرب صدغٍ كالهلال مداره
إذا ما استعار الجلّنار بخدِّه ... أعار الحشى من خدِّه جلّ ناره
سل البيض عن عاداته في عداته ... وسمر القنا عن نهبه ومُغَاره

---

(١) فائل : ضعيف .

(٢) يذبل : إسم جبل ، وراجل : أي الفارس يمشي على رجليه .

(٣) الأنموذجات ، وصرّوها : حلبوها واستخرجوا لبنها، والحوافل : الملأى .

وقائع نال النسر غاية سؤله     بهنّ ونال النصر غاية ثاره

ومن قصيدة في الصاحب ، أولها [ من الخفيف ] :

عقّني بالعقيق ذاك الحبيبُ     فالحشى حشوه الجوى والنحيبُ
وإذا جفّت الشؤون وخفّتْ     ندبتها من الضلوع الندوب
لست أدري أأدمعي أم جمان الـ     ـعقد ينسلّ أم عقيقٌ يذوب
حبّذا حبّذا ونعمٌ وسعدي     ونصيبي من وصلهنّ نصيب
إذْ زماني غرٌّ وغصني رطيبٌ     وشبابي غضٌّ وبردي قشيب[1]
إذ بوادي العقيق عيشي أنيقٌ     وبوادي الجنوب ريحي جنوب
كم شجاني ببطن رامة ريمٌ     وبظبي الكثيب ظبيٌ ربيب
أيّها الرمل كم مضى فيك عيشٌ     لي مهاةٌ ومرتعٌ لي خصيب[2]
وأليفاي فيك ريًّا وأروي     وحليفاي فيك زقٌّ وكوب
وبقلب الحسود منّا ندوبٌ     وبطرف العذول عنّا نكوب[3]
وعفا الله عن ذنوبٍ تقضّت     لي بها حين تستتاب الذنوب
حيث لا لوم أن يزور محبٌّ     هاجه الشوق ، أو يزار حبيب
حيث لا ينكر الغرام ولا يخشى     ملامٌ ، ولا يخاف رقيب
ما يُذَمُّ الشباب عندي بشيءٍ     غير أنّ المشيب منه قريب
غلب الصاحب الجواد بني الجو     د كما يغلب الشباب المشيب
بذّهم في الندى وغطّى علاهم     بعلاه فالمكرمات ذنوب
وإذا ما سعى لإحداث مجدٍ     فمساعيهمُ عليهم ذنوب

---

(١) زماني غرٌّ : أي ضاحك مبتسم ، ورطيب منعّم وغضٌّ : في أوج حيويته ونشاطه، وقشيب: ملوّن مفوّف .

(٢) المهاه : طراوة العيش وحسنه .

(٣) الندوب : الجراح أو آثارها ، والنكوب : الإنحسار والابتعاد . واجدٌ : هائمٌ وعاشق .

واجــدٌ بالعــلا وبالمجــد وجداً لــم يجــده بيوسفٍ يعقوبُ[1]
وإذا ما أتــاه طالــب جدوى راحتيهِ فالطّــالـب المطلـوبُ
قـل لبـاغي النـدى خف الله لا تســــــألـه عــمــراً فــإنَّــه مــوهــوب

من قول أبي تمام [ من الطويل ] :

ولــو لم يكن في كفِّــه غير روحه لجــاد بهـا فليتــق الله سائلُهْ

رجع :

إنّمــا حاتــمٌ وأوسٌ وكعبٌ مثــلٌ في النّــدى له مضروبُ
يا حسامــاً مهنــداً وغماماً ديمتــاه التــرغيـب والترهيب
فيـك ما يكمـد الحسود ومـا فيــــــك سوى الجود والنّدى ما يعيب
راحــةٌ ثرَّةٌ ، ووجــهٌ طليقٌ ولسـانٌ عضــبٌ ، وصــدرٌ رحيب
وبيانٌ غضٌّ تلــدّد فيـه حين خاطبتــه الألــدُّ الخطيب[2]
وإذا مــا وخــدت فــي طلــب المجــد فـذو المجــد وخــده تقريــب[3]
عزمــاتٌ يرضّ منهــنَّ رضوي ويكادُ الــوليد منهـا يشيب
فلشــمس النهــار منهــا وجوبٌ ولقلــب الزمــان منهــا وجيب[4]

ومنها :

وإذا ما دعــوت شعــريَ فيه طرب المــدح واستهــلَّ النسيب
مِــدَحٌ كالنّسيب رقّــة ألفا ظٍ ومــا للنسيب منــه نصيب
محكمــاتٌ محــكمــاتٌ إذا أنشــدن نــال المنــى بهــنّ الأديــب

---

(١) واجدٌ : هائمٌ وعاشق .

(٢) تلدّد : احتار .

(٣) وخدت : سرت في طلب المجد ، والوخد ضرب من السير ، والتقريب ضرب من السير ، أو أن يرفع رجليه معاً ويضعهما معاً .

(٤) الوجوب : الاختفاء والمغيب، ووجبت الشمس : أي غابت .

رفعت من أعنّةِ الرفع حتى ذلّ منها المخفوض والمنصوب

ومنها :

أنا من قد عرفت سرّاً وجهراً أعجميٌّ نما به التعريب
ليت شعري إذا دعيت ، شعاري نسبي واضحٌ وعودي صليب
لست من أمدح الملوك ولا أنـ ـضي المطايا ولا الفلاة أجوب[1]
أنا للصاحب الجليل أبي القا سم مولىً وخادمٌ وربيبُ

ومن أخرى أيضاً [ من الكامل ] :

غيَّضن عبرتهنَّ يوم الوادي فأرحن عازب أنس ذاك النادي[2]
فجنين بالأسماع نور حديثنا وكرعن في الشّكوى كروع الصادي
ووصفن سقم قلوبنا بعيونها فشفين منّا غلَّة الأكباد
لا غرو أن يجنين من ثمر الهوى لي في مراقدهنَّ شوك قتاد
فلطالما أسهرنني جنح الدجا وأطلن ليلي وانتهبن رقادي
لا والذي جعل الجفون عليلةً وأعار حبّ البيض حبّ فؤادي
إنّي لأرحم من أسرن فؤاده سرّاً فما لفؤاده من فادي
وأذمُّ أيام الفراق فإنّها عللٌ وإن خفيت على العوّاد
قلْ للزمان إذا تنمّر ساخطاً وعدا عليَّ بوجه ليثٍ عادي
أبرقْ وأرعدْ ليس يرتعد الحشى ليَ منك بالإبراق والإرعاد
الصاحب العالي الصنائع صاحبي في النائبات وعدّتي وعتادي
ورث الوزارة كابراً عن كابرٍ موصولةَ الإسناد بالإسناد
يروي عن العبّاس عبّادٍ وزا رته وإسماعيل عن عبّاد

(١) غيّضن : كففن وحبسن ، والعازب : البعيد الغائب ، والأرض التي ليس بها أحد .

شرفٌ كعقد الدرّ واصل بعضه بعضاً كأنبوب القنا المنآد[1]
وعلاً كأيام السنين ترادفت آياتها بمكرّرٍ ومعاد
لا كالذين إذا سموا لكريمةٍ ضحكت جدودهم من الأجداد
أعلى المكارم ما تقادم عهده والمجد موروثٌ عن الأمجاد
لا والذي جعل المكارم كلّها لك والعلا في مبدأٍ ومعاد
ورآك أهلاً للرشاد وللهدى وكساك آيات الإمام الهادي
لو كان غير الله يعبد ما انثنت إلاّ إليك أعنّةُ العبَّاد

هذا معنى قد أكثر الناس فيه ، وأظن السابق إليه ابن أبي البغل ، حيث قال في الرشيد [ من السريع ] :

لو عبد الناس سوى ربِّهم أصبحت دون الله معبودا

رجع :

هذا الربيع وأنت أكرم مجتنى منه وأعجبه إلى المرتادِ
زارتك في حلل الرياض وفوده وكأنَّهنَّ يمسن في الأبراد
ورأت صنائعك التي أزرتْ بها فغدتْ تذمّ إليك صوب الغادي
وحكاك وادي الزندروز فأقبلت أمواجه يقذفن بالأزباد
مثل الرمال تناطحتْ أوعالها فأعانهنّ العين بالإمداد
يرمي السواحل مدّه فكأنّه ملكٌ يهزُّ الأفق بالإيعاد
يهدي المدينة واديان تجاورا وكأنّما وردا على ميعاد
مَدَّان هذا ليس ينفد فيضه أبداً وهذا فيضه لنفاد
روضٌ يرفُّ ، ومزنةٌ تهمي عزا ليها ، وطيرٌ في الغصون ينادي
فكأنَّ ذا يثني ، وذا يدعو ، وذا يبدي الرضا ويبوح بالإحماد

---

(١) المنآد : المعوج .

فاسعد بدنياً قد نظمت أمورها ... وسددتها بالرفق أيَّ سداد
ورعيةٍ أصلحتها بتألُّفٍ ... وتعطّفٍ من بعد طول فساد
داويتَ من سقم النفاق قلوبها ... وشفيتَ مرضاها من الأحقاد
فنصبتَ للإسلام أكرم رايةً ... وقسمت أهل الجبر والإلحاد[1]
وأفضت عدلك في البلاد وأهلها ... وضربت دون الظلم بالأسداد

ومنها في الإذكار والاستعانة والاستزادة وشكوى الخراج ، ومسألة التسويغ ، وما منها إلا ما لا غبار عليه ، ولا شوب فيه ، ولا مزيد على حسنه :

يا خيرَ من يُدعى لخطبٍ فادح ... ويحلّ عقد الحادث المنآد[2]
عمَّت فواضلك البرية واغتدت ... طوع العنان لحاضرٍ أو بادي
ووسائلي ما قد علمت ولايةٌ ... مذ كنت أعهدها وصفو وداد
ومنقّباتٍ في البلاد غريبةٍ ... وصلت سرى الإتهام بالإنجاد
تروى ولم يسمع لهنَّ بقائلٍ ... تعزى إليه سوى حداء الحادي
من كلِّ رائقةِ المحاسن حلوةٍ ... ريّا الرواية غضّةِ الإنشاد
لم يكسها الإكفاء في أكفائها ... عيباً ولا أزرى بها لسناد[3]
هذا وحرمة خدمةٍ مرعيةٍ ... للأبعدين قديمةِ الميلاد
ما زلت من أبرادها متوحّشاً ... بمفوّفٍ يزهى على الأبراد
يا حلية الوزراء حلّ قصائدي ... بمحاسن الإرفاد والإصفاد
ما لي ظمئت وبحر جودك زاخرٌ ... سهلٌ مشارعه على الورّاد
ووريتْ زناد السائلين بسيله ... وبفيضه وخصصت بالإصلاد[4]

---

(١) الجبر : الكفر .
(٢) الحادث : المصاب ، والمنآد : المعقد .
(٣) الاكفاء والسناد : من عيوب القوافي في الشعر .
(٤) وريت : اشتعلت من قبسه ، والإصلاد : يقال : أصلد الزند : أي صوّت ولم يورِه يعني أنّه منع العطاء أو أنّ عطاءه أمسك .

ما كان أجمل في التجمّل ملبسي وأعفَّ في ظلٍّ القناعة زادي
لولا زمانٌ أزمنت حالي له نوبٌ تراوح تارةً وتغادي
وأذى فراخٍ ضاق بي أوكارها وكذا البغاث كثيرة الأولاد[1]
وأذى خراجٍ لو سرى لأدائه غرر الليالي عدن وهي دآدي[2]
أبدت نجوم الليل سود نجومه في مفرقي فأنار بعد سواد
حَصَةٌ حَصَتْ مني جوانب هامتي صفعاً أوافقه من المستادي[3]
ووفود سوءٍ يألفون زيارتي من صادرٍ أو رائحٍ أو غادي
ورجالةٌ مترادفون كأنّما غصّت مدارجهم برجل جراد
من كل منتفش الشّوارب مسمعٍ عبدٍ لآل ربيعةٍ أو عاد
صهب اللحى سود الوجوه كأنّما خضبوا الرؤوس بيانع الفرصاد[4]
ما غاب عنّي واحدٌ إلّا ويقـفو إثره ثانٍ وآخر بادي
هذا يواجه شاربي متهدّداً ويقوم هذا من وراء العادي
ففرائصي من خوفهم مملوءةٌ أبداً من الإخفاق والإرعاد
وإذا أصادر غدوةً لم يرتفع عند المساء سواي في الأوراد
ما في يد النقّاد من ضربي سوى ضربي ودقّ الجيد دون جياد[5]
يا حلية الوزراء حقّي واجبٌ ونداك صوبا أنعمٍ وأيادي
وقِّعْ بتسويغي خراجي كلّه أو لا فعاودني على الإيراد[6]

---

(١) البغاث : طائرٌ أغبر ، وشرار الطير .

(٢) دآدي : شديدة الظلمة .

(٣) الحص : حلق الشعر ، والحصة : من الحصى ، والمستادي : طالب الأداء ، وأصله المستأدي بالهمز .

(٤) الفرصاد : التوت ، واليانع : الأحمر من كلّ شيء ، والصهب : جمع أصهب ، وهو الذي لونه الصهبة وهي حمرة أو شقرة في الشعر .

(٥) الجيد : العنق ، أو موضع القلادة ، والجياد : جمع جواد .

(٦) التسويغ : تجويز من السلطان بمنحةٍ أو عطاء وهي مولّدة .

وامنــنْ علــيّ بفضــل جودك واكفني دار الخــراج وجهمــة الحدّاد[1]

وله من أخرى [ من المنسرح ] :

قولــوا لو سنــانَ نام عن أرقي فيه وحاشــا جفونــه الأرقُ
ارثِ لـمن قـد رثـى لمـقلتـه الــــدّمـع ورقّت لـقـلبـه الـحـرقُ
لم يبـق من جسمـه سوى رمقٍ ينتظـر المـوت ذلـك الرمقُ
يا بأبـي منـه طرّةٌ سبجٌ إذا تبـدّت وغـرةٌ يقق[2]
ولـؤلـؤٌ مـن لسانـه بـردٌ ولؤلـؤٌ فـي لبـاتـه نسق
وجـهٌ بـه الجلّنـار مبتسمٌ يفتـرٌ والأقحـوان متّسـق
شعلـة نارٍ ملاحـةً وسناً يكـاد منـه الجليس يأتلق
غنّـى فجلّـى الظـلام غرّته عنّـا وغصّـت بشـدوه الأفق
فودَّتِ العين أنّهـا أذنٌ تسمـع والأذن أنّهـا حدق

زاد على من قال [ من المنسرح ] :

غنّـتْ فلـم يبـقِ فيَ جارحةً إلاّ تمنّـتْ بأنّهـا أذن

رجع :

والله لو كانـت الأزاهـر والـ أوتـار ناسـاً وأبصـروا عشقوا
شانـىء أيّامـه يـذوب شجىً من كمـدٍ والحسـود يزدهق[3]
كذلك النّـار حيـن أعوزهـا مـا أحرقتـه تبيـت تحترق

سرقه من قول ابن المعتز حيث قال [ من مجزوء الكامل ] :

كالنّـار تأكـل نفسهـا إن لـم تجـدْ مـا تأكُلُهْ

---

(١) الجهمة : التقطيب والعبوس .
(٢) السَّبج : الأسود ، واليقق : الشديد البياض .
(٣) الشانىء : المبغض ، وزهق وازدهق سواء : ومعناه : اضمحلاله وخروج روحه .

رجع :

وإن ذكرنـا اسـمـه لطيبته يبقـى بأفواهنـا لـه عبقُ
والنـاس لولا سنـاه ما رمقوا والنـاس لولا نداه ما رزقوا
إسعـدْ بشهـرٍ وافتـك مقبلةً أعياده بالسـعـود تستبـق
ثلاثـةٌ قـد قِرْنَ فـي قرنٍ خوّة روزٍ والنضـحُ والسذق[1]
مقـدّمـاتٌ مـن الـربيع غدتْ وفودهـا مـن صبابـةٍ سبقوا
أمـا ترى المـزن حلّ حبوته في الـروض فالـروض زاهـرٌ أنق[2]
فنـوره من سنـاك مقتبسٌ ونـوءه مـن نداك مسترق
فاعمـرْ لدنياً لولاك ما خلِقَتْ وأهـل دنياً لولاك ما خلقوا
وعـدْ جديداً علـى الزمـان كما عاد جديداً في عوده الورق
ما صحبتـك الأيّام دمـتَ لها فليس في صفـو عيشنـا رنق[3]

وله من قصيدة في نهاية الحسن وكثرة الملح والنكت ، أولها [ من الطويل ] :

عزيزٌ علينـا أن تشـطّ منازله سقتـه الغـوادي من عزيزٍ تزايله
ولا زال حاديه دميثـاً فجاجه وقمـراً لياليه وصفـواً مناهله[4]
يحـلّ عزالـي الغيث حيث يحلّه ويغشى كمـا يغشى الـربيع منازله[5]
ومهجـورةٍ خافـت عليهـا يد النّوى فلـم تبـق في حافاتهـا ما أسائله
سوى كحـلِ عينٍ ما اكتحلت بنظرةٍ إلـى جفنـه إلاّ شجتنـي مكاحله
وقفـتُ فأمّـا دمـع عينـي فسائلٌ عليه ، وأمـا وجـد قلبـي فسائله

(١) السذق : ليلة الوقود الشديدة البرد، وقرف: أمسكن وغدون، وقرن : شرك أو عقد أو سِلك ، والنضح : رشاش الماء ونحوه .
(٢) الحبوة : الحظوة والعطية ، أو ما يشتمل عليه .
(٣) الرنق : المتكدر .
(٤) الدمث : السهل اللّين .
(٥) العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصبّ الماء .

أقلّب قلباً ما يخفُّ غرامه عليه، وطرفاً ما تجفُّ هوامله[1]

لعلّيَ أرى من أهل ريّا وإن نأتْ بأرجائه شبهاً لريّا أواصله

فأصبحتُ قد ودعت ريّا ووصلها كما ودّعت شمس النهار أصائله

بكُرهي زال الحيُّ من بطن عازبٍ وغودر منّي عازب اللبِّ زائله[2]

وقلبٍ إذا ما قلت خفَّ غرامه وأبصر غاويه وأقصر عاذله

دعاه الهوى فاهتزّ يهوي كما دعا صبا الريح غصن البان فاهتزّ مائله

وهاجرةٍ من نار قلبي شببتها وقد جاش من حرّ الفراق مراجله

صليت بها والآل يجري كما جرى من الدمع في جفنيّ للبين جائله[3]

ومنها:

وبعض مذاق العرف مرٌّ وإن حلا إذا لم يكن أحلى من العرف باذلُهْ

وما الجود إلاّ ما تطوّع أهله ولا السّمح إلا ما تبرّع نائله

وأروع أنواء الربيع صنائعٌ لديه، وأنوار الربيع فضائله

أهان مصونات الذخائر كفُّه وهان عليه ما يقول عواذله

وفاح كما فاح الرّياض فعاله ولاح كما لاح البروق شمائله

يسيل على العافين عفو نواله فيلقى ابتذال الوجه للبذل سائله

شفيع الذي يرجوه حسن صنيعه وسائله عند الرجاء وسائله[4]

ولم يجتمعْ كفّاه والمال ساعةً كأنّي وريّا ماله وأنامله

---

(١) الطرف: العين، والهوامل: الدموع.

(٢) عازب الأول: اسم جبل والثانية إسم فاعل من عزب بمعنى غاب.

(٣) صليت بها: احترقت، والآل: السراب أو ما أشرف عليه البعير، وقيل إنّه خاص بما يكون أول النهار.

(٤) وسائله الأولى: مؤلّفه من واو العطف وسائل بمعنى الطالب المستجدي، وأما الثانية فهي جمع وسيلة والواو فاء الكلمة.

هذا البيت من إحسانه المشهور السائر ، ومنها :

أيصبح مثلي في جنابك صادياً ... وأنت الحيا تحيا وتروي هواطله
ولولا فراخٌ زعزع الدهر وِكرُها ... عليَّ وقد غال الجناح غوائله
أعرت ظلال الحرّ نفس ابن حرةٍ ... تقاصره الأيام حين تطاوله
فخذني من أنياب دهري بعاجلٍ ... من النصر دانٍ ، أكرم النصر عاجله
بقيت مدى الدنيا لمجدٍ تشيده ... وقرمٍ تساميه وخصمٍ تجادله
وهاتيك أمثال النجوم جلوتها ... عليك كما تجلو الحسام صياقله
قريضٌ كساه المزن أثواب روضةٍ ... فرقّتْ أعاليه ورقّتْ أسافله[1]
تطيب على الأيام ريّا نشيده ... وأطيب من ريّاه ما أنت فاعله

وله من أخرى [ من الطويل ] :

وحسناء لم تأخذْ من الشمس شيمةً ... سوى قربِ مسراها وبعدِ منالها
وإنّي لأهوى الشيب من أجل لونه ... وإن نفرتْ عنّي الدّمى من فعالها
وأروع يستحيي الحيا من يمينه ... فيرتدّ فوق الأفق حيران والها
أقام قنا الأيام بعد اعوجاجها ... وحاط ذرى الإسلام بعد ابتذالها[2]
عزائم لو ألقى على الأرض ثقلها ... شكتْ منه ما لم تشكه من جبالها
وجود بنانٍ سبّح الغيث عندها ... وهلّل صوب البحر عند انهلالها
يدٌ كلّ ما تحوي يدٌ من نوالها ... وبيضٌ أياديها وغزرٌ سجالها
تأمّلْ فما لاحظته من هباتها ... لدينا وما لاحظته من عيالها
من النفر العالين في السِّلم والوغى ... وأهل العوالي والمعالي وآلها[3]
إذا نزلوا اخضرّ الثرى من نزولها ... وإنْ نازلوا احمرَّ الثرى من نزالها

---

(١) القريض : الشعر .
(٢) أقام : أصلح وسوّى ، وحاط : حمى وحرس .
(٣) العوالي : الرماح .

ببيضٍ كأنَّ الملـح فوق متونها ودهـمٍ كأن الزّنـج تحـت جلالها

انظر الى حسن هذا التصرف وشرف هذا الكلام :

مسـاميح كلّ الغيث بعض نوالها وكلّ المعالـي خلّـةٌ من خلالها
سمـتْ فوق آفاق السمـاء فأصبحتْ ثراهـا الثـريَّا والسُّهـى من نعالها
إليك ابـن عبـاد بن عبـاس إنثنتْ أعنَّـةُ شكر الدهـر بعـد انفتالها[1]
بك افتـرَّ ثغـر الملك واهتـزَّ عِطفه وجـرَّتْ بك الـدنيا ذيول اختيالها
تشـكّى الثـرى إظلامهـا ومحولها فأغنيتهـا عن مزنهـا وهلالها

وله من قصيدة كأنه جمع محاسنه ولطائفه فيها ، أولها [ من الطويل ] :

سلامٌ على رمـل الحمـى عدد الرّمل وقـل له التسـليم من عاشـقٍ مثلي
وقفـت وقـوف الغيث بين طلوله بمنسـكبٍ سحٍّ ومنسجـمٍ وبل[2]
ومـا رِمْت حتى خالنـي الـرّيم رِمّةً وأذرف آجال الحمى الدمع من أجلي[3]
خليلـيَّ قـد عذبتمانـي ملامةً كأن لم يقفْ في دمنـةٍ أحـدٌ قبلي[4]
وممّـا شجانـي والعـواذل وقَّفٌ ولـي أذنٌ صمَّـت هنـاك عن العذل
ظبـاءٌ سرت بالأبـطحين عواطـلاً وكنْتُ أراها في الرعاث وفي الحجل[5]
تبـدّلْن أسمـاءً سوى ما عرفتها لهـنّ ، فلا تدعـي بسعـدي ولا جمل
تشابهـن أحداقـاً وطـول سوالفٍ وخصّ الغوانـي بالملاحـة والـدلّ
ومكحولـة الأجفـان مخضوبـة الشّوى ولم تدر ما لون الخضاب من الكحل
ذكرت بهـا من لسـت أنسـى ذنوبها وإنْ بعـدتْ والشّـيء يذكرُ بالمثل

---

(١) انفتالها : اجتماعها ، والأعنّة : الأزمّة .
(٢) الوبل : المطر الشديد ، والسحّ : الصبّ السائل ، والمنسجم : القطر المتوالي .
(٣) رمت : انصرفت ، والرّمة : البالي من العظم وغيره ، والآجال : قطعان النعام والإبل .
(٤) الدمنة : الموضع القريب من الدار .
(٥) الرعاث : جمع رعثة بضمّ الراء ، القرط .

سقى الدمع مغنى الوابلية بالحمى سواجمُ تغني جانبيه عن الوبل
ولا برحت عيني تنوب عن الحيا بدمعٍ على تلك المناهل منهلّ
مغاني الغواني والشبيبة والصبّا ومأوى الموالي والعشيرة والأهل
ليالِيَ لا رِوض الكثيب بلا ندى ولا شجرات الأبرقين بلا ظلّ
وما كان يخلو أبرق الحزن من هوى ولكنّني أمسي بغير الهوى شغلي
فراخٌ نباني وكرهنّ وهاجني كما هاج ليث الغاب وعوعة الشبّل[1]
وكم قد رحلت العيس في طلب العلا فلما بكت سعدي حططت لها رحلي
نزلت على الأيّام ضيفاً فلم أجدْ قرى عندها غير النزول بلا نزل
وقد سامني أهلي المقام بذلّةٍ ولست بأهلٍ للّذي سامني أهلي
سبيل الغنى رحبٌ على كلِّ سالكٍ فما ليَ أسعى منه في مدرج النمل
أينكر نصُّ العيس والبيد والدجا لمن عزمه عزمي ومن فضله فضلي
دعوني أصل إرقالها بذميلها وأطوي الدّجا حتى أرى صبحها المجلي[2]
حياً لم يفت منّا ولياً وليّه ولم يخلْ من أفضاله كفُّ ذي فضل
ومبتدهِ الجدوى إذا ما سألته فأعطاك لم يعتدَّ ذاك من البذل
فتىً حاز رقّ المجد من كلِّ جانبٍ إليه وخلّى كاهل الشكر ذا ثقل
بعفوٍ بلا كدٍّ وصفوٍ بلا قذى ونقدٍ بلا وعدٍ ووعدٍ بلا مطل[3]
من النفر الأعلين في حومة الوغى يميلون زهواً غير ميلٍ ولا عزلِ[4]
همُ راضة الدنيا وساسة أهلها إذا افتخروا لاراضة الشاء والإبل
محلّهم عالٍ على السبعة العلا وعالمهم موفٍ على العالم الكلّي

---

(١) نباني : ابتعد عنّي ، ووعوعة الشبل : تصويته .
(٢) الإرقال : ضرب من المشي السريع ، والذميل سير آخر في لينٍ وتؤدة .
(٣) المطل : من المماطلة ، وهو التسويف وعدم الوفاء بالوعد في حينه .
(٤) غير ميلٍ ولا عزل : أي أنهم مكتملون خلقةً وقوة فالميل : من كان في خلقته ميل ، والعزل : الضعف .

إذا أنت رتّبت الملوك وجدتهمْ هُمُ الاسم والباقون من حيِّز الفعل
مساميح عند العسر واليسر ، لاتني مراجلهم في كلِّ أحوالهم تغلي
ولم يغلقوا أبوابهم دون ضيفهم ولا شتموا خدّامهم ساعة الأكل
ولا شدّدوا دون العفاة حجابهم وقالوا لباغي الخير نحن على شغل
لتهن ابن عبادٍ قوافٍ كأنّها جنى لؤلؤٍ رطبٍ من العقد منسلِ
أبى ليَ حسناً أن أباليَ بعدَهُ بشعرٍ ولو أنشدت للنّمّر العكلي[1]
وقلْ له ما قال في هرم الندى زهيرٌ وأعشى قيس في هوذة الذهلي
وما كنت لولا طيب ذكرك شاعراً ولا منشداً بين السماطين في حفل
ولكنّني أقضي به حقّ نعمةٍ سرت مثلاً لما وَسَمْتَ به عقلي
إذا لم تكنْ لي أنت عوناً ومعدياً على الزمن العادي عليَّ فقل من لي[2]
من الناس من يعطي المزيد على الغنى ويحرم ما دون الغنى شاعرٌ مثلي
كما ألحقت واوٌ بعمروٍ زيادةً وضويق بسم الله في ألف الوصل
أعر من ورائي من عبيدك لحظةً بعين العلا واجمعْ على شكرها شملي
فما لي رجاءٌ في سواك ولا يرى يَمَرُّ قريضي عند غيرك أو يحلي
وهل بارقٌ يشتام إلاّ من الحيا وهل عسلٌ يشتار إلا من النحل[3]
وقاك بنو الدنيا جميعاً صروفها جميعاً فإنَّ الجفن من خدم النّصل[4]

وله من أخرى [ من الكامل ] :

كفتك عن عذلي الدموع الوكَّفُ ونهتك عن عتبي الضلوع الرجَّفُ
لله عيشٌ بالمدينة فاتني أيام لي قصر المغيرة مألفُ

(١) النّمر العكلي : هو النّمر بن ثولب بن زهير بن أقيش العكلي شاعر مخضرم ، من المعمّر بن الأجواد .
(٢) العادي : الجائر .
(٣) يشتام ، يرى ، ويشتار : يستخرج ويجنى .
(٤) الجفن : الغمد .

حجّي إلى الباب الجديد وكعبتي الـــــباب العتيق وبالمصلّى الموقفُ

والله لو عرف الحجيج مكاننا من زندروز وجسره ما عرّفوا
أو شاهدوا زمن الربيع طوافنا بالخندقين عيشةً ما طوّفوا
زار الحجيج منىً وزار ذوو الهوى جسر الحسين وشعبه واستشرفوا
ورأوا ظباء الخيف في جنباته فرموا هنالك بالجمار وخيّفوا[1]
أرضٌ حصاها جوهرٌ وترابها مسكٌ وماء المدِّ فيها قرقف
ما لي وللواشين لا يهنيهمُ ما نمنموه من النّميم وزخرفوا
أعياهم سبب التهاجر بيننا فتفاءلوا لي بالفراق وأرجفوا
لا واعتلاقي بالوزير وحبله ما أحسنوا ما أجملوا ما أنصفوا
ما للوزير عن المعالي مصرفٌ أبداً ولا لي عن هواه مصرف
يا من نعوذ من المكارم باسمه ونعزّه وهو الأعزُّ الأشرف
ونجلّ عن خطر اليمين حياته فبفضل نعمته علينا نحلف
وعظيم ما أوليتني من نعمةٍ ما للسّماح سواك ربٌّ يعرف
يا ابن الذين إذا بنوا شادوا وإن أسدوا يداً عادوا وإن يعدوا وفوا
إن حاربوا لم يحجموا ، أو قاربوا لم يندموا ، أو عاقبوا لم يشتفوا
ومتى استجيروا أسعفوا ومتى استنيلوا أسرفوا ومتى استعيدوا أضعفوا
إن عاهدوا لم يخفروا، أو عاقدوا لم يغدروا ، أو ملكوا لم يعسفوا[2]

ومنها التهنئة بالخلعة :

تهنّى ابن عباد بن عباس بن عبـــد الله نعمى بالكرامة تردفُ
يهنيه زائدُ نعمةٍ متجدّدٌ أبداً وحادثُ نعمةٍ يستطرف

---

(١) خيّف : نزل منزلاً ، والمراد به ههنا مسجد الخيف . ، والجمار : الرّجم .
(٢) لم يخفروا : أي لم يخلّوا بما عاهدوا عليه، ولم يعسفوا : أي لم يظلموا أحداً .

خلعٌ كأنوار الربيع مدبجٌ ومـوشّمٌ ومنمنمٌ ومفوَّف[1]
بهرتْ عيون الناظرين وأبرزتْ حسناً يكاد البرق منه يخطف
لو نالت الشمس المنيرة حسنها ما كانت الشمس المنيرة تكسف
ولئن كبرت عن الملابس والحلى وبك الملابس والحلى تتشرّف
فالبيت يكسى وهو أشرف بقعةٍ في كلّ عامٍ مرَّةً ويسجّف[2]

ألمَّ فيه بقول من قال [ من الكامل ] :

تزهى بك الخلعة الميمون طائرها كزهو خلعة بيت الله بالبيت

رجع :

كالشّمس حفَّت بالسعود وحوله خدمٌ كأمثال الكواكب وقَّفُ
وكأنّ مجلسه عروسٌ تجتلى والمادحون به قيانٌ تعزف
ما تشتهي الآذان تسمعه وما تهوى العيون من المناظر تطرف
أو ما ترى حسن الزمان وطيبه والجوّ صافٍ والجنان تزخرف
عاد الربيع إليك في كانونه فشتاؤه للحسن صيفٌ صيِّفُ
شمسٌ محجّبةٌ وظلٌّ سجسجٌ وغمامةٌ سحٌّ وروضٌ رفرف[3]
وعلى الجبال من الثلوج أكاللٌ وعلى السماء من السحائب مطرّف[4]
نبأٌ تباشرت القلوب لذكره أذكى من المسك الذكيّ وأعرف
فلكلِّ عينٍ قرّةٌ ومسرَّةٌ ولكلِّ نفسٍ عزَّةٌ وتغطرف[5]

---

(١) خلع : عطاء ، وثوبٌ ، ومفوّف : موشّى ومزيّن .
(٢) يسجّف : من سجف البيت : أي أرسل عليه السجف ، وهو الستر ، أو الستران المقرونان بينهما فرجة ، والمراد بالبيت : الكعبة الشريفة .
(٣) السجسج : الذي لا حرّ فيه ولا برد .
(٤) المطرّف : الرداء من الحرير ذي الأعلام .
(٥) التغطرف : العجب والخيلاء .

وله من قصيدة في علي بن أبي القاسم [ من المتقارب ] :

معـانٍ نظمـت بهـنّ الصبّا كمـا نظـم الغـانيات العقودا
ببـاب الجـديد لنـا موقفٌ لبسنـا به العيش غضّـاً جديدا
وكم بالمحصـب من ليلةٍ شفعنـا إلـى الصبـح أن لا يعودا
ويومٍ قصيرٍ بتلك القصو ر تحسبـه الغيد للحسن عيدا
تـراه عبيـراً وحصباءه عقيقـاً وأشجـار واديه عودا
علـيّ بن أبـي القاسـم آرفـق بنا فقـد عاقنـا الشـكر أن نستزيدا
لئـنْ لم تمـلَّ ندىً أن تفيد لقـد ملَّ راجيك أن يستفيدا
وقالـوا انتجعـت حياً نازحاً وهـل عاق بعـد الحيا أن يجودا[1]
سنا البـدر يغشـى الثرى والورى جميعـاً وإن كان منهـم بعيدا
قـوافٍ إذا ما رآهـا المشو ق هزّت لهـا الغـانيات القدودا
كسـون عبيداً ثياب العبيد وأمسـى لبيد لديهـا بليدا[2]
ولـو لم أكن محسنـاً نظمهنْ لحسـن قصـدي إليك القصيدا
عرفنـا بعرفـك كيف الطريق وجـودك علَّمنـا أن نجيدا

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي من نتفه [ من الرمل ] :

ثُقَـلاءُ الأرض عنـدي خمسةٌ صالـح والابـن منهـم أربعة

ومن نتفه [ من الوافر ] :

تـركت الشّعـر للشعـراء، إنّي رأيت الشعـر من سقـط المتاع

وأنشدني له في أبي الحسن الغويري [ من مجزوء الرمل ] :

فـي حرِّ امِّ الشّعـر أيري لسـت أعنـي أير غيري

(١) انتجعت : قصدت ، والحيا : المطر .
(٢) عبيد : يريد عبيد بن الأبرص ، ولبيد : يريد : لبيد بن ربيعة ، وبليدا : مستثقلا .

إنّمـا يرفـع قـول الشـعـر أمثـال الغـويـري

* * *

## ٢٠ ـ أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الإصبهاني

شاعر ملء ثوبه ، محسن ملء فمه ، مرغوب في ديباجة كلامه ، متنافس في سحر شعره ، ولم يقع إلى ديوانه بعد ، وإنما حصلت من أفواه الرواة على قطرة من سيح غرره ، وغيض من فيض ملحه ، ولا يأس من وجدان ضالتي المنشودة من مجموع شعره ، وقد مرت في الصاحبيات أبيات له قلائل إلا أنها قلائد ، وهـذا مكان ما أحاضر به من أخواتها الرائقة الفائقة الشائقة .

أنشدني المعروف بالقاضي الإمام الأصبهاني قال : أنشدني أبو القاسم بن أبي العلاء لنفسه [ من مجزوء الرجز ] :

أصـبحـت صبّـاً دنفاً بيـن عنـاءٍ وكمد
أعـوذ من شرّ الهوى بقـلْ هو الله أحد

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو القاسم لنفسه [ من الكامل ] :

المستغـاثُ من الهـوى بالله من شادنٍ فتـن الـورى تيَّاهِ
مـا كنـت أعلـم قبلـه حرّ الهوى والوجـد ما هو والصّبابـة ماهي
حتـى بليت أغـنّ مدللاً كالـريم يعصـي في هواه الناهي
فمدامعـي عبـري وقلبـي والهٌ وجوانحـي حرّى وصبـريَ واهي

وله [ من الخفيف ] :

أيهـا الخشف كم أودُّ وأجفى وأسـام الهـوان صنفـاً فصنفا
لـو كشفـت الغطـاء عن سرّ قلبي لقـرأت الأحـزان حرفـاً فحرفا

إنّ نفسي موقوفةٌ بين شيئيـ ـن رجائي عليهما بات وقفا
بين أن ينصف الزمان وأعطى أملي فيك أو أموت فأكفى

ومن قصيدة [ من الكامل ] :

الطِفْ بطرفك ما أردت ودارِهِ لا يفضحنّك إنْ مررت بداره

وأنشدني له في نفسه [ من المجتث ] :

رجلي وأيري وبيضي في إست أم القويضي
لما أراد هجائي وفيضه دون غيضي[1]
ورام تدنيس عرضي فصار خرقة حيض[2]

وأنشدني أبو القاسم علي بن الكرخي له فقال [ من الطويل ] :

وقائلةٍ قالت فلانة طلِّقتْ فقلت ونفسي أطلقت بانطلاقها
تزوَّج قلبي الهمَّ يوم تزوّجت وطلّق قلبي الهمّ يوم طلاقها

وأنشدني الأمير أبو الفضل له من قصيدة يعاتب فيها الصاحب ويستبطئه [ من الطويل ] :

فإن قيل لي صبراً فلا صبر للذي غدا بيد الأيام تقتله صبرا
وإن قيل لي عذراً فوالله ما أرى لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذرا

وأنشدني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي له من قصيدة [ من الكامل ] :

وَرَدَ البشير بما أقرّ الأعينا وشفى النفوس فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرّة بينهُمْ قسماً فكان أجلُّهم حظّاً أنا

* * *

(١) دون غيضي : أي أقل ممّا يحبسه وغاض الماء : ذهب في الأرض وغاب .
(٢) خرقة حيض : أي خرقة تستعملها المرأة أوان الحيض أي العادة الشهرية .

## ٢١ ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن

من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر. ومن خراص الصاحب ومشاهير صنائعه ، وذوي السابقة في مداخلته وخدمته . وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره ، يتولى خزانة كتبه وينخرط في سلك ندمائه ، ويقتبس من نور آدابه ، ويستضيء بشعاع سعادته فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه ، عن الحد الذي يحمده الصاحب ويرتضيه كالعادة في هفوات الشبيبة وسقطات الحداثة . فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضباً أو هارباً ! وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز في بضع سنين ، ثم أفضت حاله في معاودة حضرة الصاحب بجرجان إلى ما يقتضيه ويحكيه في كتاب كتبه إلى أبي بكر الخوارزمي ، وذكر فيه عجزه وبجره[١] ، وقد كتبته تنبيهاً على بلاغته وبراعة كلامه ، واختصاراً للطريق إلى معرفة قصته ، وهذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الأستاذ سيدي ومولاي من الحضرة التي نرحل عنها اختياراً ، ونرجع إليها اضطراراً ، ونسير عن أفيائها إذا أبطرتنا النعمة[٢] ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة ، ومن لم تهذبه الإقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن في هذا ، ولكن الشأن في عشر سنين فاتت بين علم ينسى وغمّ لا يحصى ، وإنفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عنّي ريش طائر ، وبعد عن الوطن، على غير بلوغ الوطر . ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر[٣] ، أتلو « والعصر إن الإنسان لفي خسر » ، وأنا بين الرجاء في أن أقال العثار ، والخوف من أن يقال زأر الليث فلا قرار ، إلا أني كنت قدمت تطهير نفسي فلججت حتى حججت ، وعدت بغبار

---

(١) عجره وبجره : ما يبديه ويخفيه من أحواله .

(٢) أبطرتنا : من البطر .

(٣) البيض والصفر : الدراهم والدنانير أو الفضة والذهب .

الإحرام ، وبركة الشهر الحرام ، وحين خيّمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبري إلى الحضرة العالية ، حرس الله بهاءها وسناءها ، والناس ينظرون هل أقبل فيتلقوني بأكبر الرتب ، أم أسخط فيتحاموني كالبعير الأجرب ، فورد توقيع مولانا الصاحب الجليل ، كافي الكفاة أدام الله مدته ، وكبت أعداءه وحسدته ، بعالي خطّه ، وقد نسخته على لفظه، ليعلم مولانا الأستاذ أدام الله عزه أن الكرم صاحبي لا برمكي ، وعبّادي لا حاتمي ، وأنّا نتجرّم ثم نتندّم ، ونميل على جانب الإدلال ، ثم لا نروى من الماء الزلال ، والتوقيع .

ذكر مولاي أدام الله عزه عود أبي محمد الخازن أيده الله للفناء الذي فيه درج ، والوكر الذي منه خرج . وقد علم الله أن إشفاقي عليه في اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه ، فإن أحب أن يقيم مديدة يقضي فيها وطر الغائب ، ويضع معها أوزار الآيب . فليكن في ظلّ من مولانا ظليل . ورأي منه جميل ، وبرّ من ديواننا جزيل . وإن حفزه الشوق فمرحباً بمن قرّبته التربية لدينا ، فأفسدته الغرّة علينا[1] ، وردته التجربة إلينا . وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعنيه على كل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى .

هذه نسخة التوقيع الوارد على سيدنا الأستاذ أبي العباس ، أدام الله عزه في معناي ، فلا جرم أني أخذت مالاً ، وأغنيت عيالاً ، وقلت ليس إلاّ الجمازة والمفازة[2] ، فصبحت جرجان مسى عاشرة أهدى من القطا الكدرى، كأني دعميص الرمل أستاف أخلاف الطرق[3] ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عنّي حلماً ، ولا أقدر ما جنيت يعقب حلماً ، فكأنّي ما خطوت إلاّ في التماس قربه ، وما أخطأت إلاّ لتأثيل حرمه[4] ، وكأني لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فيّ بقول الله

(١) الغرّة : الجهل .

(٢) الجمازة : الإسراع في الأرض ، والمفازة : الأرض الكثيرة الهلكة .

(٣) الدعميص : التلّ والكثيب الصغير،|وأستاف : أضرب بعضها ببعض .

(٤) تأثيل : تمجيد، والأثيل : الأصيل .

تعالى فاصفح الصفح الجميل ، فقد روى في التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب في المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر[1]. وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا الى دورنا بفضلات الخير . وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم . وراجع الطبع شيئاً كان يدعي الشعر ، كذلك آدم أسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج عنها بما كان من جرمه . وهو عائد إليها بفضل الله وطوله ، هذا خبري، وأما كتاب سيدي الأستاذ أدام الله عزه فورد وذكرت قول سلم الخاسر * طيفٌ ألمَّ بذي سلم * لأنه حل محل الخيال ، وورد بأخصر المقال ، وما تركت السؤال عن خبره ساعة وردت . فعرفت من سلامته ما بشرت به فاستبشرت . وعلمت كيف كانت النكبة ، وكيف انحسرت المحنة ، وكيف اتفق الخروج إلى بخار المزن من المزني صاب ، بعد أن أصابه الدهر بما أصاب ، وشوقي إلى سيدي الأستاذ الشوق الذي كنت أصلى بناره ، وداري إزاء داره . ولم أستطع في التقريب أكثر من أن خرجت عن الموصل إلى جرجان ، وشارفت أدنى خراسان ، ولله اللطائف التي تخلصتني من الموصل ، فإني كنت في وقعة باد أباده الله وعراني ممّا ملكت ، وهتكني فتهتّكت ، وخرجت على مذهب مشايخنا في ضرب الحراب ، على صفحة المحراب . وهذا حديث طويل ، والكثير منه قليل . ذكر الأستاذ سيدي أن الشيخ أبا الفتح الحسن بن إبراهيم أخّر عنه نسخة الرسائل مع خروج الأمر الناجز ، وقد عجبت من ذلك ، فإن أوامر الحضرة أقدار جارية ، وسيوف ماضية . وأنا أجري حديثاً ، وأنتجز كتاباً جديداً . فأما شعري فليس يروى إلا في ديوان باد ، منذ فارقت آل عباد ، وفجعت بكتبي جملة ، وضرب عليها أولئك اللصوص ضربة . بل عملت في تهنئة مولانا أدام الله سلطانه ، وحرس مكانه ، حين رزق سبطا نبوياً علوياً فأشرقت الأرض ، ودعت السماء ، وأمنت الكواكب ، وقال الشعراء . وذلك أنه لما سمع الخبر قال [ من البسيط] :

---

(١) الحبر : جمع حبرة وهي الثوب الناعم الجديد الموشّى .

الحمـــد لله حمـداً دائمــاً أبـدا إذ صار سبــط رســول الله لي ولدا

فعملت على ذلك ما قد أثبته ، فإن يكن ليس بالمسخوط فمن بركة الحضرة والخدمة ، وإن يكن ممقوتاً فمن بقايا الغربة . ومن خبري أن لي ضيعة بأصبهان مقطعة ، وقد برقت لي في حلّها بارقة مطمعة[1] ، لأن مولانا أدام الله مدته أمرني أن أعمـل في السلطـان العـظيم ، أطـال الله بقـاءه مدحـاً نيروزياً أشـقّ بسموطـه السماطين[2] ، هذا ولو كنت عاملاً لكنت اليوم في مرموق الدرجات، فقد وردت ورأيت جماعة لم أكن يومئذ دونها ، وقـد صارت في منـازل أحتـاج إلـى خافية العقاب حتى ألحق بها ، زادهم الله ولا نقصني، وهناهم ولا نغّصنـي . ومنهـم شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله ، وما أقول إنه ليس بأهل لأضعاف ما خوّل وتخوّل به وموّل . إذ قد تفضل الله عليه بما أعلم أنه لو حكم بما تحكم فيه وقد قرنت بالقصيدة في المولود المسعود أخرى عيدية أبقـى الله مولانـا ما عاد عيد ، وطلع نجم جديد ، وسقى الله سيدي الأستاذ العهاد ، والرذاذ ، والطل ، والوبل ، والديمة ، والتهتان[3] ، وجميع ما في كتاب المطر للنضر بن شميل ، فما رأيت أتمّ منه ، وحسبي الله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

فهذا كلام كما تراه يجمع بين الجزالـة والحـلاوة ، وحسـن التصـرف في لطائف الصنعة ، ويملك رق الإتقان ، والإبداع والإحسان ، ويعرب عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة . فأما شعـره فجار مجرى عقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وما أصدق قولـه [ مـن البسيط] :

لا يحســن الشعــر ما لم يستــرقّ له حرُّ الــكلام وتستخــدمْ له الفكرُ

(١) برقت : ظهرت وخطرت .

(٢) السماطين : السماط : الصفّ ، وسماط الطريق جانبه .

(٣) العهاد والرذاد والطلّ والوبل والديمة والتهتان جميعها من صفات هطول المطر .

انظـرْ تجـد صور الأشعـار واحدةً ... وإنّمـا لمعـانٌ تعشـق الصّـور
والمقدمـون من الإبـداع قد كثروا ... وهـم قليلـون إنْ عدّوا وإنْ حصروا
قومٌ لو آنّهـم آرتاضـوا لمـا قرضوا ... أو أنهـم شعـروا بالنقص ما شعروا

وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لمعاً يسيرة من شعر أبي محمد ، كقوله في وصف غبار الركب ، وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه . وأجمع لأقسام الحسن والظرف ، وهو [ من الخفيف ] :

إنّ هـذا الغبـار ألبـس عطفـيَّ ... سـواداً ودينـيَ التّوحيـد
وكسـا عارضـيَّ ثوب مشيبٍ ... ورداءُ الشّبـاب غضٌّ جديد

وقال في الغزل [ من الكامل ] :

حـثَّ المطـيّ فهـذه نجدُ ... بلـغ المـدى وتـزايد الوجد
يا حبّـذا نجـدُ وساكنُها ... لو كان ينفـع حبّـذا نجد
وبمنحنـى الـوادي لنـا رشأٌ ... قد ضلَّ حيث الضـال والرند(١)
هنـدٌ ترى بسيوفِ مقلتها ... ما لا ترى بسيوفهـا الهند

وأعطاني نسختي القصيدتين اللتين ذكرهما في الكتاب الصادر ، فشوقني إلى سائر شعره ، وبقيت أسأل الرياح عنه ، إلى أن أتحفني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي في جملة ما لا يزال يهديه إليّ من ثمرات أرضه ، ولطائف بلده بالعقيلة الكريمة ، والدرة اليتيمة ، من مجموع شعر أبي محمد ، وقد كانت حضرة الصاحب جمعتهما ، ومناسبة الأدب ألفت بينهما ، فأوجب من الاعتداد ، وفر الأعداد ، وجمعت يدي منه على العلق النفيس ، فرتعت في روضته الأنيقة فبينا أنا أباهي به ، وأهتز لحصوله ، إذ أصابه بعض آفات الكتب ، وامتدت إليه يد بعض الخونة [ من الطويل ] :

---

(١) الرشأ : الغزال ، والضال،والرند : من الأشجار الطيبة الرائحة .

وسهم الرزايا بالذخائر مولعٌ ... وأيُّ نعيمٍ لا يكدِّره الدَّهرُ

فصنع الله تعالى في القوارع من إخراج ما يصلح لكتابي هذا منه ، فمن ذلك قوله من قصيدة في الاستعطاف والاعتذار عند تغير الصاحب عليه واستمرار الأسفار بأبي محمد [ من الوافر ] :

أيا من عفوه داني السّحابِ ... صدوق البرق ثقّاب الشهابِ
مديدُ الظلّ معقود الأواخي ... على الجانين مضروب القباب
فكيف حجبت عنك وأنت شمسٌ ... تجلُّ عن التستر بالحجاب
أيرتج باب عفوك دون ذنبي ... وعفوك لم يشنْ برتاج باب[1]
وإعراض الوزير أشدُّ مسّاً ... على الأحرار من ضرب الرقاب
ثنى غربي وفلّ شبا شبابي ... وصبّ عليَّ أسواط العذابِ[2]
ولم تبق الليالي في بُقَيَّا ... لعتبٍ منك فضلاً عن عقابي
فهب لزيارتي خطئي ، وعمدي ... لقصدي ، واغتراري لاغترابي
فما في الأرض إلاّ من يراني ... بعين المحنق الضرم الضباب[3]
كأنّي قد أثرتُ بهمْ ذئاباً ... أو استنفرت منهم أسد غاب
حصلت وكنت ضيفك في الثّريّا ... وصرت ولست ضيفك في التراب
أعدني للقرى واجعل جوابي ... وإيجابي جفاناً كالجوابي[4]
وجُدْ برضاك فهو العيش غضّاً ... وكلاّ فهو ريعان الشباب
ولو زعت الحسام العضب سخطاً ... لذاب ذبابه بين القراب[5]

---

(١) يرتج : يقفل ، ويشن : يعاب .

(٢) الغِرب : الحدّة والنشاط ، وفلّ : قطّع .

(٣) الضرم : الغضب ، والضباب : العابس .

(٤) الجفان : القصع ، أو ما يسكب فيه الطعام من الآنية ، والجوابي الجران : الواسعة التي تسقى منها الحيوانات .

(٥) الذباب من السيف: طرفه الذي يضرب به .

أعيذك أن تصيخ إلى عدوي وسمعك عن هنات القول نابي[١]
على أنّي أتوب إليك ممّا كرهت فرقٌ لي واقبلْ متابي
وإن لم تعفُ عن ذنبي سريعاً فها إني وحقٍّ أبي لمابي
سألثم من ثراك الروض غضّاً ومن يمناك منهلَّ السحاب
أصبت بخاطري فأتى بشعرٍ عليلٍ مسَّهُ ألم المصاب
وما لي غير مدحٍ أم ثناءٍ مشيدٍ أمْ دعاءٍ مستجاب

وقوله من قصيدة في معناها هي أحسن عندي من اعتذارات النابغة إلى النعمان وإبراهيم بن المهدي إلى المأمون وعلي بن الجهم إلى المتوكل [ من الوافر ] :

لنار الهمِّ في قلبي لهيبٌ فعفواً أيها الملك المهيبُ
فقد جاز العقاب عقاب ذنبي وضجَّ الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرةً مهجُ القوافي وغصَّصها التذلُّل والنحيب
وقد قصمتْ عراها واعتراها بسخطك بعد نضرتها شحوب
وقالت ما لعفوك ليس يندى لنا وسماء مجدك لا تصوبُ
ومن يكُ شوط همته بعيداً فمثنى عطفه سهلٌ قريبُ
تجاوزتِ العقوبة منتهاها فهبْ ذنبي لعفوك يا وهوب
وأحسنْ إنّني أحسنتُ ظنّي وأرجو أنّ ظنّي لا يخيب
أترضى أن أكون لقى مقيماً على خسفٍ أذوب ولا تثوب[٢]
أبيت ومقلتي أبِقٌ كراها وفي ألحاظها صابٌ صبيب[٣]
وقيذاً لا يلائمني طعامي ولا ينساغ لي الماء الشروب[٤]

---

(١) تصيخ : تستمع ، وهنات القول : أي القول المعيب .

(٢) اللقى ـ كفتى ـ المطروح ، وجمعه ألقاء .

(٣) أبقٌ : هارب ، والصاب : عصارة شجر الصاب الشديد المرارة .

(٤) الوقيذ : المريض .

صببتَ عليَّ سوطاً من عذابٍ يذلّ لبأسه الدّهر الغلوب
وأرهقني نكيرك لي صعوداً من الأشجان ليس له صبوب
وما عوني على بلوايَ إلاّ رجائي فيك والدّمع السكوب
فإنْ تعطفْ على رجلٍ غريبٍ فإنّي ذلك الرّجل الغريب
عليك أنيخ آمالي فرحّبْ بها، وإليك من ذنبي أتوب
وأخطر ما يريب إذا دهتني غوامضه إلى ما لا يريب
فأيَّةُ طربةٍ للعفوّ إنّ الـ ـكريم وأنت معناه طروب
فإنّي نشءُ دارك والمغذّى بسيبك والصنيعةُ والربيبُ
وأُبْتُ إليك من عفوٍ مدلاًّ بما يقضي علاك لمن يؤوب[1]
ولذت ببابك المعمور علماً بأنّ ذراك لي مرعى خصيب
وأنّ شعابه أندى شعابٍ إليها يلجأ الرجل الأديب
وسقت بناتِ آمالي إليها وقد حفيَتْ وأنضاها الدءوب[2]
فبوئني اختصاصك حيث تجني ثمار العزّ والعيش الرطيب
ولكنْ كادني خبٌّ حقودٌ لعقرب كيده نحوي دبيب[3]
وما لجموحٍ أُلفته جنيبٌ وما لشمال فرقته جنوب[4]
ولا يشفيه منّي لو رآني وقد أخذت بحلقومي شعوب[5]
بلوت الناس من ناءٍ ودانٍ وخالطني القبائل والشعوب
فكلٌّ عند مغمزه ركيكٌ وكلٌّ عند مشربه مشوب[6]
فجدْ لي بالرضا واقبل متابي وعذري، إنّني أسِفٌ كئيب

---

(١) أبت : عدت .

(٢) أنضاها : عرّاها.

(٣) الخبّ : المخادع .

(٤) جنيب : مرافق وجنوب : الريح التي تهبُّ جنوباً .

(٥) الشَعوب : الموت والهلكة .

(٦) المغمز : التجربة والاختبار ، ومشوب : ممزوج .

طـريحٌ في فنائـك مستضامٌ غريبٌ لا يكلِّمنـي غريب
أأمنـعُ من بوادي العلـم منعاً كأنّـي ليس لي فيهـا نصيب
وأحـرمُ من كلامـك كلّ بدعٍ تناهبـه النـواظر والقلـوب
فلـم لا ينتهـي ويكفّ عنّي عقابك بعـد ما انتهـتِ الذنوب
وغـاية ما يصير إليه شعرٌ إذا استعطفـت أو مدحٌ مصيبُ
ومـن سقيا سحابـك جاد طبعي ولـولا الغيث لم ينبـع قليب[1]

وكتب إلى أبي العلاء بن سهلويه وقد ورد بغداد رسولاً وأبو محمد بها قصيدة منها [ من الكامل ] :

أأبـا العـلاء وردت أكرم موردٍ أرض العـراق وأنـت أنجـح آيبِ
وحـويت في الحـالين شأوَ مبرِّزٍ متحـرِّزٍ لم يأت غير الواجبِ
وخدمـت شاهنشـاه أحسـن خدمةٍ رضيت وأوثقهـا لرأي الصّاحب
أبلـغ رسالتـيَ الـوزير وقـلْ له قولاً يسهِّـل لي سبيل مطالبي
ويضـيءُ آفاقـي ويمـرع مرتعي ويحـقُّ آمالـي ويخصـب جانبي
بحياتـه قسـم الـكرام وعهدهمْ لا تلونـي عنـه بظـنٍّ خائب
واذكر موالاتـي الصريحـة إنّها أبهـى وأنضـرُ من عهـود حبائب
وكفـاك علمـك بي وودّي شاهداً فاذكرْ خلـوص عقائـدي ومذاهبي
خذهـا إليك شذور طبـعٍ لاعبٍ بالشّعـر مرتـاحٍ له لا لاعبِ
وكأنّـه في حسنـه ورواءه نظـم العقـود علـى نحـور كواعب
أهـديت من حلـواء باب الطلـق ما يزري علـى حلـواء ذاك الجانب
وأشـدّ منـه حلاوةً شعـري الذي سحـر القلـوب بسحـره المتناسب

وله من أبيات عملها بديهة لينشد الصاحب [ من المتقارب ] :

---

(١) القليب : البئر .

أبيتُ قديتك إلاَّ الغضبْ على أخويك النّدى والأدبْ
وأمرضت شعري وأحرضته وشبّبت تشبيبةَ المقتضب[1]
بلِ اشتكت الغرر السائراتُ وصاحت دواوين شعر العرب
وحال الجريض دوين القريض وضرب اليعاسيب دون الضرب[2]
وقد كان شعري قضى نحبه فامسكه عفوك المرتقب
وأنك تحنو على سرحه وتغزر من مائه ما نضبْ
وتوقد من ناره ما خبا وتطلع من نجمه ما غرب
بكى غزلي حسن ورد الخدود وضرَّب بين اللّمى والشنب[3]
وأعرض منخزلاً بعد ما تألَّق من حسنه والتهب
فلا توحش المهرجان الذي بنظمي يرى السامعين العجب
وأنظم باسمك عقد العلا وأنشر عنك نضار الحسب
فهبْ ليَ ذنبي فأنت الشفيع لا غير والمرء مع من أحبّ
وردَّ إليَّ نعيم الرّضا ولا تصلنّي بجحيم الغضب
وما ليَ ذنبٌ فإن كان لي فذنب حقيرٍ قصير الذنب
متى يرض عنّيَ كافي الكفاة بلغت المراد ونلت الأرب

وله من صاحبية ذكر فيها برءه من مرض عرض له [ من الكامل ] :

كذبت سعود المشتري فلو آنها حرمتْ سعادة جدّه لم تنجحِ[4]
ما مسّه ألمٌ ولكن هزَّهُ ما هزَّ إفرند الحسام المصفح

(١) الحرض : الهلاك .
(٢) الجريض : الغصة ، من الجرض وهو الريق يغصّ به ،والقريض :الشعر ، و« حال الجريض دون القريض » مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً حين لا ينفع ، وأوّل من قاله : عبيد بن الأبرص قاله للنعمان . وقد ورد عليه في يوم بؤسه .
(٣) اللّمى : سمرة في الشفة، والشنب : عذوبة الأسنان .
(٤) الجدّ : الحظ .

نفض الأذى عن جسمه والروض قدْ ينفي الهشائم وهو غير مصوّح[١]
ما بحث عنه سوى قذىً والعين لا تصفو من الأقذاء ما لم تضرح[٢]
عادت سلامته وأظهر دهره ندم المنيب وتوبة المستصفحِ

ومن أخرى [ من الكامل ] :

ما زلت أعتسفُ المهامه والفلا وأواصل الأغوار بالأنجادِ[٣]
حتّى نأيت عن الحواضر ملقياً رحلي بوادٍ في تخوم بوادي
فإذا بسعدي وهي بدرٌ طالع من فوق غصنٍ في نقاً منهاد[٤]
وطرقتها وعداتها رقباؤها في صورة المرتاب لا المرتاد
فحللت منها حيث كان وشاحها درعي وساعدها الوثير وسادي
وجناؤها حصني وساحر طرفها سيفي وفاحمها الأثيث نجادي[٥]
وعقاصها الموصول زهرة روّضتي ورضابها المعسول صوب عهادي[٦]
حيث الصّبا عبق الحواشي مونقٌ تزهى بناعم غصنها المياد
والروض أحوى والحمائم هتّفٌ والظلُّ ألمى والقيان شوادي[٧]
ولها ديارٌ غير شرقيٍّ الحمى شحطت وشطَّت عن لقاء أعادي
دارٌ بذي الأرطى ودارٌ بالغضا أخرى ودارٌ باللوى المنقاد
لو فاخرت ذات العماد بيوتها عادتْ مقوَّضةً بغير عماد
لا تكذبنَّ فما لها دارٌ إذا أنصفتني إلاّ صميم فؤادي

(١) مصوّح : محطّم .
(٢) تضرح : تنحّى وتبعد .
(٣) المهامه : الصحاري ، والأغوار والأنجاد : أي المنخفضات والأعالي .
(٤) منهاد : أي ناهد وهي المرأة التي ارتفع ثديها .
(٥) الفاحم : الشعر الأسود ، والأثيث : المتداخل والنجاد : ما يعلّق به السيف .
(٦) العقاص : خصلات الشعر المضفورة .
(٧) أحوى : من كانت به حوّة وهي لون صدأ الحديد سمرة إلى حمرة . وألمى : من كان في شفته سمرة مائلة إلى السواد .

فلذاك لا تسقي السحائب أرضها إلاّ بردن حرارة الأكباد

ما أبدع هذا المعنى وأبرع هذا اللفظ!! وقد سبق إلى معنى البيتين ولكنه أبدع في الجمع بينهما وأحسن ما شاء.

ومنها:

ولرب ليلٍ لم أنمْهُ، ومقلتي مطروفةٌ مطروقةٌ بسهاد
شوقاً إلى نادٍ جنى ريحانه لمع القريض ونغمةُ الإنشاد
نادٍ تجلّى عن مقرٍّ سريره قمرٌ أناف على البسيطة بادي
كافي الكفاة المستجار بظلّه والمستضاء بعزمه الوقّاد
ملكٌ محبّته سلافة مزنةٍ ملكت مع الأرواح في الأجسادِ
ملكٌ يقال له حماد إذا التقت قحم السنين ولا يقال جماد

وهي طويلة، وما من أبياتها إلا غرة أو درة.

ومن أخرى [ من الطويل ]:

ولما تنسّمنا صبا صاحبيةٍ تعيد عجاج الجوّ وهو عبيرُ
تركنا لظى الرمضاء وهي حديقةٌ ندىً وحصى المعزاء وهي شذور[1]
ونلنا هشيم النبت وهو منوّرٌ وردنا قتاد الأيك وهو حرير[2]

ومنها:

وزيرٌ وممّا يعجب المجد أنّه وزيرٌ عليه للسّماح أمير
ويخطب من فوق الثريّا بفخره فلا تعجبوا إنّ الخطيب خطير

---

(١) الرمضاء: شدّة الحرّ، والمعزاء: الأرض الكثيرة الحصى. وشذور: القطع من الذهب تلتقط من معدنه.

(٢) القتاد: الشوك.

لوى الراسيات الشمَّ أيسر سخطه    ويكفي من السمِّ النقيع نقير[1]
وذلّل أعناق الليالي بهمّةٍ    لها مرقبٌ فوق الأثير وثيرُ
وخمَّرَ رأياً لم يشطَّ ثباتُهُ    فطورٌ ورأي الأكثرين فطير[2]
له القاضيات الماضيات مهنّدٌ    مبيرٌ وعزمٌ كالشهاب منير[3]
وما كان للجوزاء لولا جوازه    مجازٌ وللشعرى العبور عبور
تساعده الأقدار فيما يريده    وتسعده الأفلاك كيف تدورُ
أواري بكرّ أبّاد صفّ صعداته    وقد عقدت منها عليك حبور
وصفْ بأسه إذ ظلّ يصدم وحده    ثلاثين ألفاً والجسور جسور

سبحان الله ! ما أشرف هذا الكلام وأعلاه وأجله !!

ومنها :

وألويةُ النصر المبين خوافقٌ    تطيح بأشتات العدا وتطير
وقد كشّرت عن نابها أمُّ قشعمٍ    وللموت في وجه الكمِّي هرير[4]
وفي يده اليمنى ثوابٌ وجنّةٌ    وفي يده اليسرى ردىً وسعيرُ
ولي مِدَحٌ فيه غوادٍ روائحٍ    أشيد مدى عمري بها وأشير
ووصف نسيبٍ لو أعير كثيراً    لوفّيَ تعظيماً وقيل كثير

وله من قصيدة في فخر الدولة [ من الطويل ] :

سقى الله أياماً بشرقيِّ منبجٍ    إلى العلم الأقصى بغربي منعَّجِ
إلى الحيرة الغنّاء مطمح ناظري    ومسرح آمالي ومسرى تفرُّجي

---

(١) النقير : القليل .

(٢) يشطّ : يتوه ويفارق ، فطورٌ : خالقٌ .

(٣) مبير : مهلك .

(٤) أم قشعم : الضبع ، والهرير : صوت القوس والكلب دون النباح .

منازل لو لم تخطُ سعدي بأرضها | لما اهتزَّ غصنٌ في نقا مترجرج[1]
ولا راق درٌّ فوق أشنب واضحٍ | ولا راع سحرٌ تحت أكحل أدعج
ولم يتحدَّرْ طلّ نرجسِ مقلةٍ | على صفحتيْ تفّاح خدٍّ مضرَّج
عشية هزّت للوداع فأودعتْ | محاسنها أعطاف جذعٍ مدبَّج
فكم غَرِدٍ لمّا استقلَّ ركابها | حدا طرباً والليل غضبان مدَّجي
وكم ثملٍ من نشوة الحبِّ يرتعي | هوى عامرٍ ما بين حجلٍ ودملج[2]
أقول وقد لاحت عوالي خيامها | وفاحت غوالي روضها المتأرّج
أيا طارقي أحججْ ويا رائدي ابتهجْ | ويا سابقي عرّج ويا صاحبي عجِ
ويا عبرتي كفّي ويا ناقتي قفي | ويا شيبتي احتجي ويا صبوتي ادرجي
فقد كتبت أيدي المشيب مواعظاً | بخطٍّ على فوديَّ غير مسبّج[3]
لئن كنت في بردٍ من العيش مبهجٍ | لقد صرت في طمرٍ من الشيب منهج[4]
ولذت من الدهر العسوف بحضرةٍ | تحاط بأطراف الوشيج المزجَّج[5]
هي الحضرة الغناء تهتزُّ نضرةً | وتزري بأنواع الربيع المثجَّج[6]
هنالك لا زند الرجاء لمرتجٍ | بكابٍ ولا باب العطاء بمرتجِ

هكذا فلتمدح الملوك ، وأبيات هذه القصيدة فرائد كلها ، وقد كتبت أنموذجاً منها .

وله من أخرى في وصف الربيع [ من الكامل ] :

---

(١) النقا المترجرج : الكثيب المتموّج .
(٢) الحجل والدملج : أي الخلاخيل والأساور .
(٣) غير مسبّج : أي بخطٍّ أبيض لأن السّبج هو السواد .
(٤) الطمر : الثوب البالي ، والمنهج : الرث .
(٥) الوشيج المزجج : أي الرماح .
(٦) المثجّج : الذي تسقيه الأمطار الغزيرة .

طلع الربيع فقال للأرض آشكري نعم السماء وأبدئي وأعيدي
فغدتْ حدائقها تواصل شكرها بلسان كلّ مطوّقٍ غرِّيد
روضٌ إذا نشرت طرائف وشيهِ طويتْ لها أبراد آل يزيد
ريّان لم يعثر نسيم صبابتي في ظلّها إلاّ بورد خدود
واعتلَّ نرجسه فعادته الصّبا أحسِنْ بنظرة عائدٍ ومَعُود
وببلٍّ مسكيٍّ الصّعيد معنبرٍ من مزنةٍ حثّت بجيش رعود
وزففت حرَّة مدحةٍ فخريةٍ تركت عبيداً وهو بعض عبيدي
وأنا الذي أجلو معاني مدحه زهراً طوالع في سماء قصيدي
يتنافس السحر الحلال ، وتارةً يتناثر العقيان حول نشيدي
فليفترعْ أبكار لذّاتِ المنى وليضرع الراقود للناجود[1]
راحاً إذا كمنت جلتْ من حجبها فوق الخدود طلائع التوريد
ولتجلُ دولته عروساً كلّلتْ علياه مفرِقَها بتاج خلود

وله من أخرى [ من الكامل ] :

سمراءُ تخطر في الوشاح المذهب وتميس بين ربائبٍ أو ربربِ
هيفاء تعذل كلَّ يومٍ مرّةً شمس الضحى وتردُّها في مغربِ
عقدت لواء الحسن ليلة أقبلتْ في موكب الفتيان أعجبَ موكبِ
في ليلةٍ لو لم تجدْ بتبسّمٍ لم ينتطق خصرُ السماء بكوكب
خجلت وقد وجلت فهاك شقائقاً مغروسةً في أرض عاجٍ مذهب
وأرى الشباب إذا تطامن شرخه لتغيُّرٍ فقدِ انثنى لتغيُّب[2]
ولئن أطلت فقد أطبت وإنّني رجلٌ متى أصفُ المعالي أطنِب[3]

(١) يفترع : يفتض ، والراقود : إناء كبير عميق والناجود : الإناء الذي يجعل فيه الشراب .
(٢) شطا من شرخه : انخفضت قوته وحدّته .
(٣) أطنب : أطيل .

أطـــري وأُطـــرب منشـــداً فليستمعْ شاهانشـــاه نشيدَ مُطْـــرٍ مطرب[1]

* * *

## ٢٢ ـ أبـو العلاء الأسـدي

قديم الصحبة للصاحب ، شديد الاختصاص به . ممتد الغرة والتحجيل في شعرائه وصنائعه وندمائه . وكان يحبه ويأنس به . ويكاتبه نثراً ونظماً كقوله له [ من السريع ] :

قلبـي علـى الجمـــرة يا أبـــا العلا فهـــل فتحـــت الموضـــع المقفلا

وإياه يعني بقوله [ من البسيط] :

أبـــا العـــلاء هلال الهـــزل والجدّ كم النجـــوم التـــي يطلعـــن للجدّ

وإليه كتب « أبا العلاء شيخي ، أين ذلك الميعاد ؟ وأين تلك العهود سقتها العهاد ؟ وأين ليالينا بحزوى ، وتصابينا على أروى ؟ بل أين الصبا ومـا ملك ؟ وأين الشبـــاب وأية سلك ؟ وإذ قد غاب جميع ذلك مغيب الخيال الطـــارق ، والضيف المفارق، فأين كتبك التي هي ألذ من انتهاء النفس إلى رجائها ، وابتداء العين في إغفائها » من كتاب غير قصير .

فأما شعر أبي العلاء فليس بالمحل العالي ، لا سيما في المدح ، وقلة عيونه تمنع من إيراده بعد قلائد ولديه أبي سعيد وأبي محمد ، ولما كان بعيد الصيت في أصحاب الصاحب لم أجد بداً من ذكره وكتابة ملح من أملح شعره .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو العلاء لنفسه ، قال : وأراه عرّض بالصاحب [ من الطويل ] :

---

(١) مطرٍ : أي مادحٍ .

وربَّ كريمٍ تعتريه كزازةٌ كما قد رأيت الشوك في أكرم الشجرْ
وربَّ جوادٍ يمسك الله جوده كما يمسك الله السّحاب عن المطرْ

وأنشدني غيره له [ من الوافر ] :

سيسألني صديقي عنك فيما يدور من المسائل والحكايه
فأطرقُ إن سئلت لغير شكوى وإطراقي أشدّ من الشكايه

وله أيضاً ، وهو ما يتغنى به [ من الخفيف ] :

لا لعمري ما أنصفوا حين بانوا حلفوا لي أنْ لا يخونوا فخانوا
شتّتوا بالفراق شملي ولكنْ جمعَ الله شملهم أين كانوا

وله في المجون [ من الخفيف ] :

أنا والله أشتهيك فكن عنتراً آن شئت أو كعمرو بن معدي
وتفارسْ إن شئت أو فتراجلْ ليس هذا مما يضرك عندي

* * *

## ٢٣ ـ أبو الحسين الغويري

هو في الاختصاص بالصاحب، والاشتهار في أصحابه ، كأبي العلاء ، وكان كثير الشعر ، قليل الملح ، وكانت في خزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد مجلدة ضخمة الحجم من شعر الغويري بخطه ، فاستعرتها واجتمعت أنا وأبو نصر سهل بن المرزبان على إخراج ما هو شرط كتابي هذا منها ، فما أقل ما حصلنا عليه من ذلك . ولم نجد له خيراً من الأبيات الدارية التي مرت في أخواتها ، ومن أشف ما وقعت العلامة عليه من ذلك قوله في الاعتذار من هفوة السكر [ من المجتث ]

بـالله ربٍّ السمـاء بخـاتـم الأنبيـاء
بـسيّـد الأوصيـاء بزوجـه الـزهـراء
بـالبيـت والبطـحـاء بالقبـر فـي كـربلاء
حـلفـت مـا لـيَ ذنـبٌ الـذّنـب للـصـهبـاء
وليس لي من شفيعٍ إليـك غيـر رجائـي
فـكـنْ محقِّـق ظنّـي يـا غـرَّة الوزراء
فجـرح سكري جبارٌ كالجـرح مـن عجماء[1]

وقوله في الصاحب والبيت الأخير مضمن [ من الكامل ] :

قل للـوزير مقالـةً عن واجدٍ يا من نداه كالفـرات الزائد
ما لي حرمـت من الأمير نواله وسـواي يكرع في الـزُّلال البارد
ما ضاقـت الـدنيا علـيَّ بأسرها حتـى تراني راغبـاً في زاهد

وقوله من قصيدة ربيعية [ من الخفيف ] :

أيُّهـا الصاحـب الـربيع تجلّى في رياضٍ تحـارُ فيهـا العقول
نـرجسٌ ناضـرٌ وأحمـر وردٍ وشـقيقٌ يزينـه التكحيـل
وغصـونٌ تجـرُّ أذيال نورٍ في حواشـي جداولٍ وتميل
للـزرازيـر فـي خـلال الأزاهيـر صفيـرٌ وللحمام هديـل
فأقِـمْ رسمنـا صبيحـة نيرو زٍ بهِ ربـع أنسنـا مأهول
بـكؤوسٍ مملـوءةٍ مـن مدامٍ أنـت فيهـا لمـن حساهـا عذول
واجتنـبْ جلسـة الثقيل إليها فعلـى الشّـرب لا يخفُّ الثقيل

وله من مهرجانية [من مجزوء الرمل ] :

---

(١) الجِبار : سدّ الحاجة ، وإصلاحها ، والعجماء : البهيمة أو الرّملة التي لا شجر فيها .

أسيوفُ الهند سلَّتْ أمْ ظبا أجفان هند[1]
يا لأيام الصّبا والعيش في أكناف نجد
ربّ حسناء رداحٍ ألصقت خدًّا بخدٍّ[2]
أطبقتْ صفرة دينا رٍ على حمرة ورد
أيُّها الصاحب عليا ك على الأيام تعدي
وعلى جدواك قد عوّ لت في حَلِّي وعقدي
مهرجانٌ ثغره يفترُّ عن يمنٍ وسعد
ورده وردُ جسادٍ فاح عن مسكٍ وندٍّ
فابقَ ما شئت كما شئت لتنويلٍ ورفد

وله [ من مجزوء الكامل ] :

يا أيُّها الشيخ الذي هو مشتكاي من البشرْ
أصبحت أختار العمى في ناظريَّ على البصر
أسفاً على عمرٍ يكدِّره لقاء أبي عمرْ

* * *

(١) سلّت : شهرت ، والظُّبا : الحدّ من السيف والرمح والسهم .
(٢) رداحٍ : الضخمة الثقيلة الأوراك .



# الباب السادس

## في ذكر الشعراء الطارئين على حضرة الصاحب من الآفاق

سوى من يقع ذكره منهم في أهل خراسان وطبرستان فإن لهم باباً مفرداً في هذا الربع الثالث ، وسوى أبي طالب المأموني ، وأبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان أبي الفضل الهمذاني ، فإن لذكر كل منهم مكاناً في الربع الرابع .

## ٢٤ ـ أبو الحسن علي بن محمد البديهي

من شهرزور كثير الشعر ، نابه الذكر ، خليفة الخضر[١] . سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : وقد جرى ذكره بين يديه ، إنه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب إليها وتلقب بها إلا الى لفظة الدعوى ، دون حقيقة المعنى ، وفي ذلك يقول له الصاحب [ من الوافر ] :

تقول البيت في خمسين عاماً      فلم لقَّبتَ نفسك بالبديهي

ثم أقبل عليّ وقال : أنا أقول في البديهي ما قاله الجاحظ في عمرو القصافي زعم أنه قال الشعر ستين سنة فلم يسر له إلا هذا البيت الواحد [ من البسيط ] :

---

(١) خليفة الخضر : أي كثير الترحال والمعمّر طويلاً .

خوصٌ نواجٍ إذا جدّ الحداة بها رأيت أرجلها قدّام أيديها[1]

وكذلك البديهي قال شعراً كثير العدة ، في زمان طويل المدة ، فلم يستملح له إلا هذا البيت [ من الخفيف ] :

أتمنّى على الزمان محالاً أن ترى مقلتاي طلعة حرٍّ

وهذا الحكم منه فيه حيف شديد على البديهي ، فليس شعره في سلامة المتون وقلة العيون على ما ذكره ، والبيت الذي أشار إليه من أبيات بديعة أولها [ من الخفيف ] :

ربَّ ليلٍ قطعته باجتماعٍ مَعَ بيضٍ من الأخلاّء غرٍّ
وكأنّ الكؤوس زهرُ نجومٍ والثريّا كأنّها عقد درٍّ
مرَّ من كنت أصطفيه وللدّهر صروفٌ تشوب حلواً بمرٍّ[2]

ومن سائر شعر البديهي قوله [ من البسيط ] :

يا شهرزور سقيت الغيث من بلدٍ نودُّ - وجداً به - أنّا نقابلُهُ
طال الفراق فلا وافٍ يراسلنا على العباد ولا آتٍ نسائلُهُ

وله من قصيدة صاحبية وكان الصاحب أخذه معه من بغداد إلى أصبهان أولها [ من الخفيف ] :

قد أطعتُ الغرام فاعصِ العذولا ما عسى عائبُ الهوى أنْ يقولا
وصحبناه في فيافٍ قفارٍ كاد فيها الخليل يجفو الخليلا[3]
فبلونا منه دماثة أخلاقٍ أعادت تلك الحزون سهولا[4]

---

(١) الخوص : النوق ، والنواجي : السراع .
(٢) الصروف : الأحداث والغير، وتشوب : تمزج .
(٣) الفيافي : الفلوات ، والخليل : الصاحب .
(٤) بلونا : وجدنا واختبرنا ، والدماثة : اللين والسهولة ، والحزون : الأرض الصعبة المسالك .

وأوينــا إلــى رحــابِ رحابٍ لـم نجـد للعفـاة عنهـا عدولا

وله من تشبيب قصيدة [ من الطويل ] :

ولــم أرَ لي يومَ الــرحيل مساعداً على الوجد حتّى أقبل الدّمع مسعِدا
وكان دمــاً فابيضّ منــه احمراره بنــار التّصابــي حين فاض مصعّــدا

أخذه من قول من قال [ من الطويل ] :

أرابــك دمعــي إذ جرى فحملتني من الضرّ والبلوى على مركبٍ صعب
فلا تنــكرنّ تلك الدمــوع فإنّما يبيّضهــا تصعيدهــا من دم القلب

وللمعروفي بالفارسية في معناه .

خون سيبــد بارم بردورخــان زردم آرى سبيذ باشــد خودل معد

وله من قصيدة أخرى ذكر فيها حسن أيامه [ من الخفيف ] :

كيف تقضــي ليَ الليالــي قضاءً يشبــه العــدل والليالـي خصومي
ربَّ ليــلٍ قطعتــه فــي هــوى الشــعــر كـأنّ الشــعـرى العبـور نديمــي
فتــأمّــل فلســت فــي الخلــق والخلــق المــراديــن بالــذميــم الذميــم
أنــا مــن آلــة النـدى فلــو أحضــرتنــي لــم يعـب نداماك خيمــي[1]
يُرتضــى مشهــدي ويؤمــن غيبي وأرى فــي الملــمّ غير مليم

ومن نوادر شعره قوله [ من الكامل ] :

لمّــا أتيتــك زائــراً ومسلِّمــاً خرج الغــلام وقــال إنَّــك نائمُ
فأجبتــه أبِــلا لحــافٍ نائمٌ هذا المحــال وأنــت عنــدي ظالم

---

(١) الخيم بكسر الخاء : السجية والطبع .

أنت اللّحاف فكيف تطعم عينه طعم الرّقاد وأنت عنه قائم
فتضاحك الرشأ الغرير وقال لي أو أنت أيضاً بالفضيحة عالم
والله ما أفلتَّ منه ساعة حتى حلفت له بأنّي صائم

وما يتغنى به من شعره قوله [ من الطويل ] :

ذريني أواصل لذّتي قبل فوتها وشيكاً لتوديع الشباب المفارق[1]
فما العيش إلاّ صحةٌ وشبيبةٌ وكأسٌ وقربٌ من حبيبٍ موافق
ومن عرف الأيام لم يغترِرْ بها وبادرَ باللّذات قبل العوائق[2]

* * *

## ٢٥ ـ أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم

من أهل العراق ، شيخ شعراء العصر ، وبقية ممن تقدمهم ، واسطة عقد ندماء الصاحب ، وما هم إلا نجوم الفضل وهذا منهم كالبدر ، وكانت له في صحبته وخدمته هجرة قديمة ، وله حرمة وكيدة ، وحاله عنده كما قرأت في كتاب له وأما شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله فصورته لدى صورة الأخ ، أو وده أرسخ . ومحله محل العم ، أو اشتراكه أعم .

وكان ـ مع حسن ديباجة شعره ، وكثرة رونق كلامه ، واختلاط ما ينظمه بأجزاء النفس لنفاسته ـ لين قشرة العشرة ، ممتع المؤانسة ، حلو المذاكرة ، جامعاً آداب المنادمة . عارفاً بشروط المعاقرة ، حاذقاً بلعب الشطرنج ، متقدم القدم فيه ، وحين سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب ، وساعد الصاحب على رفض الشراب ، ونفض تلك الأسباب ، أراده فخر الدولة على مجالسته وأخذه بفضّ

---

(١) الوشيك : السريع العاجل .
(٢) بادر : بدأ وباشر ، والعوائق : الموانع .

ختام توبته ، ودرّت عليه بحسن رأي الصاحب سحائب إنعامه ، وأجنت له ثمرات إكرامه ، ففي ذلك يقول من قصيدة [ من الخفيف ] :

هاتها لا عدمت مثلي نديما قهوةٌ تنتجُ السرور العقيما
قد أطعتُ الأمير إذ سامني الشرّ ب ولم أعصِ أمره المحتوما
وتخطّيت توبتي في هواه فوصلتُ التي هجرتُ قديما
قرقفاً تنتمي إلى الشمس لا تعرف في جنسها الكرى والكروما
خالفت دنَّها الغليظ فرقّتْ واستفادت من السّموم نسيما[1]
كُرمتْ عنصراً فلو مُتّ فيها أبخل الناس غادرته كريما[2]
وكأنّي لمّا رجعت إليها كنت من كلِّ لذّةٍ محروما
كم عقارٍ صليت منها بنارٍ فحكيت الخليل إبراهيما
وكؤوسٍ شربت منها سروراً كاد يهوي والجلد ينمي هموما
قد وجدت الروض الأريض حميماً ووجدت الخسيف عاد حموما[3]
شافهت بي مناي بالقرم فخر الـ دولة اليوم جنّةً ونعيما[4]
وبلغت الذي تمنيت واستخدمت فاخترت مجلساً مخدوما
ورآني الأمير أيّده اللـ ـه لبيباً فقال كنْ لي نديما
جهل الرزق موضعي ورأى آ ثار شاهنشاه فصار عليما
أرشدته إليَّ كفٌّ كريمٍ ألزمته أنْ لا يكون لئيما

وكان قد نادم أخاه عضد الدولة ، وله فيه القصيدة الشطرنجية التي لم يسبق إلى مثلها ، وهي نهاية في الحسن والظرف ، فمنها [ من الخفيف ] :

---

(١) السّموم : الريح التي تهبّ صيفاً وهي شديدة الحرّ .
(٢) متّ : مُدَّ ووصِل بها .
(٣) الحميم : الماء الحار : والخسيف : البئر التي تحفر في مكان متحجّر فتنبع بماء كثير .
(٤) شافهت : أوجدت وحصّلت، والقرم : السيد .

لي فؤادٌ لو أنّه لي غريمٌ كان عذري لديه أنّي عديم
وأنا مبتلىً بقلبيَ الذي أقعـد فيما يسومني وأقوم
ليس يدري لجهله وهو يقضي أنَّ كلّي بما جناه زعيم
غصبتني عليه خودٌ وقالت أنا من قد عرفت واسمي ظلومُ
هو ثأرٌ نالته يمنايَ فاطلبه بحربٍ يشيب فيها الفطيم[1]
وانثنَتْ بي إلى مجالٍ فسيحٍ تدمنُ الرّكض فيه زنجٌ وروم
فأقمنا صدور فرسان حربٍ خلف رجّالة لها لا تريم[2]
وإذا استقدمتْ تقدَّمت الخيل وطاب الطّراد والتصميم
فالتقى العسكران في حومة النقع أسودٌ على أسودٍ تحوم
كلُّ فيلٍ نُجّت من الصّلم أذنا ه وأودى نابـاه والخرطوم[3]
وطمرٍّ إذا علته العوالي غاب فيها وعاد وهو سليم
فاختلطنا وجال في الحرب فرزا ني وقال الكميُّ من لا يخيم[4]
ثم نادى شاهي برخيه كرّا ليس بعد الوقوف إلاّ الهجوم
فأحاطا بشاهنا في مضيقٍ ضاق ذرعاً بمثله المكظوم
ثم أزعجته بفيلي فولّى مستكيناً كما يولّي اللئيم
وكشفت العراء عن وجه رخيٍ فعراه الحمام وهو مليم
فتخفّتْ من الحياء وغطّت ورد خدٍّ كأنّه ملطوم
ثم قالت خذِ الفؤاد سليماً إن حبس المرهون عارٌ ولوم
ولشتّان بين خيلي في الغيِّ وخيل صراطها مستقيم
قارع الدهر فوقها عضد الدو لة حتى انتهى إلى ما يروم

---

(١) الفطيم : الطفل الذي فصل عن الرضاع .

(٢) لا تريم : لا تفارق ولا تبتعد أي تثبت في المواجهة .

(٣) نجّت : نزعت وسلخت، والصلّم : القطع .

(٤) الفرزان : من حجارة الشطرنج ، ويخيم : يتراجع .

فأباد العدا وقام به الدّين وركن الخلافة المهدوم
وستقرّت به زلازل بغدا د وعاد الخليفة المظلوم

ومن غرر قصائده في فخر الدولة [ من الكامل ] :

لو عاينتْ عيناك بركةَ زلزلٍ ونزلت من عرصاتها في منزلِ[1]
عمرْتَ دور قيانها بك جامعاً بين الغزالة والغزال الأكحلِ
وبسطتَ كفيًّ باذلٍ متخرِّقٍ فأقمت غير محلىءٍ عن منهل[2]
وسمعتَ ما يدعو النفوس إلى الهوى طرباً ويفتح كلَّ قلبٍ مقفل
وشربتَ صافيةً كأنَّ شعاعها لهبُ الحريق من الرحيق السلسل
وغدوتَ مخموراً جنيب هوىً إلى حِجْرِ الجواري غدوة المتغزِّل[3]
فسرحْتَ بين قدودها وخدودها ونهودِها طرف الشّجي المتأمل
وملكت منهنّ التي لو أنّها طيفٌ لفزت بقربه المتخيِّل
وثويتَ في قفرٍ بشاطىء دجلةٍ ما بين مزمارٍ وعودٍ معملِ[4]
متنقّلاً من روضةٍ مهضوبةٍ حلّت إلى الروض الذي لم يحللِ
ورقدتَ بالنّجميِّ رقدة شاربٍ تحت الغصون وحملها المتهدِّل[5]
وسباكَ صوت خرير ماءٍ سائحٍ وشجاك تغريدُ الحمام المهدِلِ
وسعيتَ سعياً في البطالة والصبا لم يدر دمعك في محلٍ محول
ولقلتَ واأسفاً على القصف الذي لم أجنه بالقفص أو قطربُّل[6]
لا أتبعُ الأعراب إنْ هم قوّضوا من مجهلٍ حتى أحطَّ بمجهل

---

(١) العرصات : الساحات .
(٢) المتخرّق : المتلف ، ومحلىء : حابس ومانع .
(٣) المتغزّل : المشبّب والمتودّد .
(٤) معمل : أي يضرب عليه .
(٥) المتهدّل : اليانع المتدلي .
(٦) القفص وقطربّل : إسمان لمكانين .

وصـــرير أرجـــاء الســـرير بمسمعي ... أحلـــى بقلبـــي من صريرِ المحمل[1]
فالـــكرخ دارُ اللهـــو أعـــذبُ مشرعاً ... من مشـــرعٍ يختصُّ دارة جلجل[2]
لا درَّ درُّ العيش في متربّعٍ ... بمخيَّمٍ بين الدخـــول فحومـــل
خفضٌ عليك وكلُّ خفضٍ إنّما ... أوقاتـــه فرصٌ تعـــنُّ لمعجـــل
والعيش عنـــدي ما حبيت بدرّه ... في ظلِّ مغشـــيٍّ الجنـــاب مؤمَّل
قد ألقـــت الـــدنيا أزمّتهـــا إلى ... ملكِ الملـــوك علـــيٍّ بنِ أبـــي علي
فاطـــربْ سروراً بالزمـــان وحسنه ... واشـــرب علـــى إقبـــال دولـــة مقبـــل

وقوله من نيروزية [ من الخفيف ] :

بـي سكرٌ ما ولَّذتْـــهُ العقار ... ليَ جســـمٌ للعين عنـــه ازورارُ
أنـــا من غادرتـــه أيدي المطايا ... والـــرزايا شعـــاره والدثـــار
أيُّهـــا الـليـــل عـقَّـهـمْ بـــديـــاجيـــــك وهـيـهـــات ذاك فـيـهـم نـــوار
غـــادةٌ ما دجـــا عليهـــا ظلامٌ ... قطُّ إلاَّ ليلٌ عـــلاه خمارُ
يـــا ربيـع الـــربيـع للعيش من بعـــــد اصفـــرارٍ بـــراحتيـــك اخضـــرارُ
لا يحـــول الـــذي بكفِّك يسقي ... بل يحـــول الـــذي سقـــاه القطار[3]
فهنيئـــاً بطيب فصـــلٍ ويومٍ ... زار فيه نيروزك الزوّارُ
يخصب المجـــد فـي ذراك وتخضَـــــرُّ الأيـــادي وتـــورق الأخـــبـــار
وتغنِّيكَ فـــي النّـــديِّ طيورٌ ... أنـــا وحـــدي من بينهـــن الهزار[4]

ومن غرر قصائده الصاحبية قوله من قصيدة [ من الطويل ] :

---

(١) الصرير : الصوت .
(٢) دارة جلجل : أي تلك التي ذكرها امرؤ القيس في شعره .
(٣) حال : تغيّر وزال ، والقطار : جمع قطر ، وهو المطر .
(٤) النّديّ : مجتمع القوم ، والهزار : وهو طائر العندليب ، وفارسيته : هزاردستان ، وله أسماء أخرى بالفارسية .

وليلٍ دعـاني فجـره فلقيته بمجلسٍ طلـق الوجـه سهـل التخلُّق
إذا شئـت خضنـا في حديث منمنمٍ وإن شئـت عِمْنـا في رحيقٍ معتَّق[1]
يردّ شبابـي وهـو عنّـيَ شاسعٌ ويدني التصابـي بعـد ما شاب مفرقي

ومنها في المدح [ من الطويل ] :

لقـد أعتقتنـي نعمـةٌ لك أَطلقتْ يمينـيَ بعـد اليأس من قدٍّ موثق[2]
فإنْ أنتسـب كان انتسابـي إلـى أبي وكان ولائـي بعـد ذاك لمعتقي[3]

ومن أخرى [ من الطويل ] :

وصـرت إلـى البـاب الـذي ليس دونه حجـابٌ ولا كفٌّ تردُّ من آجتنى
فمـا شمـت إلاّ بارقـاً كان صادقاً ولا رحت حتّى عِمْتُ في أبحـر الغنا

وقوله من أخرى [ من البسيط ] :

مُسَـدَّدٌ ضربـت أيام دولته علـى عيون أعـاديه بأسداد
هدى إلـى الحـقِّ وانهلـت يداه ندىً فهـو الـدّليل يعين السَّفْـرَ بالزّاد
لي عنـد جرجـان ثأرٌ سوف أطلبه بكلِّ رحبِ القـرى أو مشـرفِ الهادي
حتـى أراه فأستغنـي برؤيته عمّـا رويناه عـن قومٍ بإسناد

وقوله فيه ، وقد أزمع الورود عليه والطريق مخيفة [ من مجزوء الكامل ] :

يا شوقُ قد قَرُبَ السفر ودنـا الـرحيـل المنتظـر
وغـداً بإذن الله أو تاليـه يظهـرُ مـا استترْ
ويسير بـي التيسير في زمرٍ بأيديهـم زبـر[4]

---

(١) عِمنا : تنعّمنا وشربنا،إوالرحيق : الخمر،والمعتّق : القديم .
(٢) القد : أصله الجلد الذي تخصف به النعال ، وأراد هنا ما تغلُّ به اليد .
(٣) المعتق : المحرّر .
(٤) الزبر : جمع زبرة وهي القطعة العظيمة من الحديد .

سيراً يبشِّر بالسعا دة والسّلامة والظّفر
سينيف بي الفرس الأغـــــرُّ غداً على الملك الأغرّ[1]
يا حاديَّ تيقَّنا أنّي أفارق من فتر[2]
وينال رفدي منكما ماضٍ يقهقه إنْ عثر
لا يقشعر إذا دنا منه الغضنفرُ أو زأر
وِرْدي وَوِردكما سرى ينسيكما ذكر الصدر[3]
إن جال في عيني الكرى رفقاً فأعقبها العور[4]
لا زلت أبدع في السّرى فعلاً تعاظمه القدر[5]
وأشقُّ قلب اللّيل عن ولدٍ يقال له السّحر
حتى يقول الحزن لي والسّهل لست من البشر
وتقول خوص تجائبي لا خاب سعيك يا عمر
إن الجليل من الثوا ب لمن يدقِّق في النّظر
سأغضُّ عن زهر الكوا كب أو يعنُّ ليَ القمر
إنّي أخفُّ إلى البحو ر ولا أسفُّ إلى المطر[6]
وإذا لقيت الصاحب الـــمأمون أدركت الوطر
وإذا جلست علوت ديـــباجاً وسائده بدر[7]
وإذا ركبت مشى عبيـــدي في المناطق والحبر[8]

---

(١) ينيف : يشرف .

(٢) فتر : ضعف وسكن .

(٣) الورد : الاشراف على الماء ، والصدر : الرجوع عنه .

(٤) رفقاً: أي من أجل رفقي بنفسي .

(٥) السُّرى : المسير ليلاً .

(٦) أسفّ : أطلب وأقصد ، وأسف الرجل : أي طلب الأمور الدنيئة .

(٧) بدر : أكياسٌ من المال .

(٨) المناطق : جمع منطقة وهو ما يشدّ به الوسط من الثياب ، والحبر : الأثوب الناعمة الجديدة المفوّفة .

وأقيم مبتسماً إقا مة من يزاد إذا شكرْ
في نعمةٍ تصفو عليّ به وأخرى تنتظرْ
ذكروا فسادَ طريقنا واستشعروا منه الحذر
قلتُ اركبوه على الذي فيه وإن عظُم الخطر
فالله خيرُ حافظاً واسمُ الوزير لنا وزر[1]
إن كان غاب فخوفه في كلِّ قلبٍ قد حضر
ملكٌ تخرُّ له الملو ك الصّيد من مدٍّ البصر
فالطيب فوق لحاهُمُ وجباههم تحت العفر[2]
وأجلّهم من جدَّ منـ ـه إليه في وقت النّظر
جرجان ما نصبي ولا دأبي إليك على غرر[3]
فيك الذي من ماله لحمي وجلديَّ الشّعر
لولا ابنُ عبادٍ رأيـ ـت الصّبر أفضل مدّخر
وسلكت في زهدٍ عن الـ ـدُّنيا سبيلُ من انزجرْ

واعتل قبل ورده فقال ووصله بهذه القصيدة [ من مجزوء الكامل ] :

قد كنت أحسب أن عيني سوفُ تظفر بالنظرْ
وفمي سيلثم أخمصيـ ـك وما وطئت من العفر[4]
وإذا بلغتك سالماً في النفس أدركت الوطر
حتّى منيت بعائقٍ ينهى العليل عن السّفر
حمّى يعاضدها السّعا ل وما برجلي من خدر
ولعلَّ سيدنا إذا عرف المعوّق لي عذر

---

(١) وزر : عونٌ وحمىً .

(٢) العفر : ظاهر التراب .

(٣) النصب : التعب والجهد .

(٤) الأخمص : ما لم يصب الأرض من باطن القدم .

وقوله من أخرى في فخر الدولة [ من الطويل ] :

حبيبٌ عليه من سناه رقيبُ ... يصدُّ الدُّجى عن وجهه فيغيبُ

تيمَّمني والليل في طرقاته ... فلمَّا تبدَّى حال عنه مريبُ[1]

تحمَّل لوم الشمس فيه وجاءني ... هلالٌ عن البدر المنير ينوب

فكان لراحي وارتياحي ومجلسي ... وكلّي بطيبِ الوقت منه نصيب

وساعدني ليلي وأرخى سدوله ... وهبَّ نسيمٌ للحياة نسيب

وأنعمتَ حتى ليس يشتاق عاشقٌ ... حبيباً ولا ينوي الإياب غريب

ومنها في المدح [ من الطويل ] :

ومزمعٍ حجّ ينثني عنك ماضياً ... ويذكر ما أوليته فيؤوب[2]

عممتَ الورى بالبرّ حتَّى كأنَّما ... يردُّ عليهم من لهاك غصوب[3]

وعرَّفتهمْ طرق الثناء فكلُّهم ... على طبقاتٍ شاعرٌ وخطيب

رأى المزن ما تعطي فضمَّ على الأسى ... فؤاداً كأنَّ البرق فيه طبيب

وكم لاح برقٌ وابتسمت لشائمٍ ... فكنت صدوق الوبل وهو كذوب

وقوله من أخرى فيه [ من المنسرح ] :

يا سامع الزُّور فيَّ لي ذِمَمُ ... منها الضّنى في هواك والسَّقمُ

أنت الذي دِنْت بالسّجود له ... حتَّى لقد قيل ربُّه صنمُ[4]

ولي فؤادٌ غدوت مالكه ... بلا شريكٍ فليس ينقسم

حتَّى إذا صرت في ذرى فلك الـ ... أمَّة حيث التقتْ به الأمم

---

(١) تيمّم : قصد نحوي ، وتبدّى : ظهر .

(٢) المزمع : إسم الفاعل من أزمع ، وهو المجمع على الأمر الثابت عليه .

(٣) اللهى : العطايا أو أفضلها وأجزلها .

(٤) دنت : خضعت واعتقدت .

خيَّمتُ في دولةٍ مجدّدةٍ خيّم فيها الوفاء والكرمُ
وقلت للسَّفر قد وصلتْ إلى مناي ، رحلي ، وناقتي لكُمُ
أكرم بحظّي لقد أتى فمحا ما خطّه في جبينيَ العدمُ

وله من قصيدة في الصاحب يصف فيها علته بجرجان وتأذيه بهوائها وبراغيثها وبقها ويستأذنه للعود إلى أصفهان [ من الوافر ] :

ألا يا حيُّ جادتك الغوادي مجلّلةَ العزالى والمزادِ[1]
ولا زالت رباك تفوح مسكاً يضوع نسيمه في كلِّ نادي
فإنّك جنَّةُ الدنيا لثاوٍ أقام بخير أمصار البلاد
وأمٌّ للغريب فكلُّ آتٍ نظيرُ بنيك عندك في الولاد
فواأسفي على زمنٍ جنى لي ودادك واجتنى لك من ودادي
كذا الملك ابن عبادٍ عماد الهدى وردى العدا وحيا العباد
ومن برقاه دون ظباه أسرى فأصلح بين غيِّك والرّشاد
وجاد فكان أجرى من سحابٍ سقى زهر الرّوابي والوهاد
وقد أصبحتُ بعدك في بليدٍ دريَّة كلّ داهيةٍ نآدي[2]
ولولا أن سيّدنا به لمْ تكن جرجان تثنى من قيادي
أقمت بها أعالج كلَّ بؤسٍ من الأعلال لا العيش المهاد
تحدِّثني بحمّى لو تبدّت بخيبَر ألحقتها بالبوادي
ملازمةٌ إذا لسعت شقياً فكلُّ زمانها وقت العداد[3]
تعاونها عليَّ سموم صيفٍ بلفحٍ من لظاهُ واتّقاد
وذبّانٌ أُشرِّدها فتأبى وترجع كالمراغم ذي الكياد

(1) جادتك : حلّت بديارك ، والغوادي : السحاب الممطر ، والعزالى : جمع عزلاء وهي مصب الماء .
(2) الدريَّة : على زنة فعيلة ـ ما يتعلم عليه الطعن ، والنآدي : النازلة .
(3) وقت العداد : وقت الموت ، أو وقت اهتياج الألم .

كأنّـي حيـن أطردهـا وتأبـى ... أفـرِّق بين ذي سغـبٍ وزاد[1]
ويا ويلـي من الليل الموافي ... فإنّـي حين يطـرق في جهاد
له جيشـاً براغيثٍ وبقٍّ ... يطـلُّ علـيَّ إطـلال الجراد
ولـي فرشٌ هي الميدان فيه ... براغثـه وخمشـي في طراد
وبـقٌّ فعلـه في كلّ عضوٍ ... فعـالُ النـار في يبس القتاد[2]
عصائـبُ ينتحين على عروقي ... بعـوجٍ كالمباضـع فـي الفصاد
فتـروى ثـم ترجـع عاطفاتٍ ... علـيَّ وهـنَّ كالهيم الصوادي[3]
وأنقف بعضهـنَّ وفـي حشاها ... دمـىً فأنـال ثاراً من أعادي[4]
تفـرّق بيـن جنبـي والحشايا ... وتجمـع بيـن جفنـي والسّهاد
ولـو أنّـي ثملـت وملت سكراً ... لحالـت بيـن طرفـي والرّقاد
وأستـر دونهـا وجهـي بكفِّي ... وعـطف الـردن وهـو لهـنَّ بادي
وأظهـر في صباحـي كلَّ يومٍ ... بوجـهٍ مجـدرٍ قلـقِ الوساد
وأدمـن حكَّ ما تركت بجسمي ... فيحسبنـي جربـت ذوو عنادي
وقـد وقف الـوزير وزير علـى بلائي ... بمـا ضاقـت به حيلـي وآدي[5]
وإنّـي لا نهـار أقـرُّ فيه ... ولا ليلٌ يقينـي منـه فادي
صديقـي في دجـا ليلـي عدوي ... وعبـدي لا يجيب إذا أنادي
وأُتـرك في ظلام دجـاه وحدي ... فأذكر ضيق لحـدي وانفرادي
وفـي يمنـايَ مروحـةٌ فطَـوْراً ... أذود بهـا ومـا يغنـي ذيـادي[6]

---

(١) السغب : الجوع .

(٢) القتاد : شجر صلب شوكهُ كالإبر .

(٣) الهيم : الابل العطاش .

(٤) النقف : كسر الهامة عن الدماغ ، والمراد : أخذها وإماتتها .

(٥) الآد : الصلب والقوة .

(٦) الذياد : الدفع والطرد ، كالذود .

وطـوراً أستـريح إلـى انتصابي وطـوراً أنثنـي ويدي اعتمادي
وعلّمنـي البعـوض بلطـم خدّي خلائـق لسْـنَ من شيمـي وعادي[1]
فهـل للصاحـب المأمـول عطفٌ علـى عجـزي عن الـكرب الشّداد
بإذنٍ لست أسـألـه اختباراً ولـكـنَّ اضطـراري في ازدياد
شقـاءٌ لا يعـاقبه رخـاءٌ وبلـوى تسـتنيم إلـى التّمادي
وسيّدنـا أدقُّ النـاس حدساً وأعرفهـم بدخلـةِ مـن يصادي[2]
وحسبـي ما بلاه في اختياري وشاهـد من ولائـي واعتقادي

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني الزعفراني لنفسه [ من الخفيف ] :

لي لسـانٌ كأنّـه لي مُعادي ليس ينبـي عن كنـه ما في فؤادي[3]
حكـم الله لـي عليـه فلـو أنصـف قلبـي عرفـت قـدر وِدادي

وأنشدني له من قصيدة فصلية هذين البيتين ، وأظهر إعجاباً شديداً بهما ، [ من الوافر ] :

وفصـلٍ فيـه للأرض اختيالٌ لأنَّ جميع ما لبسـت حرير
وللأغصـان من طربٍ تثنٍّ إذا جعلـت تغنّيهـا الطّيور

* * *

## ٢٦ ـ أبو دلف الخزرجي الينبوعي

### مسعر بن مهلهل

شاعر كثير الملح والظرف ، مشحوذ المدية في الجدية ، خنق التسعين في

(١) الخلائق : أي أخلاق ، وشيمي : صفاتي .

(٢) الحدس : قوّة التوقع ، والدخلة : الإضمار والطويّة، يصادي : يداري .

(٣) ينبي : يخبر ، وكنه : معنى ونيّة .

الإطراب والاغتراب ، وركوب الأسفار الصعاب ، وضرب صفحة المحراب بالجراب . في خدمة العلوم والآداب . وفي تدويخه البلاد يقول من أبيات أنشدنيها أبو الفضل الهمذاني [ من الهزج ] :

وقد صارت بلاد الله في ظعني وفي حلّي
تغاير ن بلبثي و تحاسدن على رحلي[1]
فما أنزلها إلاّ على أنسٍ من الأهل

وكان ينتاب حضرة الصاحب ، ويكثر المقام عنده ، ويكثر سواد غاشيته وحاشيته ، ويرتفق بخدمته ، ويرتزق في جملته ، ويتزود كتبه في أسفاره ، فتجري مجرى السفاتج في قضاء أوطاره[2] ، وكان الصاحب يحفظ مناكاة[3] بني ساسان حفظاً عجيباً ، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها ، وكانا يتجاذبان أهدابها ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهما ، ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته التي عارض بها دالية الأحنف العكبري في المناكاة وذكر المكدين والتنبيه على فنون حرفهم وأنواع رسومهم وتنادر بإدخال الخليفة المطيع لله في جملتهم وقد فسرها تفسيراً شافياً كافياً اهتز ونشط لها وتبجّح بها وتحفظ كلها وأجزل صلته عليها ، وقد كتبت معظمها بأخرة ، وكان السلامي هجاه بالأبيات التي أولها [ من الخفيف ] :

قال يوماً لنا أبو دلفٍ أبـ ـرَدُ من تطرقُ الهموم فؤادَهْ
لي شعرٌ كالماء قلت أصاب الـ ـشيخ لكن لفظه بـرّاده
أنت شيخ المنجمين ولكنْ لست في حكمهم تنال السّعاده
وطبيبٍ مجربٍ ما له بالحـ ـذق في كلٍّ من يجرِّب عاده

(١) اللبث : الإقامة ، والتغاير : التحاسد من الغيرة .
(٢) السفاتج : من السفتجة ، وهي أن تعطي مالاً لشخصٍ ما على أن تسترده من عميلٍ له في بلدٍ أنت تقصده .
(٣) يحفظ مناكاة : أي القصيدة التي تجمع حيلهم وألاعيبهم .

مــرَّ يومــاً إلــى مريضٍ فقلنا قرَّ عينــاً فقــد رزقــت الشّهاده

فقال له أبو دلف [ من البسيط ] :

ظلَّ السلامــيُّ يهجونــي فقلــت له حييت قلبــي ومعشوقــي وأستاذي
إن لم تكن ذاكراً بالــريِّ صحبتنا فاذكر ضراطــك من تحتــي ببغداذ

وأنشدني عون بن الحسين الهمذاني ، قال : أنشدني أبو دلف الخزرجي الينبوعي لنفسه في أبي عبد الله العلوي [ من مجزوء الكامل ] :

لــولا النبيُّ محمَّــدٌ ووصيُّــهُ ثــمَّ البتــولُ[1]
لعلمــت أنّــي شاعــرٌ أسِمُ الرِّجــال بمــا أقولُ[2]
لكنَّنــي أعرضــت عــن ذاك الحــديث وفيه طولُ
وتــركت للخمــر الخمــا ر ، وحبَّــذا تلك الشمول

وأنشدني أبــو علــي محمــد بن عمــر البلخــي ، قال : أنشدنــي أبــو دلف الخزرجي لنفسه في إنسان كاتب بالدينور يقال له المشقاع [ من الكامل ] :

يا من يسائلنــي عــن المشقاعِ قد ضاق شعــري عنــده ورقاعي
كاتبتــه في حاجــةٍ عرضــتْ لنا فكأنّنـــي كاتبــتُ وحش القاع
نعـــم الفتــى لو لم تكن أخلاقُهُ ممزوجــةً بتــوابــل الفقّــاع[3]
أنـــا مثلــه في جنســـه من طرزه إنْ لم أضرِّطــه علــى الإيقــاع

وأنشدني بديع الزمان لأبي دلف ، ونسبه في بعض المقامات إلى أبي الفتح الإسكندري [ من مخلع البسيط ] :

ويحــك هذا الزمــان زورُ فــلا يغــرنّــك الغــرورُ

---

(١) البتول : أي فاطمة الزهراء عليها السلام .
(٢) أسم : أصف وأنعت .
(٣) الفقّاع : التوابل الفاسدة الخبيثة .

زوِّقْ ومخرِقْ وكلْ وأطبقْ     واسرقْ وطلبقْ لمن يزورُ[1]
لا تلتزم حالةً ولكنْ     درْ بالليالي كما تدورُ

* * *

وهذا ما اخترته من قصيدته الساسانية[2] التي أولها [ من الهزج ] :

جفونٌ دمعها يجري     لطول الصدِّ والهجرِ
وقلبٌ ترك الوجد     به جمراً على جمرِ
لقد ذقت الهوى طعمين من حلوٍّ ومن مرٍّ
ومن كان مِنَ الأحرا     ر يسلو سلوة الحرِّ
ولا سيما وفي الغربة أودى أكثر العمر
تعرّيت كغصن البا     ن بين الورق والخضر
وشاهدت أعاجيباً     وألواناً من الدّهر
فطابت بالنّوى نفسي     على الإمساك والفطر
على أنّي من القوم الـ     ـبهاليل بنى الغرّ[3]
بنى ساسان والحامي الـ     ـحمى في سالف العصر
تغرّبنا إلى أنّا     تناءينا إلى شهر
فظلّ البينُ يرمينا     نوى بطناً إلى ظهر
كما قد تفعل الريح     بكُثْبِ الرمل في البر[4]

---

(١) طلبق : كذّب واختلق .

(٢) نو ساسان قومٌ من العيّارين والشطار لهم حيلٌ ونوادر ، وقد وضعوا لهم اصطلاحات وألفاظاً اخترعوها تجدها منثورة في هذه القصيدة ، ولصفيّ الدين الحلّي قصيدة أخرى اسمها القصيدة الساسانية في خمسة وأربعين ومائة بيت ، وفي مقامات بديع الزمان الهمذاني مقامة اسمها « المقامة الساسانية » فيها كثير من حيلهم .

(٣) البهاليل : السادة الكرام .

(٤) الكثب : جمع كثيب ، وهو التلّ من الرمل .

فطبنا نأخذ الأوقا ت في العسر وفي اليسر
فما ننفكُّ من صمّي وما نفترٌّ من متر
فأحلى ما وجدنا العيش بين الكمد والخمر

الصمى : الشرب ، والمتر ، والكمد : هو النيك .

فنحن الناس كلّ النا س في البرِّ وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من الصّين إلى مصر
إلى طنجة بل في كلِّ أرضٍ خيلُنا تسري
إذا ضاق بنا قطرٌ نزلْ عنهُ إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثّلج ونشتو بلد التمر
فنحن الميزقانيو ن لا ندفع عن كبر[1]
همُ شتّى فسلني عنهمُ ينبيك ذو خبر
فمنّا كل كمَّاذٍ اللبوسات مع الهرّ
ومنا كل صلاّجٍ بكيذٍ وافرٍ نكر

الكماذ : النياك ، واللبوسات : الأحراح ، والهر : الدبر ، والصلاج : الذي يصلج أي يجلد عميرة ، والكيذ : الأير .

قد استكفى بكفّيه عن الثيِّب والبكر
فلا يخشى من الإثم ولا يؤخذ بالمهر
ولا يحذر من حيضٍ ولا حملٍ على طُهر
ومنا الكاغ والكاغة والشيشق في النحر[2]

الكاغ والكاغة : المتجانن والمتجاننة ، والشيشق : الحدائد والتعاويذ

---

(١) الميزقانيون : هم أصحاب الكدية ، وميزق : كدى .

(٢) قال الجاحظ : الكاغ الذي يتجنن ويزيد حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له ، لشدّة ما ينزل بنفسه ، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل حالته .

التي يلقونها على أنفسهم .

وأشـكـالٌ وأغـلالٌ مـن الجلـد أو الصُّفر
ومـن دروز أو حر زأو كـوز بالدغـر

دروز : إذا دار على السكك والدروب وسخر بالنساء ، حرز : إذا كتب التعاويذ والأحراز ، كوز : إذا أقام في المجلس ، والمكوز : هو الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه . والدغر : المقاسمة .

ومـن درّع أو قشّـع أو دمّـع فـي القـرّ

درع : إذا جاء الهراس وطلب قصعة من الهريسة فإذا أعطاه إياها لحسها ، قشع : إذا مشى وعينه إلى الأرض لطلب القطع ، دمع : إذا بكى في الأسواق عند البرد حتى يعطى .

ومـن رعّـس أو كـبّـس أو غلّس في الفجـر

رعس : إذا طاف على حوانيت الباعة فأخذ من هنا جوزة ومن هنـا تمـرة وتينة ، كبس : إذا دار فإذا نظر إلى رجل قد حل سفتجته كبسه وأخذ منه قطعة ، غلس : إذا خرج إلى الكدية بغلس .

وحـاجـورٌ وكـذّابـا تُ أهـل الأوجـه الصفر

الحاجور : الذي يثقب بيضة ويجعلها في حجره وهي تسيل ماء أصفـر ، الكذابات : العصابات يشدونها على جباههم فيوهمون أنهم مرضى .

ومـن شـطّب أو ركّـب للضـربـات والعقـر

شطب : إذا عقـر نفسـه بالموسى وجعـل يكذب علـى الأعـراب والأكراد واللصوص ، ركب : إذا طلى جسمه بالشيرج حتى يسود جلده وأوهم أنه جلد أو لطمته الجن ليلاً .

ومن مَيْسَر أو مَخْطَر واستنغَرَ للثغر

ميسر : إذا كدى على أنه من الثغر، ويقال له : الميسراني . مخطر : إذا بلع لسانه وأوهم أن الروم قطعوه .

ومن ناكذ في القينو ن من جوفِ أبي شمر

المناكذة : أن يتقاسموا ما يأخذونه من الثياب والسلاح بعلة الغزو. والقينون : موضع القسمة . أبو شمر : أول من كدى بعلة الغزاة .

ومن رشّ وذو المكوى ومن درمَكَ بالعطر

رش : إذا كدى بعلة ماء الورد يرشه على الناس . ذو المكوى : الذي يبخر الناس . درمك : إذا باع العطر على الطريق .

ومن دكّك أو فكّك أو بلّغك بالحر

المدكك : الذي يخرج اللوى من العصيان ويحتال على من به وجع الضرس حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثم يخرجه ويوهم أنه أخرجه بالرقية ، فكك : إذا فك السلاسل على الطرق . بلغك : إذا جر الخواتيم بالإبريسم الرقيق .

ومن قصّ لإسرائيل أو شبراً على شبر

من قص : هو الذي يروي الحديث عن الأنبياء والحكايات القصار ويقال لها الشبريات .

ومن بشْرَك أو نوْ ذك أو أشرَك بالهبر

بشرك : تزيا بزي الرهبان تزهداً . نوذك : إذا كدي على أنه من الحجاج ، أشرك بالهبر : إذا قاسم شركاءه ما يأخذه .

ومن قدّس أو نمّس أو شولس بالشَّعر

قدس : إذا أكل الكبد المطحونة المجففة في شهر رمضان خاصة وأوهم أنه يطوي ولا يفطر في الشهر إلا مرة أو مرتين . نمس : من الناموس . شولس : من الشالوسة ، وهم الزهاد يكدون بلباس الشعر .

ومنا العشيريون بنو الحملة والكرّ

العشيريون : الذين يتثاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون .

ومنا المصطبانيون من ميزَقَ بالأسر

المصطبانيون : قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم وتركوا أهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكونهم به ، وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعر : المصطبان ، ميزق : كدى .

ومنّا كلّ زمكدان غدا محدودب الظّهر
ومنّا كلُّ مطراش من المكلوذة البتر

المطراش : الذي معه يده يكدى عليها ، ويقال اليد المقطوعة : المكلوذة .

وفي المدرجة الغبراء منّا سادة الغبر

المدرجة : هؤلاء قوم يقعدون وينامون في السكك والأسواق على طريق المارة ومدرجة الرياح فتعلوهم غبرة التراب حتى يرحموا ويعطوا .

ومنّا كلُّ قنَّاءٍ على الإنجيل والذكر

القناء : الذي يقرأ التوراة والإنجيل ويوهم أنه كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم .

ومن ساق الولا بالماء أو قوْسِ أبي حجر

ومن ساق : هؤلاء قوم يسقون الناس الماء ، والولا : أن يقف فيقول : أنا المولى الأبطحي ، ومنهم من يكون معه قوس عربية ، وأول من فعل ذلك في الحضر أبو حجر .

ومن طفْشَلَ أو زنْكَلَ أو سطَّل في السر

طفشل : إذا علق لسانه وتشبه بالأعراب ، زنكل : إذا احتال في سلبهم ، سطل : إذا تعامى وهو بصير ، يقال للأعمى : الإسطيل .

ومن زقّى الشغاثات غداءاتٍ وبالعصر

زقى : صلى . والشغاثات : المساجد ، واحدها شغاثة ، يكدون فيها إذا صلى الناس .

ومن دشَّش أو رشَّش أو قشَّش يستدري

دشش : إذا جعل في استه شبه حشو كحقنة وينام على الطريق ويخرج من استه كالدشيشة ، رشش : إذا كانت معه مبولة مع خصاه فإذا جاءه البول رششه على الناس ، ويقال له : المرشش ، قشش : إذا فسا في المساجد فيتأذى به المصلون فيعطونه حتى يخرج .

ومن يزنقُ أو يخنقُ أو يذلقُ بالدّبر

يزنق : يثقب في بدنه ثقبة وينفخ فيها حتى يتورم بدنه ، يخنق : يصنع المنديل في رقبة نفسه ويفتله حتى ينتفخ رأسه ووجهه ، يذلق : يمشي عريان الاست .

ومنّا كلٌّ مستعشٍ من النّعارة الكدر

مستعش : قوم يدورون على أبواب الدور فيما بين العشاءين ويقولون :

رحم الله من عشى الغريب الجائع ، وينعرون بذلك حتى يأخذوا من كل دار كسرة ويرجعوا بها .

ومـن شدّد في القول ومـن رمّـد في القصـرِ

ومن شدد : قوم يكون معهم دفاتر حديث يروونها ويشددون على الناس في اللواط وشرب الخمر ، القصر : هو الأتون يدخله الواحد من القوم فيطرح نفسه في الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرمـاد ، ويوهـم أنـه أوى إليه من شدة البـرد وعـدم الملبوس .

ومـن يزرع في الهادو ر تكسيحـاً مـن البذر

ومن يزرع في الهادور : قوم ينظرون في الفال والزجر والنجوم ويعطون قوماً دارهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعما هم فيه فينظـروا لهـم ثم يردون الدراهم عليهم وربما أخذوها وقالوا لا نأخذها لأن نجمك ما خرج كما تريده . الهادور : كلام الحلقة التي يجتمع الناس عليها ، والتكسيح : الممانعة .

إلـى أن يـقـع الـتـنـبـل في محـصـدة الجـزر

التنبل : هو الأبله الذي يقبل المخاريق على نفسه ، ويغتر بما يورد المنجم عليه ، فيخرج هو أيضاً دراهمه طمعاً في ردها فيأخذها منه ويسخر به .

ومـن قنْـوَنَ أو بنْو نَ أو طيَّـنَ بالشعـر

وقنون : من المقنون ، وهو الذي يقول : كان أبي نصرانياً وأمي يهودية وإن النبي ﷺ جاءني في النوم وقال : لا تغتر بدين أبويك واتبع ملتـي، فأسلمـت . بنون : إذا انتسب إلى البانوانية وهم الشطار وقال : كنت محبوساً فاحتلت بكذا حتى خرجت ، طين : إذا طين وجهه وساعديه بطين الحمرة وروى الأشعار على رءوس الأشهاد في الأسواق .

ومنّـا منفـذ الطيـن وأصحـاب اللّحى الحمـر

منفذ الطين : قوم يخضبون لحاهم بالحناء ، ويدعون أنهم شيعة ويحملون السبح والألواح من الطين ويزعمون أنها من قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما فيتحفون بها الشيعة .

ومَـنْ شقَّـف بالمـاء ومـن شقَّـف بالجمـر

والمشقف : هو الذي يأخذ ماء النوشادر فيكتب بها الرقاع ويتركها بين يديه فإذا مر به الأبله قال له جرب بختك وخذ رقعة من هذه فيأخذها ثم يعطيه إياهـا فيقذفها في النار فيظهر المكتوب أسود ، وقد يعمل هذا الجنس بماء العفص فإذا غمس في ماء الزاج خرج أسود ، ويقال للرقعة : الشقيفة .

ومـنْ كدى علـى كيسا ن فـي السـرِّ وفـي الجهر

كيسان : قوم عرفوا قوماً من الكيسانية والغلاة فيجيبونهم ، ويكدون عليهم بالمذهب .

ومنّـا النـائح المبكـي ومنّـا المنشـد المطـري

والنائح المبكي : قوم ينوحون على الحسين بن علي ، ويروون الأشعار في فضائله ومراثيه ، رضي الله عنه ! .

ومـن ضرّب فـي حبٍّ علـيٍّ وأبـي بكـر

ومن ضرب في حب : قوم يحضرون الأسواق فيقف واحد جانباً ويروي فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، ويقف الآخر جانباً ويروي فضائل علي رضي الله عنه ، فلا يفوتهما درهم الناصبي والشيعي ، ثم يتقاسمان الدراهم .

ومـن يـروي الأسانيـد وحشـو كـلِّ قمطـرّ

ومن يروي الأسانيد : هؤلاء قوم يروون الأحاديث على قوارع الطرق .

ومنّا كلّ ممرورٍ غدا غيظ بني البظر

كل ممرور : قوم يلبسون الثياب المخرقة ويحلقون لحاهم ويوهمون أنهم موسوسون وأن المرار غلب عليهم فيروون ما يريدون من فضائل أهل البيت وينسبهم العامة إلى الجنون فلا يؤاخذونهم بما يقولون ويأخذون من الشيعة ما يريدون .

ومن يكحل من مستعرضٍ دمعته تجري

ومن يكحل : هو الذي معه قطنة مغموسة في الزيت يمرها على عينيه لتدمع ويأخذ في شكاية حاله واستعراض الناس في مسألته وذكر قصته ، وأنه قطع عليه الطريق أو غصب على ماله ، والمستعرضون أمهر القوم .

وفي الموقف منّا كلُّ جبارٍ أخى الصبر

كل جبار : هو الذي يقف في المقام قائماً أو قاعداً ولا يبرح أو يأخذ ما يريد .

متى يحفُ [ يقل ] بشبا شة الخشنى في خصر

البشباشة : اللحية ، والخشنى : الذي لا يكدي ، وهو عندهم عيب كبير .

وقرّاع أبي موسى لديه دبّة البزر

وقراع رأس أبي موسى : هو الخشنى ، يقول : إن رأس هذه السفلة عنده أهون من دبة البزر استخفافاً به وبجفائه .

ولا ينطسُ أو يلحن ما يطلب بالقسر
وجرّار عيالاتٍ عليهم أثر الضرُّ

ولا ينطس : لا يذهب ، أو يلحن : يعطي . وجرار عيالات : هو الذي يكتري الصبيان والنساء ويكدي عليهم .

ومن ينفذ سبحاتٍ وحلوى وأبا شكر

ومن ينفذ سبحات : هو الذي يطرح على أبواب الحوانيت السبحات وأقراص الحلوى ، فمنهم من يعطي ويرد عليه ، ومنهم من يلقي الملح ، ويقال للملح : أبو شكر .

ومنَّا حافر الطرس بلا خرطٍ ولا جهر

حافر الطرس : هو الذي يحفر القوالب للتعاويذ فيشتريها منه قوم أميون لا يكتبون وقد يحفظ البائع النقش الذي عليه فينفذ التعاويذ إلى الناس ويوهم أنه كتبها ، ويقال للقالب : الطرس .

وبركوشٌ وبركك ومعطى هالك الجزر

بركوش : هو الذي يتصامم ويقول للإنسان تكلم على هذا الخاتم باسمك واسم أبيك فيسمع ما يقول وينبئه به ، وبركك : هو الذي يقلع الأضراس ويداوي منها، والهالك : الدواء ، والجزر : البصر، ويقال للعين : الجزارة .

ومن قرْمَطَ أو سرْمَط أو خطَّط في سفر

قرمط : هو الذي يكتب التعاويذ بالدقيق والجليل من الخط ، وسرمط : كتب ، والسرماط : الكتاب .

وحرّاقٍ وبزّاقٍ بني الشّخِّير والنشر
ومن ذكّر والقوم الزكوريون في الصدر

الحراق : الذي تكون معه مرآة تشعل منها النار وتسمى حراقة . والبزاق : الذي يرقي المجانين وأصحاب العاهات ويتفل عليهم ، ذكر : كدى على الأبواب ، وهو من أجلائهم .

ومن دهشم بالكرش ويستبرد في النهر

ومن دهشم : مخرق ومره بأنه صائم . والكرش الصوم والجوع أيضاً ويكون قد أكل في منزله فإذا عطش نزل في النهر بعلة الاستبراد وشرب ما أراد .

ومن يعطي الضماناتِ     من الزنكلة العفر

الزنكلة والعفر : واحد ، وهم المعافرون يأخذون الحجيج ويضمنون الجنة .

ويشرى عشّ رضوانِ     بنذر الثمن النزر

ويشري عش رضوان : يعني أنه يقول : إن لم أحج عنك فحظي من الجنة وقف عليك اللهم اشهد بشراء البيع ، والعش : البيت ، يريد به الجنة .

ومن حنّن كفّيه     وحفّ الطّست كالحرّ

حنن : هو الذي يخضب كفيه بالحناء ، وحف شاربه فيتركه كالطست المجلوة وكالحر المنتوف ، فيدعى أنه من الصوفية العلماء الزهاد فيتشبث به لذلك .

ومنّا الشيخ هفصويه     ويحيى وأبو زكر

هفصويه : هؤلاء الذين سماهم قوم نبط وعجم ، يكدون ولا يتكلمون العربية .

ومن كان على رأي ابن سيرين من العبر

ومن كان على رأي ابن سيرين : هؤلاء من البصراء يعبرون الرؤيا ويكدون من هذه الجهة .

وشكّاكٍ وحكّاكٍ     ومعطى بلح الأجر

الشكاك : الذي يبيع دواء الفار واسمه الشك ، والحكاك : الذي يكون معه

حجارة محمولة من دربند يظهر فيها الحديد من الدراهم والدنانير ، يقال للواحد منها المحك ، بلح الأجر : هو السبح التي تحمل من الجبل يقال لها دموع داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وسمقون عليه السر مل الكحل وذو الغزر

سمقون : الصبي الذي يأخذ بيد الضرير يوهم أنه ابنه ، والسرمل : القميص المخرق .

ومن ربّى ومن فتّى وأجرى عقد الزرّ

ومن ربى : هؤلاء قوم شطار يقولون بالصاحب والغلام فيربون الصبيان .

ومنّا قافة الرزق وأهل الفال والزجر

وقافة الرزق : قوم يتعاطون التنجيم .

ومن يعمل بالزيج وبالتنور والجفر

الجفر : الذي يكون بين أيديهم على هيئة الفلك يدور .

ومنا البشتداريو ن تحت الرّحل كالحمر

والبشتداريون : قوم يستأجرهم المكدون الذين يخرجون إلى القرى فيحملون رحالاتهم وما يجمعون بها من الحب والصوف وغيره .

ومن مرّق في مصطبة الفتيان في قدر

ومن مرق : يطبخون المرق في دار القوم فيبيعونها من المرضى والضعفاء منهم .

ومنا كلّ مراسٍ جسورٍ جاهلٍ هزر

المراس : الحواء معه سلال فيها حيات .

يــرى الخشّ فيأتيـه بـلا خـوفٍ ولا ذعـر

الخش : الأفعى .

فيســتـل الـذي يخشا ه مـن شصــوصـة الخـزر

الشوص : الأنياب بقلعها ويترك واحدة .

ويـبـقـى مـنـه مـا يـصـــــــلح لـلمـحـنـة والـسّبـر
فقـد أنــزل فيـه ملـك المـوت علــى قبـر
فهــذا هالـكٌ لسعـاً وهــذا كفُّـه يبـري
وقـد يلتمس الخبز بمـكـروهٍ مــن الأمـر
ومنّــا كـلُّ نطّــاسٍ علـى البـزرك مستجـري

النطاس : القوي القلب من الدستكاريين تراهـم علـى الـدواب ومعهـم الكلاليب والمباضع يداوون الرمدى وغيرهم من الأعلال ، والبزرك : المواضع .

ومنّـا كـلُّ مــن شـرشـر بالهـلاَّب والكســر

الشرشرة : القمار ، والهـلاب : الثياب ، والكسـر : الدرهـم والمرجـان والدينار .

إذا حــاف عليــه بختــه سقّــف بـالنّحــر

وحاف عليه : يعني أنه إذا قمر فانقلب الفص عليه رفع طرفه إلى السقف ونحر نحو السماء وتكلم بالكفر .

ومنّـا كـلُّ إسطيـلٍ نقـيٍّ الـذهـن والفكـر

الإسطيل : الأعمى .

ومنــا كـلُّ سبّـاعٍ عظيم اللّيـث والببــر
ومــن قــرَّد أو دبَّـــــــب من كـلِّ فتىً غمــر

ومن قرد أو دبب : هم الذين يكدون على الدببة والسباع والقردة :

وسمّانٍ ووسنانٍ ومن قتّت كالكبر

والسمان : الذي يعطي النساء دواء السمن ، والسنان : الذي يعطي دواء الأسنان ، وقتت : أكل القت بين أيدي الناس كالجمل .

ودكّاكِ السفوفات لريح الجوف والخصر

الدكاك : الذي يرقى من القولنج ، ويكون معه حب مصنوع يحتال حتى يبلعه العليل فيزعم أنه انحل بالرقية .

ومنّا ذو الوفا الحرّ المدلِّج ذو الكرِّ

والمدلج : الذي يأخذ حاجته من البقال والجبان ويحصل عليه أجرة الشهر لبيته فيهرب ليلاً ويفوز بما يلزمه أداؤه .

ومنّا شعراء الأرض أهل البدو والحضر
ومنّا سائر الأنصار والأشراف من فهر
ومنّا قيِّم الدين المطيع الشائع الذكر
يكدى من معزّ الدولة الخبز على قدر
ومن يطحن ما يطحن بالشّدة والكسر

ومن يطحن : هم الذين يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم وأضراسهم .

ومطليُّ دم الأخّ مع المصموغ كالبثر

ومطلي دم الأخ : هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والصموغ وينفخونها على أجسادهم فتخرج بهم بثور يمرضون منها فيكدون .

ومنّا كلُّ مشقاعٍ من الفتيان كاللغر

المشقاع : الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها . واللغر : هم السفل من الناس .

يلذ الشورز الوجدا ن بالخبّ وبالمكر

الشورز : الأمرد . ويلذ : يدور به العرب من المكدين فيؤدبه، ويقول : هذه الفتوة ، ولا يجوز أن تكون وحدك ، فإما أن تصير غلاماً لأحدنا وإما أن تخرج من دار الفتيان ، فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة ، ويقال للقدر بما فيها : الخشبوب .

إلى أن يأكل الخشبو ب كرساً أكلّ مضطر
وما في البيت غير البـ ـتّ أو بارية القفر
وما للشوزر السوء سوى الغيلة والغدر
وأن يصميه حتّى تراه طافح السكر

يصميه : يسقيه الصمى ، وهو الخمر .

فتجري فيه كيذات البهاليل ولا يدري

الكيذات : الأيور : البهاليل : رؤساء المكدين .

ومنّا سعفة الريح لضرب الكلب والهرّ

وسعفة الريح : قوم يرعدون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم وتصطك أسنانهم ، ويقول أحدهم : إنه قتل سنوراً أو كلباً فلطمته الجن .

وذو القصعة والمسرا د والمكناس والعشر

وذو القصعة والمسراد : هؤلاء قوم ينخلون التراب في الطرق ويعلقون على أنفسهم القصاع ويغسلون الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطون القصرى وهو ما بقي في السنبل من الحب [ بعد أن يداس ] .

وفـي الأسواق والأنها ر والبيـدر والقصـر
ومـن يقـرأ بالسبـع وإدغـامُ أبـي عمـر [ و ]
وأصحـاب المقـالات مـن الفـاجـر والبرِّ
ومـن عـلاّفـةٍ ركّبت الـبـاز مـع الـصـقـر

ومن علافة : هذه امرأة تتزوج بمن يحسن أن يكدي فيشد يدها مجموعة الأصابع ويدعى أنها مقطوعة ويسمى الباز ، وربما عوجها كأنها مفلوجة ، والصقر : هو أن يشد عينيها ويقول : إنها رمدى أو عوراء ويقال لها أيضاً النعلة .

ومنّـا الـكـابليـون ومـن يلعـب بالجـرّ
ومـن يمشـي علـى الحبل ومـن يصـعـد بالبكـر
ومنّـا الزنـج والـزُّط سـوى الكبّـاجـة السُّمـر

والكباجة : اللصوص ، كبج إذا سرق .

ومنّـا من صمـا يوماً فقـد هـرّب في المصر

ومنا من صما : يقول إن من شرب منا الخمر وعرف به فقد أفسد على نفسه البلد ، والشيء الرديء الفاسد يقال له الهريب ، والشيء الجيد يقال له الكسيح .

ومنّـا كـل ذي سمتٍ خشـوع القـنِّ كالحبر
يرقّـي وتـراه بـا كيـاً دمعتـه تجـري
فـإن كبّـن فـي السرِّ فبـالمـذقـان يستـذري

كبن : خري ، والكبن الاسم منه ، يقول : إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا المسجد وأخذه البطن يخرى تحت السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان وهو المحراب .

وإن كـرّس لا والـلـه لا تـمَّ إلـى الـظهـر
ومـن صـاح بآميـن مـن المـزلـق والذّعـر

من المزلق : يريد هؤلاء العراة ، الواحد مزلق ، يصيحون بآمين من الأسواق .

سخام القصّ قد نقّعهم مثل بني النّمر

سخام القصي : سواد الأتون .

فذا بقّالنا سطلٌ وذا استأذنا خرّي

فذا بقالنا سطل : يقول إذا صاحوا بآمين دعوا على أصحاب الحوانيت ذا بقالنا أعمه يا رب .

وذا فصابنا عسمٌ وذا البزاز لا تبري

وعسم : من العسوم وهو المفلوج .

ومن ردّهمُ غُلّفٌ من غالبة الحجر
ومنّا كل من يمرح في الإسطيل كالمهر
ومن كدّة بهلولٍ تخطّى ثمّ كالحجر

الإسطيل : الجامع ، والكدة : المرأة التي تسأل الناس ومعها زوجها في الجامع .

ومن يخرج باليابس يوم الفطر والنحر

من يخرج باليابس : قوم يخرجون في أيام الأعياد إلى المصلى عراة حفاة يكدون .

ومنّا من تمشّى يمسح البلدان كالنّسر
ومن يأوي المصاطيب مع المذلقة الضُّمر
ومن يأوي الشغاثات مع العقّة في الستر
وأصحاب التجافيف من الثامولة الصبر

أصحاب التجافيف : قوم يأوون المساجد عليهم مرقعات كالتجافيف بعضها مركبة فوق بعض ، يقال لهم الثامولة الصبر لصبرهم على شدة فقرهم .

وأصحاب الشقاعات من المشّاطح العكر

الشقاعات : جمع شقاع ، وهو الوطاء إذا كان من ألوان أو لون واحد يكون مع جنس منهم ، فيدورون في المواضع ويبسطون الشقاع ويصلون عليها ولا يأوون إلى موضع فلهذا يقال لهم : المشاطح ، لأن المشطح هو الذي يطوف دائباً لا يفتر .

بنو التّضريبِ والتّدريبِ والتّفتيق والأطر

بنو التضريب والتدريب : قوم ليس لهم عمل إلا جمع الخرق معهم فهم أبداً في رتق أو فتق .

ترى للقمل في كلٍّ شقاعٍ مائتي وكرِ
ومن دمَّج في الثّلج وفي الوحل بلا طمر

دمج : إذا قام في البرد .

ولا ينظر إلاّ كا لحاً ذا نظرٍ شزر
فلا يبرح أو يأخذ ما يأخذ بالصّقر
وفي الغمّيز منّا فتيةٌ من رغلٍ قذر
همُ بيتُ المشاميل مع القنّابر الحفر

المشاميل : الرغفان ، واحدها مشمول ، والقنابر : جمع قنبرة ، وهو الكسرة من الخبز .

غدوا مثل الشياطين عليهم أثرُ الفقر
فيأتون ببربازا ر كالقفيا من المجري

بربازار : لأنه ذو ألوان ، والقفيا : هو خبز السبيل الذي يجريه الأعلاء على

الفقراء والضعفاء فيكون لهم رجل مجرى .

وعبّـوه أنـابيـرُ مـن الـزغبـل والبـرِّ

وعبوه أنابير : يعني أنهم إذا جمعوا الخبز جعلوه كالأنبارات بين أيديهم من ألوان وكل ما خالف الحنطة فهو الزغبل ، ثم يتقاسمون ما يجتمع لهم منها .

كمـا يقتسـم البيـد ر بالقفـزان والكسـر
وظلّـوا يفتـنـون على مالـك بالعسـر
وخصـوه بـجـوازات ونصـف فجلـة تمـري

وخصوه بجوازات : يعني أن ما يبقى من المأكول يجعلونه لصاحب الموضع ، وإن كانوا في أتون جعلوه للوقاد .

سقـى الله بني ساسا ن غيثـاً دائـم القطر
تـرى العـريان منهـم ظا هـر السُّـمـرة والخطـر
كنمـرود بـن كنعـان قـويّ الصـدر والأزر
رجـالٌ فـطنـوا لـلـثـقـل والأغـلال والإصـر
خلنجيـون مـا حـاضـوا ولا بـاتـوا عـلـى طهـر

الخلنجي : الذي يخرى ولا يغسل استه ، ما حاضوا : أي ما تطهروا .

رأوا من حكمـةٍ خـرط الـقـلاداتِ مع الـعـذر
يقـولـون لمـن رقّـى تحـوّل فينـا تـزري
وراحـوا خـارج الـدار بواريـةٍ مـع الحصـر
فحيثمـا آكتـروا قالـوا مـن الخشنـيٍّ لا نكـري
إذا مـا سمّـروا القشقا ش ذا العثنـون والزجـر

سمروا القشقاش : أي رأوه وهو الشيخ الطويل اللحية ، ذو الزجر : العالم المتقشف الورع .

لقوه بنثاراتٍ من البندق والبسر
وحيّوه بآلافٍ من القنّادر الفطر

يعني أنهم إذا رأوا شيخاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ضرطوا عليه ، والقنادر : الضراط ، والفطر : الذي لم ينضج بعد ، من الفطير ، ويصيح الواحد إلى الآخر بندقة بسرة ويضرط .

وكم بين الغرابيب وبين الببغ والقمر
ألا إني حلبت الدهـر من شطرٍ إلى شطر
وجبت الأرض حتى صر ت في التطواف كالخضر
وللغربة في الحرِّ فعالُ النار في التِّبر
وما عيش الفتى إلاّ كحال المدِّ والجزر
فبعضٌ منه للخير وبعضٌ منه للشرّ
فإن لمت على الغربـة مثلي فاسمعنْ عذري
أمالي أسوةٌ في غر بتي بالسّادة الطُّهر
همُ آل الحواميم هم الموفون بالنذر[1]
هم آل رسول اللـه أهل الفضل والفخر
بكوفان وطيٍّ كر بلاكمْ ثمَّ من قبر
وبغداد وسامرا وباخمرى على السكر
وفي طوس مناخ الرّكب في شعبان في العشر
وسلمانٌ وعمّارٌ غريبٌ وأبو ذرّ
قبورٌ في الأقاليم كمثل الأنجم الزهر
فإن أظفر بآمالي شفيتُ غُلَّة الصّدر

---

(١) آل الحواميم : آل الكساء الخمسة .

وألممت بأوطانٍ قويّ النّهي والأمر
وقد تخفق فوقي عزّةً ألوية النّصر
وإما تكن الأخرى وعزٌّ جائز الكسر
فلا أُبْتُ مع السّفر غداة أوبة السَّفر[1]
ولا عدْتُ متى عدت بلا عزٍّ ولا وفر
وحسبي القصب المطحون فيه ورقُ السّدر
وأثوابٌ تواريني من الإيذاء والأزر

* * *

## ٢٧ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن بابك

شاعر شعاره إحسان السبك ، وإحكام الرصف ، وإبداع الوصف ، يشبه كلامه مرة في الجزالة والفصاحة كلام المفلقين ، من الشعراء المتقدمين ، ويناسب تارة في الرشاقة والملاحة قول المجيدين ، من المحدثين والمولدين ، وهو القائل في وصف شعره [ من الوافر ] :

أزرْتك يا ابن عبادٍ ثناءً كأنَّ نسيمه شرقٌ براح
ولفظاً ناهَبَ الحلْيَ الغواني وأهدى السّحر للحدق الملاح

وله في استعطاف الصاحب [ من الخفيف ] :

أي جرمٍ لواثقٍ بك راجي خبطته غوارب الأمواجَ
وطني أنت والمكارم زادي فلمن أزجر القلاص النّواجي[2]
فارعَ يا كافيَ الكفاة ثناءً نفث السّحر في العيون السّواجي[3]

(١) أبت : عدت .
(٢) القلاص النواجي : النوق السريعة .
(٣) السّواجي : الساكنة .

لو أزرتَ الحراب ملعب طوقي لارتشفن الثناء من أوداجي[1]
أنا مذْ حرَّقت سمومك ظلّي جمرةٌ في شواظك الوهّاج
لا تقابل زيارتي بازورارٍ ومجاجاً عسّلته بأجاج
ليس في الشرط جنس حظّي فوقّع في عيون الحساد بالإخراج

وكان أيام الصاحب يشتي بحضرته ويصيف بوطنه ، كما قال من قصيدة جرجانية يتسحب فيها على كرم الصاحب ويقرع باب استبطائه ويستأذنه للعود إلى بلده [ من الوافر ] :

ألا يا أيها الملك الرءوف إلى كم يعصي بالنّفس اللهيفُ(؟)
أأسحب في ذراك فضول ذيلي ويسحب ذيل نعمتك الضيوف
فإنْ يملك سواي عنانَ حظّي ولي من دونه اللّفظ الشريف
فكلٌّ مطرَّقٍ مالٌ، ولكنْ تعود بها إلى القيم الصروف
لواني عن طريق اليأس أنّي على ثقةٍ بأنّك لا تحيفُ
فحِزْ إرث الزمان وعشْ حميداً يُناخ ببابك الهمُّ العكوف[2]
وحادثْ بالسّراح أخا اشتياقٍ يلاعب ظلّه جسدٌ نحيف
له بالريف من جرجان مشتى وبالنّخلات من غمّي مصيف

وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره واستملحته ، وهو : وأما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك . فإنما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام .

قال مؤلف الكتاب : وقد كانت تبلغني لمع يسيرة من شعره فتروقني وتشوقني إلى أخواتها ، حتى استدعى أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد مجموع شعره كعادته في استنساخ الظرف واستجلاب الغرر ، وبذل النفائس في استحداث

---

(١) الأوداج : عروق في العنق .

(٢) العكوف : المقبل الملازم ، وعكف في المكان : أقام فيه .

الملح ، فأهدى إليه ابن بابك مجلدة من شعره بخطه يسحب ذيلها على الروض الممطور . والوشي المنشور . واللؤلؤ المنثور ، فلم أدر الدفتر أملح أم الخط أحسن أم الشكل أصبح أم اللفظ أبرع أم المعنى أبدع ، وجمعت يدي منها على الضالة المنشودة ، والغريبة الموجودة ، فأخرجت منها غرراً ما هي إلا أنس المقيم وزاد المسافر ومنية الكاتب وتحفة الشاعر ، كقوله في وصف الشراب من قصيدة [ من الطويل ] :

عقارٌ عليها من دم الصبِّ نفضةٌ ... ومن عبرات المستهام فواقعُ
معوّدةٌ غصب العقول كأنّمًا ... لها عند أرباب الرجال ودائعُ
تحيرً دمع المزن في كأسها كما ... تحيَّر في ورد الخدود المدامع

وقوله من أخرى في وصف إضرام النار في بعض غياض طريقه إلى الصاحب [ من البسيط] :

ومقلةٍ في مجرِّ الشمس مسحبها ... أرعيتها في شباب السذقة الشهبا[1]
حتّى أرتني وعين النجم فاترةٌ ... وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلةٍ بت أشكو الهمّ أولها ... وعدت آخرها أستنجد الطربا
في غيضةٍ من غياض الحزن دانيةٍ ... مدّ الظلام على أرواقها طنبا
يهدى إليها مجاج الخمر ساكنها ... فكلّما دبَّ فيها أثمرت لهبا
حتى إذا النار طاشت في ذوائبها ... عاد الزمرُّذ من عيدانها ذهبا

ومنها :

مرَقْتُ منها وثغر الصبح مبتسمٌ ... إلى أغرَّ يرى المذخور ما وهبا
ذو غرّةٍ كجبين الشمس لو برقتْ ... في صفحة الليل للحرباء لانتصبا
يا أغزر الناس أنواءً ومحتلباً ... وأشرف الناس أعراقاً ومنتسبا

---

(١) شباب السّذقة : أي أوان النشاط والفتوّة .

أصبحــت ذائقــةً بالوفــر منــك وإنْ قال العــواذل ظنٌّ ربّــما كذبا
إنّ المنى ضمنت عنـك الغنـى فأجبْ فالبحـر يمنـح فضـل الــريِّ من شربا
فحسـن ظنّــي قد استــوفى مدى أملي وحســـن رأيك لي لم يبــق لي أربا

ومن أخرى [ من الوافر ] :

حجبــت ومــا حجبــت عن الصَّباح وليلُ الصَّــبِّ ممطــول البراح(١)
وبــات السقــم يكمــن في عظامي كمــون الموت في حدِّ الصفاح(٢)

ومنها [ من الوافر ] :

كســوت الحمــد ذا عرضٍ مصونٍ يمتَّــعُ في حمــى مالٍ مباح
مزوحُ اللفــظ مجـذوعَ العطايا جمــوحُ العــزم مجنــونَ السَّماح
إذا اشتــجــرت على الملك العوالي هززت أصــمَّ موشَّى الجناح(٣)
يُريق على الظُّبــا ريق المنايا ويكحــل بالــردى مقــل الرماح

وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطىء [ من الوافر ] :

أرى الأيام تسرف في عقابي ودون رياضتــي شيب الغراب
ألا يا عامــر الآمــال مالي أسـير الطــرف في أمــلٍ خراب
أفــوت مطــارح الأمــل انتظاراً وأســرح بين سقــمٍ واغترابِ
أراعُ ولا أراعــي والأماني لقــىً بين اكتئــابٍ وارتيابِ
وكم كســرٍ جبــرْتَ فكان طوقاً علــى نحــرِ الدّعــاء المستجابِ

---

(١) البراح : الزوال والانتهاء والمفارقة .
(٢) حدّ الصفاح : أي حدّ السيوف .
(٣) اشتجرت : كثرت وتشابكت وتخاصمت .

وقوله من أخرى [ من الطويل ] :

لقد نشر النيروز وشياً على الرّبا ... من النَّور لم تظفر به كفٌّ راقم

كأن ابن عبادٍ سقى المزن نشره ... فجاد برشّاشٍ من الوبل ساجم[1]

ومن أخرى يهنئه بالأضحى [ من الطويل ] :

ليهنك عيدٌ لو تناجت سعوده ... لما اقترحت إلاَّ سماءك مطلعاً

فضحٍّ بمنْ ماطلتُه عدةَّ الرّدى ... فما اكتنَّ صدر السيف إلاّ ليقطعا[2]

وله من قصيدة يذكر خلعة أمر له الصاحب بها [ من المنسرح ] :

وخلعةٍ فاجأت بلا عِدَةٍ ... من منعمٍ في عطائه سرفُ

غلَّت لساني عن الثناء فما ... يجري ولكنْ لشأنها يصفُ

ومن أخرى [ من الكامل ] :

أقبلت في شرف اللباس فأبلسوا ... نظر البغاث إلى انقضاض الجارحِ[3]

إشتقّ من خلع الفخار عمامةً ... ورفاء تهزأ بالكئيب البارح

ومزنر الأردان ناقلني الضّنا ... وافترَّ عن سمطيّ شتيتٍ واضح

كالزبرقان تهافتت أنواره ... ليلاً بمضطرب الخليج السّابح

ومهلهلِ النهدين نازع عِطفهُ ... علمٌ كمنعطف العذار الجامح

لأنلتني شرف المقام، ورعت بي ... قلب الزمان ، وصنت وجه مدائحي

لله منزلنا التي من شأنها ... جرّ الرماح على السّماك الرامح[4]

---

(١) النشر : العبق والطيب ، والوبل :المطر، والساجم : الهاطل .

(٢) اكتنّ : ستر ، أو ابيضّ من الصقل .

(٣) أبلسوا : احتاروا ولم يستطيعوا جواباً أو قراراً .

(٤) السِّماك : نجم في السماء .

ومن قصيدة في فخر الدولة [ من السريع ] :

خلقت يقظان مروح العنانِ موقّر الجأش جموح الجنانِ
لا أظلم الدهر فقد سرَّني وعشت من أحداثه في أمانِ
فإن تكن أيام دهري خلتْ فشأن أيامي البواقي وشاني
لقد تفيَّأتُ ظلال الصّبا وصمّ عن طاعتي العاذلان
واستوقفت طرفي في خصور الدّمى وانتهبت عقلي حضور الدنان
أفتِّق جلد الليل عن ضوئها والصبح كالنار خلال الدخان
يسعى بها في سقطات النّدى أغنُّ معقودُ حواشي اللّسانِ
مروّعُ المقلة طاوي الحشى مؤنّث الدلِّ مريضُ البنان
مقرطقٌ تنفر أذياله عن موجةٍ يجذبها غصن بان[1]
مزنَّرٌ يقلق سرباله كأنّما زرّ على خيزران
في يده شمطاء مقتولةً ترفل في ملحفتي أرجوان
إذا استدارت فرقاً صرّحت عن شررٍ وابتسمت عن جمان
إذا طغا لؤلؤه خلته طلاً على أرضٍ من الزعفران
تذكّرني أنفاسها سحرةً والليل والصبح طليقا رهان
نشوةَ أنفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزّمان

لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب بنفس الممدوح وهو ملك معظم لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق ، وقد مر مثل هذا النقد في شعر المتنبي ، وكان ينبغي أن يقول :

نسيمُ أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

رجع :

(١) مقرطق : يلبس الأقراط أي الحليّ ، ويجذبها : يحرّكها ويمسكها ، والموجة : يقصد بها حركة الرّدف .

يا فلك الأمة درْ بالذي تهوى فقد دان لك المشرفان
مقبل الراحة ما صوِّرت كفّاه إلاّ للندى والطِّعان
فالحزم والعزم له عدّةٌ والمال والسيف له جنَّتان
قد رقم النيروز وشْي الرُّبا فارقم حواشي جامك الخسرواني[1]
واقتبل اللّذات واستدعها باللهو والقصف وعزف القيان
واجتلِ وجه الرّاح في روضةٍ تبسّم عن مثل وجوه الغواني
وارع رياض العزّ في غبطةٍ واسكن مدى الأيام ظلَّ التهاني

ومن أخرى في مهرجانية [ من الوافر ] :

أيا شاهانشاه صلِ الأماني بتجديد البشائر والتهاني
فقد جرت السعود وجاء يحدو سبوت الدهر سبت المهرجان[2]
وإنْ طغتِ المثالبُ والمثاني فعاتبها بقهقهة القناني
فقد برد النسيم وجاء يسعى بها خِصِر المراشف والبنان[3]
فلا عدمت يداك سقيط مزنٍ يصفّق بالرحيق الخسرواني

ومن أخرى يصف مجلس إملاك نثرت فيه الدنانير [ من الوافر ] :

وهزَّ العقدُ متن الأرض حتَّى كأنْ قد أشربت حلب العصير
وأرسلت السماء رشاش تبرٍ شتيت الورق كالورق النّثير
لقد أمطرتها ذهباً ولكنْ جلوت الشمس في يومٍ مطير
كواكب زرن وجه الأرض حتّى لقد أذكرتنا عام الهرير[4]

---

(١) رقم : خططوسطّر ، والجام : الإناء من فضة .
(٢) سبوت الدهر : سكونه وإقباله .
(٣) الخصر : البارد .
(٤) الهرير : البرد القارص .

ومن أخرى [ من البسيط ] :

يا ساقيَّ قضيبُ الرّند ريّانُ ... والبدر ملتحفٌ والصبح عريانُ
وللصبا عثراتٌ لا تقال، وفي ... سجع الحمائم ترجيعٌ وإرنان
فغالباً نفثتي بالراح واختلسا ... عقلي فقد نفح النسرين والبان
واسترجعا لمّتي واستنفدا طربي ... قبل الشروق فللأطراب أوطان
وعرّضا بهوى لبنى فلي ولها ... وللزجاجة إن عرّضتما شان
اليأس وردي إذا سحبُ المنى هطلتْ ... والصبر زادي إذا أهلُ الحمى بانوا
ها إنّ حلبة أرض الله شوط فتىً ... في بسطتي يده بطشٌ وإحسانُ
لله ثم لشاهنشاه خلفتها ... ما طلّ في رملات القاع حوذان[1]
إنْ كان للفلك العلويّ مرتكضٌ ... فيها فللفلك الأرضيّ سلطانُ

ومن أخرى في أبي علي الحسن بن أحمد لما تقلد الوزارة هو وأبو العباس الضبي على سبيل المشاركة والمشاطرة [ من الكامل ] :

بَرَقَ الثّناء وشقّ ذاك القسطل ... وجرى عنانك والسّماك الأعزلُ
ورآك للتشريف أهلاً فاجتبى ... بوفائه ملكٌ يقول ويفعلُ
فأعرت شطر الملك ثوب كمالِهِ ... والبدرُ في شطر المسافة يكملُ

أنظر إلى حسن وصفه لوزارته المشتركة، وتدبيره نصف المملكة لفخر الدولة .

ومن أخرى [ من البسيط ] :

ذنبي إلى الدّهر أنّي ما خضعت له ... ولا طويت له ثوبي على درَنِ
قد كنت أوقَفُ من عنسٍ على طللٍ ... فصرت أسرع من عذلٍ على أذن[2]

---

(١) الحوذان : نبات عشبيٌّ له زهرٌ أحمر في أصله صفرة .

(٢) العنس : النوق ، والعذل : اللوم .

هذي بقيَّةُ نفسٍ فارقــت وطناً وفرقــة النفس تتلــو فرقــة الوطن
نقّلــت عن عقــر دارٍ كنــت آلفها إلف القرارة صوب العــارض الهتن[1]
حتّــى ترنّحــتُ في أفياء دولتها ترنُّــح الــظـلّ بين المــاء والغصن
فالآن قصّــر باعــي وانتهــى طربي وشمّــرتْ في عقابــي سطــوة الزمن

وقوله من أخرى [ من الخفيف ] :

ربَّ ليلٍ مرقــتُ من فحمتيـهِ أنــا والعيس والقنــا والبروقُ
ورقــادٍ كخفقــة النبض يغشى مقلــةً راعهــا الخيال الطروق
واستهلّــت لمصــرع اللّيل وِرْقٌ ثاكـلاتٌ حـدادهــا التطويـق[2]
فتضــاحـكْـتُ شــامتــاً وكــأنَّ الــصّبح جيبٌ على الــدُّجــا مشقــوق
سبــك الشــرق منــه تبــراً مذاباً لفــرنـد الشّعــاع فيـه بريق
وتمشّــت علــى الــرياض النعامى وثنــى قدّه القضيـب الرشيـقُ
فكأنَّ التــراب مســكٌ فريكٌ وكأنَّ الأصيـل صبــحٌ فتيق
ليس إلاّ تطــرُّف العيش حتّى يتوشّــى لــك المــراد الأنيـق
إنّمــا العيش رنّــةٌ من حمامٍ وسـلافٌ يشجّــه معشــوق[3]
ومهــبٌّ مــن الشّمــال عليلٌ ووشــاحٌ مــن الــرياض أنيـق
ومــلاءٌ مــن الشّبــاب جديـدٌ ورداءٌ مــن النسيــم رقيـق
وجمــالٌ مــن الــرّذاذ نثيـرٌ فــي مروجٍ ترابهــنّ خلوق
لا ترد مشــرَعَ الصّبــابــة فالياً س رفيق إذا استقــلَّ الفريقُ
شافــه الهــمَّ إنْ طغــى بحريقٍ سلّــهُ مــن زنــاده الراووق[4]

---

(١) القـرارة: القاع المستدير الذي يجتمع فيه ماء المطر، والعارض الهتن: السحاب الممطر.
(٢) الورق: الحمائم، والتطويق: أي إلباسها الطوق.
(٣) يشجّه: يفضّ ختمه.
(٤) الراووق: المصفاة، الكأس او الإناء يروّق فيه الشراب.

صفقته يدٌ كأنَّ عليها صدفاً فيه لؤلؤٌ وعقيق

وله أيضاً [ من السريع ] :

لم أرض باليأس ولكنَّني أسوِّف الخسران بالرِّبح
تألّفتني خطراتُ المنى تألُّف المسبار في الجرح[1]

ومن أبيات في غلام يشتكي من قروح به [ من البسيط ] :

يا أيها الرشأ الموفي على شرفٍ ماذا دعاك ولم أذنبْ إلى تلفي
لا تشكونَّ قروحاً آلمتك فقدْ سرّقتها من فؤادي الهائم الدَّنِفِ
أحبُّ منك وإنْ لجَّ العواذل في لومي دلال الرضا في نخوة الصّلف

ومن أبيات في الاعتذار من ترك التوديع [ من السريع ] :

إنْ لم أودِّعك فعن عذرةٍ فائنٍ إليها أذناً واعيه
قرّتْ بك العين فنزّهتها عن نظرةٍ ليس لها ثانيه

* * *

## ٢٨ - أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري

قد كان يقع التعجب من إخراج الشاش مثل أبي محمد المطراني في حسن شعره وبراعة كلامه ، فلما أخرجت من إسماعيل من ألقى إليه القول الفصل زمامه ، وملكه المعنى البديع عنانه ، كان كما قيل : « جرى الوادي فطمَّ على القرى »[2] وهو أحد الأفراد بحضرة الصاحب ، وممن رفعتهم سدته ، وشرفتهم خدمته . ولولا أن الفالج أبطله الآن ، لكان قد بلغ من التبريز أعلى مكان . ولكنه بالري لقى ، وفي طريق المنية لقى . وعنده بقية مما استفاده في أيام الصاحب تتماسك

(١) المسبار : ما يسبر به الجرح ، أي يمتحن عمقه .

(٢) طم : غمر .

معها حال معيشته . وتنزاح بها علل نفسه . وهذا أنموذج من شعره قال في الصاحب من قصيدة شبب فيها بشكاية الإخوان وذكر مرضا عرض للصاحب [ من الطويل ] :

سرينا إلى العليا فقيل كواكبٌ ... وثرنا إلى الجلّى فقيل قواضبُ[1]

وفاضت لنا فوق السنين نوافلٌ ... فما شكٌّ محلٌ أنّهنَّ سحائب

خلقنا أشدّاء القلوب على الهوى ... فما تزدهينا الآنساتُ الرَّبائب

فمن دأبه منّا نحولٌ ودِقّةٌ ... فممّا جنى أحبابنا لا الحبائب

أبيت أنادي الدهر جدلي بصاحبٍ ... وجلٌّ طلاب الدّهر ما أنا طالب

فما جاد لي منه بغير مجانبٍ ... وآخرُ خيرٌ منه ذاك المجانب

خليلٌ تحامته الأباعد والتوتْ ... على مهج الأدنين منه العقارب

عقارب لا يجرحن غير مودّةٍ ... فهنّ لحبات القلوب لواسب[2]

وما كان ظنّي أن تبين شبيبتي ... وإن بان جيرانٌ وشطَّت أقارب

فمذْ راعني شرخ الشباب بفرقةٍ ... تيقّنتُ أنْ لا يستدام مصاحب

أخلاي أمثال الكواكب كثرةً ... وما كلٌّ ما يرمي به الأفق ثاقبُ[3]

بلى كلُّهمْ مثلُ الزّمان تلوُّناً ... إذا سرَّ منهم جانبٌ ساء جانب

مضى الودّ والإنصاف والعهد منهمُ ... فما بقيت إلاَّ الظنون الكواذب

وكنت أرى أنَّ التجارب عِدّةً ... فخانت ثقات الناس حتَّى التجارب

تدرَّعْ لإخوان الزمان مفاضةً ... ولا تلقهمْ إلاَّ وأنت محارب[4]

إذا لم تكن مندوحةٌ من مصاحبٍ ... فسيفٌ ورمحٌ والفلا والركائب

---

(١) الجلى : العظيم من الأمور ، القواضب : السيوف القواطع .

(٢) اللواسب : جمع لاسبة من اللسب وهو اللدغ إلاّ أنّه عام في الحيّة وغيرها .

(٣) الثاقب : المرتفع على النجوم ، أو اسم زحل .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة .

فهـــنَّ إلـــى وفـــد الخطـــوب كتائبٌ وهـــنَّ إلـــى كافـــي الكفـــاة صواحب
إلـــى ملكٍ مذ أشرقـــت شمس جوده تبسَّـــم في وجـــه الرجـــاء المطالبُ
إلـى من حمـى عود العـلا فهـو ناضرٌ وردَّ إليه ماءه وهـو ناضب
إلـى من رعـى بالجـود سرب نعيمه فلا تتمطّـى في ذراه النوائب[1]
وكلُّ نعيمٍ لم يعـوَّذْ بشاكرٍ تفنَّـنَ فيه للذهـاب مذاهب
لعمـري بنـي عبـادٍ المجـدُ راسياً ولـكن لإسمـاعيل منه المناكب[2]
زرارة لم يحللْ بواديه مفخرٌ ولـكن حوى غرَّ المفاخـر جانب
وحلّـت قريشٌ في اليفـاع بهاشم وإن كان سبَّاقاً إلـى المجد غالب[3]
فدينـاك يا كهف البـريّة ما الذي أعـار المعالـي سقمـك المتناوب
عليهـا من الإشفـاق ثوبُ كآبةٍ وخطـبٌ يدانيه الضّنـى متقاربُ
وفـي كلِّ دارٍ للأرامـل ضجَّةٌ بأدعيةٍ ضـوضـاؤهـا متجاوب
ولـو شئـت تأديب الليالـي فعلته فلـم ير منهـا في جنابـك خارب[4]
ولم تقرب الحمّى حماك ، ولـم يكنْ لسورتهـا في سورة المجـد سارب[5]
وحـوشيت أن تضـري بجسمـك علّةٌ ألا إنّهـا تلك الغـروم الثواقبُ[6]
ولاعـج تدبيرٍ وجـائش همّةٍ سرى منهمـا بين الجوانـح لاهبُ
فلا تعذروهـا أن رأت أشـرف الورى وحلّت به فالحرّ في الشمس ناشبُ[7]
لقـد كانـت الأيام حجَّـبَ شمسها دياجـي همـومٍ دجنهـا متراكب[8]

---

(١) السرب : الطريق .

(٢) المناكب : كبار الريش في مقدّمة الجناح أو المكان الأرفع .

(٣) اليفاع : المرتفع والذروة .

(٤) الخارب : اللص .

(٥) السورة : غضبها ، وسارب : ممرّ .

(٦) تضري : تغرى وأضراه : أغراه وبثه عليه . والغروم : الأثقال ، والمغرم : المولع بالشيء والدَّين .

(٧) ناشب : مقيم وحالّ .

(٨) الدجن : ظلامها .

فلمـا انتضـاك البـرء عادت كأنّها غياهـب بأسٍ قشّعتهـا مواهب

نظـرت إلـى دنياك نظـرة قادرٍ فلـم يبـق فيهـا سائـلٌ ومغالب

سواي فإنِّـي سائـلٌ أن تغـبَّ لي سحائـب نعمـى كلهـن رغائب[1]

فمـا في لسانـي شكر ما أنـت منعمٌ ولا في بنانـي حصـرُ ما أنـت واهب

أنلنـي بقـدري لا بقـدرك ، إنّما تجـود علـى قدر الأتـيِّ المذانب[2]

وقال من أخرى [ من البسيط] :

مستوقفـي بين ذلِّ الصـدِّ والملل لاحـظ لي منـك إلاَّ لذَّةُ الأملِ

أرضـي بطيفـك بل أرضـى بذكرك أن يتلـى وذاكـراي مقـرونين في الغزل

لا ترحلنَّ فمـا أبقيت من جلدي ما أستـطيع به توديـع مرتحلٍ

ولا من الغمض ما أقـري الخيال به ولا من الدمـع ما أبـكي علـى طلل

نعـم لي العزمـة الغـرَّاء إن وخدت لم تحتفـل بوجيف الخيل والإبل[3]

تحوي مرادي على رغـم العـواذل منْ ربّ الأكاليل لا من ربَّـة الكلل

قد زدت يا ليلِـة التـوديع في حزني ولم تزل يا صباح الوصل في جذل[4]

وأنـت يا جسـداً لجَّ القضـاء به حتـى برتـه يدُ الأوجـاع والعلل

كيف احتملت الضّنا في الظاعنين ضحىً وكنـت للشـوق فيهـم غير محتمل

عجبت أنَّـى يحـلُّ السّقـم في بدنٍ لو شاء جاز الـردى سراً من الأجل

لم يبـق منـه سوى قلـبٍ يقلِّبُه في مطلـب العـزِّ بين البيض والأسل

مقسَّـمٌ قلبـه في كلِّ مرحلةٍ شوقـاً إلـى العـزِّ لا شوقـاً إلـى الغزل

---

(١) تغبّ : تمطر تعقب .

(٢) الأتيّ : السّيل .

(٣) الوجيف : الخفقان والاضطراب .

(٤) وفي نسخة « ولم تزد يا صباح الوصل في جذل » .

نفسي الفداء إذا ما الرَّوع صبَّحني ... للأعين الخزر لا للأعين النجل[1]

لله جسمي فما أبقى حشاشته ... على الحوادث والأسقام والوجل[2]

يعدو سقامي على مثل الخيال ضنىً ... ويقرع الخطب مني صفحة الجبل

ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً ... ويحمل الدرع مسلوباً عن البطل

أنا المقيم وأشعاري على سفرٍ ... كادت تؤلّف أعلاماً على السُّبل

سارت شوارد أوصاف الوزير بها ... سير الجنوب بصوب العارض الهطل

يروي القريض ولمّا يسم قائله ... فيشهد المجد أنَّ المدح فيه ولي

إذا سهرت لتحبير المديح له ... راسلت طبعي ومن إحسانه رسلي

ما بعده لشذور القول مدَّخرٌ ... في مقلة الريم أعلى بغية الكحل

وما به حاجةٌ في المدح تنظمه ... الشمس تكبر عن حِلْيٍ وعن حللِ

لكنّه ملكٌ هامتْ عزائمه ... بالجود فهو يروم البذل بالحيل[3]

ما قال «لا» قطُّ مذ حلّت تمائمه ... بخلاً به فوجدنا الجود في البخل

أولى الملوك بتدبير الممالك مَنْ ... يغني ويقني ولم يورثْ ولم يسلِ

ومن يبيت من الأيام في خجلٍ ... إن لم يبتْ والليالي منه في وجلِ

ومن يطبِّقُ وجه الأرض عسكره ... يوم القراع ويلقى القرن في الفضل[4]

ومن يقود الأسود السود بالوعل ... ومن يصيد البزاة الشّهب بالحجل

ومن يهمّ فلا يغزو سوى ملكٍ ... ولا يفرِّق غير الملك في النّفل

يا راحلاً عنه إنّ البحر معترضٌ ... فما ورودك ظمآناً على وشل[5]

---

(١) الخزر : ضيق العين وصغرها أو حول إحدى العينين ، والنجل : سعة العين .

(٢) الحشاشة : الروح والنفس ، والوجل : الخوف .

(٣) يروم البذل : يبغيه ،وبالحيل : أي يحتال لبذله بكثيرٍ من الأسباب .

(٤) الفضل : البقية من الشيء ، أو الثوب الذي يتخذ في العمل أو يلبس أثناء النوم وهذا دليل على شجاعته وثقته بنفسه .

(٥) الوشل : الماء القليل .

لا تترك السيف مشحوذاً مضاربه … وتطلب النصر عند الجفن والخللِ[1]

قد وقَّر الدّهر بالتدبير هيبته … وأرجف الأرض بالغارات والغِيَلِ

تجري الجياد من القتلى على جبلٍ … ومن دمائهم يرحضن في وحلِ[2]

ومن جماجمهم يصعدن في نشزٍ … ومن ذوائبهم يقمصن في شكلِ[3]

تحمَّلت صهوةٌ أخرى شواكلها … من طول ما حمّلت سبياً على الكفلِ[4]

قومٌ إذا ابتدروا يوم الوغى فرقاً … تكاد تعثر أخراهم على الأولِ

قومٌ أعفّاء عن غير العدو فلو … غزون بالبحر لم يعلقن بالبللِ

إنَّ التحكُّم في الدنيا بأجمعها … لمفرد الرأي أمرٌ ليس بالجللِ

يا من دعته ملوك الأرض راعيَها … حاشا لما أنت راعيه من الخللِ

إنَّ الملوك على أيّامنا مقلٌ … فاخلق برأيك أجفاناً على المقلِ

ومن أخرى [ من الطويل ] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ … يرى كلَّ ما يبقى من المال مغْرَما[5]

ندوِّم أسيافاً ، ونعلو عوالياً … وننقضُّ عقباناً ، ونطلع أنجما

إلى من يسير الدهر تحت لوائه … وتركز أعلام العلا حيث خيَّما

ومن أخرى في فخر الدولة [ من البسيط ] :

أمَّا شبا السيّف مسلولاً على القمم … فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم

لا أشتكي الدهر والأيام من حولي … أسوسها والخطوب الربد من خدمي[6]

---

(١) الجفن : الغمد .

(٢) الرحض : الغسل .

(٣) النشز : المرتفع من الأرض ، ويقمصن في شكل : يقفزن ويثبن في قيودهن .

(٤) الكفل : الردف .

(٥) مغرما : غرامةً أو ديناً .

(٦) الربد : جمع ربداء وهي هنا المنكرة .

فلـو رمّانـيَ بعـد النـوم ناظرُها بريبـةٍ أطبقـتْ أجفانهـا قدمي

فالآن أورد ذودي غير محتشمٍ وأنـزع الغـرب ريانـا إلـى الوذم[١]

ولا أؤاخـذ أيامـي بمـا صنعت في نعمـة البـرء ما يعفـو عن السقم

فإن برتنـي غواديهـا فلا عجبٌ علـى النفـوس جنـايات مـن الهمم

ما زلـت منغمسَ الآمـال في عدمٍ أو في وجـودٍ يدانـي رتبـة العدم

حتـى طلعـت وعين السعـد ترمقني كالصبُّـح منبلجـاً عن حالك الظلم

آوي إلـى ظلٍّ شاهنشـاه من زمني كمـا أوى الصيد مذعـوراً إلـى الحرم

زرت الملـوك لتدنينـي إليه كما يبغـي إلـى الله زلفـى عابـدُ الصنَّم[٢]

خلَّفتهُـمْ وهُـمُ خُطَّـاب خدمتِهِ ومثـل ما بي من وجـدٍ بهـا بهم

يرونَ بي حسـراتٍ في قلوبهمِ لكنّمـا ثمـراتُ السعـي بالقسم

وكمْ نصحـتُ لمـنْ بغـداد موطنهُ والنُّصح من أجلـب الأشياء للتهم[٣]

فكان ذا رمـدٌ لجَّ الأسـاة به ومـا آهتـدوا أن يداووا عينـه فعمي

هي القرابـة من لم يرعَ حرمتها فالسيف أولـى به وصـلاً من الرّحم

له تطـاع ملـوك الأرض قاطبةً وللشّبـاب تراعـي حرمة الكتم

حاشـا له أن أسمّـي غيره ملكاً وأن أقـرّ بفضـلِ البـاز للرخم[٤]

كلٌّ يدلُّ بأشبـاحٍ يسوسهُمُ ومـا سواه رعـاة البهـم لا البهم

ما قام من سوق أهل الفضـل لم يقمِ لو أن ما دام من نعمـاه لم يدم

أعطـى فأحيا موات الجـود نائلُهُ فالخصـب من فعلـه والاسـم للدِّيم

ومنها في ذكر تطهير ابنيه [ من البسيط] :

---

(١) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، أو خمس عشرة أو عشرين إلى ثلاثين، والغرب : الدلو العظيمة ، والوذم : آذانها .

(٢) زلفى : قربى .

(٣) في نسخة « للبهم » ولعلّ ما ذكر أصح .

(٤) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر كثير الريش ، أبيض اللون مبقّع بسواد .

أمسست شبليك في حقّ الهدى ألماً     لولا الهدى لسفكنا فيه ألفَ دمِ
جلوت سيفاً ليرتاح الشّجاع له     شذبت غصناً لتنمي قامة النسم

وله من أخرى [ من المتقارب ] :

بلوت الليالي فلم يتّزنْ     بأدنى الإساءة إحسانُها
فلا تحمدنها على وصلها     ففي نفس الوصل هجرانها

وأنشدت له [ من مجزوء الوافر ] :

تنكَّبْ حدَّة الأحد     ولا تركنْ إلى أحدِ[1]
فما بالريِّ من أحدٍ     يؤهل لاسم لا أحد

* * *

## ٢٩ - أبو حفص الشهرزوري

من ظرفاء الأدباء والشعراء ، ولشعره وحلاوة ، وعليه طلاوة ، ولا عيب فيه إلا قلة ما وقع لي منه ، وكان في بصره سوء فلما ورد حضرة الصاحب قدمه إليه بعض كتابه فجاراه الصاحب في مسائل لم يحمد أثره فيه . فقال له مداعباً [ من مخلع البسيط] :

وكاتبٍ جاءنا بأعمى     لم يحوِ علماً ولا نفاذا
فقلت للحاضرين كفّوا     فقلب هذا كعين هذا

ثم استنشده من ملحه ، فأنشده أبياتاً أعجب بها ، فلما أنشده [ من المتقارب ] :

دعوت على ثغرهِ بالقلحْ     وفي شعر طرّته بالجلح[2]

---

(١) تنكّب : إعدل وملْ .
(٢) القلح : صفرة الأسنان ، والجلح : الصلع .

لعــلَّ غرامــي به أن يقل فقــد برّحــتْ بي تلك الملح

قال : نسجت على منوال جميل في قوله [ من الطويل ] :

رمــى الله في عينــي بثينــة بالقذى وفــي الغــرِّ نم أنيابهــا بالقوادح[1]

وما أحسنت بعض إحسان ابن المعتز في قوله [ من البسيط ] :

يا ربٌّ إن لم يكن في وصلــه طمعٌ وليس لي فرجٌ من طول هجرته
فاشفِ السّقـام الـذي في جفـن مقلته واستــرْ ملاحــة خدَّيه بلحيته

ثم أنشده قوله [ من الرجز ] :

يستوجــب العفــوَ الفتــى إذا اعترفْ بمــا جنــاه وانتهــى عمّــا اقترف
لقولــه قلْ للّــذين كفروا ﴿إن ينتهوا يغفــر لهم ما قد سلف﴾

فأمر أن يكتبا في سفينة الملح مع ما أنشده إياه .

ومن قوله في غلام مختط[ من البسيط] :

الآن أحســن ممّــا كان بستانُهُ طابــت فواكه فيـه وريحانهُ
فيه من الــورد محمــرٌ جوانبه ونــرجسٌ كحِّلــت بالغنــج أجفانهُ
غطَّــتْ عنــاقيدَ أصــداغٍ مهدلةٍ تفّــاح حســنٍ به قد زين بستانهُ
خاف القطــاف علــى بستــان وجنته فشــوّكتْ حذر السُّــراق حيطانُهُ

وقوله [ من مجزوء الكامل ] :

حكـت السمـاء ندى يـديــــك فلم أطق سعياً إليكْ[2]
وحــكيتُهـــا يــا سيــدي بالـدمـع مـن أسفـي عليك

* * *

(١) بالقوادح : جمع قدْح ، وهو مرضٌ يأكل الأسنان .

(٢) حكت السماء : ماثلت وشابهت، وندى يديك : كرمك .

## ٣٠ ـ بنو المنجم

قد تقدم ذكر بعضهم في أهل العراق ، وهذا مكان من يحضرني شعره منهم ، وما منهم إلا أغر نجيب ، ولهم وراثة قديمة في منادمة الملوك والرؤساء ، واختصاص شديد بالصاحب ، وفيهم يقول [ من الكامل ] :

لبني المنجِّم فطنةٌ لهبيهْ ومحاسنٌ عجميَّةٌ عربيه
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهمْ حتّى اتهمت بشدَّة العصبيه

وضرب السلامي المثل في السماع بأحدهم في قوله لعضد الدولة [ من الكامل ] :

عبدٌ رمى يفعاً إليك مقشَّعاً فالآن قد وخط المشيب عذاره
ولطالما أثني عليك فظنَّ أنَّ بني المنجّم منطقٌ أوتاره

* * *

أنشدت لهبة الله بن المنجم [ من مجزوء الرجز ] :

شكى إليك ما وجدْ من خانه فيك الجلَدْ[1]
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت وَرَدْ
يا أيها الظَّبيُ الذي ألحاظه تُردي الأسدْ
أما لأسراك فدىً أما لقتلاك قود
الراح في إبريقها أحسن روحٍ في جسد
فهاتها نصلِحْ بها من الزّمان ما فسد

* * *

ولأبي عيسى بن المنجم [ من الخفيف ] :

(١) الجلد : الصبر .

آخِ من شئت ثمَّ رِمْ منه شيئاً تلفَ من دون ما تروم الثُّريَّا[1]

وسمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي ، يقول : أنشدت لأبي عيسى [ من الوافر ] :

رغيف أبي عليٍّ حلَّ خوفاً من الأسنان ميدان السِّماك
إذا كسروا رغيف أبي عليٍّ بكى يبكي فهو باكي

فبنيت عليه قولي لبعض من أطايبه [ من الوافر ] :

لنا شيخٌ بفقحته يواسي ويحلق شاربيه بالمواسي[2]
إذا بايَّتهُ في جوف بيتٍ فسا يفسو فساءً فهو فاسي

ولأبي عيسى [ من مجزوء الكامل ] :

لوم النّديم منغِّصٌ طيب المجالس والنّدامِ
وسماحة الحرّ الكريم تزيد في طيب المدامِ
فإذا شربت الراح فاشربها مع النّفرِ الكرامِ
وتنكبنْ ما اسطعت أخلاق اللئام بني اللئامِ

* * *

ولأبي الفتح بن المنجم [ من الخفيف ] :

كنت أدعو عليه بالشّعر حتَّى زاده الشعر في الأنام جمالا
وإذا كان هكذا كان خذلا ني دقيقاً وكان شؤمي جلالا
وأضرّ الأشياء أنَّ عذولي في هواه أشدّ منّي خبالا[3]

* * *

(١) رِم : ابتغِ واطلب ، تلْفَ : تجد .
(٢) الفقحة : حلقة الدّبر .
(٣) عذولي : لائمي ، وخبالاً : أي فساداً وعناءً .

ولأبي محمد بن المنجم [ من المتقارب ] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهم وادعاً فاغتربْ
فكم دعةٍ أتعبت أهلها وكم راحةٍ نتجت من تعَبْ

* * *

ولأبي الحسن بن المنجم [ من الطويل ] :

هو الدهر لم تبدعْ عليَّ صروفه ولم يأتِ شيئاً لم أكُنْ أتخيَّلُهْ
وما راعني المكروه إذ هو عادتي لديه ، ولكن راع قلبي تعجُّلُهْ
تعجّل حتّى كاد آخر فعله يجيء ولمّا ينقطعْ بعد أوّلُهْ

وعمى ابن بابك على أبي الحسن بن المنجم بيتاً ، هو [ من مجزوء الكامل ] :

بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي

فأخرجه أبو الحسن وكتب إليه [ من مجزوء الكامل ] :

بأبي وأمي أنت مِنْ خلٍّ أعزٍّ أخي سماحِ
عمَّيتَ لي بيتاً وجدْ تُك فيه عِفْتَ بكور لاحي[1]
فنقرته نقراً فطنٍّ ولاح من كلِّ النّواحي
ووجدته من قول مغرىً بالخلاعة والمزاح
بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي
فانشطْ وأبهِمْ غيره ليجوب ظلمته صباحي
ويصحَّ عندك في الحجى أنّ المعلَّى من قداحي[2]

فأجابه ابن بابك [ من مجزوء الكامل ] :

---

(١) اللاحي : اللائم .
(٢) المعلى : سابع سهام القمار .

بأبـي محـاسـنَ زرتني وبديعـةٍ سلّتْ مزاحي
وخـلائـقٍ كالنّـور با ح بسرِهِ نفس الصباح
وخـلائـقٍ لـو صـوِّرتْ سكنـتْ أنـابيـبُ الرِّماح
كشفـت ضبـاب حديقتي وأجـابهـا مزن اقتراحي
فأتـت تخـايـل في نظا مٍ هزّ أعطـاف ارتياحي

* * *

## ٣١ ـ أبو طاهر بن أبي الربيع

هو عمرو بن ثابت بن سعد بن علي الذي ذكره الصاحب في كتاب له وقال « وأما قصيدة أبي طاهر بن أبي الربيع ، فأحسن من الربيع ، ومن قطيعة الربيع ، وإنها لوثيقة الجزالة ، أنيقة الأصالة . تنطق عن أدب مهيد الأسر . شديد الأزر . وله عندنا أسلاف بر أرجو أن لا تبقى في ذمتنا حتى نقضيها ، فوعد الكريم ألزم من دين الغريم » . وأول قصيدته التي وصفها الصاحب [ من الطويل ] :

أمـا لصحابـي بالعـذيب معرّجُ علـى دمـنٍ أكنافهـا تتأرَّجُ
وصهبـاء بكرٍ يرسـب الـدرُّ قعرها ومطفـاه أعلـى كأسهـا حين تمزجُ
سلامٌ علـى عهـد التصابـي فإنّني إلـى الرتبـة العليا بظلّك أحوجُ
إليك ابـن عبـادٍ شددنـا غروضها وضـوء النهـار في دجـا الليل يولج
وعبَّـر عن مكنـون ما في ضمائري خلـوص ولائـي والثنـاء المدبَّج

وقوله من قصيدة [ من الكامل ] :

سحبـتْ دلادلهـا علـى الغبراء سحـبٌ تثـجُّ ودائـعَ الأنواء

والشمس تلحظ من خروق حجابها	مرضى الجفون سقيمة الأضواء
وكأنَّما هتك الحجاب متيَّمٌ	عن غرٍّ وجه الغادة الحسناء
وكأنَّ موليَّ الرياض ضرائرٌ	تزهى بخضرتها على الخضراء [1]
قد أبرزتْ زهراتها وازيّنتْ	وتعطّرتْ وتبرَّجتْ للرائي
والنور منحسر القناع كما بدتْ	للناظرين محاسنُ العذراء
والنبت ريّان المهزَّة مائلٌ	شرِقٌ محاجِرُ زهره بالماء
مسحت بأجنحة الصبّا أعرافه	وجلت مداوسها متون إضاء
فترى الظّباء إذا وردن حيالها	ككواعبٍ قابلتهنَّ مرائي

أخذه من قول ابن المعتز [ من الكامل ] :

وترى الرياح إذا مسحن غديره	صفّينه ونقين كلَّ قذاةِ
ما إنْ يزال عليه ظبيٌ كارعٌ	كتطلّع الحسناء في المرآة

* * *

## ٣٢ ـ أبو الفرج الساوي

أشهر كتاب الصاحب بحسن الخط ، مع أخذه من البلاغة بأوفر الحظ ، وكان الصاحب يقول : خط أبي الفرج يبهر الطرف . ويفوت الوصف ، ويجمع صحة الأقسام ، ويزيد في نخوة الأقلام . وأما شعره فمن أمثل شعر الكتاب كقوله ، في مرثية فخر الدولة [ من الوافر ] :

هي الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركُمُ حسن ابتسامي	فقولي مضحكٌ والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فإنّي	أخذت الملك منه بسيف هلكِ

وقـد كان استطـال علـى البرايا ... ونظَّم جمعهـم في سلك ملكِ[1]
فلـو شمس الضحـى جاءتـه يوماً ... لقـال لهـا عتـواً أُفٍّ منك
ولـو زهـر النجـوم أبـت رضاه ... تأبّـى أن يقـول رضيت عنك
فأمسـى بعـد ما قرع البرايا ... أسيرَ القبـر في ضيقٍ وضنك
أقـدّر أنّـه لو عاد يوماً ... إلـى الـدّنيا تسربـل ثوب نسكِ[2]
دعـي يا نفس فكرك في ملوكٍ ... مضـوا بل لانقراضـك ويكِ فابكي
فـلا يغنـي هلاكُ الليث شيئاً ... عن الظّبـي السـليب قميصَ مِسك
هـي الـدنيا أشبِّههـا بشهدٍ ... يسـمّ ، وجيفـةٍ طليت بمسكِ
هي الـدنيا كمثـل الطفـل ، بينا ... يقهقـه إذ بكى من بعـد ضحك
ألا يا قومنـا انتبهـوا فإنّا ... نحاسـب في القيامـة غير شكٍّ

وأنشدت له في وصف البرغوث [ من السريع ] :

وأصهـبَ في قدٍّ شونيزةٍ ... أقفـز من فهـدٍ علـى خشف[3]
يسهـرنـي تخمشـه دائباً ... وعبثـه يعمـل فـي حتفـي

* * *

## ٣٣ ـ أبو الفرج بن هندو

وهو الحسين بن محمد بن هندو ، من أصحاب الصاحب ، وممن تخرجوا بمجاورته وصحبته ، فظهر عليهم حسن أثر الدخول في خدمتـه ، أنشدنـي أبـو حفص عمرو بن علي المطوعي ، قال : أنشدني أبو الفرج لنفسـه بالـري [ مـن البسيط] :

---

(١) السلك : العقد .
(٢) تسربل : لبس .
(٣) الأصهب ، من كان في شعره حمرة أو شقرة ، والشونيـزة : الحبَّة السوداء ، والخشف : ولد الغزال .

لا يوحشنّك من مجدٍ تباعده  فإنّ للمجد تدريجاً وتدريبا
إن القناة التي شاهدت رفعتها  تنمي فتصعد أنبوباً فأنبوبا

وأنشدني أيضاً له [ من الطويل ] :

يسرّ زماني أن أُناط بأهله  وآنف أن أعزى إليه لجهلِهِ[1]
ويعجبني أن أخرتني صروفه  فتأخيرها الإنسان برهان فضلهِ
فإنّا رأينا قائم السيف كلّما  تقلّده الأبطال قدّام نصله

وله أيضاً في الغزل [ من المنسرح ] :

تقول لو كان عاشقاً دنفاً  إذا بدت صفرةٌ بخديه
لا تنكريه فإنّ صفرته  غطّت عليها دماء عينيه

وله [ من مخلع البسيط ] :

عابوه لما التحى فقلنا  عبتم وغبتم عن الجمالِ
هذا غزالٌ وما عجيبٌ  تولّد المسك في الغزال

وقال [ من مخلع البسيط ] :

كم من ملحٍّ على أذاه  يسلُّ من فكّه حساما
صبٍّ قذى القول في صماخي  فصار حلمي له فداما[2]

قال مؤلف الكتاب : قد كان اتفق لي في أيام صباي معنى بديع لم أقدر أني سبقت إليه ، ولا ظننت أني شوركت فيه ، وهو قولي في آخر هذه الأبيات الأربعة [ من مجزوء الرجز ] :

---

(١) أناط : أقرن .

(٢) الصمّاخ : خرق الأذن الباطن الذي يؤدّي إلى الرأس ، والقدام : المصفاة التي تجعل على فم الابريق ليصفّى بها ما فيه .

قلبي وجداً مشتعل ... على الهموم مشتملْ
وقد كستني في الهوى ... ملابس الصبِّ الغزل
إنسانةٌ فتَّانةٌ ... بدر الدّجى منها حجل[1]
إذا زنت عيني بها ... فبالدموع تغتسل

وأنشدني أبو حفص من قصيدة لأبي الفرج [ من الطويل ] :

يقولون لي ما بال عينك مذْ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها مطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل

فصح عندي تشارك الخواطر وتواردها في المعاني ، إذ لم يكن مجال للظن في سرقة أحدنا من الآخر ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ومن غرر صاحبياته قصيدته التي أولها [ من الطويل ] :

لها من ضلوعي أن يشب وقودها ... ومن عبراتي أن تفضَّ عقودها
بذلت لها الدّمع المصون وإن غدتْ ... تمانعني في نظرةٍ أستفيدها
سلامٌ عليها حيث حلَّت فإنّني ... عدمت فؤادي منذ عزَّ وجودها
وكم ليلةٍ زارت وقد لان أهلها ... وسامح واشيها ، وغاب حسودها
فحلَّتْ بتضييق العناق عقودها ... وحُلِّيَ من درٍّ المدامع جيدها
وركبٍ أطار والنوم عنهم وأجَّجوا ... من العزم ناراً مستنيراً وقودها
على كل هوجاء النّجاة كأنّها ... تطير فما يؤذي الصخور وخودها[2]
تؤم بهم بحر الفضائل والعلا ... ولا سفنٌ إلاّ رحلها وقتودها
يجوزون أجواز السباسب باسمه ... فيصفرّ داجيها ويدرج بيدها[3]

---

(١) حجل : غار واختفى .
(٢) الوخد : ضرب من السير .
(٣) السباسب : الفلوات والقفار ، ويدرج : يقطع .

فقد ملكوا العلياء إذ عبدوا السُّرى ولن يملك العلياء إلاّ عبيدها
إليك تحملنا أمانيُّ أجدبتْ على ثقةٍ أنَّ النجاح يجودها

ومنها في وصف الجيش والحرب :

وشهباء يثني الشّهب كمتاً نجيعها إذا قارعت والكمت شهباً كديدها[1]
تبدّت لنا في روضةٍ تنبت القنا بماء الطلى أغوارها ونجودها
أدارت سقاة البيض والسّمر بيننا كؤوس المنايا حين غنَّى حديدها
شفيت غليل الطير منها موسّعاً قراها وهامات الكماة سهودها
غمائم إيماض السيوف بروقها لديها وإرزام الخيول رعودها[2]
ولا غيث إلاّ أن يصب على العدا بنوء الظّبا حمر المنايا وسودها
يبشرك النيروز باليمن مطلعاً عليك نجوماً ما تغيب سعودها
فدمْ تدفع الجلّى وتفترع العلا وتبدأ أفعال الندى وتعيدها
كسونا بك الأشعار فخراً وزينةً فخيَّم بين الشعريين قصيدها
وسار بها الرُكبان في كلٍّ بلدة ولولاك ما جاز اللّهاة نشيدها

وملح أبي الفرج كثيرة ، ولا يسع هذا الباب إلا هذا الأنموذج منها :

* * *

(١) الكمت : الخيل ، لونها أحمر إلى اسود، والكديد : الأرض الغليظة .
(٢) إرزام : صهيلها وقد شبّهه بصوت الرعد .

# الباب السابع

## في ذكر سائر شعراء الجبل والطارئين عليه من العراق وغيرها وملح أخبارهم وأشعارهم

## ٣٤ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم

كان بهمذان من أعيان العلم وأفراد الدهر ، يجمع إتقان العلماء ، وظرف الكتاب والشعراء ،وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق وابن خالويه بالشام وابن العلاف بفارس وأبي بكر الخوارزمي بخراسان ، وله كتب بديعة ، ورسائل مفيدة ، وأشعار مليحة ، وتلامذة كثيرة ، منهم بديع الزمان ، وأنا أكتب من رسالة لأبي الحسين كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فصلاً في نهاية الملاحة يناسب كتابي هذا في محاسن أهل العصر ، ويتضمن أنموذجاً من ملح شعراء الجبل وغيرها من العصريين وظرف أخبارهم ، كأبي محمد القزويني وابن الرياشي والهمذاني المقيم بشيراز وابن المناوي ، وأبي عبد الله المغلسي المراغي وغيرهم ، ثم أورد ما وقع إلي من ملح أبي الحسين ، إن شاء الله تعالى .

### الفصل من الرسالة المذكورة

ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد ، وجنّبك الخلاف ، وحبّب إليك الإنصاف . وسبب دعائي بهذا لك إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة وإعظامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول ، فماذا الإنكار ؟ ولمه هذا

الاعتراض ؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ؟ وهل الدنيا إلا أزمان ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه حجرت واسعاً ، وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً ، وسددت طريقاً مسلوكاً ؟ وهل حبيب إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، وأهل النحو في مصنفاتهم ، والنظار في موضوعاتهم ، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يدرك ولا يدري قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلت أفهام ثاقبة ، ولكلّت ألسن لسنة ، ولما توشى أحد الخطابة ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة[1] ، ولمجَّت الأسماع كل مردّد مكرر[2] ، وللفظت مقلوب كلٍّ مرجع ممضّغ ، وحتام لا يسأم .

* لو كنت من زمان لم تستبح إبلي[3] *

وإلى متى

* صفحنا عن بنـي ذهل[4] *

---

(١) الشعب : الطريق .

(٢) مجّت : استثقلت وكرهت .

(٣) تتمّة البيت « بنو اللقيطة من ذهل بن شيبـانا» .

(٤) تتمة هذا قوله : « وقلنا القوم إخوان » .

ولمه أنكرت على العجلي معروفاً ، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً وإيطاء وإقواء ونقلا لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة ، وأمور عليلة ، ولمه رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حسبت على إثارة ما غيبته الدهور ، وتجديد ما أخلقته الأيام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وأفكار هذا العصر ، على أن ذلك لو رامه رائم لأتعبه ، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروقك ، واستنباط يعجبك ، ومزاح يلهيك !

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أكول فأحس أبو حامد بجودة أكله ، فقال [ من الرجز ] :

وصاحبٍ لي بطنه كالهاويه كأنَّ في أمعائه معاويه

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الأمعاء الى جنب معاوية ، وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وأبو الشمقمق ؟ وهل في إثبات ذلك عار على مثبته ؟ أو في تدوينه وصمة على مدونيه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني ، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلاً عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض وخفّه أحمر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق[1] هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر إليه [ من السريع ] :

وحاكمٍ جاء على أبلقٍ كعقعقٍ جاء على لقلق[2]

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة

(١) أبلق : الذي في لونه بياض وسواد .

(٢) العقعق : طائر يشبه الغراب ، واللقلق : طائر بحجم الإوزة طويل العنق والساقين « البجع » .

التمثيل ، ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار [ من الطويل ] :

كأنّ مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه وجحود تجويده ؟

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني ، وهو اليوم حيّ يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه [ من المتقارب ] :

وفيت الرّدى وصروف العلل ولا عرفت قدماك الزّللْ
شكا المرض المجد لما مرضت فلما نهضت سليماً أبل[1]
لك الذنب لا عتب إلاّ عليك لماذا أكلت طعام السفل
طعامٌ يسوي بتع النبيذ ويصلح من حذر ذاك العمل[2]

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي ، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف [ من المنسرح ] :

وأصفر الليون أزرق الحدقه في كلٍّ ما يدّعيه غير ثقه
كأنّه مالك الحزين إذا همَّ برزق وقد لوى عنقه
إن قمت في هجوه بقافيةٍ فكلّ شعرٍ أقوله صدقه

وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من أهل قزوين ويعرف بابن المنادى [ من الوافر ] :

إذا ما جئت أحمد مستميحاً فلا يغررك منظره الأنيقُ
لـه لطفٌ وليس لديه عرفٌ كبارقةٍ تروق ولا تريقُ

---

(١) أبل : شفي وتعافى .

(٢) البتع : صنع العسل من النبيذ .

فمـــا يخشـــى العـــدو له وعيداً كمـــا بالوعـــد لا يثـــق الصديقُ

وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، ولعلك سمعت به [ من الخفيف ] :

حــجٌّ مثلـي زيارة الخمَّار واقتنائـــي العقـــار شرب العقار
ووقـــاري إذا تـــوقّـر ذو الـــشـــيـــبـــة وسط الندى تـــرك الـــوقـــار
مـــا أبالـــي إذا المدامـــة دامتْ عذل ناهٍ ولا شناعـــة جاري
ربَّ ليل كأنّـــه فرع ليلي ما به كوكبٌ يلـــوح لساري
قـــد طويناه فوق خشف كحيلٍ أحـــور الطـــرف فاتـــرٍ سحَّار
وعكفنـــا علـــى المدامـــة فيه فرأينـــا النهـــار في الظهـــر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والإِيجاز أمثل ، ومـا أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا في أمره قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلاً [ من مجزوء الكامل ] :

جـوَّدتَ شـعـرك فـي الأمـــــيـر فكيف أمرك قلت فـاتـرْ

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه ؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن الإِيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ؟ وأنت الـذي أنشدتنـي [ من مجزوء الكامل ] :

سـدّ الطـريق علـى الزما ن وقـام فـي وجـه القطوبِ

كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل [ من المتقارب ] :

فديتـــك ما شبـــت عن كبرةٍ وهـذي سنـــيٍّ وهـــذا الحساب[1]
ولـــكن هُجِـــرتُ فحـــلّ المشيب ولـــو قد وُصلـــت لعـــاد الشبابْ

(١) كبرة : تقدّم في السن .

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الإنس ومردة العالم في الشعر ؟

وأنشدني عبد الله المغلسي المراغي لنفسه [ من الطويل ] :

غداة تولَّت عيسهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميتُ
فلا مقلتي أدّت حقوق ودادهم ولا أنا عن عيني بذاك رضيت

وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حتى يرزق [ من الخفيف ] :

زارني في الدُّجى فنمَّ عليه طيب أردانه لدى الرُّقباءِ[1]
والثّريَّا كأنّها كفٌّ خودٍ أبرِزَتْ من غلالةٍ زرقاء

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي [ من الطويل ] :

أقول لنعمان وقد ساق طبَّهُ نفوساً إلى باطن الأرضِ
أبا منذرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعضِ

* * *

وهذه ملح من شعر أبي الحسين بن فارس ، منها قوله في الشكوى [ من الطويل ] :

سقى همذان الغيث لست بقائلٍ سوى ذا ، وفي الأحشاء نارٌ تضرمُ
وما ليَ لا أصفي الدعاء لبلدةٍ أفدت بها نسيان ما كنت أعلمُ
نسيت الذي أحسنته غير أنّني مدينٌ ، وما في جوف بيتي درهم

---

(١) نمّ عليه : دلّ وأشار .

وله [ من الوافر ] :

وقالـوا كيف حالك قلـت خيرٌ ... تُقضّـى حاجـةٌ وتفـوت حاجُ
إذا ازدحمـت همـوم الصـدر قلنا ... عسـى يومـاً يكون لهـا انفراج
نديمـي هرّتـي وأنيس نفسي ... دفاتـر لي ومعشـوقي الشراب

وقوله [ من مجزوء الرمل ] :

كـلُّ يـومٍ لـيَ مـن سـلـمـى عـتـابٌ وسـبـابُ
وبـأدنى مـا ألاقـي ... منهمـا يـودي الشبـابُ

وقوله [ من البسيط] :

يا ليت لي ألف دينـارٍ موجّهةٍ ... وأنَّ حظّـيَ منهـا فلس إفلاسِ
قالوا : فما لك منها؟ قلت: يخدمني ... لهـا ومـن أجلهـا الحمقى من الناس

وقوله [ من السريع ] :

مـرّت بنـا هيفـاءُ مقدودةً ... تركيّـةٌ تُنمـي إلـى التركِ
ترنـو بطـرفٍ فاتـرٍ فاتنٍ ... أضـعف من حجّـة نحوي

وقوله [ من المنسرح ] :

قالـوا ليَ اختـرْ فقلـت ذا هيفٍ ... بي عن وصـالٍ وصـدّه برحُ
بدرٌ مليح القـوام معتدلٌ ... قفـاه وجـهٌ ووجهـه ربحُ

وقوله [ من مجزوء الكامل ] :

اسـمـع مقـالـة ناصـحٍ ... جمع النصيحـة والمِقـه[1]
إيّـاك واحـذر أن تـبـيـت من الثّقـات على ثقـه

---

(١) المقه : المحبّة .

وقوله [ من المتقارب ] :

إذا كان يؤذيك حرّ المصنفْ    وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع    فأخذك للعلم قل لي : متى ؟

وقوله [ من البسيط ] :

وصاحبٍ لي أتاني يستشير وقدْ    أدار في جنبات الأرض مضطربا
قلت آطلب أيّ شيءٍ شئت واسعَ وردْ    عند الموارد إلاّ العلم والأدبا

وقوله [ من المتقارب ] :

إذا كنت في حاجةٍ مرسلاً    وأنت بها كلِفٌ مغرمُ
فأرسل حكيماً ولا توصه    وذاك الحكيم هو الدرهم !

وقوله [ من الطويل ] :

عتبتُ عليه حين ساء صنيعه    وآليت لا أمسيت طوعَ يديهِ[1]
فلمّا خبرت الناس خبر مجربٍ    ولم أر خيراً منه عدت إليه

أخذه من قول القائل [ من الطويل ] :

عتبتُ على سلمٍ فلما هجرته    وجرّبت أقواماً رجعت إلى سلم

وقوله [ من المتقارب ] :

تلبّس لباس الرضا بالقضا    وخلِّ الأمور لمن يملكُ
تقدِّر أنت وجاري القضا    ء ممّا تقدِّره يضحك

* * *

(١) آليت : أقسمت .

## ٣٥ ـ براكويه الزنجاني المعروف بالثلول

كل ما سمعت من شعره ملح وظرف ، ونكت لا يسقط منها بيت ، أنشدني بديع الزمان له [ من الوافر ] :

مضى العمرُ الذي لا يستعادُ ... ولمَّا يقض من ليلى مرادُ
بليت وذكرها عندي جديدٌ ... وشاب الرأس واسودّ الفؤاد
تواصى للرحيل بنو أبيها ... فقلت لغير رأيكم السّداد

وأنشدني أبو نصر المغلسي قال : أنشدني براكويه لنفسه في غلامه يوسف [ من الطويل ] :

مضى يوسف عنا بتسعين درهماً ... وعاد وثلت المال في كفّ يوسف
وكيف يرجّى بعد هذا صلاحه ... وقد ضاع ثلثا ماله في التصرّف ؟

وأنشدني غيره له [ من الوافر ] :

وأهيفَ نالت الأيّام منهُ ... غداة أظلَّ عارضه السواد
تعرّض لي ومرَّض مقلتيه ... فما وَرِيتْ له عندي زناد
وقلت ارجع وراءك وابغِ نوراً ... أجئت الآن إذ ظهر الفساد
فغيرك من يصيد بمقلتيه ... وغنجهما وغيري من يصاد

وقوله [ من البسيط ] :

آقسم زمانك بين الورد والآس ... واطلب سرورك بين الكيس والكاس
واجعل طبيبك ذا ، واجعل أنيسك ذا ... واخطب إلى الناس ودَّ الناس بالياس
وقد مضى الناس فانظر ما الذي صنعوا ... ولا تكن لرسوم الناس بالناسي[1]

---

(١) رسوم الناس : آثارهم .

وقوله [ من الوافر ] :

خرجت مباركاً من باب داري أحاول حاجةً فإذا زهيرُ
فلم أثن العنان وقلت أمضي فوجهك يا زهير خراً وخيرُ

وقوله [ من الطويل ] :

هلمَّ إلينا يا أخا الفضل والحِجى فإنَّ لدينا من صنوف الأطايبِ
أطايب لهوٍ من سرورٍ ولذّةٍ ومن طيِّبات الرزق قدرٌ لطالبِ
مطيّبةٌ بكرٌ بخاتم نارها وخطّابها يأتون من كلٍّ جانب
وأنت لها أولاهم بافتضاضها فحيَّ عليها الآن يا خير صاحب

* * *

## ٣٦ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن مأمون الأبهري

أنشدني عون بن الحسين الهمذاني ، قال : أنشدني ابن مأمون الأبهري لنفسه [ من المتقارب ] :

ألا يعجب الناس ممّا دعو ت ، يا للأنام لفقد الكرمْ
تيمّمت أحمد في حاجةٍ فقابلني بحجّابٍ أصمْ
وإنّ الفتى لحقيقٌ بأن يهان إذا خفَّ منه القدم
ومستخبرٍ كنه ما بيننا من الحال قلت أخٌ وابن عم
كلانا إلى منصبٍ نعتزي وتجمعنا آصرات الرحم[1]
ولكنْ له الفضل في أنّه يصول بقرنٍ وأنّي أجم[2]

وأنشدني أيضاً له [ من الطويل ] :

---

(١) آصرات الرحم : روابط القربى .
(٢) أجمّ : الذي لا قرن له والرجل بلا رمح في الحرب .

خليلـيَّ ماذا أرتجـي من غدٍ امرئٍ	طوى الكشح عنّي اليوم وهـو مكين[1]
وإن امـرءاً قد ضنَّ عنـك بمنطقٍ	يسـدّ به فقـرُ امـرئٍ لضنينُ

وله [ من المنسرح ] :

ما كلّ من جدّد الزمـان له	إلفـاً تناسـى حبيبه الأوّلُ
إن كنـت يا سيدي ويا أملي	شغلـت عنّـي فعنـك لم أشغلُ
حسبـك أنّـي من طول هجـرك لا	أدري نهـاريَ أم ليلتـي أطولُ

وله [ من الهزج ] :

متـى ترغـب إلـى النّاس	تكـنْ للنّـاس مملوكـا
وإن أنـت تخفّفـت	علـى النـاس أحبوكـا
وإن ثقّلـت عافـوك	ومـلّـوك وسبّـوكـا
إذا ما شئـت أن تعصي	فمـرْ من ليس يرجوكا
وسـلْ من ليس يخشاك	فيدمـي عنـدهـا فوكـا

* * *

## ٣٧ - أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي

من بعض كور الجبل ، يقول في وصف مجمرة ومدخنة [ من الطويل ] :

ومنحوتـةٍ من جنس قلبـك قسوةً	برزت بهـا في مثـل قدّك لينا
حوت جمـرةً في لون خدّك حمرةً	وفـي حرّ أحشائـي هوىً وحنينا
يذكرنـي ما فاح من عرف ندّها	شهـوراً مضـت في وصلنـا وسنينا

وله في وصف المجمرة [ من الطويل ] :

---

(١) طوى الكشح عن الأمر : أي أخفاه ،والكشح : ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر من الجسم .

ومبرقـةٍ والبـرُّ تنـوي ومـا نوَتْ جفـاي ولا إبراقهـا بعقوقِ[1]
لهـا قسطـلٌ في كلِّ نادٍ تثيره علـى كلِّ خلٍّ مخلصٍ وصديقِ
أتـت حامـلاً شمسـاً توقّـد في دجاً وأبنـاء حامٍ في برود عقيقِ[2]
كأنّ دخـان النـدّ من فوق جمرها بقـايا ضبـابٍ في رياض شقيق

وله [ من الطويل ] :

ولمـا عدتنـي عنـه بادرة النّوى أبـى القلـب منّي أن يسير مع الركب
فسـرت وقـد خلّفـت قلبـيَ عنده فيا من رأى شخصـاً يسير بلا قلب

وله في غلام تركي [ من البسيط ] :

أضيغـمٌ أمْ غزالٌ ذاك أم بشرُ شمسٌ تزيّت بزيِّ التّـرك أم قمرُ
لقـد تحيّر وصفـي في حقيقته كمـا تحيّر في أجفانـه الحور[3]

وله [ من مجزوء الرمل ] :

أنـا مملـوكٌ لمملـو ك وللـدّهـر صـروفُ
أيُّهـا السائـل عـن مو لاي مـولاي وصيـفُ
يا غزالاً لحـظ عيـنيـه منـايـاً وحـتـوفُ
مـا الـذي ورَّد خـدَّيـك ربيـعٌ أمْ خريـفُ

* * *

## ٣٨ ـ أبو الحسين علي بن الحسين الحسني الهمذاني

من علية العلوية ، ومحاسن الحسنية ، وكان الصاحب صاهره بكريمته التي

---

(١) البرّ : المعروف والخير ، والعقوق : نكران الجميل .
(٢) ابناء حام : الزنوج شبّه به الفحم ، لسواده .
(٣) الحور : شدّة بياض العين وشدّة سوادها .

هي واحدته ، فرزق منها عباد بن علي الـذي تقـدم ذكره ، ولمـا قال الصاحـب قصيدته المعراة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولاً في المنظوم والمنثور وأولها [ من المجتث ] :

قــد ظـلّ يجــرح صـدري مـن ليس يعـدوه فكري

وهي في مدح أهل البيت ، تبلغ سبعين بيتاً ـ تعجب الناس منها ، وتداولتها الرواة [ من الطويل ] :

فســارت مسيرَ الشّــمس في كلِّ بلدةٍ وهبَّت هبـوب الـريح في البرِّ والبحر

فاستمر الصاحب على تلك المطية ، وعمل قصائد كل واحدة خالية من حرف من حروف الهجاء ، وبقيت عليه واحدة تكون معراة من الواو، فانبرى أبـو الحسين لعملها ، وقال قصيدة فريدة ليس فيها واو ، ومدح الصاحب في عرضها ، أولها [ من مجزوء الكامل ] :

بــرقٌ ذكرت به الحبائب لـمـا بدا فالدّمـع ساكبْ
أمـدامِعــي منهلَّــةٌ هاتيك أم غزر السحائبْ
نثــرت لآلـي أدمعٍ لم يفترعهـا كـفٌّ ثاقب
يـا ليلــةً قـد بتُّها بمضاجــعٍ فيهـا عقارب
لــمـا سرت لـيــلى تـخـــــبُّ لنآيها عنّـا الركـائب[1]
جعلــتْ قسيّ سهامهـا إنْ ناضـلتـه عقـد حاجـب
لـم يـخط ســهـمٌ أرسلتـــــه ، إنّ سهم اللحظ صائب
تسـقيـك ريقــاً سكـره إنْ قسـتـه للخمـر غالب
كم قد تشـكّى خصرها من ضعفــه ثقـل الحقائـب
كم أخجلت بضفائـرٍ أبـدت لنـا ظلـم الغياهب

---

(١) الخبب : ضرب من العدو .

إخجال كفّ الصاحب الـ ... ـقرم المرجّى للسحائب
ملكٌ تلألأ من معا ... قد عزّه شرف المناصب
نشأت سحائب رفده ... في الخلق تمطر بالرغائب
خذها إليك فإنّني ... نقّحتها من كلّ عائب
ألفيت ما لاقيت من ... إلقائه إحدى المصاعب
حرفاً يعلل كلّ حر ... فٍ حلّ من لفظ المخاطب
هاذاك ترب الهاء إنّ ... لم أبده فالنّهج لاحب[1]
لكنْ له تمثال قا ... فٍ خطّه في السطر كاتب
أنّي اغترفت خليجها ... من بحرك العذب المشارب
فانعم بملكٍ دائباً ... ما حجَّ بيت الله راكب

وله في دار بعض الملوك [ من الكامل ] :

دار علت دار الملوك بهمّةٍ ... كعلوّ صاحبها على الأملاك
فكأنّها من حسنها وبهائها ... بنيت قواعدها على الأفلاك

* * *

## ٣٩ ـ أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمذاني

أحد أفراد الزمان الذين ملكوا القلوب بفضلهم ، وعمروا الصدور بودهم يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، ويقول شعراً بارعاً كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحبس الصواب بين طبعه وفكره ، وكان الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي جاز به عند منصرفه من الحج ، فخدمه أبو سعد بنفسه ونظمه ونثره . وانعقدت بينهما معاقدة المشالكة ، وصداقة المناسبة . ولما أنشده الأمير

(١) اللاحب : الطريق الواضح .

أبياتاً لأبي الفتح علي بن محمد البستي مشابهة القوافي ، قال أبو سعد أبياتاً فيه ، على سبيل أبي الفتح فيها نهج ، وعلى منواله نسج ، فمنها قوله [ من السريع ] :

ما سرَّ مولاي نبيُّ الهدى بوحي جبريلٍ وميكال
إلاّ قريباً من سروري بما رزقت من ودّ ابن ميكال
لكن نواه قد أطاشت دمي فالله فيه لدمي كالي[1]

وقوله [ من الطويل ] :

أبي الفضل أن يحظى به غير أهله من الناس فاختصّ الأمير أبا الفضل
وإنّي وإن أصبحت حرّاً فإنّني عبيد عبيد الله ذي المنِّ والفضل
هل الفضل إلاّ ما حوته خلاله وما بعده فضلٌ يعدُّ من الفضل

ومما وقع إلي بعد ذلك من غرر شعره التي رضي فيها عن طبعه قوله [ من الطويل ] :

أصرّح بالشكوى ولا أتأوّلُ إذا أنت لم تجمل فلِمْ أتجمّلُ ؟
أفي كلِّ يومٍ من هواك تحاملٌ عليَّ ومنّي كلُّ يومٍ تحمُّل ؟
وإنّي على ما كان منك لصابرٌ وإن كان من أدناه يذبل يذبل
وما أدّعي أنّي جليدٌ، وإنّما هي النفس ما حملتها تتحمّل

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي له [ من مجزوء الرجز ] :

زاد غرامي لهبا فطر غمامٍ سكبا
فعاقني عن قصدكم كما تعوق الرّقبا
وكان عهدي قبل ذا بالماء يطفي اللهبا
فكيف قد فارق لي طباعه وانقلبا

---

(١) أطاش السّهم : أمال عن الهدف ، أطاش الدم : أخرجه وبدّده ، وكالي : حافظٌ وواقي .

وهكذا الدّهر يُرى في كلٍّ يومٍ عجبا

* * *

## ٤٠ ـ أبو علي الحسين بن أبي القاسم القاشاني

شاعر حسن الشعر ، كثير الملح والنكت ، أنشدني غير واحد له [ من المنسرح ] :

عينيَّ مذْ شطّتِ الدّيار بكمْ   تحكي سماءً والدّمع أنجمها
كأنّ في وجنتي أبالسةً   تسترق السّمع وهي ترجمها

وأنشدني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال : أنشدني أبو عليٍّ لنفسه في العنب [ من الطويل ] :

نهاني عذولي بل لحانيَ إذْ رأى   ولوعيَ بالأعناب أُكثِر قضمها[١]
فقلت له الصهباء كانت عشيقتي   فقد ألزمتني رقَّةُ الحال صرمها[٢]
فعلّلت بالأعناب نفسي كمنعظٍ   نأت عرسه عنه فواقع أمَّها[٣]

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني أيضاً لنفسه [ من البسيط ] :

يا ليلةً جمع(٤)ي والمدام ومن   أهواه في روضةٍ تحكي الجنان لنا
لأشكرنّك ما ناحت مطوّقةٌ   على الغصون كما طوقتني مِنَنَا

وأنشدني غيره لأبي علي [ من الطويل ] :

أليس عجيباً أنَّ جسمي ناحلٌ   نحول خلالٍ بل نحول هلالِ
وأحمل ثقلاً في الهوى لا تقلّه   متون جمالٍ بل متون جبال[٤]

---

(١) قضمها : أكلها والتهامها .

(٢) صرمها : جفاءها وقطعها .

(٣) المنعظ : « يريد المواقعة » واقع : جامع، وأنعظ : انتصب وقام .

(٤) المتون : الظهور .

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي ، قال : أنشدت بالري لأبي علي [ من المنسرح ] :

قل للذي يظهر التبرُّم بي وبالرّقاع التي أسطِّرُها
حاجة مثلي إليك عارفةٌ عندك بالله لست تشكرها

* * *

## ٤١ ـ أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندي

أنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي له [ من مجزوء الكامل ] :

الريحُ تحسدني عليـك ولم أخلها في العدا
لمّا هممت بقبلةٍ ردّت على الوجه الرِّدا

وأنشدني له [ من الوافر ] :

وقالوا أيُّ شيءٍ منه أحلى فقلت المقلتان المقلتان
نعم والطرتان هما اللتان على عمر الهرندي فتنتان

وأنشدني هرون بن جعفر الصيمري، قال : أنشدني عمر الهرندي لنفسه [ من الخفيف ] :

لا أحبُّ المدام إلاَّ العتيقا ويكون المزاج من فيك ريقا
إنَّ بين الضلوع منّيَ ناراً تتلظّى فكيف لي أن أطيقا
بحياتي عليك يا من سقاني أرحيقاً سقيتني أمْ حريقا

وعلى ذكر الحريق والرحيق فقد قال بعض أهل نيسابور [ من مجزوء الرمل ] :

وعقارٍ عيشُ مَنْ عا قرها عيشٌ رشيقْ
فهي للأنس نظامٌ وإلى اللّهو طريق

وهي للأرواح في أبدانا نعم الصّديق
قلتُ لما لاح لي منها شعاعٌ وبريق
أشقيقٌ أم عقيقٌ أم رحيقٌ أم حريق ؟

وأنشدت له في ذم المتصوفة [ من مجزوء الرجز ] :

تبّاً لقومٍ جعلوا ديناً لدنيا مأكله
تستّروا بأنّهمْ صوفيةٌ محنبله
وما يساوي نسكهم قمامةٌ من مزبله
إتّخذوا شباكهم إحفاءهم للأسبله[1]

وله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي [ من الكامل ] :

رؤياك في أمري رويّة حازمٍ ذي حنكةٍ فأقول قولاً مبرما
إن تقصني أمسيت مضغة ضيغمٍ أو تدنني أصبحت ذاك الضيغما

وله فيه من قصيدة وقد كبت به دابته في نهر عميق فهلكت وسلم أبو الفتح من المتقارب ] :

بنحس أعاديكَ دار الفلك وما دار يوماً بسعدٍ فَلَكْ[2]
وإن همَّ دهرٌ بما لا أقول فنفسي الفدا وعليٌّ الدّرك[3]
بقيت جواداً فلا تحزننْ لفقد الجواد الذي قد هلك
فإنْ أذنب الدهر في أخذه فخيرٌ من الطّرف ما قدْ ترك

* * *

(١) إحفاءهم الأسبلة : إزالتهم للشوارب ، والسبال : الشعر الذي ينبت فوق الشفة العليا .
(٢) الفلك : الفضاء ونجومه وفلك : الثانية مؤلّفة من الفاء ولك ، أي أنّ السعد لك .
(٣) الدّرك : أي تبعة العمل .

## ٤٢ ـ أبو عبد الله المغلسي المراغي

قد تقدم له ذكر في الفصل من رسالة أبي الحسين بن فارس ، وهو القائل في محك الذهب [ من الطويل ] :

ومشتمــلٍ من صبغــة اللّيل بردةً   يفــوّف طوراً بالنّضــار ويطلسُ[1]
إذا سألــوه عن عويصٍ ومشكلٍ   أجاب بمـا أعيا الـورى وهـو أخرسُ

وله في اللواء [ من الطويل ] :

ومــرتفــعٍ للنــاظريــن محــاربٍ   ترى رأســه في بسطــة البــاع مائلا
حكى ثملاً أصغـى إلـى البين فاغتدى   يشــقُّ عن الأذيال منــه الغلائلا

وأخبرني أبو الحسين النحوي أن له في الأوصاف وما يجري مجرى العويص شيئاً كثيراً ، وإذا وقع إليّ منه ما يصلح للإلحاق بهذا الفصل ألحقته ، إن شاء الله تعالى .

* * *

## ٤٣ ـ القاضي أبو بكر الأسي

من أهل الري ، بلغتني له أبيات يسيرة في نهاية خفة الروح ، كقوله [ من مجزوء الرمل ] :

يـا غزالاً هـو للحسـ   ـن مقــرٌّ ومــحــطّ
لـم تــكـن أنـت بـهـذا الـــ   ــحسـن والـبـهـجــة قـطّ
مــذْ بـدا في عــاج خـدّيـــ   ــك من الـعــنـبــر خطّ

وقوله [ من المنسرح ] :

وزائــرٍ زار خائفــاً رصداً   لم أرجُ منــه زيارة أبدا

---

(١) النُضار : الذهب الخالص . ويطلس : يمحو ، وطلس الكتاب : محاه .

لو جاز أن يعبـد امـرؤٌ أحداً من دون ربِّ الـورى إذاً عبدا
قمـت لإكرامـه فبـاس يدي أكرمْ بهـا في الهـوى علـيَّ يدا
يا قبلـةً أصـبحت لهـا شفتي تمـوت من غيظٍ راحتـي كمدا

* * *

## فصـل
## في ذكر نفر من الطارئين على بلاد الجبل

## ٤٤ ـ أبو عبد الله البطحاوي

قال [ من مجزوء الرمل ] :

يـا حـمـامـي وحـمـيـمـي وغـرامـي وغـريـمـي
وسـقـيـم الـودّ والـعـهـد لـذي جـسـمٍ سقـيـم
لـم يزل ذكرك مذ فا رقـت ندمـاني نديمي
وجهـك الزاهـر لـي رو ضٌ وريَّـاك نسيمـي
غيـر أنّي أشتـكي منـك إلـى غيـر رحيـم
معـرض عن وجـه إقبا لـي خليٍّ عـن همومي

* * *

## ٤٥ ـ ابن حماد البصري

قال [ من البسيط ] :

إن كان لا بدَّ من أهـلٍ ومـن وطنٍ فحيث آمـنُ من ألقـى ويأمنني
يا ليتنـي منـكرٌ من كنـت أعرفه فلسـت أخشـى إذاً من ليس يعرفني
لا أشتـكي زمنـي هذا فاظلمـه وإنّما أشتـكي من أهـل ذا الزمنِ

قد كان لي كنزُ صبرٍ فافتقرتُ إلى إنفاقه في مزاراتي لهمْ وفني
وقد سمعت أفانينَ الحديث فهلْ سمعت قطّ بحرٍّ غير ممتحن

* * *

## ٤٦ - شمسويه البصري

قال في غلام يبيع الفراني [ من الخفيف ] :

قلت للقلب ما دهاك : أجبني قال لي : بائع الفراني فراني[١]
ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعاني

* * *

## ٤٧ - أبو الفضل النهرعاسي

قال [ من الكامل ] :

لولا تعاليل النفوس وأنّها مخدوعةٌ ما سرَّها محبوبُ
خاب امرؤٌ محض النصيحة نفسه كلٌّ يشوبُ لنفسه ويروب[٢]

* * *

## ٤٨ - أحمد بن بندار

قال [ من الطويل ] :

وقالوا يعود الماء في النّهر بعد ما عفتْ منه آثارٌ وجفّت مشارعُهْ

---

(١) الفراني : جمع فرني أو فرينة ، وهو نوع من الحلوى تخبز في الأفران، وفراني الثانية: شقّني أو جرحني .
(٢) يشوب : يمزج ، ويروب : يخلط عقله ورأيه ، وراب اللبن : ثخن واشتد ، والروب : الكذب .

فقلتُ إلى أنْ يرجع الماء عائداً ويعشب شطّاه تموت ضفادعه

* * *

## ٤٩ ـ أبو عبد الله الروزباري

قال في وصف الثلج [ من البسيط ] :

ما لابن همٍّ سوى شرب ابنة العنبِ فهاتها قهوةً فرّاجةَ الكُرَبِ
أدهقْ كؤوسَك منها واسقني طرباً على الغيوم فقد جاءتك بالطَّرب[1]
أما ترى الأرض قد شابتْ مفارقها بما نثرن عليها وهي لم تشبِ
نثار غيثٍ حكى لون الجمان لنا فاشرب على منظرٍ مستحسنٍ عجبِ
جاد الغمام بدمعٍ كاللُّجين جرى فجدْ لنا بالتي في اللون كالذَّهبِ

* * *

(١) ادهقْ : إملأ ومنه « كأساً دهاقاً » .

# الباب الثامن

## في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل فارس والأهواز سوى من تقدم ذكرهم في ساكني العراق

كعبد العزيز بن يوسف وأبي أحمد الشيرازي ، وسوى من يتأخر ذكرهم في الطارئين على خراسان كأبي إسحاق المتصفح كان ببخارى وأبي الحسن محمد بن الحسين النحوي المقيم الآن بإسفرائين من نيسابور وأبي الحسين الأهوازي صاحب كتاب القلائد والفرائد المقيم كان بالصغانيات .

* * *

## ٥٠ ـ أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي المعروف بابن العلاّف

كان بفارس للأدب مجمعاً ، وللشعر مفزعاً ، مع التصرف في مدارج الأحكام ، والمعرفة بشعب الحلال والحرام ، والقبول التام ، عند الخاص والعام ، خنق التسعين ولم تبيض له شعرة ، وهو القائل في التبرم بشبابه من قصيدة [ من الوافر ] :

إلامَ وفيمَ يظلمنّي شبابي ويُلبِس لمّتي حلل الغرابِ
وآملُ شعرةً بيضاء تبدو بدوَّ البدر من خلل السّحاب
وأدعى الشيخ ممتلئاً شباباً كذي ظمأٍ يعلّل بالسّراب

فيا هلكي هنا لك من مشيبي ويا خجلي هنا لك واكتئابي
ألا يا خاضب الشيب المعنّى أعنّي في الشباب على الخضاب
فكافور المشيب أجلُّ عندي وفي فوديّ من مسك الشّباب
وأين من الصباح ظلامٌ ليلٍ وأين من الرّباب دجى ضباب[1]
ألا من يشتري منّي شباباً بشيبٍ واسوداداً باشهباب[2]

ومما يستحسن من شعره في عضد الدولة قوله [ من السريع ] :

يا عَلَمَ العالم في الجودِ مثلك جوداً غير موجودِ
بيّضت من وجه النّدى بالنّدى ما اسودّ في أيامه السّود
كم لك في كسبك للحمد من سعيٍ على الأيام محمود
بين مطيعٍ لك أصفدتهُ وبين عاصٍ لك مصفود[3]
بك استوى الجود على خدمةٍ كما استوى الفُلك على الجودي[4]
كم موردٍ منك ندىً أو ردىً بين الرضا والسّخط مورود
وسؤددٍ منك بعزّ العلا يا عضد الدولة معضود
والدهر طوعٌ لك في كلّ ما تحدّه من كلّ محدود
وكلٌّ جارٍ لك من جوره في ظلّ أمنٍ بك ممدود
فعشْ وعيِّد سالماً آمناً ما عاد لطف الماء في العود
واسعِدْ يد الدهر بما شئت منْ ملكٍ لأبنائك موطود

ومما يستجاد من شعره قوله في الغزل [ من البسيط ] :

خدّاك للخنّس السّبعِ العلا فلكٌ ومقلتاك لشرّاد الهوى شركٌ[5]

---

(١) الرّباب : السحاب الأبيض « يعني به الشيب » .

(٢) اشهباب : وهو السواد الذي خالطه البياض .

(٣) الاصفاد : العطاء ، وأصفده : أعطاه ، والمصفود : المقيّد المشدود .

(٤) الجودي : جبلٌ في العراق رست عليه سفينة نوحٍ عليه السلام .

(٥) الخنّس : الكواكب ، والشرك : حبال يصطاد من وقع فيها .

وفيك نفعٌ وضرٌّ يَجريان كما يجري بما يحتوي في وسعه الفلكْ
فالضرُّ أجمع مخصوصٌ به بدني والنفع بيني وبين الناس مشترَكْ

وقوله [ من الطويل ] :

أَبَعْدَ دنو الدّار من داركم أجفى فلا غلَّةٌ تشفي ولا لوعةٌ تُطفى
وكنت إذا سلسلت في كأس ذي هوىً من الرّيقِ السلسال في كأسه أصفى
ففيم يخون العهد من صنت عهده ويمزجني من كان يشربني صرفا[1]

وقوله في الزهد [ من المنسرح ] :

ما عذر من جرَّ غاوياً رسَنَهْ ما عذره بعد أربعين سنه
أكلّما طالت الحياة به أطال عن أخذِ حذره وسنه
قل لي إذا متُّ كيف تنقص من سيئةٍ أو تزيد في حسنه

* * *

## ٥١ - أبو بكر بن شوذبة الفارسي

وجدت في سفينة بخط الشيخ الرئيس أبي محمد عبد الله بن إسمعيل الميكالي لأبي بكر بن شوذبة الفارسي [ من الطويل ] :

إذا لم يكنْ ممّن يؤوب هديةً فلا لقيته بالسّعادة دارهُ
وإن يهدِ أقلاماً ونقساً وكاغداً فلا قرَّ يوماً بالمقام قراره[2]
وإن يهدِ برداً أو رداءً محبَّراً فلا زال عنّا ظلُّه وجواره

وله [ من الخفيف ] :

---

(١) الصرف : الخالص الصافي .
(٢) النقس : الحبر ، والكاغد : الورق .

يا ضماني على الربيع وشرطي طال شوقي فما ترى في التّلاقي
استزرني بحرمتي ، أو فزرني إنّ هذا الربيع ليس بباق
آفة البدر ما علمت كسوفٌ وكسوفُ المحبِّ يوم الفراق

وله [ من الكامل ] :

أنعِمْ بيوم المهرجان فإنَّه يومٌ أتاك به الزمان جديدُ
ومضى المصيف وحرُّه وعُجاجه وأتى الخريف ووقته المحمودُ
إن كان هذا اليوم عيداً للورى فبقاءُ عمرك كلّ يومٍ عيدُ
والراحُ طيبةٌ إذا ما علِّلت بسماعِ أهيف في يديه عودُ

وله [ من السريع ] :

أكلُّ من كان له نعمةٌ أوسعَ من نعمةِ إخوانِهِ
أمْ كلُّ من كانت له كسرةٌ يبذلها في بعض أحيانه
أمْ كلُّ من كان له جوسقٌ مشرّفٌ شيدَ بأركانه[1]
يرى بها مستكبراً تائهاً على أدانيه وخلاّنه

* * *

## ٥٢ ـ أحمد بن الفضل الشيرازي

كان يهوى فتى من أولاد الأغنياء المترفين بشيراز ، فقال فيه [ من الكامل ] :

ومن البلية والعظائم أنني علقتُ واحدَ أمِّه وأبيهِ
فهما ذوا حذرٍ عليه تراهما يتلقّطان كلامه من فيهِ
قدْ دلّلاه وأورثاه رعونةً من نخوةٍ مشتقةٍ من تيه

* * *

(١) الجوسق : القصر .

## ٥٣ ـ المعروف المنبسط الشيرازي

سمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : أضاف المنبسط بعض إخوانه ثم خرج وخلاه في منزله ، فكتب إليه [ من البسيط ] :

يا خالي الجيب من عقلٍ ومن أدبٍ وإنْ تحلّيت من خالٍ ومن نسب
تركتني ومعي في البيت واحدةً وأنت تعلم ما يجري به لقبي

* * *

## ٥٤ ـ أبو رجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازي

قال [ من البسيط ] :

غضبت من قبلةٍ بالكره جُدْتِ بها فهنا فمي لك فاقتصيّه أضعافا
لم يأمر الله إلاّ بالقصاص فلا تستجوري ما يراه الله إنصافا

* * *

## ٥٥ ـ أبو عبد الله الخوزي

قال [ من السريع ] :

ويلٌ لمن عدله القاضي والله عنه ليس بالراضي
تمضي القضايا بشهاداته وهو إلى النّار غداً ماض

* * *

## ٥٦ ـ أبو الحسن بن أبي سهل الأرجاني

قال [ من المتقارب ] :

مدحت ابن كلثوم صهر الوصيّ فأنزلني بالمحلِّ القصيّ

فأطعمه الله سلح الخصيّ وكلّل يافوخه بالعصيّ[1]

* * *

## ٥٧ ـ أبو علي بن غيلان السيرافي

قال [ من مجزوء الكامل ] :

قد كنت ألتمس الشّرا ب فقد بدا لي في الشرابِ
وأهمّني خبزُ الشّعير ولم يكن ذا في حسابي

* * *

## ٥٨ ـ ابن خلاد القاضي الرامهرمزي

هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد .

من أنياب الكلام ، وفرسان الأدب ، وأعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، وجملة القضاة الموسومين بمداخلة الوزراء والرؤساء ، وكان مختصاً بابن العميد تجمعهما كلمة الأدب ولحمة العلم ، وتجري بينهما مكاتبات بالنثر والنظم ، كما تقدم ذكر صدر منهما ، وهكذا كانت حاله مع المهلبي الوزير ، وهو الكاتب إليه لما استوزر [ من البسيط ] :

الآنَ حين تعاطى القوس باريها وأبصر السّمتَ في الظلماء ساريها[2]
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الوزارة بل مصباحُ داجيها
تضحي الوزارة تزهى في مواكبها زهو الرياض إذا جادت غواديها[3]

---

(١) السلح : الغائط ، واليافوخ : الرأس .
(٢) السّمت : الطريق .
(٣) جادت غواديها : هطلت أمطارها .

تاهت علينا بميمونٍ نقيبته قلَّتْ لمقداره الدّنيا وما فيها
معزٌّ دولتها هنّئتها فلقدْ أيِّدتها بوثيقٍ معقِن رواسيها

فأجابه المهلبي بهذه الأبيات [ من البسيط ] :

مواهب الله عندي ما يدانيها سعيٌ ومجهودٌ وسعي لا يوازيها
والله أسأل توفيقاً لطاعتهِ حتّى يوافق فعلي أمره فيها
وقد أتتنيَ أبياتٌ مهذَّبةٌ ظريفةٌ جزلةٌ رقَّتْ حواشيها
ضمّنتها حسن إبداع وتهنئةٍ أنت المهنّا باديها وتاليها
فثِقْ بنيلِ المنى في كلِّ منزلةٍ أصبحت تعمُرُها منّي وتبنيها
فأنت أوّل موثوقٍ بنيَّتِهِ وأقرب الناس من حالٍ ترجِّيها

ومن ملح ابن خلاد قوله في نفسه [ من السريع ] :

قل لابن خلاّدَ إذا جئته مستنداً في المسجد الجامعِ
هذا زمانٌ ليس يحظى به حدّثنا الأعمش عن نافعِ

وقوله وقد طولب بالخراج [ من الرجز ] :

يا أيُّها المكثر فينا الزّمجره ناموسه دفتره والمحبره[1]
قد أبطل الدّيوان كتب السّحره والجامعين وكتاب الجمهره
هيهات لن يعبر تلك القنطره نحوٌ الكسائيٌّ وشعر عنتره
ودغفلٍ وابن لسان الحمره ليس سوى المنقوشة المدوره[2]

وقوله [ من الطويل ] :

غناءٌ قليلٌ مالكٌ ومحمّدٌ إذا اختلفت سمر القنا في المعارك

---

(1) ناموسه : شريعته .

(2) ابن لسان الحمرة : خطيب بليغ نسّابة ، إسمه عبد بن حصين ، ويقال : ورقه بن الأشعر .

تجمّلْ بمالٍ واغدُ غيرَ مذمّمٍ     بمشراط حجّام ومنوالِ حائكِ

وما يتغنى به من شعره قوله في غلام من أبناء الديلم [ من مجزوء الرجز ] :

يا منْ لصبٍّ قلقٍ     بات يراعي الفلكا
جار به مسلّطٌ     يجور فيمن ملكا
يهزأ من عاشقه     يضحك منه إن بكى
مرّ بنا يخطر في     سريحةٍ دلّلكا
كشادنٍ ريع من الـ     ـصيّاد أبدى شركا[1]
فقلت يا أحسن من     تبصر عيني من لكا
فقال لي بغنّةٍ     إليك لا أجرحكا
تبّاً لقاضٍ يبتغي     من المعاصي دركا[2]
فقلت والله الذي     صيّرني عبداً لكا
ما إن أردتُ ريبةً     ولم أردْ سوءاً بكا
وأنت في قولك ذا     آثمُ ممّن أشركا

وقوله من قصيدة في عضد الدولة أبي شجاع رحمه الله تعالى [ من الكامل ] :

جادتْ عِراصَكِ مزنةٌ يا دارُ     وكساك بعد قطينك النوّار[3]
فلبكمْ أرقبتُ بعقوتيك صبابةً     ماء المدامع والجوانح نار[4]
ولقد أُديل من الجهالة والصّبا     زمنٌ على زينة العقول عيار[5]

ومنها في المدح :

---

(١) الشادن : الغزال ، وريع : خاف ، والشرك : المصيدة .
(٢) تبّاً : قطعاً وهلاكاً ، دركاً : نيلاً .
(٣) العراص : الساحات ، والقطين : الساكن .
(٤) العقوة : شجر ، أو ما حول الدار والمحلّة .
(٥) أديل : غُلب ، وأدال الشيء : تداوله .

كرّ الفرار بيمنه وسعوده ... فعلت به لذوي الحجى أقدارُ

عمُرتْ من الأدب الفقيد دياره ... ودنا من الكرم البعيد مزارُ

والفقه والنظر المعظّم شأنه ... ظهراً وناضل عنهما أنصار

عادت إلى الدنيا بنوها واغتدتْ ... تبني القوافي يعربٌ ونزار

وسمت إلى فصل الخطاب وأهله ... والقائلين بفضله أبصارُ

آب الحصين وعنترٌ ومهلهلٌ ... والأعشيان وأقبل المرّار

والنابغان وجرولٌ ومرقّشٌ ... وكثيِّرٌ ومزرِّدٌ وضرار

وسما جريرٌ والفرزدق والذي ... يعزى الصليب إليه والزنّار(١)

وغدا حبيبٌ والوليد ومسلمٌ ... والآخرون يقودهم بشّار

وأتى الخليل وسيبويه ومعمرٌ ... والأصمعي ولم يغبْ عمّار

نشرت بفنا خسرو أربابها ... كالأرض ناشرةً لها الأمطار

أحيا الأمير أبو شجاعٍ ذكرهم ... فنما القريض وعاشت الأشعار

ولما توفي ابن خلاد رثاه صديق له بقصيدة في نهاية الحسن ، أولها [ من الكامل ] :

همم النفوس قصارهنّ همومُ ... وسرور أبناء الزمان غمومُ

ومصير ذي الأمل الطويل وإن حوى ... أقصى المنى حتفٌ عليه يحوم

وسعادة الإنسان على استحلائها ... مرٌّ وعقد وفائها مذموم

وسنيحها برحٌ ، وخصب ربيعها ... جذبٌ ، وناصع عيشها مسموم(٢)

لا سعدها يبقى ، ولا لأوائها ... يفنى ، ولا فيها النعيم مقيم(٣)

---

(١) يعزى الصليب إليه : ينسب إليه وضع الصليب في صدره ، وهو الأخطل الكبير ثالث المثلث الأموي الشمهور .

(٢) السنيح والبارح : السنيح : الطائر الذي يمرّ من يسار الرائي إلى يمينه ، والبارح : الطائر الذي يمرّ من اليمين إلى اليسار « رمزان للتشاؤم والتفاؤل » عند العرب .

(٢) اللأواء : الشدّة .

محسودهـا مرحومهـا، ورئيسها  مرءوسهـا، ووجودهـا معدوم

وبقاؤها سبب الفناء، ووعدها  إيعادهـا، ووِدادهـا مصروم

أمّا الصحيح فإنّه من خوف ما  يعتاده من سقمه لسقيمُ

وسليمُها طيّ السلامة دائباً  يرنو إلى الآفات وهو سليم

وغنيُّها حذر الحوادث والرّدى  في ظلّ أكناف اليسار عديمُ

سيّان في حكمِ الحمام وريبه  عند التناهي جاهلٌ وعليم

أودي ابن خلاّدٍ قريعُ زمانه  بحرُ العلوم وروضُها المرهوم[1]

لو كان يعرف فضله صرف الرّدى  لانحاز عنه ونابه مثلوم

عظمت فوائد علمه في دهرِه  فمصابه في العالمين عظيم

إقليم بابلَ لم يكن إلاّ به  فاليوم ليس لبابلٍ إقليم

أنّى اهتدى ريب المنون لساترٍ  فوق النجوم محلُّه المرسوم

ظلم الزمان فبزَّ[2] عنه كماله  ومن العجائب ظالمٌ مظلوم

لا تعجبنّ من الزّمان وغدره  فحديث غدرات الزّمان قديم

لو كان ينجو ماجدٌ لتقيّةٍ  نجّى ابن خلاّد التُّقى والخيمُ[3]

لكنّه أمرُ الإلّه وحكمه  وقضاؤه في خلقه المحتوم

روضٌ من الآداب غضٌّ زهره  ركَد الهجير عليه فهو هشيم

وحديقةٌ لمّا تزل ثمراتها  تحفُ الملوك أصابهنّ سموم[4]

شمّامة الوزراء حلو حديثه  تحفٌ لهم دون النّديم نديم

ريحانة الكتّاب من ألفاظه  يتعلّم المنثور والمنظوم

أمّا العزاء فما يحلّ بساحتي  والصّبر عنك كما علمت ذميمُ

---

(١) المرهوم : الذي يسقيه المطر الدائم .

(٢) بزّ : سلب .

(٣) الخيم : السجايا والصفات .

(٤) السموم : الرياح الحارة التي تهبُّ صيفاً .

وإذا أردت تسلّياً فكأنني فيما أدرت من السلوِّ مليم
فعليك ما غنّى الحمامُ تحيّةٌ ومع التّحيّةِ نضرةٌ ونعيم

## ٥٩ ـ محمد بن عبد العزيز السوسي

أحد شياطين الإنس ، يقول قصيدة تربى على أربعمائة بيت في وصف حاله وتنقله في الأديان والمذاهب والصناعات ، أولها [ من المنسرح ] :

الحمد لله ليس لي بختُ ولا ثيابٌ يضمّها تختُ
سيان بيتي لمن تأمّله والمهمه الصحصحان والمرت[1]
أمنتُ في بيتي اللصوص فما للّص فيه فوقٌ ولا تحت
فمنزلي مطبقٌ بلا حرسٍ صفرٌ من الصفر حيثما درت
إبريقي الكوز إن غسلت يدي والطين سعدي وداري الطست
وعاجل الشيب حين صيّرني فرزدقي المشيب إذ شبت
سلكت في مسلك التصوف تنميساً فكم للذبول قصّرت
سوّيت سجادةً بيومٍ وأحفيت سبالاً قد كنت طوّلتُ
وفي مقام الخليل قمت كما قام لأني به تبركتُ
وقلت إني أحرمت من بلدي وفي حرامي إن كنت أحرمت
ثم كتبت العطوف حتى بتد بيري بين الرءوس ألّفت
حتى إذا رمت عطف بعلٍ على عرس عكست المنى وطلّقتُ
حرفي منقّى من التراب فكم ذرّيتُهُ مرّةً وغربلتُ
يا ليت شعري مالي حرمت ولا أعطي من إن رأيته اغتظت
بل ليت شعري لمّا بدا يقسم الـ أرزاق في أيِّ مطبقٍ كنتُ

---

(١) المهمه : القفر، والصحراء الواسعة التي لا ماء فيها ، والصحصحان : الأرض الجرداء ، والمرت : الأرض بلا نبات .

والحمد لله قاسم الرزق في الـــــخلق كما اختار لا كما اخترت

## ٦٠ ـ أبو محمد السوسي

قال [ من المجتث ] :

باكرْ عليَّ ببكرٍ حمراءَ من كفِّ بِكْرِ
وأحي بالقفص قصفي وأفن في العمر عمري[1]
روِّحْ براحك روحي وحِزْ بسكريَ شكري[2]
فساعةٌ لم أعشها في القصف تقصف ظهري

* * *

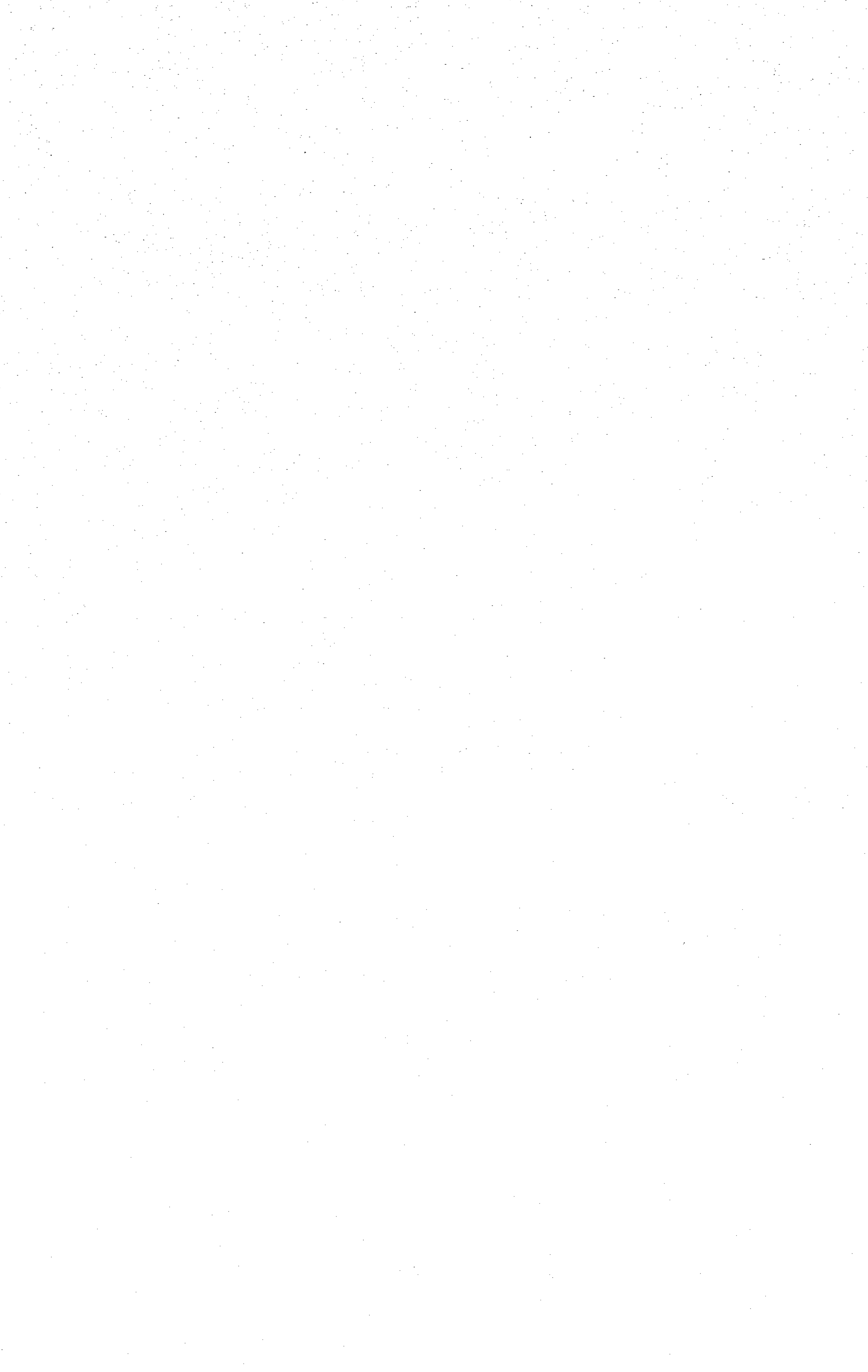
## ٦١ ـ أبو الحسن بن غسان

سمعت أبا الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي يقول : ورد أبو الحسن بن غسان البصري الشاعر الطبيب على أبي مضر عامل الأهواز في جملة شعراء امتدحوه ، ومرض في أثناء ذلك ، فعالجه أبو الحسن حتى برىء من مرضه ، وكتب للشعراء ولأبي الحسن خطوطاً بصلات ، فأخر ترويجها فكتب إليه [ من الوافر ] :

هب الشّعراء تعطيهم رقاعاً مزوَّرةً كلاماً من كلامِ
فلم صلة الطبيب تكون زوراً وقد أهدى الشّفاء من السقام ؟

(١) القصف : الشراب والمجون .
(٢) الراح : الخمر ، وحز : من حاز : أي حصل .

قد تمت ـ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ـ مراجعة الجزء الثالث من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الرابع مفتتحاً بالباب التاسع في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان ، نسأل الله ـ جلت قدرته ـ أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .



# فهـرس الجــزء الثالـث

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »

للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى سنة ٤٢٩ من الهجرة

# فهرس



## الباب السابع

## الباب الثامن

### في ملح المقلين من أهل بغداد

| الموضوع | ص |
| --- | --- |


## الباب التاسع

### فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

| الموضوع | ص |
|---|---|

| الموضوع | ص |
|---|---|

## الباب الرابع

### في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي



## الباب الخامس

### في محاسن أهل العصر من إصبهان



## الباب السادس

### في ذكر الشعراء الطارئين على الصاحب من الآفاق

| الموضوع | ص |
| --- | --- |



## الباب السابع

### في ذكر سائر شعراء الجبل

| الموضوع | ص |
|---|---|



## الباب الثامن

### في شعراء فارس والأهواز
### سوى من تقدم منهم في ساكني العراق



تمت فهرس الجزء الثالث من « يتيمة الدهر »
والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلواته على سيدنا محمد وآله